

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

الجزء الثالث

١٢٩٢ هـ = ١٩٧٦ م

دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٢٣٦٧٦٩ - ٢٤٦١٦١

ص.ب ٥٧٦٩

بيروت - لبنان

السيرة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثلاث من الهجرة

في أولها كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذي أمر .

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمر^(١) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صقراً كله ، أو قريباً من ذلك ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

وقال الواقدي : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة ابن محارب تجمعوا بذى أمر يريدون حربته ، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فغاب أحد عشر يوماً ، وكان معه أربعائة وخمسون رجلاً .

وهربت منه الأعراب في رموس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فمسكروا به ، وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف ، وذلك برأى من المشركين ، واشتغل المشركون في شئونهم .

(١) ذو أمر : موضع من ديار غطفان . وقال ابن سعد : بناحية النخيل .

فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له غَوْرَثُ بن الحارث أو دُعْنُور بن الحارث فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد .

فذهب ذلك الرجل ومنعه سيف صقيل ، حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكره عليك جمعاً أبداً . فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه .

فلما رجع إلى أصحابه فقالوا : وبلك ، مالك ؟ فقال : نظرتُ إلى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكره عليه جمعاً . وجعل يدعو قومه إلى الإسلام .

قال : ونزل في ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم ^(١) » الآية .

قال البيهقي : وسيأتي في غزوة ذات الرِّفَاع قصةٌ تشبه هذه ، فلعلهما قصتان . قلت : إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً ، لأن ذلك الرجل اسمه غَوْرَثُ ابن الحارث أيضاً لم يُسلم بل استمرَّ على دينه ، ولم يسكن عاهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا بقاتله . والله أعلم .

غزوة الفُرْع من بَحْران

قال ابن إسحاق : فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كله أو إقليلاً منه ثم غدا ^(٢)

(١) سورة المائدة ١١ . (٢) ابن هشام : ثم غزا .

يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُحْران^(١) ، وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرع^(٢) .
وقال الواقدي : إنما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . فالله أعلم .

خبر يهود بني قينقاع من أهل المدينة

وقد زعم الواقدي أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة . فالله أعلم .

وهم المرادون بقوله تعالى : « كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبأل أمرهم ولم عذاب أليم »^(٣) .

قال ابن إسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني قينقاع .

قال : وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم في سوقهم ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم .

فقالوا : يا محمد إنك ترى أنا قومك ؟ لا يعرفك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : فحدثني مولى يزيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قل للذين كفروا ستغلبون وتخشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فنتين التقتا » يعني أصحاب بدر

(١) بحران : بضم الباء ، وفتحها ، وهي أول قرية دارت اسماعيل وأمه التمر بمكة .

(٢) الفرع : بضم الفاء والراء وفي المواهب بفتحها . (٣) سورة الحشر ١٥ .

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش : « فثمة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرين يرونهم مثلينهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لآية لأولى الأبصار ^(١) » .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود تقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : فذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون ، قال : كان [من ^(٢)] أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بحب لها فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا بها ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً ، فشددت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب ^(٣) المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : فخاصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه .

فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسن في موالى . وكانوا حلفاء الخزرج . قال : فأبأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد أحسن في موالى فأعرض عنه . قال : فأدخل يده في جيب درع النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن هشام : وكان يقال لها ذات الفضول . فقال له رسول الله صلى الله

(١) سورة آل عمران ١٣ .

(٢) من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : فغضب .

عليه وسلم : أرسلني . وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجه ظملاً ثم قال : ويحك أرسلني .

قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدتم في غداة واحدة ! إني والله امرؤ أخشى الدوائر . قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاصرته إيهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إيهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي ، عن عبادة بن الوليد ، عن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من بني عوف له من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ، فحلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله أتوتني الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم .

قال : وفيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات من المائدة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » الآيات حتى قوله : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » يعني عبد الله ابن أبي إلى قوله « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » يعني عبادة بن الصامت . وقد تكلمنا على ذلك في التفسير .

سرية زيد بن حارثة

إلى غير قریش^(١) صحبة أبي سفيان أيضاً ، وقيل صحبة صفوان

قال يونس بن^(٢) بكير ، عن ابن إسحاق : . وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر .
قال ابن إسحاق : وكان من حديثها أن قریشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون
إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار
فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة ، وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن
وائل يقال له فرات بن حيان ، يعني العجلي حليف بني سبهم ، ليدلهم على تلك الطريق .
قال ابن إسحاق : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، فلقبهم على
ماء يقال له القردة^(٣) ، فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

فقال في ذلك حسان بن ثابت :

دَعَوْا فَلَجَّاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ^(٤)
بَأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتْ لِلغَوْرِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكَ^(٥)

قال ابن هشام : وهذه القصيدة في أبيات الحسن ، وقد أجابه فيها أبو سفيان

ابن الحارث .

وقال الواقدي : كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهلاً جمادى الأولى

على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة ، وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية .

(١) ابن هشام : إلى القردة . (٢) الأصل : عن بكير . وهو تحريف . (٣) القردة : ماء من مياه نجد .

(٤) الفلجات جمع فليجة ، وهي النهر الصغير . وقال السهيلي : الفلجات جمع فليج وهو العين الجارية .

فن : والمخاض : واحدها خلفه من غير لفظها . وهي الحامل ، وقد قيل في الواحد : ماخض . والأوارك :

رئت الأراك واشتكت من أكا . (٥) الغور : ما انخفض من الأرض . وعالج : موضع كثير الرمل .

وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نُعَيْم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه ، واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم ، فشرّبوا ، وكان ذلك قبل أن تحرّم الخمر ، فتحدث بقضية العير نُعَيْم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال ، فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الأموال وأعجزهم الرجال ، وإنما أسروا رجلاً أو رجلين ، وقدِموا بالعير نخمّسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع خمسها عشرين ألفاً ، وقسم أربعة أخماسها على السرية . وكان فيمن أسر الدليل فرّات بن حيان ، فأسلم . رضی الله عنه .

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أن في ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلت عليه في جمادى الآخرة منها .

مقتل كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من بني طيء ، ثم أحد بني تبهان ولكن أمه من بني النضير .

هكذا ذكره ابن إسحاق قبل جلاء بني النضير ، وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير ، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق ، لما سيأتي ، فإن بني النضير إنما كان أمرها بعد وقعة أُحُد ، وفي محاصرتهم حرّمت الخمر كما سنبينه بطريقه إن شاء الله . قال البخاري في صحيحه : « قتل كعب بن الأشرف » حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال عمرو : سمعتُ جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ . فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم . قال : فأذن لي أن أقول شيئاً . قال : قل .

فأتاه محمد بن مسleme فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقةً وإنه قد عتانا^(١) وإني قد أتيتك أستسلفك . قال : وأيضاً والله لتملننه .

قال : إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شىء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا^(٢) .

قال : نعم أرهنونى . قلت : أى شىء تريد ؟ قال : أرهنونى نساءكم .

فقالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ! قال : فأرهنونى أبناءكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال : رهن بوسق أو وسقين ! هذا عارٌ علينا ، ولكن نرهنك الأمانة . قال سفيان : يعنى السلاح^(٣) .

فواعده أن يأتيه ليلاً ، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة^(٤) وهو أخو كعب من الرضاعة . فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير عمرو^(٥) : قالت : أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم . قال : إنما هو أخى محمد بن مسleme ورضيعى أبو نائلة ، إن الكريم لو دعى إلى طمعةٍ لبيل لأجاب !

قال : ويدخل محمد بن مسleme معه رجلين ، فقال : إذا ما جاء فبئى ماثل^(٦) بشعره فأشمه ، فإذا رأيتمنى استمكنت من رأسه فدوتكم فأضربوه . وقال : مرة ، ثم أشمكم^(٧) .

فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ریح الطيب فقال^(٨) : ما رأيت كالليوم ريحاً . أى أطيّب . وقال غير عمرو : قال^(٩) : عندى أعطر نساء العرب وأجمل العرب .

(١) عتانا : أعتبنا . (٢) زاد في بعض روايات البخارى : وسقاً أو وسقين .

(٣) الأمانة في اللغة : الدرع . وإطلاق السلاح عليها من إطلاق اسم السكل على البعض . وتصدوا من ذلك ألا ينكر عليهم السلاح حين يأتونه به . (٤) هو سلكان بن سلامة .

(٥) غير عمرو : أى رواية أخرى غير رواية عمرو بن دينار . (٦) وتروى : قائل بشعره . أى أخذ .

(٧) أشمكم : أمسككم من الدم . (٨) أى محمد بن مسleme . (٩) أى كعب .

قال عمرو : فقال : أتأذن لي أن أشمَّ رأسك ؟ قال : نعم . فشمه ثم أشمَّ أصحابه ، ثم قال : أتأذن لي ؟ قال : نعم . فلما استمكن منه قال : دونكم . فقتلوه . ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه .

وقال محمد بن إسحاق : كان من حديث كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيء ثم أحد بني تبهان وأمه من بني النضير ، أنه لما بلغه الخبرُ عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، قال : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأَرْض خيرٌ من ظهرها .

فلما تيقن عدو الله الخبرَ خرج إلى مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزله وأكرمته ، وجعل يحرِّض على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُشدد الأَشعار ويندب من قُتل من المشركين يوم بدر .

فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ وَلَمَثَلِ بَدْرِ تَسْتَهْلِ وَتَدْمَعُ

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضى الله عنه ومن غيره .

ثم عاد إلى المدينة فجعل يشبُّ بنساء المسلمين ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بني النضير أو فيهم ، قد أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وركب إلى قريش فاستغرام ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك أديننا أحبُّ إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ إنا نطمع الجزور الكوماء ونسقى اللبن على الماء ونطمع ما هبت الشمال .

فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلا !

قال فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين كذبهم الله ومن يَلْعَنُ اللهُ فلن تجده له نصيراً » وما بعدها .

قال موسى ومحمد بن إسحاق : وقدم المدينة يُعلمن بالعداوة ويحرّض الناس على الحرب ، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يشبّب بأبى الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسلمين .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن المغيث ابن أبي بردة : من لابن الأشرف ؟

فقال له محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله .
قال : فافعل إن قدرت على ذلك .

قال : فرجع محمد بن مسلمة ، فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدرى هل أفي لك به أم لا . قال : إنما عليك الجهد .

قال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا أن نقول . قال : فقولوا ما بدأ لكم فأنتم في حلٍ من ذلك .

قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلطان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو نائلة أحد بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاة ، وعبد بن بشر بن

وَقَسَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مَعَاذِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ
وَأَبُو عَبْسِ بْنِ جَبْرِ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ .

قال : فَقَدَّمُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ كَعْبِ سَلْكَانَ بْنِ سَلَامَةَ أَبَا نَائِلَةَ ،
فَجَاءَهُ فَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً فَتَنَاشَدَا شِعْرًا ، وَكَانَ أَبُو نَائِلَةَ يَقُولُ الشَّعْرَ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ
يَا بَنَ الْأَشْرَفِ ! إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ أُرِيدُ ذِكْرَهُ لَكَ فَارْتَمِ عَنِّي . قَالَ : أَفْعَلُ .

قال : كَانَ قَدُومُ هَذَا الرَّجُلِ عَلَيْنَا بِلَاءً ، عَادَتْنَا الْعَرَبُ وَرَمَتْنَا عَن قَوْسِ
وَاحِدَةٍ وَقَطَعَتْ عَنَا السَّبِيلَ ، حَتَّى ضَاعَ الْعِيَالُ وَجَهَدَتِ الْأَنْفُسُ وَأَصْبَحْنَا قَدْ جَهَدْنَا
وَجَهَدَ عِيَالُنَا .

فَقَالَ كَعْبٌ : أَنَا ابْنُ الْأَشْرَفِ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخْبِرُكَ يَا بَنَ سَلَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ
يَصِيرُ إِلَى مَا أَقُولُ .

فَقَالَ لَهُ سَلْكَانٌ : إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَبِيعَنَا طَعَامًا وَتُرْهَنَكَ وَنَوْتِقَ لَكَ وَتَحْسِنَ
فِي ذَلِكَ .

قال : تَرْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ ؟ قَالَ : لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَفْضَحْنَا ، إِنْ مَعِيَ أَصْحَابًا لِي عَلَى
مِثْلِ رَأْيِي ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ آتِيكَ بِهِمْ فَتَبِيعَهُمْ وَتَحْسِنَ فِي ذَلِكَ وَتُرْهَنَكَ مِنْ
الْحَلِيقَةِ مَا فِيهِ وَفَاءً .

وَأَرَادَ سَلْكَانُ أَلَّا يَنْسُكَرَ السَّلَاحُ إِذَا جَاءُوا بِهَا . فَقَالَ : إِنْ فِي الْحَلِيقَةِ لَوْفَاءً .
قال : فَارْجِعْ سَلْكَانَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبِرْهُمْ خَبْرَهُ ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السَّلَاحَ ثُمَّ يَنْطَلِقُوا
فَيَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : لَخَدَّثَنِي ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مشى
معه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقاد ثم وجههم وقال : « انطلقوا على

اسم الله ، اللهم أعينهم » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته وهو في ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه .

فهيئت به أبو نائلة وكان حديث عهد بعُرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتهما وقالت : أنت امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا يزلون في هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة لو وجدني نائمًا ما أيقظني . فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشرَّ . قال : يقول لها كعب : لو دُعِيَ الفتى لطمعةٍ أجاب !

فنزله فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا فمشوا ساعة .

ثم إن أبا نائلة شام يده في فؤدِ رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيتُ كالليلة طيباً أعطر قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفؤدِ رأسه ثم قال : اضربوا عدوَّ الله ! فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولاً^(١) في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصنٌ إلا أوقدت عليه نار ، قال : فوضعت في ثُنْتِه^(٢) ثم تحاملتُ عليه حتى بلغت عانته^(٣) ، فوقع عدو الله . وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه أصابه بعضُ سيوفنا .

قال : فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد ثم على بني قريظة ثم على بُعات ، حتى أسندنا في حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه ، فحُثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل رسول الله صلى

(١) المغول : نصل طويل . (٢) الثنة : ما بين المرة والمانعة . (٣) الاكتفا : غايته .

الله عليه وسلم على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه .

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أنهم جاءوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وفي ذلك يقول كعب بن مالك :

فغودرَ منهم كعبٌ صريعاً فذلتَ بعدَ مَصْرَعِهِ النضيرُ
على الكفّين ثمّ وقد علته بأيدينا مشهرة ذكورُ
بأمرِ محمدٍ إذ دَسَّ ليلاً إلى كعبٍ أخوا كعبٍ يسيرُ
فاكرهه فأنزله بمكرٍ ومحمود أخو ثقة جَسورُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير ستأتي .

قلت : كان قتلُ كعب بن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدر ، ثم إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبي الحقيق بعد وقعة أحد ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله وبه الثقة .

وقد أورد ابن إسحاق شعرَ حسان بن ثابت :

لله دَرٌّ عصابةٍ لاقيهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرفِ
يسرون بالبيض الخفافِ إليكم مرحاً كأسدٍ في عرينٍ مُغْرِفِ
حتى أتوكم في محلِّ بلادكم فسقوكم حَتْفاً ببيضٍ ذُفِّفِ
مُستبصرين لنصرِ دينِ نبيهم مستصغرين لكلِّ أمرٍ مُجْجِفِ

قال محمد بن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودٍ فَاقْتُلُوهُ » .

فوثب عند ذلك نحيصةُ بن مسعود الأوسى على ابن سُنَيْمَةَ ، رجل من تجار يهود

كان يلابسهم ويبايعهم ، فقتله ، وكان أخوه حُوَيْصَةَ بن مسعود أسنَّ منه ولم يُسَلِّمْ بعدُ ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ أَقْتَلْتَهُ ؟ ! أما والله لَرُبَّ شَحْمٍ فِي بَطْنِكَ مِنْ مَالِهِ !

قال مُحَيِّصَةُ : فقلت والله لقد أمرني بقتله مَنْ لو أمرني بقتلك لضربت عنقك !
قال : فوالله إن كان لأوَّلَ إِسْلَامِ حُوَيْصَةَ وقال : والله لو أمرك محمد بقتلي لتقتلني ؟ قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربت بها !
قال : فوالله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب ! فأسلم حويصة .
قال ابن إسحاق : حدثني بهذا الحديث مولى لبني حارثة عن ابنة مُحَيِّصَةَ ، عن أبيها .

وقال في ذلك مُحَيِّصَةُ :

يلوم ابن أمِّ^(١) لو أمرتُ بقتله لَطَبَّتُ ذِفْرَاهُ بِأَبْيَضِ قَارِبِ^(٢)
حُسامٌ كلون الملح أخلص صقله متى ما أصوبه فليس بكاذبِ
وما سرّني أني قتلتك طائِعاً وأن لنا ما بين بصرى ومأربِ

وحكى ابن هشام ، عن أبي عبيدة ، عن أبي عمرو المدنى ، أن هذه القصة كانت بعد مقتل بنى قريظة ، فإن المقتول كان كعب بن يهوذا ، فلما قتله مُحَيِّصَةُ عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بنى قريظة قال له أخوه حُوَيْصَةَ ما قال ، فردَّ عليه مُحَيِّصَةُ بما تقدم ، فأسلم حويصة يومئذ . فالله أعلم .

تنبية : ذكر البيهقي والبخارى قبله خبر بنى النضير قبل وقعة أحد ، والصواب إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازى .

وبرهانه : أن الخمر حُرِّمَتْ لِمَالِي حِصَارِ بَنِي النَّضِيرِ ، وثبت في الصحيح أنه اصطحب

(١) ابن هشام : ابن أمي . (٢) الذفرى : عظم ناتي خلف الأذن وفي ابن هشام : قاضب . وهو القاطع .

الجمرة جماعة ممن قُتِلَ يومَ أحدٍ شهيداً ، فدل على أن الجمرة كانت إذ ذاك حلالاً ،
وإنما حرمت بعد ذلك ، فتبيّن ما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد .
والله أعلم .

تنبيه آخر : خبر يهود بني قَيْنُقَاع بعد وقعة بدر . كما تقدم . وكذلك قَتْلُ كعب
ابن الأشرف اليهودي على يدي الأوس .

وخبر بني النضير بعد وقعة أحد كما سيأتي . وكذلك مَقْتَلُ أَبِي رَافِعِ الْيَهُودِيِّ تاجر
أهل الحجاز على يدي الخزرج .

وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الأحزاب وقصة الخندق . كما سيأتي .

غزوة أُحُد في شوال سنة ثلاث

« فائدة » ذكرها المؤلف في تسمية أُحُد . قال : سُمِّي أُحُدٌ أُحْدًا لِتَوَحُّدِهِ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْجِبَالِ .

وفي الصحيح : « أُحُدٌ جِبَلٌ يُحْبِنَا وَنَحْبِهِ » قيل : معناه أهله . وقيل : لأنه كان يبشّره بقرب أهله إذا رجع من سفره ، كما يفعل الحُبُّ . وقيل : على ظاهره كقوله : « وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » .

وفي الحديث عن أبي عبيد بن جبر : « أُحُدٌ يُحْبِنَا وَنَحْبِهِ ، وَهُوَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، وَعَيْرٌ يَبْغِضُنَا وَنَبْغِضُهُ . وَهُوَ عَلَى بَابِ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ » .

قال السهيلي مقويًا لهذا الحديث : وقد ثبت أنه عليه السلام قال : « المرء مع من أحبَّ » .

وهذا من غريب صنُع السهيلي . فإن هذا الحديث إنما يراد به الناسُ ، ولا يسمَّى الجبل اسماءً .

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث . قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك .

قال ابن إسحاق : للنصف من شوال . وقال قتادة : يوم السبت الحادى عشر منه . قال مالك : وكانت الواقعة في أول النهار ، وهى على المشهور التى أنزل الله فيها قوله تعالى : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ

يُمدِّكم ربُّكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ مُنزَلين . بلى إن تصبروا وتتَّقوا ويأتوكم من قورهم هذا يمدِّكم ربُّكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ مُسوِّمين » الآيات وما بعدها إلى قوله : « ما كان الله ليذرَّ المؤمنين على ما أنتم عليه ، حتى يَميز الخبيثَ من الطيبِ ، وما كان الله ليُظلمكم على الغيبِ ^(١) . »

وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ملخص الواقعة مما ساقه محمدُ بن إسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رحمه الله .

وكان من حديث أحد ، كما حدثني محمد بن مسلم الزُّهري ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وألْحَصِين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدَّث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقتُ . قالوا - أو من قال منهم - :

لما أصيب يوم بدرٍ من كفار قريش أصحابُ القليب ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بعيره ، مشى عبدُ الله بن أبي ربيعة وعِكرمة بن أبي جهل وصفوان ابن أمية ، في رجال من قريش ممن أصيب أبأؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدرٍ ، فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارةً ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حرِّبه لعلنا ندرك منه ثأراً . ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففيهم كاذكر لى بعضُ أهل العلم أنزل الله تعالى : « إن الذين

كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ^(١) .

قالوا : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحايشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجُمَحِيّ قد منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا . فقال : إن محمداً قد منّ عليّ فلا أريد أن أظهر عليه . قال : بلى ، فأعنا بنفسك ، فلك الله إن رجعت أن أغنيك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر .

نُفِرَجَ أَبُو عَزَّةَ يَسِيرَ فِي تَهَامَةَ وَيَدْعُو بَنِي كِنَانَةَ وَيَقُولُ :

أَيَا ^(٢) بَنِي عَبْدِ مَنَاةِ الرُّزَامِ ^(٣) أَنْتُمْ حُمَاةٌ وَأَبُوكُمْ حَامٌ
لَا يَعْذُونَنِي نَصْرُكُمْ بَعْدَ الْعَامِ لَا تُسَلُّونَنِي لَا يَحِلُّ إِسْلَامُ

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جحج إلى بني مالك بن

كنانة يجرضهم ويقول :

يَا مَالِ ^(٤) مَالِ الْحَسَبِ الْمَقْدَمِ أَنْشُدْ ذَا الْقُرْبَىٰ وَذَا التَّدْمِ
مَنْ كَانَ ذَا رَحِمٍ وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْخَلْفَ وَسَطَ الْبَلَدِ الْحَرَمِ
عِنْدَ حَطِيمِ الْكَعْبَةِ الْمَعْظَمِ

قال : ودعا جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ غُلَامًا لَهُ حَبَشِيًّا يُقَالُ لَهُ وَحْشَى يَقْذِفُ بِحَجْرَةٍ لَهُ قَذْفَ

(٢) سورة الأنفال ٣٦ . (٣) ابن هشام : ليها . (٤) الرزام : جمع رازم ، وهو الذي يثبت في الحرب لا يروح . (٥) يا مال : يريد يا مالك لحذف آخره لاترخيم .

الحبشة ، قلما يُخْطىُ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعْمى طُعيمة بن عدى فأنت عتيق .

قال : نخرجت قريش بجدّها وحديدها وجدّها وأحايبشها ، ومن تابعتها من بنى كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالطعن^(١) التماس الحفيظة وألا يفرّوا .
وخرج أبو سفیان صخر بن حرب ، وهو قائد الناس ، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة .

وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجه ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة . وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة .
وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وخرج عمرو ابن العاص بربطة بنت منبّه بن الحجاج ، وهى أم ابنه عبد الله بن عمرو .
وذكر غيرهم ممن خرج بإمراته .

قال : وكان وحشى ككلمة مرّ بهند بنت عتبة أو مرّت به تقول : ويهاً أبا دسمة اشف واشتف . يعنى تجرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب .

قال : فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال لهم : «قد رأيتُ والله خيراً ، رأيت بقرأ تدبح ، ورأيت فى ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة . فأولتها المدينة .»

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعاً عن أبى كريب ، عن أبى أسامة ، عن

(١) الطعن : جمع طعنة وهى الرأفة ما دامت فى هودج .

بريد بن عبد الله بن أبي بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي ^(١) إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب . ورأيت في رؤيائي هذه أني هزرت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها أيضاً بقرأ ، والله خير ^(٢) ، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي أتانا بعد يوم بدر » .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : تعقل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار يوم بدر . قال ابن عباس : وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيته أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها ، فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرأ : نخرج يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحد . ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر .

فما زالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لبس أداته ، ثم ندموا وقالوا : يا رسول الله أقم ، فالرأي رأيك .

فقال لهم : ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه .

قال : وكان قال لهم يومئذ قيل أن يلبس الأداة : إني رأيت أني في درع حصينة ،

(١) وهلي : أول ظني .

(٢) قال القسطلاني : والله خير : رفع مبتدأ أو خبر ، وفيه حذف تقديره : وصنع الله خير .

فَأَوْلَتْهَا الْمَدِينَةَ ، وَأَنَّى مُرْدِفٌ كَبِشًا وَأَوْلَتْهُ كَبِشَ الْكَتْمِيَّةِ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ سَيْفِي ذَا الْفَقَارِ
فَلَّ ، فَأَوْلَتْهُ فَلًّا فَيَكُم ، وَرَأَيْتُ بَقْرًا يُدْبِحُ ، فَبَقَّرْتُ^(١) ، وَاللَّهُ خَيْرٌ .

رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه به .

وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أنس مرفوعاً قال :

رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّسَائِمُ كَأَنَّى مُرْدِفٌ كَبِشًا ، وَكَأَنَّ ضَبَّةَ سَيْفِي انْكَسَرَتْ ، فَأَوْلَاتُ
أَنَّى أَقْتُلُ كَبِشَ الْقَوْمِ ، وَأَوْلَتْ كَسَّرَ ضَبَّةَ سَيْفِي قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عِتْرَتِي .

فَقَتَلَ حَمْزَةَ ، وَقَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلْحَةَ ، وَكَانَ صَاحِبَ الْوَأَاءِ .

وقال موسى بن عقبة : وَرَجَعَتْ قَرِيشٌ فَاسْتَجَلَبُوا مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ ،
وَسَارَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي جَمْعِ قَرِيشٍ ، وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ مِنْ وَقْعَةِ
بَدْرٍ ، حَتَّى نَزَلُوا بَيْطَانَ الْوَادِي الَّذِي قَبِيلٌ أَحَدٌ ، وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَشْهَدُوا
بَدْرًا قَدْ نَدَمُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ السَّابِقَةِ ، وَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ لِيُبْلُوا مَا أُبْلِيَ إِخْوَانَهُمْ
يَوْمَ بَدْرٍ .

فَلَمَّا نَزَلَ أَبُو سَفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ بِأَصْلِ أَحَدِ فَرَحِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا
بِقُدُومِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا : قَدْ سَاقَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَمْنِيَّتَنَا .

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ رُؤْيَا فَأَصْبَحَ ، فَجَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ : « رَأَيْتَ الْبَارِحَةَ فِي مَنَاخِي بَقْرًا تُدْبِحُ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ ، وَرَأَيْتَ سَيْفِي ذَا الْفَقَارِ
انْقَصَمَ مِنْ عِنْدِ ضَبَّتِهِ ، أَوْ قَالَ : بِهِ فُلُولٌ ، فَكْرَهْتَهُ ، وَهِيَ مُصَيِّتَانٌ ، وَرَأَيْتَ أَنِّي فِي دَرَعِ
حَصِينَةٍ وَأَنَّى مُرْدِفٌ كَبِشًا » .

فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرُؤْيَايَهُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاذَا

(١) يريد بالبقرة هنا : مصدر بقره بقره بقرا ، أى شق بطنه .

أولت رؤياك؟ قال: «أولتُ البقر الذي رأيتُ بقرأً فينا وفي القوم، وكرهتُ ما رأيتُ بسيفي».

ويقول رجال: كان الذي رأى بسيفه: الذي أصاب وجهه، فإن العدو أصاب وجهه يومئذ، وقصموا رباعيته وخرقوا شفته، يزعمون أن الذي رماه عُتبة بن أبي وقاص، وكان البقر من قتل من المساميين يومئذ.

وقال: أولت الكبش أنه كبشُ كتيبة العدو يقتله الله، وأولت الدرع الحصينة للمدينة، فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام، فإن دخل علينا القوم في الأزقة قاتلناهم ورُموا من فوق البيوت. وكانوا قد سَكَّوا أزقة المدينة بالبنيان حتى [صارت] كالحصن. فقال الذين لم يشهدوا بدرأ: كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقه الله إلينا وقرَّب المسير.

وقال رجل من الأنصار: متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شعبنا؟ وقال رجال: ماذا نمنع إذا لم نمنع الحرب برُوع؟ وقال رجالٌ قولاً صدقوا به ومضوا عليه، منهم حمزة بن عبد المطلب، قال: والذي أنزل عليك الكتاب لننجادلهم.

وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة، وهو أحد بني سالم: يا نبي الله لا تحرمنا الجنة، فوالذي نفسى بيده لأدخلها.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بهم؟ قال: بأني أحب الله ورسوله ولا أفرُّ يوم الزحف. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدقت. واستشهد يومئذ.

وأبي كثيرٌ من الناس إلا الخروج إلى العدو، ولم يتناهوا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيه، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك، ولكن غلب القضاء والقدر.

وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرًا ، قد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضيلة .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وعظ الناس وذكرهم ، وأمرهم بالجدِّ والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بآلئته فلبسها ، ثم أذن في الناس بالخروج .

فلما رأى ذلك رجال من ذوى رأى قالوا : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحي من السماء .

فقالوا : يا رسول الله امكث كما أمرتنا . فقال : ما ينبغي لنبى إذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبئتم إلا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فسلكوا على البدائع وهم ألف رجل ، والمشركون ثلاثة آلاف ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بأحد .

ورجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة ، فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة .

قال البيهقي : هذا هو المشهور عند أهل المغازى ، أنهم بقوا في سبعمائة مقاتل . قال : والمشهور عن الزهري أنهم بقوا في أربعمائة مقاتل . كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، وقيل عنه بهذا الإسناد سبعمائة . فله أعلم .

قال موسى بن عقبة : وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ، وكان معهم مائة

فرس ، وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة . قال : ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة . ثم ذكر الواقعة كما سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن إسحاق : لما قصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياه على أصحابه قال لهم : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشرَّ مُقَام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وكان رأى عبد الله بن أبي بن سَلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألا يخرج إليهم .

فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم من كان فاتته بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جبنًا عنهم وضعفنا .

فقال عبد الله بن أبي : يا رسول الله لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منّا ، ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه .

فلم يزل الناسُ برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من بني النجار يقال له مالك ابن عمرو ، فصلّى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك .

فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله إن شئت فاقعد . فقال : ما ينبغي لني إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخرزل عنه عبد الله بن

أبى بثك الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علامَ نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس .

فرجع بن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى والد جابر بن عبد الله ، فقال : يا قوم أذكركم الله ألا تحذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أن يكون قتال .

فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه صلى الله عليه وسلم .

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : « وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَاتَّبِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا . قالوا : لو نعلم قتالاً لا تبعنناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ^(١) » .

يعنى أنهم كاذبون في قولهم : لو نعلم قتالاً لا تبعنناكم . وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لا خفاء ولا شك فيه .

وهم الذين أنزل الله فيهم : « فمآلکم فی المناقین فتنین والله أركسهم بما كسبوا ^(٢) » الآية . وذلك أن طائفة قالت : نقاتلهم . وقال آخرون : لا نقاتلهم . كما ثبت وبين في الصحيح .

وذكر الزهري أن الأنصار استأذنوا حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستعانة بمخلفاتهم من يهود المدينة ، فقال : لا حاجة لنا فيهم .

وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بنى سلمة وبنى حارثة لما رجع عبد الله بن أبي
وأصحابه هممتا أن تفشلا ، فثبتهما الله تعالى ، ولهذا قال : « إذ همت طائفتان منكم أن
تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

قال جابر بن عبد الله : ما أحبُّ أنها لم تنزل والله يقول : « والله وليهما ^(١) » كما
ثبت في الصحيحين عنه .

قال ابن اسحاق : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرّة بنى
حارثة ، فذب فرسٌ بذنبه فأصاب كلاب ^(٢) سيف فاستله ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لصاحب السيف : شيم سيفك . أى أغمده ، فإني أرى السيوف
ستسلّ اليوم .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : من رجلٌ يخرج بنا على القوم من كئب
— أى من قريب — من طريق لا يمر بنا عليهم؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث :
أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرّة بنى حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به في مال لمربع
ابن قَيْطِيّ ، وكان رجلا منافقا ضريرا البصر ، فلما سمع حس رسول الله ومن معه من
المسلمين قام يحنى في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله فإني لأحل لك
أن تدخل في حائطي .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من التراب في يده ثم قال : والله لو
أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر . وقد

(١) أى لما حصل لهم من الشرف ببناء الله تعالى وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية .

(٢) الكلاب : ذؤابة السيف .

بَدَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَبْلَ نَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَرَبَهُ بِالْقَوْسِ فِي رَأْسِهِ فَشَجَّهُ .

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ الشَّعْبُ مِنْ أَحَدٍ ، فِي عُدْوَةِ الْوَادِي فِي الْجَبَلِ ، وَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أَحَدٍ ، وَقَالَ : لَا يِقَاتِلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى أَمْرَهُ بِالْقِتَالِ .

وَقَدْ سَرَّحَتْ قَرِيضُ الظَّهْرِ وَالسُّكْرَاعُ^(١) فِي زُرُوعٍ كَانَتْ بِالصَّمْغَةِ مِنْ قَنَاةٍ كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْقِتَالِ : أَتُرْعَى زُرُوعُ بَنِي قَيْلَةَ وَلَمَّا نَضَارِبُ ؟ !

وَتَعَبًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقِتَالِ وَهُوَ فِي سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأَمَرَ عَلَى الرَّمَاةِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرِ أَخَا بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ ، وَهُوَ مَعْلَمٌ يَوْمَئِذٍ بِثِيَابٍ بَيْضٍ ، وَالرَّمَاةُ خَمْسُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ : انْضِحِ الْخَيْلَ عَمَّا بِالْفَيْلِ لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا ، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَانْتَبُتْ مَكَانَكَ لَا نُؤْتِيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ .

وَسِيَّاتِي شَاهِدُ هَذَا فِي الصَّحِيحِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَظَاهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ . يَعْنِي لَبَسَ دِرْعًا فَوْقَ دِرْعٍ ، وَدَفَعَ اللِّوَاءَ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عَمِيرِ أَخِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ .

قُلْتُ : وَقَدَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةً مِنَ الْغُلَامَانِ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَلَمْ يَمَكِّنْهُمْ مِنْ حَضُورِ الْحَرْبِ لِصِفَرِهِمْ ، مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ قَالَ : عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ فَلَمْ يُجِزْنِي ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَبَا بَنِي خَمْسَ عَشْرَةَ فَأَجَازَنِي .

وَكَذَلِكَ رَدَّ يَوْمَئِذٍ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَابِرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ، وَأَسَيْدَ بْنَ

(١) الظهر : الإبل . والسكراع : الخيل .

ظهير ، وعرابة بن أوس بن قبيطى . ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلي ، وهو الذى يقول فيه الشماخ :

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلقاها عرابةٌ باليمنِ

ومنهم ابن سعيد بن خيشمة . ذكره السهيلي أيضا ، وأجازهم كلهم يوم الخندق . وكان قد ردَّ يومئذ سمرّة بن جندب ورافع بن خديج ، وها ابنا خمس عشرة سنة ، فقيل : يا رسول الله إن رافعا رام فأجازه . فقيل : يا رسول الله فإن سمرّة يصرع رافعا فأجازه .

قال ابن إسحاق : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخليل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل بن هشام .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذُ هذا السيف بحقه ؟
فقام إليه رجالٌ فأمسكهم عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِمَاك بن خَرشَةَ أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقُّه يا رسول الله ؟

قال : أن تضرب به فى العدو حتى ينحني .

قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه .

هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد وعفان ، قالا حدثنا حماد ، هو ابن سلمة ، أخبرنا ثابت ، عن النبي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفاً يوم أحد فقال : من يأخذ هذا السيف ؟ فأخذ قومٌ فجعلوا ينظرون إليه ، فقال : من يأخذه بحقه ؟ فأحجم القوم ، فقال أبو دُجانة سِمَاك : أنا آخذه بحقه . فأخذه ففلق به هامَ المشركين .

ورواه مسلم ، عن أبى بكر عن عفان به .

قال ابن إسحاق: وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً شجاعاً يَحْتَمِلُ عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَكَانَ لَهُ عَصَابَةٌ حَمْرَاءُ يُعَلِّمُ بِهَا عِنْدَ الْحَرْبِ يَعْتَصِبُ بِهَا ، فَيُعَلِّمُ أَنَّهُ سِيْقَاتِلِ .

قال : فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبختر بين الصّفين .

قال : فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَانَةَ يتبختر : إنها لمشيئة يَبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ !

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يا بني عبد الدار قد وُلِّيمَ لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يُؤْتَى الناس من قبيل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإِذَا أَنْ تَكْفُونَا لَوَاءَنَا وَإِذَا أَنْ تُحْلُوا بَيْنَنَا وَيُنْه فَنَكْفِيكُمْ .

فهموا به وتواعدوه وقالوا : نحن نُسَلِّمُ إِلَيْكَ لَوَاءَنَا ! ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع . وذلك الذي أراد أبو سفيان .

قال : فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذت الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال ، فقالت هند فيما تقول :

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهًا حُمَاةَ الأَدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارِ

وتقول أيضاً :

إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقَ وَنَفْرَشَ النَّمَارِقِ
أَوْ تُدْبِرُوا نَفَارِقَ فِرَاقِ غَيْرِ وَامِقِ

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد عمرو بن صَيْفِ ابن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة ، وكان قد خرج إلى مكة مُبَاعِدًا الرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاما من الأوس . وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر . وكان يَعدُّ قريشاً أن لو قد لقي قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان .

فلما التقى الناسُ كان أولَ من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنَادَى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق . وكان يسمي في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق .

فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدى شرًّا انم قاتلهم قتالاً شديداً ثم أرضخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق : فأقبل الناسُ حتى حميت الحربُ ، وقاتل أبو دُجَانَةَ حتى أمعنَ في الناس .

قال ابن هشام : وحدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيفَ فَمَنَعَنِيهِ وأعطاه أبا دُجَانَةَ ، وقلت : أنا ابنُ صَفِيَّةِ عمته ومن قريش ، وقد قتُ إليهِ وسألته إياه قبله فأعطاه أبا دُجَانَةَ وتركتي ، والله لأنظرن ما يصنع .

فاتبعته ، فأخرج عصابةً له حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجَانَةَ عصابةً الموت : وهكذا كانت تقول له إذا تعصَّب . فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلى ونحن بالسفحِ لدى النخيلِ
أن لا أقوم الدهرَ في السكيولِ أضربُ بسيفِ الله والرسولِ

وقال الأموي : حدثني أبو عبيد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رجلا أتاه وهو يقاتل به ، فقال : لعلك إن أعطيتك تقاتل في السكيول ؟ قال : لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذي عاهدني خليلي أن لا أقوم الدهرفي الكيول
وهذا حديث يروى عن شُعبة ، ورواه إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق ، عن هند
بنت خالد أو غيره يرفعه .

الكيول : يعنى مؤخر الصفوف . سمعته من عدّة من أهل العلم ، ولم أسمع هذا
الحرف إلا في هذا الحديث .

قال ابن هشام : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع
جريحاً إلا ذفّف عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه ، فدعوتُ الله أن يجمع بينهما ،
فالتقيا ، فاختلفا ضربتين فضرب المشركُ أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعصّت بسيفه ،
وضربه أبو دجانة فقتله . ثم رأيتُه قد حمل السيفَ على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم
عدل السيف عنها فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير بن
العوام بذلك .

قال ابن إسحاق : قال أبو دجانة : رأيت إنساناً يحمس الناسَ حمساً شديداً ،
فخصمته له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

وذكر موسى بن عُقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرضه طلبه منه عمرُ
فأعرض عنه ، ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه ، فوجدّا في أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه
الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه إليه فأعطى السيفَ حقه .

قال : فزعموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين ، فلما رأيت
ممثل المشركين يقتل المساهين قتت فتجاوزتُ ، فإذا رجلٌ من المشركين جمع اللّامة يجوز

المسامين وهو يقول : استوسقوا كما استوسقتْ جُزُرُ الغَمِّ (١) . قال : وإذا رجل من المسامين ينتظره وعليه لأمته ، فمضيت حتى كنت من وزائه ، ثم قت أقدّر المسلم والكافرَ ببصرى ، فإذا الكافرُ أفضلهما عُدَّةً وهَيِّئَةً . قال : فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا ، فضرب المسلمُ الكافرَ على حبلِ عاتقه ضربةً بالسيف فبلغت وركه وتفرَّق فرقتين ، ثم كَشَفَ المسلمُ عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دُجَانة !

مقتل حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : وقاتل حمزةُ بن عبد المطلب حتى قتل أُرْطاة بن عبد شَرْحَبِيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحدَ النفر الذين يحملون اللواء . وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة ، وهو حامل اللواء ، وهو يقول :
إن على أهلِ اللواءِ حقًّا أن يُخضبوا الصَّعْدَةَ أو تَنَدَقًا
فحمل عليه حمزة فقتله (٢) .

ثم مرَّ به سباع بن عبد العزى العُنبشاني ، وكان يسكنى بأبي نيار ، فقال حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور . وكانت أمه أم أئمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت ختمانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

فقال وحشى غلام جبير بن مطعم : والله إني لأنظر لحمزة يهدئ الناسَ بسيفه مايليق (٣) شيئاً يمرُّ به ، مثل الجمل الأورق ، إذ قد تقدمني إليه سباع ، فقال حمزة : هلم يابن مقطعة البظور . فضربه ضربةً فكأنما أخطأ رأسه ، وهزرت حُرْبتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتمها عليه فوقعت في ثُدته (٤) حتى خرجت من بين رجله ، فأقبل

(١) استوسقوا : اجتمعوا . والجزر : ما يذبح من الشاء واحدها جزرة .

(٢) ليس في ابن هشام . (٣) مايليق : مايليق . (٤) التنة : بين السرة والعانة .

نحوى فقلب ، فوقع وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حرّيتي ، ثم تنجيتُ إلى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجةٍ غيره .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن الفضل بن عيّاش بن ربيعة بن الحارث ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمّري ، قال : خرجتُ أنا وعبيد الله ابن عدى بن الحليّار ، أحد بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية ، فأدْرَبْنَا مع الناس ، فلما مررنا بحمص وكان وحشيٌّ مولى جُبَيْرٍ قد سكنها وأقام بها ، فلما قدِمْنَاها قال عبيد الله بن عدى : هل لك في أن تأتي وحشيًّا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال قلت له : إن شئت .

فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكاستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجدها صاحياً تجداً رجلاً عربياً وتجدها عنده بعض ماتريدان وتُصَيِّبُها عنده ما شئتُما من حديثٍ تسألانه عنه ، وإن تجدها وبه بعض ما به فانصرِ فاعنه ودعاه .

قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طِنْفِيسَةٍ له ، وإذا شيخٌ كبير مثل البُعَاث ، وإذا هو صالح لا بأس به ، فلما اتَّهَبْنَا إليه سلَّمْنَا عليه .

فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدى فقال ابنُ لعدِيّ بن الحليّار أنت ؟ قال : نعم . قال : أما والله مارأيتك منذ ناولتُك أمك السَّعدية التي أرضعتك بذي طُوًى ، فإنني ناولتُكها وهي على بعيرها فأخذتُك بعُرْضِيكَ فلمعت لي قدماك حتى رفعتُك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت على فعرقتُهما !

قال : فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة ، كيف قتلتَه ؟

فقال : أما إني سأحدثكم كما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألتني عن ذلك .

كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طُعَيْمَةَ بن عَدَى قد أصيب يومَ بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعني فأنت عتيق .

قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أفذف بالحرية قذف الحبشة قل ما أخطيء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيت في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهدئ الناس بسيفه هدأ ما يقوم له شيء ، فوالله إني لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني ، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال : هلم إلى يا بن مقطعة البظور . قال : فضر به ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال : وهزئت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع في ثدته ، حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء نحوى فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيت فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر وقعدت فيه ، ولم يسكن لي بغيره حاجة ، إنما قتلته لأعتق .

فلما قدمت مكة عتقت ، ثم أمت ، حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف ، فكشكت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبسوا تعيت على المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ، فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل : ويحك ! إنه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق .

قال : فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لندينة فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق ، فلما رأني قال لي : أوحشني أنت ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : اقعد لحدثني كيف قتلت حمزة ؟

قال : فخذتُه كما حدثتُكُمَا ، فلما فرغت من حديثي قال : ويحك غيَّب عنى وجهك فلا أرى نيك !

قال : فكنت أتكبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لثلاثي إراني ، حتى قبضه الله عز وجل .

فلما خرج المسلمون إلى مسيمة الكذاب صاحب اليمامة خرجتُ معهم وأخذتُ حربتي التي قتلْتُ بها حمزةَ ، فلما التقى الناسُ رأيتُ مسيمة قائماً وبيده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأتُ له وتهيأتُ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريدُه ، فهزَّزتُ حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه فوقع فيهِ ، وشدَّ عليه الأنصاري بالسيف ، فربُّك أعلمُ أيُّنا قتله ، فإن كنتُ قتلتُه فقد قتلتُ خيرَ الناس بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلتُ شرَّ الناس !

قلت : الأنصاري هو أبو دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة .

وقال الواقدي في الرِّدَّة : هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني . وقال سيف بن عمرو : هو عدى بن سهل . وهو القائل :

ألم ترَ أني ووحشيتهم قتلْتُ مسيمةَ المُفتتنِ
ويسألني الناسُ عن قتله فقلتُ : ضربتُ وهذا طعنُ

والمشهور أن وحشياً هو الذي بدره بالضربة وذَفَّفَ عليه أبو دُجانة ، إِمَّا روى ابنُ إسحاق ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن ابن عمر قال : سمعتُ صارحاً يومَ اليمامة يقول : قتله العبدُ الأسود .

وقد روى البخاري قصةَ مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة

اللاجشون ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، قال : خرجت مع عبد الله بن عدي بن الحيار . فذكر القصة كما تقدم . وذكر أن عبيد الله بن عدي كان مُعْتَجِراً عمامةً لا يرى منه وحشياً إلا عينيه ورجليه ، فذكر من معرفته له ماتقدم .

وهذه قِيافةٌ عظيمة ، كما عرف مُحزِّزُ المُدْلِجِي أقدامَ زيدٍ وابنيه أسامة مع اختلاف ألوانهما .

وقال في سياقته : فلما أن صُفَّ الناس للقتال خرج سِباع فقال : هل من مُبارزٍ ؟ فخرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب فقال له : ياسِباعِ يا بنِ أمِّ أُمّارٍ مُقَطَّعةُ البُظُورِ ، أتُحَادُّ اللهُ ورسوله ؟ ! ثم شدَّ عليه فكان كأمسِ الداهِبِ !

قال : وكُنْتُ لِحِمزةٍ تَحْتِ صِخْرَةٍ ، فلما دنا مني رميته بحرْبتي فأضعها في ثُنْتِهِ ، حتى خَرَجْتُ من بين وركيه ، قال : فكان ذلك آخرَ العهدِ به .

إلى أن قال : فلما قُبِضَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وخرج مسيلمةُ الكذابُ قلت : لأُخرج إلى مسيلمةَ لَعْلِيٍّ أَقتله فأكافئُ به حمزةَ . قال : فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان . قال : فإذا رجل قائم في ثَلْثةِ جِدارٍ كأنه جمل أَوْرَقٌ نائر الرأس ، قال : فرميته بحرْبتي فأضعها بين ثُدْيَيْهِ حتى خرجت من [بين] ^(١) كتفيه ، قال : ووُثِبَ إليه رجل من الأنصار فضر به بالسيف على هامته .

قال عبد الله بن الفضل : فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جارية على ظهر البيت : وأمير المؤمنين ^(٢) ! قتله العبدُ الأسود .

قال ابن هشام : فبلغني أن وحشياً لم يزل يُحدِّث في النحر حتى خلع من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد قلتُ إن الله لم يكن إيدعَ قاتلِ حمزة !

قلت : وتوفى وحشيُّ بن حرب ، أبو دَسَمَةَ ، ويقال أبو حرب ، بِحِمْصَ ، وكان أول من لبس الثياب المذلوكة .

قال ابن إسحاق : وقَاتَلَ مُصْعَبُ بن عُمَيْرِ دونَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِلَ . وكان الذي قتله ابن قَمِيْةَ اللَّيْثِي ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريشٍ فقال : قتلتُ محمداً .

قلت : وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن سعيد بن المسيَّب أن الذي قتل مُصْعَباً هو أُنَيْبُ بن خَلْفٍ . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما قُتِلَ مصعب بن عمير أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ عليَّ بن أبي طالب .

وقال يونس بن بُسْكَير عن ابن إسحاق : كان اللواءُ أولاً مع علي بن أبي طالب ، فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لواءَ المشركين مع عبد الدار قال : نحن أحقُّ بالوفاء منهم ، أخذ اللواءَ من علي بن أبي طالب فدفعه إلى مصعب بن عمير ، فلما قتل مصعب أعطى اللواءَ عليَّ بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وقَاتَلَ عليُّ بن أبي طالب ورجالٌ من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثني مَسَامَةَ بن عَلْقَمَةَ المازنيّ ، قال : لما اشتدَّ القتالُ يومَ أحدٍ جالسُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأَنْصارِ ، وأرسل إلى عليّ : أنْ قَدِّمِ الرَايَةَ . فقدم علي وهو يقول : أنا أبو القَصَمِ . فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : هل لك يا أبا القَصَمِ في البرّاز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرزَا بين الصَّفِينِ ، فاختلفا ضربتَيْنِ ، فضربه عليّ فصرعه ، ثم انصرف ولم يُجْهَزْ عليه .

فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزتَ عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرَّحْمُ وعرفتُ أن الله قد قتله .

وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صِفِّين مع بُسر بن أبى أرطاة لما حمل عليه ليقته أبدي له عورته فرجع عنه .

وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على فى بعض أيام صِفِّين أبدي عن عورته فرجع على أيضاً . فى ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفنى (١) كل يوم فارس غير مُنتَهٍ وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه على سِنَانَه ويضحك منها فى الخلاء معاويه !

وذكر بونس عن ابن إسحاق ، أن طلحة بن أبى طلحة العبدري حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز فأحجم عنه الناس ، فبرز إليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جماله ، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه وذبحه بسيفه ، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكل نبي حواريًا وحواري الزبير » وقال : لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه .

وقال ابن إسحاق : قتل أباسعد بن أبى طلحة سعد بن أبى وقاص .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فقتل نافع بن أبى طلحة وأخاه الخلاس ، كلاهما يشعره سهمًا فيأتى أمه سُلَافة فيضع رأسه فى حجرها ، فتقول : يا بنى من أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلا حين رماني يقول : خذها وأنا ابنُ أبى الأفلح . فنذرتُ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر .

وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركاً أبداً ولا يمشه . ولهذا حماه الله منه يوم الرِّجيع كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : والتقى حنظلة بن أبى عامر ، واسمه عمرو ، ويقال عبد عمرو بن صِيفِي ، وكان يقال لأبى عامر فى الجاهلية الراهب ، لسكثرة عبادته ، فسماه رسول الله

(١) لأصل : أذى . وهو تحريف . وما أثبتته عن الروض الأثف ١٣٣/٢ .

صلى الله عليه وسلم الفاسق ، لما خالف الحق وأهله وهرب من المدينة هرباً من الإسلام ومخالفةً للرسول عليه السلام . وحفظلة الذي يُعرف بحفظلة الغسيل ، لأنه غسلته الملائكة . كما سيأتي . هو وأبو سفيان صخر بن حرب ، فلما علاه حفظلة رآه شدّاد بن الأوس ، وهو الذي يقال له ابن شعوب ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن صاحبكم لتغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه ؟ » .

فَسئِلْتُ صاحِبته . قال الواقدي : هي جميلة بنت أبي بن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة .

فَقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع الماتفة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك غسلته الملائكة !

وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضَرَبَ رجله في صدره ، فقال : ذَنبان أصبَهما ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرحم برّاً بالوالد .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شعوب في ذلك :

لَأَحْمِيَنَّ صاحِبِي ونَفْسِي بطعنةٍ مثلِ شعاعِ الشمسِ

وقال ابن شعوب :

ولولا دفاعي يا ابن حربٍ ومَشْهَدِي
ولولا مَكْرِي المَهْرُ بالنَعْفِ فَرَقَرْتُ^(٢)
لَأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَعْفِ^(١) غَيْرَ مُجِيبِ
عليه ضِياعٍ^(٣) أَوْ ضِرَاءِ كَلِيبِ^(٤)

وقال أبو سفيان :

ولو شئتُ نَجَّيْتُ كَمَيْتٍ^(٥) ولم أُحْمِلِ النِّعَاءَ لابنِ شعوبِ

(١) النعف : ما أخذ من حزونة الجبل
فرقت . بانقاف . (٢) فرقت : أسرع وطاشت . وفي ابن هشام :
(٣) ابن هشام : ضباع عليه (٤) الضراء : الضاربة من السلاب .
(٥) الطمرة : الفرس السريعة الجري .

وما زال مُهْرَى مَزَجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمْ
أَقَاتَلَهُمْ وَأَدْعَى يَا نَعْلَبِ
فَبِكَيْيَ وَلَا تَرَعَى مَقَالَةَ عَاذِلِ
أَبَاكَ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنْتَى
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرَمًا (١) كَرِيمًا وَمُضْعَبًا
فَلَوْ أَنْتَى لَمْ أَشْفِ نَفْسَى مِنْهُمْ
فَأَبُوا وَقَدْ أَوْدَى الْجَلَايِبُ مِنْهُمْ
أَصَابَهُمْ مِنْ لَمْ يَكُنْ لِدَمَائِهِمْ
فَأَجَابَهُ حِسَانُ بْنُ ثَابِتٍ :

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حِمْرَةَ مِنْهُمْ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ
غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِيَ عَلِيًّا فَرَاعَهُ
وَلَسْتَ لِرُزُورٍ قُلْتَهُ بِمَصِيبِ
نَجِيبًا وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبِ
وَشَيْبَةَ وَالْحِجَّاجَ وَابْنَ حَمِيبِ
بِضْرِبَةِ عَضْبٍ بَلَّهُ بِمُخْضِيبِ

فصل

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحشوه
بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .
وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن
الزبير ، قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدام (٣) هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ،

(١) القرم : السيد . (٢) الخدب : الهوج . والمعبط : الذي يسيل دمه . (٣) الخدم : السوق .

مادون أخذهن قليلٌ ولا كثير، إذ مالت الرماةُ على العسكر حين كشفنا القومَ عنه
وخلوا ظهورنا للخيل، فأتيننا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل .
فانكفأنا وانكفأ القومُ علينا، بعد أن أصبنا أصحابَ اللواء، حتى مايدنو
منه أحدٌ منهم .

فحدثني بعض أهل العلم، أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة
الحارثية فرفعته لقريش فلائوا به، وكان اللواء مع صواب، غلام لبني أبي طلحة حبشي،
وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قطعت يده، ثم برك عليه، فأخذ اللواء
بصدره وعنقه حتى قُتل عليه وهو يقول: اللهم هل أعزرت . يعني: اللهم
هل أعذرت .

فقال حسان بن ثابت في ذلك :

| | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| لواء حين رُدَّ إلى صوابِ | نخرتم باللواءِ وشرُّ نخرٍ |
| وَأَلامٍ مَنْ يَطَاعِفِرَ الترابِ | جعاتم فخرٌ كم فيه لعبدٍ |
| وما إن ذاك من أمرِ الصوابِ | ظننتم والسفيهُ له ظنونٌ |
| بمكةَ ببيعكم حمرِ العيابِ | بأنَّ جِلادنا يومَ التقينا |
| وما إن تُعصبانَ على خِصابِ | أقرَّ العينَ أنْ عُصبتَ يداهُ |

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

| | |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| إذا عَضَلُ سيمت إلينا كأنها | جدايةُ شُرْكَ مُعلماتِ الحواجبِ (١) |
| أقمنا لهم طعناً مُببِراً منكلاً | وحزُّ ناهم بالضربِ من كلِّ جانبِ |
| فلولا لواءِ الحارثية أصبحوا | يُباعون في الأسواقِ ببيعِ الجلائبِ |

قال ابن إسحاق : فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو، وكان يومَ بلاء

(١) الجداية : الغزال . وشرك : موضع .

وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُثَّ بالحجارة حتى وقع لشقه ، فأصيبت ربايعته وشُجَّ في وجهه وكُيِّمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص .

فحدثني محمد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كُيِّرت ربايعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشُجَّ في وجهه ، فجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يُعذَّبهم فإنهم ظالمون » .

قال ابن جرير في تاريخه : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا أحمد بن الفضل ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال أتى ابن قنمة الخارثي فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسرت أنفه ورباعيته وشججه في وجهه فأثقله ، وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : إلى عباد الله ، إلى عباد الله . فاجتمع إليه ثلاثون رجلا ، فجعلوا يسرون بين يديه فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فخاه طلحة فرمى بسهم في يده فبيست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجحى وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله . فقال : يا كذاب أين تفرّ ، فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع فخرج جرحاً خفيفاً فوق يخور خوار الثور فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة نما يجزئك ؟ قال : أليس قال : لأقتلنك ! لو كانت تجتمع ربيعة ومضرتنا لقتلناهم . فلم يلبث لا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فياخذ لنا أمانة من أبي سفيان ، يا قوم إن ندأ قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

فقال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قُتِلَ فإن رب محمد لم يُقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبْرَأُ إليك مما جاء به هؤلاء . ثم شدَّ بسيفه فقاتل حتى قُتِلَ !

وانطلق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناسَ حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه يرميه فقال : أنا رسول الله . ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به ، فمسا اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزنُ ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قُتِلُوا .

فقال الله عز وجل في الذين قالوا : إن محمداً قد قُتِلَ فارجعوا إلى قومكم : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسل » الآية .

فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمَّهم أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس لهم أن يعْلُونَا ، اللهم إن تُقْتَلْ هذه العصاة لا تُعبَد في الأرض » . ثم ندب أصحابه فرمهم بالحجارة حتى أنزلوهم .

فقال أبو سفيان يومئذ : أعلُّ هُبْل ، حنظلة بحنظلة ، ويومٌ أحد بيوم بدر .

وذكر تمام القصة . وهذا غريب جداً وفيه نكارة .

قال ابن هشام : وزعم ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فكسر رباطه اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجَّه في جبهته ، وأن عبد الله بن قثم جرح وجنته فدخلت حلقمتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله

عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومصّ مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدردته فقال : من مسّ دمه دى لم تمسه النار .

قلت : وذكر قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع لسقه أغمى عليه ، فرّ به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه ، فأفاق وهو يقول : كيف يُفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء » الآية .

رواه ابن جرير وهو مرسل ، وسيأتي بسط هذا في فصل وحده .

قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار ، كما قال الله تعالى « ولقد صدقكم الله وَعَدَهُ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمْتُمْ » الآية .

قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، أنه قال : مانصر الله في موطن كما نصر يوم أحد .

قال : فأنكرنا ذلك . فقال : بيني وبين من أنكركم ذلك كتاب الله : إن الله يقول في يوم أحد : « ولقد صدقكم الله وَعَدَهُ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ بِأَذْنِهِ » يقول ابن عباس : : والحس القتلى « حتى إذا فشلتم » إلى قوله « ولقد عفا عنكم والله ذو فضل

على المؤمنين » وإنما عني بهذا الرماة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع ثم قال : احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا نغفم فلا تشركونا .

فلما غم النبي صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر المشركين أكبر الرماة جميعاً ، فدخلوا في العسكر يهبون ، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم هكذا ، وشبك بين أصابع يديه ، والتبسوا .

فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضاً ، فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان لرسول الله وأصحابه أول النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، وإنما كان تحت المهراس .

وصاح الشيطان : قتل محمد ، فلم يشك فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه بتسكفيه إذا مشى . قال : فقرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا . قال : فرقى نحونا وهو يقول : اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله . ويقول مرة أخرى : اللهم إنه ليس لهم أن يعلوننا . حتى انتهى إلينا .

فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : أعل هبل ، أعل هبل ، مرتين ، يعني آلهته ، أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب : ألا أجيبه ؟ قال : بلى . قال : فلما قال : اعل هبل قال : الله أعلى وأجل . قال أبو سفيان : يابن الخطاب قد أنعمت عينها ^(١) ، فعاد عنها ، أو فعال عنها .

(١) يريد الحرب . وفعال : أمر ، أى عال عنها وأقصر عن لومها .

فقال : أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة ، أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر ، وهأنذا عمر .

قال : فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، الأيام دُول ، وإن الحرب سِجَال .

قال : فقال عمر : لا سواء ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ .

قال : إنكم لتزعمون ذلك ، لقد خَبِنَا إِذْنًا وَخَسَرْنَا !

ثم قال أبو سفيان : أما أنكم سوف تجدون في قتلاكم مُثَلَّةً ، ولم يكن ذلك عن رأى سَرَاتِنَا . قال : ثم أدركته حَمِيَّةُ الْجَاهَنِيَّةِ فَقَالَ : أما إنه إن كان ذلك لم نَكْرَهُهُ .

وقد رواه ابن أبي حاتم والحاكم في مستدرکه والبيهقي في الدلائل من حديث سليمان

ابن داود الهاشمي به .

وهذا حديث غريب ، وهو من مراسلات ابن عباس ، وله شواهد من وجوه كثيرة

سند كرمها ما تيسر إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان . وهو المستعان .

قال البخاري : حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن

البراء ، قال : لقينا المشركين يومئذٍ ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة

وأمر عليهم عبد الله بن جُبَيْر ، وقال : لا تَبْرَحُوا ، إن رأيتمونا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فلا

تَبْرَحُوا ، وإن رأيتموهم ظَهَرُوا عَلَيْنَا فلا تُعِينُونَا .

فلما لقينا هربوا ، حتى رأيت النساء يشتدْنَ في الجبل رفعن عن سُوقِهِنَّ قد بدتْ

خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة . فقال عبد الله : عَهْدٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا تَبْرَحُوا . فَأَبَوْا ، فلما أبرا صُرِفَتْ وجوههم ^(١) .

فأصيب سبعون قتيلاً ، وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه .

(١) صرفت وجوههم : تحيروا فلم يدروا أين يذهبون .

قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال (١) : لا تخيبوه . فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟
فقال : إن هؤلاء قُتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا .

فلم يملك سر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله ، أبقى الله حديث ما حُزرتك .
فقال أبو سفيان : أعلُّ هبل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجيئوه . قالوا :
ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجلُّ

فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
أجيئوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : فونوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مثله لم أمرُ
بها ولم تسؤنى

وهذا من أفراد البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، أن البراء بن
عازب قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد ، وكانوا خمسين
رجلا ، عبد الله بن جبير ، قال : ووضعهم موضعاً وقال : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا
تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطاناهم فلا تبرحوا حتى
أرسل إليكم .

قال : فهزموهم ، قال : فأنا والله رأيت النساء يشتدْنَ على الجبل وقد بدتْ
أسواقهن وخالهن رافعات ثيابهن .

فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة ، أى قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم ، فما
تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قالوا : إننا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة .

(١) القائل هو رسول الله صلوات الله عليه .

فلما أتوهم صُرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذى يدعوهم الرسولُ فى أُخْرَاهِم ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلاً ، فأصابوا منا سبعين رجلاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً .

فقال أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ أفى القوم محمد ؟ أفى القوم محمد ؟ ثلاثاً ، فنهام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه .

ثم قال : أفى القوم ابن أبي قحافة ، أفى القوم ابن أبي قحافة ؟ أفى القوم ابن الخطاب ، أفى القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قُتلوا وقد كُفيتهم . فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله ، إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقى لك ما يسوءك .

فقال : يومٌ بيوم بدر ، والحرب سجال ، إنكم ستجدون فى القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسؤى . ثم أخذ يرتجز : أعلُّ هُبُلُ أعلُّ هُبُل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله وما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلُّ وأجل .

قال : إن العزى لنا ولا عزى لكم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

ورواه البخارى من حديث زهير ، وهو ابن معاوية ، مختصراً . وقد تقدم روايته له مطولة من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت وعلى بن زيد ،

عن أنس بن مالك ، أن المشركين لما رهقوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سبعة من الأنصار ورجل من قريش ، قال : من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل .

فلما رهقوه أيضاً قال : من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ حتى قُتل السبعة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنصفنا أصحابنا .

ورواه مسلم عن هذبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البيهقي في الدلائل : بإسناده عن عمارة بن غزبية ، عن أبي الزبير ، عن جابر

قال : انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبقى معه أحد عشر رجلاً

من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال : ألا أحد

لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال رجل من الأنصار :

فأنا يا رسول الله . فقاتل عنه ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقي معه ، ثم

قتل الأنصاري فلحقوه ، فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله . فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل

وأصحابه يصعدون ، ثم قُتل فلحقوه .

فلم يزل يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة : أنا يا رسول الله . فيجيبه ، فيستأذنه

رجل من الأنصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله .

حتى لم يبق معه إلا طلحة ، فمشوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهؤلاء ؟

فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله ، وأصيبت أنامله فقال : حس ،

فقال : لو قلت : بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تليج بك في جوة

السماء . ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم مجتمعون .

وروى البخاري عن عبد الله بن أبي شيبه ، عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس بن

أبي حازم . قال : رأيت يدَ طلحةَ شلاءَ وفي بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم يوم أحد .
وفي الصحيحين من حديث موسى بن إسماعيل ، عن معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي
عثمان النهدي قال : لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن
غير طلحة وسعد عن حديثهما .

وقال الحسن بن عرفة . حدثنا مروان بن معاوية ، عن هاشم بن هاشم السعدي ،
سمعت سعيد بن المسيّب يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نزل لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم كنفاته يوم أحد وقال : ارمِ فداك أبي وأمي .
وأخرجه البخاري ، عن عبد الله بن محمد ، عن مروان به .

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن شداد ، عن علي بن أبي طالب قال :
ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك ، فأبي سمعته يقول
يومَ أحد : يا سعد ارمِ فداك أبي وأمي .

قال محمد بن إسحاق : حدثني صالح بن كيسان ، عن بعض آل سعد ، عن سعد بن أبي
وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يناولني النبل ويقول : ارمِ فداك أبي وأمي ! حتى إنه ليناولني
المهم ليس له نصل فأرمي به .

وثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد
ابن أبي وقاص قال : رأيت يومَ أحد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين
عليهما ثياب بيض يقاتلان أشدَّ القتال ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعني جبريل
وميكائيل عليهما السلام .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، أن أبا طلحة كان يرمي بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، والنبي صلى الله عليه وسلم خلفه يترس به ، وكان

رامياً ، وكان إذا رمى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول : هكذا ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم ، نَحْرِي دون نَحْرِكَ . وكان أبو طلحة يُسوِّر نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : إني جلد يا رسول الله ، فوجهي في حوائجك ومُرْنِي بما شئت .

وقال البخاري : حدثنا أبو مَعْمَر^(١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز^(٢) ،

عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحْجُوبٌ عليه بحِجْفَةٍ^(٣) له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النَّزْعِ كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجُفْبَةُ من النَّبْلِ فيقول^(٤) : انثرها لأبي طلحة .

قال : ويُسْرَفُ النبي صلى الله عليه وسلم يَنْظُرُ إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تُسْرَفُ يصيبك سهمٌ من سهام القوم ، نَحْرِي دون نَحْرِكَ . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإيهما المشعَّرتان أرى خَدَمَ سوقهما تنقُرَانِ^(٥) القِرْبَ على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملأها ثم يجيئان فتفرغانه في أفواه القوم . ولقد وقع السيفُ من يدي أبي طلحة إمامرتين وإمام ثلاثاً .

قال البخاري : وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقط وأخذه ويسقط فأخذه .

هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى « ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنةً نعاساً يغشى طائفةً منكم ، وطائفةٌ قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق

(١) هو عبد الله بن عمرو العقدي . (٢) هو عبد العزيز بن صهيب . (٣) محجوب : مترس عليه يحميه . والحجفة : ترس من جلد . (٤) القائل هو النبي صلى الله وسلامه عليه . (٥) خدم سوقهما : خلاخيلهما . قال القسطلاني : وذلك محمول على نظر العجاة . وتنقران : تثنان وتفرغان القرب .

ظنّ الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمرِ مِنْ شَيْءٍ ، قل إنّ الأمرَ كله لله يُخْفُونَ في أنفسهم مالا يُبْدُونَ لك ، يقولون : لو كان لنا من الأمرِ شيءٌ ما قَتَلْنَا هَاهُنَا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتِبَ عليهم القتلُ إلى مَصَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيَخَصَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إنّ الذين تولّوا منكم يومَ التقي الجمعان إنما استزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِيَمِضٍ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ .

قال البخارى : حَدَّثَنَا عَبْدَانُ ^(١) أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ ، عَنْ عُمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ حَجَّ الْبَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا ، فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَعُودُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ قَالَ : مَنْ الشَّيْخُ ؟ قَالُوا : ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ أَتَحَدِّثُنِي ؟ قَالَ : أُنْشِدُكَ بِحِرْمَةَ هَذَا الْبَيْتِ : أَتَعْلَمُ أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَانَ فَرَّ بِيَوْمٍ أُحَدِّثُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْلَمُهُ تَغْيِيبٌ عَنْ بَدْرِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْلَمُ أَنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَبِّرْ ^(٢) .

قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه .

أما فراره يوم أحد : فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنتُ النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لك أجراً رجل ممن شهد بدرًا وسهمه .

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان : فإنه لو كان أحد أعز بيطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى : هذه يد عثمان . فضرب بها على يده . فقال : هذه لعثمان .

(١) عبدان : لقب عبد الله بن عثمان المروزي . (٢) كبر : مستحسننا لما أجابه ابن عمر ، لطابقته لما يعتقده في عثمان رضي الله عنه .

اذهب بهذا^(١) الآن معك .

وقد رواه البخارى أيضا فى موضع آخر ، والترمذى من حديثِ أبى عوانة ، عن
عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب به .

وقال الأُموى فى مغازيه ، عن ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد ، عن يبيح ، عن
جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ
بعضهم إلى المُنَقَّى دون الأعوص ، وفرَّ عُمَلُ بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار
حتى بلغوا الجَلْعَب ، جبل بِناحية المدينة مما يلي الأعوص ، فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ،
فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : لقد ذهبتُم فيها عَرِيضَةً .

والمقصود أن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع فى بدر ، منها : حصول النعاس حال
التحام الحرب ، وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأيدته وتماثل توكلها على
خالقها وبارئها .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى فى غزوة بدر : « إذ يَفْشِيكُمُ النعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ »
الآية وقال هاهنا : « ثم أنزل عليكم من بعد الفمِّ أَمَنَةً نَعَّاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ » يعنى
المؤمنين السكَّمَل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس فى الحرب من الإيمان ،
والنعاس فى الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا : « وطائفةٌ قد أهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ » الآية .
ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصر يومَ أحدٍ كما استنصر يومَ
بدر بقوله : « إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبِدُ فِي الْأَرْضِ » .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قالا : حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ،
عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يومَ أحدٍ : « اللهم إِنْ تَشَأْ
لَا تُعْبِدُ فِي الْأَرْضِ » .

(١) يريد : اذهب بهذه الأجوبة التى أجبك بها .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد ، عن حماد بن سلمة به .
وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن
عبد الله قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « أرأيت إن قُتلتُ فأين أنا؟
قال : فى الجنة ، فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قُتل » .
ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به .
وهذا شبيهه بقصة عمير بن الحمام التى تقدمت فى غزوة بدر رضى الله
عنهما وأرضاهما .

فصل

فيما لقي النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ من المشركين قبجهم الله

قال البخارى : ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد .
حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا عبد الرزاق ، عن همام بن منبه ، سمع أبا هريرة
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبية - يشير
إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » .

ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق ، حدثنا محمد بن مالك ، حدثنا يحيى بن سعيد
الأموى ، حدثنا ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :
« اشتد غضب الله على من قتل النبي في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يوم أحد وهو يقاتل - عن وجهه وهو يقول : « كيف يُفْلح قوم شجّوا
نبيهم وكتموا رباعيته ، وهو يدعو إلى الله » فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء ، أو
يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

ورواه مسلم عن القعقعي ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الإمام أحمد ، عن هارون ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشجّ في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال :
« كيف يُفْلح قوم فعلوا هذا بنبية وهو يدعوهم إلى الله » فأنزل الله تعالى : « ليس

لنبي شيء » .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب ، عن أبي حازم ، أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أما والله إني لأعرف من كان يفسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب الماء وبما دُوى ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسله وعلى يسكب الماء بالجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم ، وكسرت ربايعته يومئذ ، وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه .

وقال أبو داود الطيالسي فى مسنده : حدثنا ابن المبارك ، عن إسحاق ، عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرنى عيسى بن طلحة ، عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر إذ ذكر يوم أحد قال : ذلك يوم كله لطلحة ! ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد ، فرأيت رجلا يقاتل فى سبيل الله دونه ، وأراه قال : حمية ، قال : فقلت : كُنْ طلحة ، حيث فاتنى ما فاتنى ، فمات : يكون رجلا من قومي أعب إلى ، وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو يخطف المشى خطفا لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فانهيننا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت ربايعته وشجَّ فى وجهه ، وقد دخل فى وجنته حلقتان من حلق المغفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم أصحابكم » يريد طلحة . وقد نرف ، فلم نلتفت إلى قوله .

قال : وذهبت لأنزع ذلك من وجهه ، فقال : أقسم عليك بحقى لما تركتنى . فتركته فكره تناولها بيده فيؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزم عليها بفيه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيتته مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع فقال : أقسمت عليك بحقى لما تركتنى . قال : ففعل مثل ما فعل فى المرة الأولى ، فوقعت ثنيتته الأخرى مع الحلقة ،

فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس همماً !
فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك
الجفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت إصبعه ،
فأصلحنا من شأنه .

وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي
الحويرث ، عن نافع بن جبير ، قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً
فنظرت إلى النبل تأتي من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك
يُصْرَفُ عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول : دلوني على محمد
لا نجوت إن نجا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه مامعه أحد ، تجاوزه ، فمات به
في ذلك صفوان بن أمية ، فقال : والله مارأيت ، أحلف بالله إنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة
فتماهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إليه .

قال الواقدي : ثبت عندى أن الذى رمى فى وجنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابنُ قُتَيْبَةَ ، والذى رمى فى شفته وأصاب رباعيته عتبةُ بنُ أبى وقاص .
وقد تقدم عن ابن إسحاق نحو هذا ، وأن الرباعية التى كسرت له عليه السلام
هى اليمنى السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص ،
قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان
مأملت لسيئ الخلق مُبَغِضاً فى قومه ، ولقد كفانى فيه قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم « اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله » .

وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عثمان الحروري ، عن مقسم ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال : « اللهم لا يحول عليه الحولُ حتى يموت كافراً » .
ثم حال عليه الحولُ حتى مات كافراً إلى النار .

وقال أبو سليمان الجوزجاني : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثني إبراهيم بن محمد ، حدثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حرب ، عن أبيه ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم داوى وجهه يوم أحد بعظمٍ بال .
هذا حديث غريب رأيتُه في أثناء كتاب المغازي للأُموي في وقعة أحد .

ولما نال عبد الله بن قننة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نال ، رجع وهو يقول : قتلْتُ محمداً . وصرخ الشيطان أزعج العقبة يومئذ بأبعد صوت : ألا إن محمداً قد قُتل .

فحصل بهتة عظيمة في المسلمين ، واعتقد كثير من الناس ذلك ، وصموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره .

وقد أنزل الله تعالى التسليمة في ذلك على تقدير وقوعه ، فقال تعالى : « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين . وكأى من نبيٍّ قاتل معه ربيون كثيرٌ ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا

وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ . سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ « (١) .

وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير والله الحمد .

وقد خطب الصديق رضى الله عنه في أول مقامٍ قامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم على آية . قال : فكان الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحد إلا يتلوها .

وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي نجيح ، عن أبيه قال : مرَّ رجل من المهاجرين يوم أُحد على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط في دمه . فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قُتل ؛ فقال الأنصارى : إن كان محمد صلى الله عليه وسلم قد قُتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم !

فنزل : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ » الآية .

ولعل هذا الأنصارى هو أنس بن النضر رضى الله عنه ، وهو عم أنس بن مالك . قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد ، عن أنس ، أن عمه غاب عن قتال بدر ، فقال غيبُ عن أول قتال قاتله النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين ، اثن الله أشهدنى قتالا للمشركين ليرين ما أصنع .

فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أعتذر إليك عما صنع

هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبراً إليك مما جاء به هؤلاء ، يعني المشركين ، ثم تقدم فلقبه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أصنع ما صنع .

فوجد فيه بضع وثمانون ، من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم .
قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت : « فمنهم من قضى نحبة ومنهم من ينتظر » .

ورواه الترمذى عن عبد بن حميد ، والنسائى عن إسحاق بن راهويه ، كلاهما عن يزيد بن هارون به . وقال الترمذى : حسن .

قات : بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا بهز ، وحدثنا هاشم ، قال : حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : قال أنس : عمى . قال هاشم : أنس بن النضر . سميتُ به ، ولم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر . قال : فشقَّ عليه وقال : أولُ مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبُ عنه ، ولئن أراى الله مشهداً فيما بعدُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نيرينَ الله ما أضنع . قال : فهاب أن يقول غيرها .

فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهأ لريح الجنة أجده دون أحد . قال : فقاتلهم حتى قُتل ، فوجد في جسده بضعٌ وثمانون من ضربة وطعنة ورمية .

قال : فقالت أخته عتي الربيع بنت النضر : فما عرفتُ أخى إلا بينانه . ونزلت هذه الآية : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً » .

قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

ورواه مسلم ، عن محمد بن حاتم ، عن بهز بن أسد . ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن المبارك . وزاد النسائى ، وأبو داود وحماد بن سلمة ، أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أبى بن خلف أخو بنى جُمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حنفته قال : بل أنا أقتله إن شاء الله .

فلما كان يوم أحد أقبل أبى في الحديد مقنماً وهو يقول : لا نجوتُ إن نجا محمد . فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله ، فاستقبله مصعبُ بن عمير أخو بنى عبد الدار بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبى بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة فطعمه فيها بالحرابة فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم . فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ما أجزعك ! إنما هو خدش .

فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتل أبياً ، ثم قال : والذي نفسى بيده ، لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون . فمات إلى النار ، فسحقاً لأصحاب السعير !

وقد رواه موسى بن عقبة في معازيه ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب نحوه .

وقال ابن إسحاق : لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ، أدركه أبى ابن خلف وهو يقول : لا نجوتُ إن نجوت .

فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه .

فلما دنا منه : تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، فقال بعض القوم ، كما ذكر لي ، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض انتفاضةً تطايرَنا عنه تطايرَ الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعمه في عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه مراراً .

وذكر الواقدي عن بونس بن بَكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ابن قتادة ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه . نحو ذلك .

قال الواقدي : وكان ابن عمر يقول : مات أبي بن خلف ببطن رابع ، فإني لأسير ببطن رابع بعد هوي من الليل إذا أنا بنار تاججت ، فهبتها وإذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش ، فإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا أبي بن خلف .

وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضبُ الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » .

ورواه البخاري ، من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « اشتد غضبُ الله على من قتله رسول الله بيده في سبيل الله » .

وقال البخاري . قال أبو الوليد ، عن شعبة ، عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً قال : لما قُتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهونني والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبه ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تبكوه أو مات بكم ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفع » .

هكذا ذكر هذا الحديث هاهنا معلقاً ، وقد أسنده في الجناز عن بندار عن غنّدر ، عن شعبة .

ورواه مسلم والنسائي من طرق عن شعبة به .

وقال البخارى : حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن شعبة ، عن سعد ابن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم ، أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال : قتل مُصعب بن عمير وهو خير منى ، كفن في بردة إن غطى رأسه بدت رجلاه ، وإن غطى رجلاه بدا رأسه ، وأراه قال : وقُتِل حمزة هو خير منى ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ، أو قال : أعطينا من الدنيا ما أعطينا . وقد خشينا أن تكون حسانتنا عجلت لنا . ثم جعل يبكي حتى برد الطعام . انفراد به البخارى .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن حَبَّاب بن الأرت ، قال : هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نبتغى وجه الله ، فوجب أجرنا على الله ، فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً ، كان منهم مُصعب بن عمير ، قتل يوم أحد لم يترك إلا نَمرة^(١) ، كنا إذا غطيناها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطى بها رجلاه خرج رأسه ، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم : غطوا بها رأسه واجعلوا على رجلاه الإذخر . ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها^(٢) . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن الأعمش به .

وقال البخارى : حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما كان يوم أحد هُزم المشركون ، فصرخ إبليس لعنة الله

(١) النمرة : بردة من صوف .

(٢) يهدبها : يجتنبها .

عليه : أى عباد الله^(١) أخراكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم ، فبصُر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال : أى عباد الله أبى أبى ! قال : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة : يغفر الله لكم .

قال عروة : فوالله ما زال فى حذيفة بقية خير^(٢) حتى لقي الله عز وجل . قلت : كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا فى الآطام مع النساء لكبرهما وضعفهما ، فقالا : إنه لم يبق من آجالنا إلا ظم^(٣) حمار . فنزلا ليحضرنا الحرب فجاء طريقهما ناحية المشركين ، فأما ثابت فقتله المشركون ، وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ . وتصدق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ، ولم يعاتب أحداً منهم ، لظهور العذر فى ذلك .

فصل

قال ابن إسحاق : وأصابت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته ، فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدّها . وفى الحديث عن جابر بن عبد الله ، أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سألت على خذه ، فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها ، فكانت أحسن عينيه وأحدّها ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

وروى الدارقطنى بإسناد غريب ، عن مالك ، عن محمد بن عبد الله بن أبى صعصعة ، عن أبيه ، عن أبى سعيد ، عن أخيه قتادة بن النعمان قال : أصيبت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجنتى ، فأنتيت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان .

(١) يريد المسلمين ، أى احتجزوا من الذين وراءكم متأخرين عنكم ، ليقتل بعض المسلمين بعضاً .

(٢) وقيل : بقية حزن . القسطلانى ٦/٣٠٠

(٣) الظم : ما بين الثمرتين والوردتين ، والمراد : ما بقى إلا يسير ، لأنه ليس شئ أقصر ظمًا منه .

والمشهور الأول ، أنه أصيبت عينه الواحدة ، ولهذا لما وفد ولده على عمر بن هبذ العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلاً :

أنا ابنُ الذي سألتَ على الخلدِ عينهُ فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فَعَادَتْ كما كانتَ لأوَّلِ أمرِها فَيَاحُسْنُهَا عَيْنًا وَيَا حُسْنَ مَا خَدَّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك : .

تلك المكارمُ لا قَعَبَانُ من لبنٍ شَيْبًا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا !
ثم وصله فأحسن جائزته رضى الله عنه .

فصل

قال ابن هشام : وقاتلت أم عمارة نسيبة^(١) بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصارى ، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت قوراً دخلت على أم عمارة فقلت لها : يا خالة أخبريني خبرك . فقالت : خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناسُ ومعى سقاء فيه ماء ، فأنهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه ، والدواة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت أباشر القتال وأدب عنه بالسيف وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراحُ إلى .

قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوفاً له غور ، فقلت لها : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قميئة أممته الله ، لما ولّى الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دأوني على محمد لا نجوت إن نجسا . فاعترضت له أنا ومُصعب بن عمير وأناس ممن ثبت

(١) نسيبة ، بفتح النون وكسر السين المهملة ، كما ضبطها في الإكمال والتبصير والإصابة وغيرهم ، وصحبها بالتصغير وهم ، إنما هذا في نسيبة أم عطية ، فقله في أم عمارة غلط . انظر شرح المواهب ٢ / ٤١ .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضر بني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضرباتٍ ، ولكن عدوَّ الله كانت عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وَرَسَّ أَبُو دُجَانَةَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ ، يَقَعُ النَّبْلُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ عَنْ قَوْسِهِ ، حَتَّى انْدَقَتْ سَيْتَيْهَا فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ بْنِ النَّجَّارِ ، قَالَ : انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَمَّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ : فَمَا يُجْلِسُكُمْ ؟ قَالُوا : قَتَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ ! قَوْمُوا فَمُوتُوا عَلَى مَمَاتٍ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَبِهِ سَمِّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ .

فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ الطَّوِيلُ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : لَقَدْ وَجَدْنَا بِأَنَسِ بْنِ النَّضْرِ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً ، فَمَا عَرَفَهُ إِلَّا أَخْتَهُ ، عَرَفْتَهُ بَيْنَانَهُ .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أُصِيبَ فُؤُهُ يَوْمَئِذٍ فَهَمَّ ، وَجُرِحَ عَشْرِينَ جِرَاحَةً أَوْ أَكْثَرَ ، أَصَابَهُ بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ فَعَرَجَ .

فصل

قال ابن إسحاق : وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَقَوْلِ النَّاسِ قَتَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا ذَكَرَ لِي الزُّهْرِيُّ ، كَتَبُ بْنُ مَالِكٍ

قال : رأيت عينيه تزهزان من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين
أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ،
ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب
وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين ، فلما
أسند^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف ، فذكر
قتله عليه السلام أبيًا كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان أبي بن خلف ، كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن
ابن عوف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندي العوذ ،
فرسًا ، أعلفه كل يوم فرقًا من ذرة أقتلك عليه .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله .

فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشًا غير كبير فاحتقن الدم ، فقال :
قتلني والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك بأس . قال : إنه قد كان
قال لي بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو بصق علي لقتلني ! فمات عدو الله بسرف^(٢) ،
وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد ورث الضلالة عن أبيه أبي يومَ بارزه الرسولُ
أتيت إليه تحمّل رِمِّ عَظْمٍ وتوعده وأنت به جهولُ
وقد قتلت بنو النجار منكم أميةَ إذ يُعوّث : يا عقيلُ

(١) أسند : سعد . أى استند إلى جانب من الجبل . (٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

وَتَبَّ أَبْنَا رِبِيعَةَ إِذْ أَطَاعَا أَبَا جَهْلٍ لِأُمَّهَا الْهَبُولُ
وَأَفْلَتَ حَارِثَ لَمَّا شُغِلْنَا بِأَسْرِ الْقَوْمِ ، أُسْرَتُهُ قَلِيلُ
وقال حسان بن ثابت أيضاً :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي أُبَيًّا فَقَدْ (١) أَلْقَيْتَ فِي سُحُوقِ السَّعِيرِ
تَمَنَّى بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُقَسِّمُ أَنْ قَدَرْتَ مَعَ النَّذِيرِ
تُحْنِيكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
فَقَدْ لَأَقْتِكَ طَعْنَةً ذِي حِفَاظٍ كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِنَذَى فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ طُرًّا إِذَا نَابَتْ مُلَمَّاتُ الْأُمُورِ

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرج على ابن أبي طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس (٢) ، فحجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : « اشتد غضبُ الله على مَنْ دَمَى وجهَ نبيه » .

وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية .

قال ابن إسحاق : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب معه أولئك نفر من أصحابه إذ علت عالية من قریش الجبل . قال ابن هشام : فيهم خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا ينبغي لهم

أن يعَلُّونا .

فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض

(١) ابن هشام : لقد .

(٢) الدرقة : الحجفة ، وهي ترس من جلد . والمهراس : ماء بأحد .

النبي صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بَدَنٌ (١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وظاهرٌ بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها .

فحدثني يحيى بن عبيد ، بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : « أُوجِبَ طلحةُ (٢) » حين صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما صنع .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى عفرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل آتٍ لا يُدْرَى مَنْ هو يقال له قُزْمان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا ذُكِرَ : « إنه لمن أهل النار » .

قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً ، فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأنبته الجراحة ، فاحتُمِلَ إلى دار بني ظفر .

قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر .

قال : بماذا أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلتُ !

قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كفائته فقتل به نفسه .

وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر . كما سيأتي إن شاء الله .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن المسيب ،

عن أبي هريرة ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقتل لرجل

(١) بدن : نقل من السن . (٢) يعنى : أحدث شيئاً يستوجب به الجنة .

من يدعى الإسلام : « هذا من أهل النار » .

فأما حضر القتالُ قاتل الرجل قتالا شديداً ، فأصابته جراحة ، فقبيل : يا رسول الله الرجل الذي قلتَ إنه من أهل النار . قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إلى النار » .

فكاد بعضُ القوم يرتاب ، فبينما هم على ذلك إذ قبيل : فإنه لم يمت وإنما به جراح شديدة ، فأما كان من الليل لم يصب على الجراح فقتل نفسه .

فخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « الله أكبر ، أشهد أنى عبدُ الله ورسوله » .

ثم أمر بلالا فنادى في الناس : « إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ! » .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به .

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أحدٍ مُخْبِرِيق ، وكان أحدُ بنى ثعلبة بن الفِطْيُون فأما كان يوم أحد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصرَ محمدٍ عليكم لحقٌ . قالوا : إن اليومَ يومُ السبت . قال : لا سبَّت لكم .

فأخذ سيفه وعدته وقال : إن أُصبتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء .

ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا : « مُخْبِرِيق خير يهود » .

قال السهيلي : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالَ مُخْبِرِيق ، وكانت سمعَ

حوائط ، أو قافاً بالمدينة لله .

قال محمد بن كعب القرظي : وكانت أولَ وقفٍ بالمدينة .

وقال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة ، أنه كان يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط .

فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أصيرم بنى عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش .

قال الحصين : فقات لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأَصِيرِم ؟ قال : كان يأتي الإسلامَ على قومه ، فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ، ثم أخذ سيفه ففدا حتى دخل في عُرْض الناس ، فقاتلَ حتى أُتْبِتَتْهُ الجراحةُ . قال : فبينما رجالٌ من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأَصِيرِم ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لُمُنْكَرٌ لهذا الحديث . فسألوه فقالوا : [ما جاء بك يا عمرو] ^(١) أَحَدَبٌ على قومك أم رغبةٌ في الإسلام ؟

فقال : بل رغبةٌ في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ ، ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت حتى أصابني ما أصابني . فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنه من أهل الجنة » .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي ، عن أشياخ من بنى سلامة ، قالوا : كان عمرو بن الجوح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا : إن الله قد عذرك . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا

الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة !
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك »
وقال لبيته : « ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة » .
فخرج معه فقتل يوم أحد رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثني صالح بن كيسان - والنسوة
اللائى معها يمثان بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجذعن الأذان
والأنوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً^(١) وقلائد ، وأعطت
خدمها وقلاندها وقرطها وحشياً . وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن
تسيفها فلفظتها .

وذكر موسى بن عقبة أن الذى بقرت عن كبد حمزة وحشى ، فحملها إلى هند فلاكتها
فلم تستطع أن تسيفها . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزينناكم بيوم بدرٍ والحرب بعد الحرب ذات سُغْرِ^(٢)
ما كان لى عن عتبة من صبرٍ ولا أخى وعمه وبكرٍ
شفيت نفسى وقضيت ندرى شفيت وحشى غليل صدرى
فشكرُ وحشى على عمري حتى ترم أعظمى فى قبرى

قال : فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب فقالت :

خزيت فى بدرٍ وبعده بدرٍ يابنت وقاعٍ عظيم الكفرِ
صبحك الله غداة الفجرِ مِ الهاشميين الطوال الزهري

(٢) الشعر بضمين : الشدة والقرم .

(١) الخدم : الخلائيل .

بكلِّ قَطَّاعِ حُسَامٍ يَفْرِي حَمْزَةً لَيْثِي وَعَلَى صَقْرِي
إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكِ غَدْرِي نَحْضَبًا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ
وَنَذْرِكِ السُّوءِ فَشَرُّ نَذْرٍ

قال ابن إسحاق : وكان الحليس بن زيان أخو بني الحارث بن عبد مناة - وهو يومئذ سيد الأحابيش - مرَّ بأبي سفيان وهو يضرب في شِدْقِ حمزة بن عبد المطلب بزُجِّ الرمح ويقول : ذُقْ عَقَقْ !

فقال الحليس : يا بني كنانة ، هذا سيدُ قريش يصنع بآبن عمه ماترونَ لَحْمًا !
فقال : ويحك اكنتمها عنى فإنها كانت زلَّةً .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصرافَ أشرفَ على الجبلِ ثم صرخ بأعلى صوته : أُنْعَمْتُ^(١) [فَعَالٍ]^(٢) إن الحربَ سِجَالٌ ، يومٌ بيوم بدر ، أعلُّ هُبُلٍ أَى ظَهَرِ دِينِكَ^(٣) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « قم يا عمر فأجبه فقل : الله أعلُّ وأجلُّ ، لا سواء ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ » .

فقال له أبو سفيان : هلم إلى يا عمر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : انته فانظر ماشأته .

فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمدًا ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه لَيْسَمِعِ كَلَامِكَ الْآنَ . قال : أنت عندي أصدقُ من ابن قنثة وأبرُّ .

(١) أنعمت : بفتح التاء : خطاب لنفسه . وبسكونها يريد : الحرب أو الواقعة أو الأزمات : « أجابت بنعم »
(٢) من ابن هشام . وفعال : اسم للفعل الحسن . وقال السهيلي : فعال : أمر ، أى عال عنها وأقصر عن لومها ، تقول العرب : اعل عنى وعال ، بمعنى ارتفع عنى ودعى .
(٣) ابن هشام : أى : أظهر دينك .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل^(١) والله مارضيتُ وما سخطت ، وما نهيت ولا أمرت .

قال : ولما انصرف أبو سفيان نادى : إن موعداكم بدر العام المقبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم هو بيننا وبينك موعدا .

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال :

أخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنّبوا الخيلَ

وامتطوا الإبلَ فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبلَ فهم يريدون المدينة .

والذي نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن^٢ إليهم فيها ثم لأنجزنهم .

قال علي : فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنّبوا الخيلَ وامتطوا الإبلَ

ووجهوا إلى مكة .

(١) المثل : كالثلة ، التنكيل بالقتل .

ذکر دعاء النبی صلی الله علیه وسلم بعد الوقعة یوم أحد

قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن
الملكی ، عن ابن رفاعة الزُرقي ، عن أبيه ، قال : لما كان یومُ أحد وانكفأ المشركون
قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : « استووا حتی أثنی علی ربی عز وجل ، فصاروا خلفه
صفوفاً فقال :

« اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا
هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ،
ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت ، اللهم اسط علينا من بركاتك ورحمتك
وفضلك وريزقك .

اللهم إني أسألك النعيمَ المقيمَ الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيمَ يوم
العيلة والأمنَ يوم الخوف .

اللهم إني عاوذُ بك من شرِّ ما أعطيتنا وشرِّ ما منعتنا .

اللهم حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزينتهُ في قلوبنا ، وكرِّهْ إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ

واجعلنا من الراشدين .

اللهم توفِّقنا مسلمين وأحيينا مسلمين ، وألحقنا بالصلحين غيرَ خزايا ولا مقتونين .

اللهم قاتِل الكفرةَ الذين يُكذِّبون رُسُلَكَ ويصدُّون عن سبيلك ، واجعل عليهم

رِجْزَكَ وعذابِكَ . اللهم قاتل الكفرةَ الذين أوتوا الكتاب ، إلهَ الحق . « .

ورواه النسائي في اليوم والليلة ، عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن

عبد الواحد بن أيمن ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه به .

فصل

قال ابن إسحاق : وفرغ الناس لقتلاهم ، فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة المازني ، أخو بني النجار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ أُنَى الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا .

فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ، قال : فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أنى الأحياء أنت أم في الأموات .

فقال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامي وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عندي خيراً ماجزى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف !

قال : ثم لم أبرح حتى مات وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

فت . كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن سلمة ، فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي . وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه ، فلما قال : إن رسول الله أمرني أن أنظر خبرك . أجابه بصوت ضعيف وذكره .

وقال الشيخ أبو عمر في الاستيعاب : كان الرجل الذي التمس سعداً أياً بن كعب . فإله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة النقباء رضي الله عنه ، وهو الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده ومثّل به فجُدع أنفه وأذناه . فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى مارأى : « لولا أن تحزن صفيّة وتكون سنةً من بعدى ، لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثانَ بثلاثين رجلا منهم » .

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لتمثلن بهم مثلةً لم يمثلها أحدٌ من العرب .

قال ابن إسحاق : فحدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب ، وحدثني من لا أتهم عن ابن عباس ، أن الله أنزل في ذلك : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم هو خيرٌ للصابرين » الآية .

قال : فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة .

قلت : هذه الآية مكية ، وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم هذا ؟ فالله أعلم .

قال : وحدثني حميد الطويل ، عن الحسن ، عن سمرة ، قال : ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة .

وقال ابن هشام : ولما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على حمزة قال : « لن أصاب بمثلك أبداً ، ماوقفتُ قط موقفاً أعيظُ إلى من هذا ! » .

ثم قال : « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في السماوات السبع : « حمزة ابن عبد المطلب أسدُ الله وأسدُ رسوله » .

قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخوَي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، أرضعتهم ثلاثتهم ثُوْبِيَةُ مولاة أبي لهب .

ذكر الصلاة على حمزة وقتل أحد

وقال ابن إسحاق : وحدثني من لا آتهم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسُجِّي بِبُرْدَةٍ ثم صلى عليه ، فكَبَّرَ سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » .

وهذا غريب وسنده ضعيف .

قال السهيلي : ولم يقل به أحد من علماء الأمصار .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، عن ابن مسعود ، قال : إن النساء كنَّ يومَ أحدٍ خلف المسلمين يُجهزن على جرحى المشركين ، فلو حلفتُ يومئذ رجوتُ أن أبرَّ أن ليس أحدٌ منا يريد الدنيا حتى أنزل الله : « منكم من يُريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرّفكم عنهم ليبتليكم . » .

فلما خالف أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصّوا ما أمروا به أفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعة : سبعة من الأنصار واثنين من قريش وهو عاشرهم ، فلما رهقوه قال : رحم الله رجلا ردّهم عنا . فلم يزل يقول ذا حتى قُتل السبعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه : ما أنصفنا أصحابنا .

نجاء أبو سفيان فقال : أعلُّ هُبَل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله أعلَى وأجلُّ . فقالوا : الله أعلَى وأجلُّ .

فقال أبو سفيان : لنا المُزَيُّ ولا عزي لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله مولانا ولا موالى لكم .

ثم قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، يومٌ لنا ويوم علينا ، ويوم نساء ويوم نُسَرِّ ، حفظة بحفظة ، وفلان بفلان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا سِواء ، أما قَتَلنا فأحياء يُرَزَقون وقَتَلناكم في النار يعدُّون .

قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثَلَّة وإن كانت لعنَ غيرِ مَلأٍ منا ، ما أمرتُ ولا نَهيت ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرَّني .

قال : فنظروا فإذا حمزة قد بُقر بطنه وأخذت هندُ كبدَه فلا كَتَمها فلم تستطع أن تأكلها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أأكلتُ شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : ما كان الله ليُدخل شيئاً من حمزة في النار .

قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزةَ فصلَى عليه وجيء برجل من الأنصار فوُضع إلى جنبه فصلى عليه ، فرفع الأنصاري وترك حمزة . وجيء بأخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه ، ثم رفع وترك حمزة . حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة .

تفرد به أحمد ، وهذا إسناد فيه ضعف أيضاً من جهة عطاء بن السائب . فالله أعلم . والذي رواه البخاري أثبت حيث قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيُّهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصلِّ عليهم ولم يغسلوا .

تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به .
وقال أحمد : حدثنا محمد ، يعنى ابن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت عبد ربه يحدث
عن الزهرى ، عن ابن جابر ، عن جابر ابن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال فى قتلى أحد : فإن كلَّ جرح أو كلَّ دمٍ يفوح مسكاً يوم القيامة .
ولم يصلِّ عليهم .

وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته يسير . كما قال البخارى :
حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا زكريا بن عدي ، أخبرنا [ابن^(١)] المبارك ،
عن حيوة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن عقبه بن عامر ، قال :
صلى^(٢) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمانى سنين كالمودع للأحياء
والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : « إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد ، وإن
مؤعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليهم من مقامى هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن
تُشركوا ، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها .

قال : فكان آخر نظرة نظرتُها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه البخارى فى مواضع آخر ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، من حديث يزيد
ابن أبي حبيب به نحو .

وقال الأموى : حدثنى أبى ، حدثنا الحسن بن عماره ، عن حبيب بن أبى ثابت ،
قال : قالت عائشة : خرجنا من السَّحَر نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد
نستطلع الخبر ، حتى إذا طلع الفجر إذا رجلٌ مُحتجر يشتمُّ ويقول :

لَبِثَ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ^(٣)

(١) ابن المبارك هو عبدالله . وقد سقطت من الأصل . وأثبتها من صحيح البخارى فى غزوة أحد .
(٢) قال القسطلانى : المراد أنه دعا لهم بدعاء صلاة الميت ، والاجماع يدل له ، لأنه لا يصلى عليه - أى القبر -
عند الشافعية ، وعند أبى حنيفة الخالف : لا يصلى على القبر بعد ثلاثة أيام . إرشاد السارى ٦ / ٢٩١ .
(٣) نسبه فى تاج العروس ٧ / ٢٩٠ لحمل بن سعدانة الصحابى . وعجزه : « ما أحسن الموت إذا خان
الأجل » وروايتها فى اللسان ١٣ / ١٩٣ : « ضح قليلا يدرك .. » وقال : « يعنى به حمل بن بدر » .

قال : فنظرنا فإذا أسيد بن حُضَيْر ، ثم مكثنا بعد ذلك ، فإذا بعيرٌ قد أقبل ، عليه امرأة بين وسقين .

قالت : فدونا منها فإذا هي امرأة عمرو بن الجوح ، فقلنا لها : ما الخبر ؟ قالت : دفع الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ من المؤمنين شهداء « وردَّ الله الذين كفروا بغيتهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .
ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقائنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخى وزوجى .

وقال ابن إسحاق : وقد أفبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها . فقال لها : يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى . قالت : ولهم ، وقد بلغنى أنه مثل بأخى وذلك فى الله ، فما أرضانا ما كان من ذلك ، لأحسنين ولأصبرين إن شاء الله .

فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قال : خلَّ سبيلها ، فاتته فنظرت إليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت .

قال ابن إسحاق : ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُفن ، ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب ، وكان قد مثل به غير أنه لم يتقر عن كبده . رضى الله عنهما .

قال الشَّهْبَلِي : وكان يقال له المجدع فى الله . قال : وذكر سعد أنه هو وعبد الله بن جحش دعيما بدعوة فاستجيبت لهما ، فدعا سعد أن يلتقى فارساً من المشركين فيقتله ويستأبه ، فكان ذلك . ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاه فارسٌ فيقتله ويجدع أنفه فى الله ، فكان ذلك .

وذكر الزبير بن بكار أن سيفه يومئذ انقطع ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجوناً فصار في يد عبد الله بن جحش سيفاً يقاتل به ، ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار .

وهذا كما تقدم لعكاشة في يوم بدر .

وقد تقدم في صحيح البخاري أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، بل في الكفن الواحد .

وإنما أُرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يشق معها أن يحفروا الكل واحد واحد . ويقدم في اللحد أكثرها أخذاً للقرآن .

وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد ، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ، وبين عمرو بن الجموح ، لأنهما كانا متصاحبين . ولم يغسلوا بل تركهم بجراحهم ودماهم .

كما روى ابن إسحاق عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، أنه ما من جريح يُجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دم والريح ريح مسك » .

قال : وحدثني عمي موسى بن يسار ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « ما من جريح يُجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

(١) من بني عذرة حليف بني زهرة ، له رؤية ولم يثبت له سماع ، مات سنة تسع وثمانين وغرباب العين .

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالشهداء أن يُنزع عنهم الحديد والجلود وقال : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .

رواه أبو داود وابن ماجه من حديث علي بن عاصم به .

وقال الإمام أبو داود في سننه : حدثنا القَعْنَبِي ، أن سليمان بن المغيرة حدثهم ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر ، أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقالوا : قد أصابنا قرح وجهك فكيف تأمر ؟ فقال : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد » .

قيل : يارسول الله فأيهم يُقدم ؟ قال : أكثرهم قرآنا .

ثم رواه من حديث الثوري ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر . فذكره . وزاد : وأعمقوا .

قال ابن إسحاق : وقد احتَمَل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : « ادفنوهم حيث صُرِعوا » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله وعتّاب ، حدثنا عبد الله ، حدثنا عمر بن سامة بن أبي يزيد المديني ، حدثني أبي ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحد ، فأرسلني أخواتي إليه بناضح لهن ، فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سامة .

فقال : فحُتته وأعوأن لي ، فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد ، فدعاني فقال : « والذي نفسي بيده لا يُدفن إلا مع إخوته » .

فدفن مع أصحابه بأحد .

تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الأسود بن قيس ، عن نبيح ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتلى أحد حملوا من مكانهم ، فنادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم : أن رُدُّوا القتلى إلى مضاجعهم .

وقد رواه أبو داود والنسائي من حديث الثوري ، والترمذي ، من حديث شعبة والنسائي أيضا ، وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، كلهم عن الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزي ، عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى المشركين يقاتلهم وقال لي أبي عبد الله : يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا ، فإني والله لولا أني أترك بنات لي بعدى لأحببت أن تقتل بين يدي .

قال : فبينما أنا في النظارين إذ جاءت عمي بأبي وخالى عادلتها على ناضح ، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا ، إذ لحق رجل ينادي : ألا إن النبي صلى الله عليه وسلم يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قُتلت . فرجعنا بهما فدفنناهما حيث قُتلا .

فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال : يا جابر بن عبد الله ، والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدأ ، فخرج طائفة منه .

فأنته فوجدته على النحوى الذى دفنته لم يتغير ، إلا ما لم يدع القتل أو القتل .

ثم ساق الإمام قصة وفاته دين أبيه ، كما هو ثابت في الصحيحين .

وروى البيهقي من طريق حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن

عبد الله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصخرنا إليهم ،

فأثيناهم فأخز جناهم ، فأصابَت المِسْحاةَ قَدَمَ حمزةَ فانبعثَ دَمًا !

وفى رواية ابن إسحاق عن جابر قال : فأخز جناهم كأنما دُفِنوا بالأمس .

وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يُجْرَى العَيْنَ نادى مناديه : من كان له قَتيلٌ

بأحد فليشْهَدْ . قال جابر : فحفرنا عنهم فوجدتُ أبى فى قبره كأنما هو نائم على هيئته

ووجدنا جاره فى قبره عمرو بن الجَمُوحَ ويدهُ على جرحه ، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دَمًا !

ويقال : إنه فاح من قبورهم مثلُ ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين . وذلك بعد

ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .

وقد قال البخارى : حدثنا مُسَدَّدٌ ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا حسين المعلم ، عن

عطاء ، عن جابر قال : لما حضر أحدٌ دعانى أبى من الليل فقال لى : ما أرانى إلا مقتولا

فى أول من يُقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإنى لا أترك بعدى أعزَّ على

منك غيرَ نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن علىَّ ديناً فاقضِ واستوص

بأخواتك خيرا .

فأصبحنا ، وكان أول قَتيلٍ ، فدُفِنَت معه آخرَ فى قبره ، ثم لم تَطِبْ نفسى أن أتركه

مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته هيئةً غيرَ أذنه .

وثبت فى الصحيحين من حديث شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، أنه لما قُتِلَ

أبوه جعل يكشف عنه الثوب ويبكى ، فنهاه الناسُ فقال رسول الله : « تَبْكِيه أو لا تبكيه ،

لم تَزَلْ للملائكة تُظَلُّه حتى رفعتموه » .

وفى رواية أن عمته هى الباكية .

وقال البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا :

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا فيض بن وثيق البصرى ،

حدثنا أبو عبادة الأنصاري ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر : « يا جابر ألا أبشرك ؟ قال : بلى ، بشرك الله بالخير . فقال : « أشعرت أن الله أحيا أباك فقال : تمنّ على عبدى ما شئت أعطك . قال : يارب عبدتُك حق عبادتك ، أتمنى عليك أن تردّنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى . قال : إنه سلف منى أنه إليها لا يرجع » .

وقال البيهقي : حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي المعروف الأسفراييني ، حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد ، حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا موسى ابن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري ، قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصّمة الأنصاري ثم السلمي ، قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . « مالي أراك مُيْتَمًا ؟ قال : قلت : يارسول الله قتل أبي وترك دينًا وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كِفاحاً وقال له : يا عبدى سَأنى أعطك . فقال : أسألك أن تردّنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق منى القول : أنهم إليها لا يرجعون . قال : يارب فأبلغ من ورأى . فأنزل الله « ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون ^(١) » الآية .

وقال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقييل ، سمعت جابراً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أبشرك يا جابر ؟ قلت : بلى ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال له : ماتحِبُّ يا عبدَ الله ، ماتحِبُّ أن أفعل بك ؟ قال : أي ربِّ أحبُّ أن تردّنى إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى » .

وقد رواه أحمد عن علي بن المديني ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن علي بن

ربيعة السامى ، عن ابن عقيل ، عن جابر ، وزاد : فقال الله : إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون .

وقال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن عبد الله عن جابر بن عبد الله ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذكر أصحاب أحد : « أما والله لو ددت أنى غودرت مع أصحابه بمحضن الجبل » يعنى سفح الجبل .
تفرد به أحمد .

وقد روى البيهقي من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن قطن بن وهب ، عن عبيد بن عمير ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد مرَّ على مُصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه فدعا له ثم قرأ : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الآية قال : « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزورهم ، والذي نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إن يوم القيامة إلا ردوا عليه » .

وهذا حديث غريب .

وروى عن عبيد بن عمير مرسلًا .

وروى البيهقي من حديث موسى بن يعقوب ، عن عبيد بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء ، فإذا أتى قرصة الشعب قال : « السلام عليكم بما صبرتم فنعمة عني الدار » ثم كان أبو بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، وكان عمر بعد أبي بكر يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله .

قال الواقدي : كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورهم كلَّ حَوْلٍ ، فإذا بلغ نقرة الشعب يقول : « السلام عليكم بما صبرتم فنعمة عُنِّي الدار » ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ، ثم عمر ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتيهم فتبكي عندهم وتدعو لهم ، وكان سعد يسلمُ ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسألون على قوم يردون عليكم .

ثم حكى زيارتهم عن أبي سعيد ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأم سلمة رضی الله عنهم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم ، حدثني الحكم بن نافع ، حدثنا العطف بن خالد ، حدثني خالتي قالت : ركبْتُ يوماً إلى قبور الشهداء - وكانت لاتزال تأتيهم - فنزلتُ عند حمزة فصليت ماشاء الله أن أصلي ، وما في الوادي داع ولا مجيب ، إلا غلاماً قائماً أخذاً برأس دابتي ، فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي : « السلام عليكم » قالت : فسمعت ردَّ السلام علىَّ يخرج من تحت الأرض ، أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني ، وكما أعرف الليل والنهار ، فاقشعرت كلُّ شعرة مني !

وقال محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لما أُصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خضِرَ ترْدُ أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيبَ ما كلهم ومشرهم ومقبليهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نُرزقُ لثلاً يَنكَلوا عن الحرب ولا يزهّدوا في الجهاد ؟

فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم . فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون » .

وروى مسلم والبيهقي من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال : سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في أيها شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش ، قال : فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة ، فقال : اسألوني ما شئتم . فقالوا : ياربنا وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يتركوها من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك مرة أخرى . قال : فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوها .

فصل

في عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة : جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والأنصار تسعة وأربعون رجلاً .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء ، أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً . فالله أعلم .

وقال قتادة : عن أنس ، قُتل من الأنصار يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أنه كان يقول : قارب السبعين يوم أحد ، ويوم بئر معونة ، ويوم مؤتة ، ويوم اليمامة .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ، قُتل من الأنصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ، ويوم جسر أبي عبيدة سبعون .

وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن إسحاق فى قتلى أحد، ويشهد له قوله تعالى « أولمَّا أصابتكم مُصيبَةٌ قد أصبتم مثلها قتلتم : أنى هذا ^(١) » يعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسرُوا سبعين .

وعن ابن إسحاق : قتل من الأنصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون ، أربعة من المهاجرين : حمزة وعبد الله بن جحش ومُضْعَب بن عمير وشمَّاس بن عُمَان والباقون من الأنصار .

وسرد أسماءهم على قبائلهم . وقد استدرِك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلاً . وعن عروة : كان الشهداء يوم أحد أربعة ، أو قال سبعة ، وأربعين .

وقال موسى بن عقبة : تسعة وأربعون . وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلاً وقال عروة : تسعة عشر . وقال ابن إسحاق : اثنان وعشرون .

وقال الربيع عن الشافعى : ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عَزَّة الجحى ، وقد كان فى الأسارى يوم بدر ، فمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله ، فلما أسر يوم أحد قال : يا محمد امنن على لِيَمَانَى ، وأعاهد ألا أقاتلك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمداً مرتين ، ثم أمر به فضربت عنقه .

وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين ! »

فصل

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلقيته حَمَنَةَ بنت جحش كما ذكر لي ، فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مُصعب بن عمير فصاحت وَوَلَّوت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن زوج المرأة منها لبعكان ! » لما رأى من تثبتتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها .

وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا إسحاق بن محمد الفروى ، حدثنا عبد الله بن عمر ، عن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش ، عن أبيه ، عن حَمَنَةَ بنت جحش ، أنه قيل لها : قُتِل أخوك . فقالت : رحمه الله وإنا لله وإنا إليه راجعون . فقالوا : قتل زوجك قالت : واحزنناه !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للزوج من المرأة شُعْبَةٌ ما هي لشيء ! » قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل ، عن محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نَعُوا لها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أرونيهِ حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كلُّ مصيبة بعدك جَلَل .

قال ابن هشام : الجَلَلُ يكون من القليل والكثير ، وهو ههنا القليل . قال امرؤ القيس :

لَقَتَلُ بنى أسدٍ ربهم ألا كلُّ شيءٍ خلاه جَلَلٌ

أى صغير وقليل .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم » .
وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دُجَّانة » .

وقال موسى بن عقبة في موضع آخر : ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف علي مخصباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف » .

وروى البيهقي عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة : هالك السيف حميداً فإنها قد شفتني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كنت أجذت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دُجَّانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة » .

قال ابن هشام : وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو ذو الفقار .
قال : وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجيح قال : نادى منادٍ يوم أحد : لاسيف إلا ذو الفقار (١) .

قال : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي : « لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا » .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار بني عبد الأشهل ، فسمع

(١) ابن هشام : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا بنى إلا علي . ولا ندرى لماذا أسقطها ابن كثير !

البكاء والنواح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :
« لكن حمزة لا بواكى له » .

فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهن
أن يتحررن من ثم يذهبن فيبيكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال :
لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد
يبكين فقال : « ارجعن يرحمك الله فقد آسيتن بأنفسكن » .

قال : ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن النوح ، فيما قال ابن هشام .
وهذا الذي ذكره منقطع ومنه مرسل .

وقد أسنده الإمام أحمد فقال : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أسامة بن زيد .
حدثني نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من أحد فجعل نساء
الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ولكن حمزة لا بواكى له » .

قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : « فبين اليوم إذا يبكين يندبن حمزة » .
وهذا على شرط مسلم .

وقد رواه ابن ماجه ، عن هارون بن سعيد ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد الليثي ،
عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بنساء بني عبد الأشهل
يبكين هن لكاهن يوم أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكن حمزة
لا بواكى له » .

فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« ويجهن ما اتقبن بعد مرورهن ، فلينقبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » .

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أزقة المدينة إذا التوحُّ والبكاء في الدور قال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكي له » واستغفر له .

فسمع ذلك سعدُ بن معاذ وسعد بن عباد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة ، فمشوا إلى دورهم فجمعوا كلَّ نائحة باكية كانت بالمدينة ، فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عمَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا أن الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما هذا ؟ » فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم ، فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال : « ما هذا أردت ، وما أحبُّ البكاء » ونهى عنه .

وهكذا ذكر ابن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواء .

قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحزين المسلمين ، وظهر غش اليهود ، وفارت المدينة بالنفاق فور المرجل .

وقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنه طالب مُلك تكون له الدولة وعليه .

وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعمتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم .

فأنزل الله القرآن في طاعة مَنْ أطاع ونفاق من نفاق وتعزية المسلمين ، يعنى فيمن قُتل منهم فقال : « وإذ غدوتَ مِنْ أهلك تبوئُ المؤمنون مقاعد للقتال والله سميع عليم » الآيات كلها كما تكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمنة .

ذكر خروج النبي ﷺ بأصحابه

على ما بهم من القرح والجراح ، في أثر أبي سفيان ، إرهاباً له ولأصحابه
حتى بلغ حمراء الأسد ، وهي على ثمانية أميال من المدينة

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد ، وذكره رجوعه عليه السلام
إلى المدينة :

وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن أبي سفيان
وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً ،
أصبت شوكة القوم وخذمهم ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رءوس
يجمعون لكم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبهم أشد القرح - بطلب العدو ليستمعوا
بذلك ، وقال : لا ينطلقنّ معي إلا من شهد القتال . فقال عبد الله بن أبيّ : أنا راكب
معك . فقال : لا .

فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء . فانطلقوا .

فقال الله في كتابه : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ،
الذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيمٌ » (١) .

قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر ، حين ذكر أن أباه أمره بالمقام
في المدينة على أخواته .

(١) سورة آل عمران

قال : وطلب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العدوَّ حتى بلغ حمراء الأسد .
وهكذا روى ابن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير ، سواء .

وقال محمد بن إسحاق في مغازيه : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ،
أما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذنُ رسولِ الله
صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه : ألا يخرجنَّ أحدًا إلا من حضر
بومنا بالأمس . فكأمه جابر بن عبد الله فأذن له .

قال ابن إسحاق : وإنما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُرهبًا للعدوِّ لِيَبْنِعَهُمْ
أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوةً ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .
قال ابن إسحاق رحمه الله : فحدثني عبد الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت ، عن أبي
السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلا من بني عبد الأشهل قال : شهدتُ أحدًا أنا
وأخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في
طلب العدو قلت لأخي وقال لي : أتفوتنا غزوةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!
والله مالنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل . فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكنت أيسرَ جرحًا منه ، فكان إذا غلب حملته عُقبَةً ومشي عُقبَةً (١) ، حتى
انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء
الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء ثم
رجع إلى المدينة .

قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر [أن] معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبية ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهمته ، صَفَقْتُهُمْ ^(٢) معه لا يُخْفُونَ عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، مرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بجمراء الأسد ، فقال : يا محمد أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم .

ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالرَّوْحَاءِ ، وقد أجمعوا الرَّجْعَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدَّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم؟! لَنَكْرُرَنَّ على بقيتهم فلننْفِرْ غن منهم .

فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الخنق عليكم شيء لم أر مثله قط .

قال : ويحك ما تقول؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل .

قال : فوالله لقد أجمعنا الكفرة عليهم لتستأصل شاقهم . قال : فإني أهلك عن ذلك ، ووالله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر . قال : وما قلت؟ قال : قلت :

كادت تُهدُّ من الأصوات راحتي إذ سار لأرضُ الجرد الأبايل ^(٣)
تردي ^(٤) بأسدٍ كرام لا تنأبله عند اللقاء ولا ميميلٍ معازيل
فظلتُ عدواً أظنُّ الأرضَ مائلةً أمّا سموا برئيسٍ غيرِ مخدول

(١) ابن هشام : عيبية نصح لرسول الله . والعيبية : موضع السر . (٢) صَفَقْتُهُمْ : حلقهم .
(٣) الجرد : غتاق الخيل . والأبايل : الجماعات .
(٤) تردى : تسرع .

قلت ويل ابن حرب من لقاءكم إذا تَفَطَّمَتِ البطحاء بالجيل^(١)
إني نذير لأهل البسل^(٢) ضاحية لكل ذي إربة منهم ومقول
من جيش أحمد لا وخش^(٣) يقابله وليس بوصف ما أندرته بالقييل
قال : فتنى ذلك أبا سفيان ومن معه .

ومرّ به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : للدينة . قال : ولم ؟ قالوا
نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى مجدداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحل لكم
إيلكم هذه غداً زيبياً بمكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه
أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم .

فر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بجمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال
أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .
وكذا قال الحسن البصرى .

وقد قال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس ، أراه قال : حدثنا أبو بكر ، عن أبي
حصين ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل . قالها إبراهيم عليه
السلام حين أتى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : إن الناس قد جمعوا
لكم فأخشوم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .
تفرد بروايته البخارى .

وقد قال البخارى : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام ، عن
أبيه ، عن عائشة رضی الله عنها : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم
القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » قالت لعروة : يا ابن أختي كان أبواك

(١) تَفَطَّمَتِ : اهترت . والجيل : الصف من الناس . (٢) أهل البسل : قريش .
(٣) الوخش : الردى . وقى ابن هشام : تناقلة . والقنابل : جمع قبلة الطائفة من الناس والجيل .

منهم ، الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، فقال : من يذهب في إثرهم ؟ فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير .

هكذا رواه البخارى . وقد رواه مسلم مختصراً من وجهٍ عن هشام ، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحليدي جميعاً عن سفیان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طريقه . ، عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم في مستدرکه من طريق أبي سعيد عن هشام بن عروة به ، ورواه من حديث الشدى عن عروة ، وقال في كل منهما : صحيح ولم يخرجاه .

كذا قال . وهذا السياق غريب جداً ، فإن المشهور عند أصحاب المغازى أن الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد كلٌّ من شهد أحداً ، وكانوا سبعائة ، كما تقدم . قُتل منهم سبعون وبقي الباقون .

وقد روى ابن جرير من طريق العوفى ، عن ابن عباس قال : إن الله قذّف في قلب أبي سفیان الرعب يوم أحد بعد الذى كان منه ، فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة أحد في شوال ، وكان التجار يقدّمون في ذى القعدة المدينة فينزلون بيدر الصغرى في كل سنة مرة ، وإنيهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المسلمين القرحُ واشتكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد عليهم الذى أصابهم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا متّبعين وقال لنا : ترتحلون الآن فتأتون الحجّ ولا يقدرّون على مثلها حتى عام قابل .

فجاء الشيطان يخوف أوليائه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم . فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال : إني ذاهبٌ وإن لم يتبعنى أحد .

فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن

عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلا ، فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيمٌ » .
وهذا غريب أيضاً .

وقال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة ، أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى المدينة ، فقال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حرّبوا ، وقد خشينا أن يكون لهم قتالٌ غير الذي كان ، فارجعوا . فرجعوا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هُمّوا بالرجعة : « والذي نفسي بيده لقد سوّمت لهم حجارةً لو صبّحوا بها لكانوا كأسمٍ الذاهب ! » .

قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة ، معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، جد عبد الملك بن مروان لأمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجمحي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسره بيد رثم منّ عليه فقال : يا رسول الله أقلني ، فقال : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين . اضرب عنقه يا زبير . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغني عن ابن المسيّب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت » فضرب عنقه .

وذكر ابن هشام : أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمانُ على ألا يقيم بعد ثلاثٍ ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقتلاه . ففعلما رضي الله عنهما .

قال ابن إسحاق . ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان عبد الله بن أبيّ كما حدثني الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر له شرفاً في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخاطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به ، فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس .

حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، وأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أيّ عدوّ الله ، والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت .

فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنا قلت بُجراً^(١) أن قمتُ أشدّ أمره !

فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويحك مالك ؟ قال : قمت أشدّ أمره فوثب إليّ رجال من أصحابه يحبذونني ويعنفونني ، لكأنا قلت بُجراً أن قمتُ أشدّ أمره .

قالوا : ويحك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : والله ما أبغى أن يستغفر لي .

ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنون مقاعد للقتال والله سميعٌ عليم » .

قال : إلى تمام ستين آية . وتكلم عليها .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

(١) البجر : الشر والأمر العظيم .

ثم شرع ابن إسحاق في ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته .

فذكر من المهاجرين أربعة : حمزة ومُضْعَب بن عمير وعبد الله بن جَحْش وشمَّاس ابن عثمان رضى الله عنهم ، ومن الأنصار إلى تمام خمسة وستين رجلا . واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

ثم سمي ابن إسحاق مَنْ قَتَلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ اثْنَان وَعِشْرُونَ رجلا على قبائلهم أيضاً .

قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عَزَّة الجحفي ، كما ذكره الشافعي وغيره ، وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صَبْرًا بين يديه ، أمر الزبير ، ويقال : عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ، فضرب عنقه .

فصل

فما تقاوم به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الأشعار

وإنما نورد شعر الكفار لندكر جوابها من شعر الإسلام ، ليكون أبلغ في وقعها من الأسماع والأفهام ، وأقطع لشبهة الكفرة الطغام .

قال الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله : وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة

ابن أبي وهب الخزومي ، وهو على دين قومه من قريش ، فقال :

| | |
|----------------------------------|---|
| ما بالُ همِّ عميدٍ باتَ يَطرُقني | بالودِّ من هندی إذ تَعَدُو عواديها |
| باتت تعاتبني هندٌ وتعدُّلني | والحربُ قد شغلت عني مواليها |
| مهلاً فلا تعدُّليني إن من خلقي | ما قد علمت وما إن لست أخفيها |
| مُسَاعَفٌ لبني كعبٍ بما كلفوا | حَمَالُ عبءٍ وأثقالٍ أعانها |
| وقد حملتُ سلاحِي فوق مُشترَفٍ | ساطِ سَبُوحٍ إذا تجرَى بيارِها ^(١) |
| كأنه إذ جرى عيرٌ بفدفة | مُكَدَّمٌ لاحقٌ بالعون يحفيها ^(٢) |
| من آل أعوجٍ يرتاح الندى له | كجذع شعراءٍ مُستعلٍ مراقبها |
| أعدته ورقاق الحدب منتخلاً | ومارناً لخطوبٍ قد ألاقها ^(٣) |
| هذا وبيضاء مثل النهى مُحكمة | لظت علىَّ فما تبدو مساويها ^(٤) |
| سُقنا كنانة من أطراف ذي يمن | عُرُض البلاد على ما كان يُزجِها |
| قالت كنانة أئى تذهبون بنا | قلنا النخيل فأموها ومن فيها ^(٥) |

(١) مشترف : مشرف . والساطي : الفرس البعيد الخطو . والسبوح : الذي يسبح في جريه .

(٢) العير : حمار الوحش . والفدفة : الفلاة . والمكدم الغضض . والعون : جمع غانة وهو القطيع

من حمر الوحش . (٣) رقاق الحدب : السيوف . ومنتخلاً : متخيراً والمارن : الرمح الصلب المدن .

(٤) البيضاء : يريد بها الدرع . والنهى : الغرير . لظت : لصقت . (٥) النخيل : عين قرب المدينة .

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ^(١) مِنْ أَحَدٍ
 هَابَتْ مَعْدٌ فَقَلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا
 هَابُوا ضِرَابًا وَطَعْنَا صَادِقًا خَذِمًا
 مَا يَرُونَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا^(٢)
 وَقَامَ هَامٌ بَنِي النَّجَارِ يَبْكِيهَا^(٣)
 مِنْ قَيْضٍ رُبْدٍ نَفْتَهُ عَنْ أَدَاحِيهَا^(٤)
 بِال تَعَاوَرَهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا^(٥)
 وَنَطَعْنَ الْخَيْلَ شَزْرًا فِي مَاقِيهَا^(٦)
 يَخْتَصُّ بِالنَّقْرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا^(٧)
 جَرَبًا بُجَادِيَّةً قَدِ بَتَّ أُسْرِيهَا^(٨)
 مِنَ الْقَرَيْسِ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيهَا^(٩)
 كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةِ الْأَرْكَانِ أَجْمِيهَا^(١٠)
 مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَشْتَى يُغَالِيهَا^(١١)
 دَنَّتْ عَنِ السَّوْرَةِ الْعُلْيَا مَسَاعِيهَا

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

قال ابن هشام : وتروى لكعب بن مالك وغيره . قلت : وقول ابن إسحاق

أشهر وأكثر والله أعلم :

- (١) الجر : أصل الجبل . (٢) الحذم : القاطع . (٣) العارض : السحاب . ويرد : به برد ، وهو حب الغمام . (٤) القَيْض : القشرة العليا اليابسة من البيض . والرَبْد : النعام . والأداحى : جمع أدحى وهو مبيض النعام . (٥) ذَعْدَعْتَهُ : حركته . وتعاوَرَهُ : تتداوله . والسواقي : الرياح الشديدة . (٦) سَجَا : صبا . والشزر في الطعن : أن يكون من ناحية غير مستقيمة . (٧) يصطلى : يستدفئ . والنقري : الدعوة الخاصة ، أى يختص الأغنياء طلبا لمكافأته ، يصف شدة الزمان . (٨) أُنْدِيَّة : جمع ندى على غير قياس ، وقيل : لأنه جمع الجمع ، والجرباء : المقطعة . (٩) القريش : البرد الشديد . (١٠) الجاحمة : المتهمة . (١١) ابن هشام : بالثنى . وما هنا أوضح .

سُتَمَّ كِنَانَةَ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ مُجْنِدَ اللَّهِ مُخْزِيَهَا
أوردتموها حياض الموتِ ضاحيةً فالنارُ موعِدُهَا والقتلُ لاقِيهَا
جمعتموهمُ أحياناً بلا حَسَبِ أُمَّةِ الكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا
ألا اعتبرتُم بِخَيْلِ اللَّهِ إِذِ قَتَلْتُمْ أَهْلَ القَلْبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا
كَمْ مِنْ أُسِيرٍ فَكَنَّاهُ بِلا تَمَنِّ وَجَزَّ ناصيةً كُنَّا مَوَالِيَهَا

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبي وهب الخزومي أيضاً :

الأهل أُنَى غسانَ عَنَّا ودونهمُ من الأَرْضِ خَرَقَ سَيْرَهُ مُتَمَنِّعٌ (١)
صحارى وأعلامٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا من البُعْدِ تَقَعُ هَامِدٌ مُتَقَطِّعٌ (٢)
تَظَلُّ بِهِ البُرُلُ العَرَامِيسُ رُزْحًا وَيَحْمَلُوهُ بِهِ غَيْثُ السَّنِينِ فَيُمرَعُ (٣)
بِهِ جَيْفُ الحُسْرِى يَلُوحُ صَلِيبُهَا كَمَا لَاحَ كَتَّانُ التَّجَّارِ المَوْضِعِ (٤)
بِهِ العَيْنُ والآرامُ يَمشِينِ خِلْفَةً وَبِيبِضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ يَتَقَلِّعُ (٥)
مُجَالِدِنَا عَن دِينِنَا كُلُّ نَفْمَةٍ مُذْرَبَةٍ فِيهَا القَوَانِسُ تَلْعُ (٦)
وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَأَنَّهَا إِذَا لُبِسَتْ نَهَى مِنْ المَاءِ مُتَرَعٌ (٧)
وَأَكْبَنُ بِيَدْرِ سَائِلُوا مَنْ لَقِيمُ مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبِيَاءِ بِالغَيْبِ تَنْفَعُ
وَإِنَّا بِأَرْضِ الخَوْفِ لَوْ كَانِ أَهْلُهَا سَوَانًا لَقَدْ أَجْلُوا بِلَيْلٍ فَأَقْشَعُوا
إِذَا جَاءَ مَنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ أَعِدُّوا لِمَا يُزْجِي ابْنَ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ

- (١) المتنعع : المضطرب . (٢) الأعلام : الجبال . والقتام الغبار . والنعم : الغبار أيضاً .
(٣) البرل : جمع بزل . وهى الناقة التى تبلغ التاسعة . والعراميس : الصلبة . والرزح : المعية .
(٤) الصليب : وذلك العظام . والموضع : المبسوط .
(٥) العين : بقرة الوحش والآرام . وخلفة : قطعة وراء قطعة . والقيس : قشور البيض . ويتقلع : يتشقق .
(٦) مذربة : محدة . والقوانس : جمع قونس وهى بيضة السلاح .
(٧) كل صموت : أراد به الدرع . جعلها صموتاً لشدة نسجها وإحكام صنعها . والنهى : الغدير .
والمترع : الملى .

فَمَا يُهْمُ النَّاسَ مِمَّا يَكِيدُنَا فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
 فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ السَّبْرَةَ قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
 يُجَالِدُ لَا تُبْقِي عَلَيْنَا قَبِيلَةً مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَقْظَعُوا
 وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعَرِضِ قَالَتْ سُرَاتْنَا عَلَامٌ إِذَا لَمْ تَمْنَعِ الْعَرِضَ نَزَّرَعُ^(١)
 وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَتَّبِعُ أَمْرَهُ إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا تَنْظَلِعُ^(٢)
 تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ يُنَزَّلُ مِنْ جَوْوِ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
 نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا^(٣) إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَّوْنَا لَنَا ذَرُّوْا عَنكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
 وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقْرُبًا إِلَى مَلِكٍ يُحْيِيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ
 وَلَكِنْ خَذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
 فِسرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا نَتَخَشَعُ
 بَمَلُومَةٍ فِيهَا السَّنَوْرُ وَالْقَنَا إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوْرَعُ^(٤)
 فَجُنْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَعُّعٌ
 ثَلَاثَةٌ آلَافٌ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ثَلَاثُ مِثْلِينَ إِنْ كَثُرْنَا فَأَرْبَعُ^(٥)
 نَقَاوِرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنُشْرَعُ
 تَهَادَى قِسِيُّ التَّبَعِ فِينَا وَفِيهِمْ وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَثْرَبِيُّ الْمُقَطَّعُ^(٦)
 وَمَنْجُوفَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ يُدْرَأُ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةً تُضْنَعُ^(٧)

(١) العرض : سفح الجبل . وهو جبل أحد .
 (٢) لا تنظلع : لا تميل عنه .
 (٣) قصرنا : غابتنا . (٤) الملمومة : الكتيبة . والسنور : السلاح . لانورع : لا تكف .
 (٥) النصية : الحيار من القوم .
 (٦) النبع : شجر اللقيس والسهم ينبت في قلة الجبل . واليثربي : الوتر المنسوب إلى يثرب .
 (٧) المنجوفة : السهم . والحرمية : المنسوبة إلى الحرم . والصاعدية : منسوبة إلى صاعد ، كان يصنعها

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً
 وَخَيْلٌ تَرَاهَا بِالْفِضَاءِ كَأَنَّهَا
 فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرِّحَا
 ضَرَبْنَاهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَاقِيَهُمْ
 لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَفْقْنَا عَشِيَّةً
 وَرَاحُوا سِرَاعًا مُوجِعِينَ (٤) كَأَنَّهُمْ
 وَرَحْنَا وَأُخْرَانَا بِطَاءٍ كَأَنَّا
 فَنَلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرُبَّمَا
 وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ
 وَبِحْنِ أَنَا سٍ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
 جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا نَرَى
 بِنُو الْحَرْبِ لَا تَعْمِيًا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
 بِنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظَرْنَا فَاسْمَانَا بِفُحْشٍ
 وَكُنَّا شَهَابًا يَتَّقِي النَّاسُ حَرَّهُ
 نَفَرَتْ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَدَسَرَى
 فَسَلَّ عَنْكَ فِي عَمَلِيَا مَعَدَّةٍ وَغَيْرِهَا

تَمْرٌ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقَعَّمُ (١)
 جَرَادٌ صَبَأًا فِي قَرَّةٍ يَتْرِيَعُ (٢)
 وَبِئْسَ لِأَمْرِ حَمَّهَ اللَّهُ مَدْفَعٌ
 كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصْرَعٌ
 كَأَنَّ ذَكَانَا حَرَّ نَارٍ تَلْفَعُ (٣)
 جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعٌ (٥)
 أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْبِشَةٌ ضَلَعٌ (٦)
 فَعَلْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
 وَقَدْ جَعَلُوا كُلَّ مَنِ الشَّرِّ يَشْبَعُ
 عَلَى كُلِّ مَنِ يَحْمِي الدَّمَارَ وَيَمْنَعُ
 عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ
 وَلَا نَحْنُ مِمَّا جَرَّتْ الْحَرْبُ يُجْزَعُ
 وَلَا نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِنَا نَتَوَجُّعُ
 وَيَفْرُجُ عَنْهُ مَنْ يَلِيهِ وَيَسْفَعُ (٧)
 لَكُمْ طَابٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتَّبِعُ
 مِنَ النَّاسِ مِنْ أَخْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعُ

- (١) قال السهيلي : « يقول : تشق أبدان الرجال حتى تبلغ البصار فتقعقم فيها ، وهي جمع بصرة ، وهي حجارة لينة . ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة ، مثل كريمة وكرام . والبصيرة : الدرع ، وقيل : النرس » .
 (٢) الصبا : ربح شرقية . والقررة : الليلة الباردة . يتريع : يذهب ويحيى .
 (٣) ذكانا : حرارتنا في الحرب .
 (٤) الجهم : السحاب الرقيق .
 (٥) بيشة : موضع كثير الأسود . وفي ابن هشام : ظلم .
 (٦) يفرج عنه : ينسكشف . ويسفع : يالفح .

ومن هو لم يترك له الحرب مفخراً
 شدّ ذنا بحول الله والنصر شدة
 تَكَرُّهُ الْقَنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا
 عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطرُ
 فحَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَحَاذَوْا
 وَمَنْ خَذَهُ يَوْمَ الْكُرْبِيَّةِ أَضْرَعُ
 عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ شُرْعُ
 عَزَا إِلَى مَزَادٍ مَاؤَهَا يَتَهَزَّعُ^(١)
 بِذِكْرِ اللَّوَاءِ فَهُوَ فِي الْحَمْدِ أَسْرَعُ
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَمْرُهُ وَهُوَ أَضْنَعُ

قال ابن إسحاق : وقال عبدُ الله بن الزبَعْرَى في يومِ أُحُدٍ وهو يومُئذٍ مشركٌ بعدُ :

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ
 إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فَعَلْ
 إِنْ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدَى
 وَكَلَّا ذَلِكَ وَجْهَهُ وَقَبَلُ^(٢)
 وَالْعَطِيَّاتِ خِسَاسٌ بَيْنَهُمْ
 وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مُتْرٍ وَمُقَلٌّ
 كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ
 وَبِنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ
 أَبْلَغًا حَسَانَ عَنَى آيَةٌ
 فَقَرِيضُ الشَّعْرِ يَشْفِي ذَا الْعُلَلِ
 كَمْ تَرَى بِالْجُرِّ مِنْ جُجْمَةٍ
 وَأَكْفٍ قَدْ أَتَرَّتْ وَرِجِلُ^(٣)
 وَسِرَابِيلِ حِسَانٍ سُرِّيَتْ
 عَنِ كَمَاةٍ أَهْلَكُوا فِي الْمُنْتَزَلِ
 كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدِ
 مَا جَدِ الْجَدَّيْنِ مِقْدَامٍ بَطْلُ
 صَادِقِ النَّجْدَةِ قَرِيمٍ بَارِعِ
 غَيْرِ مُلْتَاثٍ لَدَى وَقَعِ الْأَسْلِ
 فَسَيْلِ الْمِهْرَاسِ مَا سَاكِنُهُ
 بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلِ^(٤)
 لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهْدُوا
 جَزَعَ الْخُرْجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ

(١) العزالي : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية . والزراد : جمع مزادة وهى الراوية .
 ويتهزج : يتقطع . (٢) القبل : العيان والمواجهة . (٣) الجر : أصل الجبل . وأترت : قطعت .
 (٤) المهراس : ماء بأحد . وفي ابن هشام : من ساكنه . والأقحاف : جمع قحف . والهام :
 الرءوس . والحجل : الذكر من القبيج .

حين حَكَتْ بقباءَ بَرَهْ كَمَا^(١) واستحَرَ القتلُ في عَبدِ الأشل
ثم خَفُوا عِنْدَ ذَاكُم رُقَصًا رَقَصَ الحَفَّانُ يعلو في الجبلِ^(٢)
فقتلنا الضُّفَّ من أشرفهم وعدلنا مَيْلَ بَدْرٍ فاعتدل
لألومِ النفسِ إلا أننا لو كررنا لفلعلنا المَفْتَعَلُ
بسيوفِ المندِ تعلمو هامهم عللاً تعلموهم بمدَّ نَهْلٍ

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبتُ بآبِنِ الزَّبْعَرَى وقعةٌ كان منا الفضلُ فيها لو عدل
ولقد نلتم وِنلنا منكم وكذلك الحربُ أحياناً دُولُ
نَضَعُ الأسيافَ في أكتافكم حيثُ نهوى عللاً بعد نَهْلٍ
نخرج الأصبَحَ مِن أستاذهم كسلاحِ النَّيبِ يأكلن العَصَلُ^(٣)
إذ تُؤلُون على أعقابكم هرباً في الشَّعبِ أشباه الرِّسَلِ^(٤)
إذ شددنا شدةً صادقةً فأجأناكم إلى سَفْحِ الجبلِ
بمخناطيلِ كأشداقِ المَلَأَ مَنْ يُلاقوه من الناسِ يَهْلُ^(٥)
ضاق عنا الشَّعبُ إذ نَجَزَعُه ومألأنا الفَرَطَ منه والرجلِ^(٦)
برجالٍ لستم أمثالهم أيدوا جبريلَ نصرأ فنزل^(٧)

(١) البرك : الصدر . وعبد الأشل : هم بنو عبد الأشهل .

(٢) الرقص : الحبيب في السير ، وهو الإسراع . والحفان : فراخ النعام .

(٣) الأصبغ : وصف اللبن المذوق المخرج من بطونهم ، كما قال السهيلي ١٥٨ / ٢ وتروى :

الأصياح . وهو اللبن الممزوج بالماء . والنيب : النوق السنة . والعصل : نبات يصلح الإبل إذا أكلته .

(٤) الرسل : الغنم إذا أرسلها الراعى ، والرسل : القطيع من كل شيء .

(٥) المخناطيل : الجماعات . والأشداق : جمع شدق ، وهو من الوادي عرضاه وناحيته . والملا :

القلاة ذات حر وسراب . ويهل : يفرح .

(٦) نجزه : نقطه عرضاً . والفراط : المرتفع من الأرض . والرجل : المطمئن منها .

(٧) أيدوا جبريل : أراد : أيدوا بجبريل .

وعولونا يومَ بدرٍ بالثَّقَى طاعةِ اللهِ وتصديقِ الرُّسُلِ
وقتلنا كلَّ رأسٍ منهمُ وقتلنا كلَّ جَحْجَاحٍ رِفَلٍ^(١)
وتركنا في قريشٍ عنورةً يومَ بدرٍ وأحاديثَ المثلِ
ورسولَ اللهِ حقًّا شاهدًا يومَ بدرٍ والتنايلِ الهبلِ^(٢)
في قريشٍ من جوعٍ جُمعوا مثلَ ما يُجمَعُ في الخِصْبِ المهملِ^(٣)
نحن لا أمثالكم وُلدُ استها تخضرُ البأسُ إذا البأسُ نزل

قال ابن إسحاق : وقال كعب يبيكى حمزة ومن قُتل من المسلمين يوم أحد ،
رضى الله عنهم :

نَشَجَتَ وهل لك من مَنشَجِ وكنت متى تدَّكرُ تَلَجَجِ
تَدَّكَّرُ قَومٍ أتاني لهم أحاديث في الزمن الأعوجِ
فَقَلْبُكَ مِنْ ذِكْرِهِمْ خَافِقٌ من الشوقِ والحزنِ المُنْضَجِ
وقِتْلَاهُمْ في حِثَّانِ النَعِيمِ كرامُ المداخِلِ والمَخْرَجِ
بما صَبَرُوا تحت ظلِّ اللوَاءِ لواءِ الرسولِ بذى الأضْوَجِ^(٤)
غداةَ أجابت بأسيافها جميعاً بنو الأوسِ والخزرجِ
وأشياعَ أحمد إذ شابعوا على الحق ذى النورِ والمَنهَجِ
فما بَرِحُوا يضربون السكِّاةَ ويمضون في القسطلِ المرهَجِ^(٥)

(١) الجحجاج : السيد . والرفل : الذى يجر ثوبه خيلاء .

(٢) التنايل : القصار . والهبل : الذين تفلوا لكثرة اللحم عليهم .

(٣) المهمل : الإبل المهمة التى تركت دون راع .

(٤) الأضوج : جمع ضوج ، وهو منعطف الوادى .

(٥) القسطل : الغبار .

كذلك حتى دعاهم مليكاً إلى جنة دَوْحة المَوْجِجِ (١)
وكلهم مات جُرَّ البلاء على ملة الله لم يخرج
كحزمة لما وفى صادقاً بنى هبة صارم سلجج (٢)
فلاقاه عبدُ بنى نوفل يُبربر كالجمل الأذعج (٣)
فأوجره حرَبَةً كالشهاب تلهب في اللهب الموهج
ونعمان أوفى بميثاقه وحظلة الخير لم ينجج (٤)
عن الحق حتى غدت روحه إلى منزل فاخر الزبرج (٥)
أولئك لا من ثوى منكم من النار في الدرك المرَّجج (٥)

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يهكى حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد ، وهي على روى قصيدة أمية بن أبي الصلت في قتلى المشركين يوم بدر .

قال ابن هشام : ومن أهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسان . والله أعلم :

يا مَيَّ قومي فاندبى بسُحَيْرَة شَجْوِ النوايح
كالخاملاتِ الوقرِ بالثقلِ الملحّاتِ الدوايح (٦)
المُعولاتِ الخامشاتِ وجوهَ حُرّاتِ صحاح
وكان سيلَ دموعها أنصباً تُخَضَّبُ بالذبايح
يتقضن أشعاراً لمن هناك بادية المسائح (٧)
وكنهنها أذنان خيالٍ بالضحى شمسي روامح

(١) الدوحة : الكثرية الأغصان . والموجج : المدخل .
(٢) السلجج : المرهف .
(٣) عبد بن نوفل : وحشى قاتل حمزة . ويبربر : يصبح . والأذعج : الأسود .
(٤) لم ينجج : لم يعل .
(٥) الزبرج : الوشى .
(٦) الدوايح : الخاملات الثقيل .
(٧) المسائح : ذوائب الشعر .

من بين مَشْرُورٍ ومَجٍ زورٍ يَدْعُذِعُ بالبوارح (١)
 يمكن شجواً مُسَلِّباتٍ كدَحَّتْهُنَّ الكوادِخُ
 ولقد أصاب قلوبها مَجَلٌ له جَلْبٌ قوارِخُ (٢)
 إذ أَقْصَدَ الحِذْثانِ من كنا نرَجِي إِذْ نُشايِخُ (٣)
 أصحابَ أَخْذِ غلْمٍ دهرٌ أَلَمَ له جوارِخُ
 من كان فارسنا وحا مينا إِذا بُعثَ المَسالِخُ (٤)
 يا حَمَزَ لا والله لا أَنساکَ ما صُرَّ نَمائِخُ
 لَمَنائِخُ أَيتامٍ وأضِ يافٍ وأرملَةٍ تَلامِخُ (٥)
 ولياً بنوب الدهر في حربِ حربٍ وهى لافِخُ
 يافارِساَ يامِذْرَهاَ حمزٌ قد كفت المِصامِخُ (٦)
 عنا شديداً الخنو ب إِذا يَنزوبُ لهن فادِخُ
 ذكَرْتَنِي أَسَدُ الرِسا ل وذلك مِذْرَهاَ المَنافِخُ
 عنا كان يعمدُ إِذِ عُدَّ الشريفةون الجِحاَجِخُ
 يملو القماقمَ جَهرةً سَبَطَ اليدينِ أَغرَّ واضِخُ
 لا طائِشٌ رَعِشٌ ولا ذو علةٍ بِالْحِمْلِ أَنِخُ (٧)
 بَحْرٌ فليس يَفْبُ جا رَأً مِنْه سَيْبٌ أو مَنادِخُ
 أَوْدَى شِبابٌ أُولى احفنا نُظِّ والثَقِيلون المَرادِخُ
 المُطعمون إِذا المُشاي تى ما يَصنَعْنَ ناضِخُ

- (١) المشرور: الذى وضعت له من خصفة ليحف. ويدعزع: يفرق. والبوارح: الرياح الشديدة.
 (٢) المجل: أن يكون بين الجلد واللحم ماء. والجاب: جمع جلبة وهو قشرة تعلو الجرح عند البرء.
 (٣) نشايخ: نخبز.
 (٤) المنائخ: جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن.
 (٥) تلامخ: تنظر نحوه ثم تغض بصرها. (٦) المصامخ: المدافع القوى.
 (٧) أنخ: ضعيف واهن. يقال أنخ البعير: إذا حمل الثقل أخرج من صدره صوت المعتصر.

لحم الجِلادِ وفوقه من شَحْمه شُطِبَ شَرَاخ
 لِيَدافعوا عن جارهم مارام ذو الضغن المَكاشح
 لهفي لِسْبَان رُزْءُ ناهم كأنهم المصاح
 شُمُّ بَطْـارِقَة غطا رفة خَضارمة مَسامح^(١)
 المُشْترون الحمدَ بالأموال إن الحمدَ رابح
 والجامزون بلُجْمهم يوماً إذا ماصح صامح^(٢)
 من كان يُرْمى بالنوا قر^(٣) من زمانٍ غير صامح
 بما إن تزال ركابه يرسمن في غُبر صحاصح^(٤)
 راحت تبارى وهو في ركبِ صدرهم رَواشح
 حتى تثوب له المعال لى ليس من فوز السفايح^(٥)
 ياحمز قد أُوْحِدْتنى كالعود شَذَبه الكوافح^(٦)
 أشكو إليك وفوقك التُّرْبُ المَكورُ والصفايح
 من جنديلٍ يلقىه فوقك إذ أجاد الضَّرْحَ ضارح^(٧)
 فى واسعٍ يحشونه بالتُّرْبِ سوَّته الماسح
 فعزأونا أنا نقول وقولنا بَرِّحْ بَوارح^(٨)
 من كان أمسى وهو عما أُوْقِعَ الحِدْثانُ جانح
 فليأتنا فلتتبعك عيناه لهلكانا النوافح^(٩)

- (١) البطارقة : الرؤساء ، والفظارفة : السادة . والحضارفة : السكترون من العطاء . والمسامح : الكرام .
 (٢) الجامزون : الوائبون . واللجم : جمع لجام . (٣) النواقر : الدواهي والمصائب .
 (٤) يرسمن : يسرن الرسم ، وهو نوع من سير الإبل . والغبر : جمع غرباء وهى الأرض : والصحاصح : الأرض المستوية .
 (٥) السفايح : جمع سفيح وهو من قداح الميسر . (٦) الكوافح : الذين يتناولونه بالقطم .
 (٧) الضرح : الحفر للميت . (٨) برح : صعب . (٩) النوافح : من ينفخون بالعطاء والخير .

القائلين نفاعلين ذوى الساحة والمآدخ
من لا يزال ندى يديه له طوال الدهر مائع^(١)
قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر سكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكي حمزة وأصحابه :

طَرَقَتْ هُمُومَكَ فَالْقَادِ مَسْهَدٌ وَجَزَعَتْ أَنْ سَأَخَ الشَّبَابُ الأَغْيَدُ
وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةً فَهَوَاكَ غَوْرِيٌّ وَصَحْوُكَ مُنْجِدُ
فَدَعَ التَّمَادِي فِي الغَوَايَةِ سَادِرًا قَد كُنْتُ فِي طَلَبِ الغَوَايَةِ تَفْنِدُ^(٢)
وَلَقَدْ أُنِي لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَانِعًا أَوْ تَسْتَفِيقُ إِذَا نَهَاكَ المُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِقَدْحِ حَمْرَةٍ هَدَّةً ظَلَّتْ بِنَاتُ الجُوفِ مِنْهَا تَرَعَدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاهُ بِمَثَلِهِ لَرَأَيْتُ رَاسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذَوَابِئِهِ هَاشِمٌ حَيْثُ النَبْوَةِ وَالنَدَى وَالسُّودُ
وَالعَاقِرُ الكُومَ الجِلَادِ إِذَا غَدَتْ رِيحٌ يَكَادُ المَاءَ مِنْهَا يَجْمَدُ
وَالنَّارُكَ القِرْنَ الكَمِيَّ مَجْدَلًا يَوْمَ الكَرِيهَةِ وَالقَنَا يَتَقَصَّدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الحَدِيدِ كَأَنَّهُ ذُو لِبْدَةِ شَنْ البِرَائِنِ أَرْبُدُ^(٣)
عَمَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدَ وَصْفِيهِ وَرَدَ الجِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ المَوْرُدُ
وَأُنِي المُنِيَّةَ مُعَلِمًا فِي أُسْرَةٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ المَسْتَشْهِدُ
وَلَقَدْ إِخَالَ بِذَلِكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ لِتُمِيَّتِ دَاخِلَ غُصَّةٍ لَا تَبْرُدُ
مِمَّا صَبَحْنَا بِالعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا يَوْمًا تَغِيْبُ فِيهِ عَنْهَا الأَسْعَدُ

(١) مائع : طالب مبيع . (٢) تفند : تعذل وتلام . (٣) ذو لبدة : يريد أسدا . والشتن : الغليظ . والبرائن للأسد كالأصابع للإنسان . والأربد : المغبر .

ويُنزِرُ بدرٍ إذ يردُّ وجوههم
 حتى رأيت لدى النبي مَرَاتِهِمْ
 فأقام بالعطن المعطن منهم
 وابن المغيرة قد ضَرَبْنَا ضَرْبَةً
 وأميةُ الجَمْحِيُّ قَوْمٌ مِيَالَهُ
 فأتاك فلَّ المشركين كأنهم
 شَتَّانٌ من هو في جهنم ثاويًا
 جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ
 قسمين نَقَتْلُ من نشاء ونطردُ
 سبعون عتبةُ منهم والأسودُ
 فوق الوريد لها رَشَاشٌ مُزْبِدُ
 عَضْبٌ بأيدي المؤمنين مُهِنْدُ
 والخليلُ تَتَفَنَّهُمْ (١) نَعَامٌ شُرْدُ
 أبداً ومن هو في الجنان مخلدُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رَوَاحَةَ يبيكى حمزة وأصحابه يوم أحد . قال ابن هشام : وأنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك . فالله أعلم :

بكت عيني وحق لها بكاهها
 على أسد الإله غداة قالوا
 أصيب المسلمون به جميعاً
 أبا يعلى لك الأركان هُددت
 عليك سلامُ ربك في جنان
 ألا يا هاشمَ الأخيار صبراً
 رسول الله مُصْطَبِرٌ كريمٌ
 ألا من مُبْلِغٍ عني لُؤيًّا
 وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا
 نسيتم ضَرَبْنَا بِقَلْبِ بدرٍ
 وما يُعْنَى البكاه ولا العويلُ
 أحزمة ذاكم الرجل القتلُ
 هناك وقد أصيبَ به الرسولُ
 وأنت الماجد البرُّ الوصولُ
 مخالطهم نعيمٌ لا يزولُ
 فكلُّ فعالكم حسنٌ جميلُ
 بأمر الله ينطق إذ يقول
 فبعد اليوم دائلةٌ تدولُ
 وقألنا بها يُسْفَى الغليلُ
 غداة أتاكم الموت العجيلُ

غداة ثوى أبى
وعتبه وان
ومتر كذا أمية مجلبياً
وهام بنى ربيعة سائلوها
ألا ياهند فابكى لا تملئ
ألا ياهند لا تبدي شماتاً
عنيه الطير حائمة تجول
وعتبه وان
ومتر كذا أمية مجلبياً
وهام بنى ربيعة سائلوها
ألا ياهند فابكى لا تملئ
ألا ياهند لا تبدي شماتاً

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب ،
وهي أم الزبير عمّة النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أجمعين :

أسائلة أصحاب أحد مخافة
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى
دعاه إله حق ذو العرش دعوة
فذلك ما كنا نرجى ونرتجى
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا
على أسد الله الذى كان مدرهاً^(٢)
فياليت شلوى^(٣) عند ذاك وأعظمى
أقول وقد أعلى النعمى عشرينى
بنات أبى من أعجم وخير
وزير رسول الله خير وزير
إلى جنسة يحياها وسرور
لحمزة يوم الحشر خير مَصير
بكاء وحزنًا محضرى ومسيرى
يزود عن الإسلام كل كفور
ندى أضبع حقادى وسور
جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شماس بن عثمان ، تبكى زوجها والله أعلم
ولله الحمد والمنة :

(١) مجلبياً : ممتداً على الأرض . والحيزوم : ما اكتشف الحلقوم من جيب الصدر . واللدن : اللين من الرماح .
(٢) المدره : المدافع الحامى .
(٣) الشلو : العضو .

يا عينُ جودى بفيضٍ غيرِ إنسائِ على كريمٍ من الفتيان لبَّاسِ
صعب البديهة ميمونٌ نقيتهُ حَمَّالُ ألويةِ رَكَّابِ أفراسِ
أقولُ لَمَّا أتى الناعى له جزعاً أودى الجوادُ وأودى لَطْمِ الكاسِ
وقلتُ لما خلتُ منه مجالسُهُ لا يُبعدُ اللهُ منَّا قُرْبَ شَمَّاسِ

قال : فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال :

أقنَى حياءك في سترٍ وفي كريمٍ فإنما كان شَمَّاسٌ من الناسِ
لا تقتلى النفسَ إذ حانت منيتهُ في طاعة الله يومَ الروعِ والباسِ
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبرى فذاق يومئذٍ من كأسِ شَمَّاسِ

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان حين رجعوا من أحد :

رجعتُ وفي نفسى بلابلُ جَمَّةٌ وقد فاتنى بعضُ الذى كان مَطْلِبِي
من اصحاب بدرٍ من قريشٍ وغيرهم بنى هاشمٍ منهم ومن أهلِ يثربِ
ولكننى قد نلتُ شيئاً ولم يكن كما كنتُ أرجو فى مَسِيرِي ومركي

وقد أورد ابن إسحاق في هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الإطالة وخوف الملالة ، وفيما ذكرنا كفاية . والله الحمد .

وقد أورد الأموي في مغازيه من الأشعار أكثر مما ذكره ابن إسحاق كما جرت عادته ، ولا سيما هاهنا .

فمن ذلك ما ذكره لسان بن ثابت أنه قال في غزوة أحد . فالله أعلم :

طاوعوا الشيطانَ إذ أخزاهمُ فاستبان الخِزْيُ فيهم والفشلُ
حين صاحوا صيحةً واحدةً معَ أبي سفيان قالوا أعلُ هُبَلُ
فأجبناهم جميعاً كلُّنا ربُّنا الرحمنُ أعلُ وأجَلُ

اثبتوا تستعملوها مرةً من حياض الموت والموت نُهَلْ
واعلهوا أنا إذا ما نضحت عن خيال الموت قَدِرْتُ تَشْتَعَلُ
وكأن هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبيرى . والله أعلم .
« آخر الكلام على وقعة أحد »

فصل

قد تقدم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا ، ومن أشهرها
وقعة أحد كانت في النصف من شوال منها ، وقد تقدم بسطها والله الحمد .

وفيها في أحد توفى شهيداً أبو يعلى ، ويقال أبو عمارة أيضاً ، حمزة بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الملقب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبي صلى
الله عليه وسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، أرضعتهم ثؤيبية مولاة أبي لهب ، كما ثبت
ذلك في الحديث المتفق عليه .

فعلى هذا يكون قد جاوز الحسين من السنين يوم قتل رضى الله عنهم ، فإنه كان
من الشجعان الأبطال ومن الصديقين الكبار ، وقتل معه يومئذ تمام السبعين . رضى
الله عنهم أجمعين .

وفيها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
وفاة أختها رقية ، وكان عقده عليها في ربيع الأول منها ، وبني بها في جمادى الآخرة
منها . كما تقدم فيها . ذكره الواقدي .

وفيها قال ابن جرير : ولد لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي
ابن أبي طالب . قال : وفيها علقت بالحسين رضى الله عنهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

في المحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسدي ، فانتهى إلى ما يقال له قطن .

قال الواقدي : حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعي ، عن سلمة ابن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره ، قالوا : شهد أبو سلمة أحداً فجرح جرحاً على عضده ، فأقام شهراً يداوى ، فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة ، دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اخرج في هذه السرية فقد استعملتُك عليها . وعقد له لواء وقال : سير حتى تأتي أرض بني أسد فأعز عليهم ، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً .

وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة .

فانتهى إلى أدنى قطن ، وهو ماء لبني أسد ، وكان هناك طليحة الأسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد ، وقد جمعوا حلفاء من بني أسد ليقصدوا حرب النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما تمالأوا عليه فبعث معه أبا سلمة في سرية هذه .

فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعا كثيراً لهم من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كله أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة مماليك ، وأقبل راجعاً إلى المدينة ، فأعطى ذلك الرجل

الأسدى الذى دلّهم نصيباً وافرأ من المغنم ، وأخرج صَفِيّ النّبى صلى الله عليه وسلم ، عبدأ
وخمس الغنيمة ، وقسمها بين أصحابه . ثم قدم المدينة .

قال عمر بن عثمان : فحدثني عبد الملك بن عبيد ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن
ربوع ، عن عمر بن أبى سلمة قال : كان الذى جرح أبى أبو أسامة الجُشمى ، فكث
شهرأ يداويه فبرأ ، فلما برأ بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم ، يعنى من سنة
أربع ، إلى قَطَن ، فغاب بضع عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث
بقيّن من جمادى الأولى .

قال عمر : واعتدّت أمى حتى خلت أربعة أشهر وعشر ، ثم تزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودخل بها فى ليال بقيّن من شوال ، فكانت أمى تقول :
ما بأسٌ بالنكاح فى شوال والدخول فيه ، قد تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
شوال وبنتى فيه .

قال : وماتت أم سلمة فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين .

رواه البيهقى .

قلت : سند كرفى أواخر هذه السنة فى شواها تزيج النّبى صلى الله عليه وسلم
بأم سامة ، وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمّه فى النكاح ، ومذاهب العلماء فى ذلك .
إن شاء الله تعالى . وبه الثقة .

غزوة الرّجيع

قال الواقدي : وكانت في صفر يعني سنة أربع . بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ليحيزوه .

قال : والرّجيع على ثمانية أميال من عسفان .

قال البخاري : حدثني إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي ، عن أبي هريرة ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت ، وهو جدّ عاصم ^(١) بن عمر بن الخطاب .

فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ، ذكروا الحية من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فتبعوهم بقریب من مائة رايم ، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزله فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا : هذا تمر يثرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم .

فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدّقد ^(٢) ، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم المهدي والميثاق إن نزلتم إلينا إلا نقتل منكم رجلاً . فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا رسولك .

فقاتلهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة سر بالنبل .

وبقي خبيب وزيد ورجل آخر ، فأعطوهم العهد والميثاق ، فلما أعطوهم العهد والميثاق

(١) قال الحافظ عبد العظيم : غلط عبد الرزاق وابن عبد البر فقالا في عاصم هذا : هو جد عاصم بن عمر ابن الخطاب ، وذلك . هـ . وإنما هو خال عاصم ، لأن أم عاصم بن عمر جميلة بنت ثابت ، وعاصم هو أخو جميلة . ذكر ذلك زبير القاضي وعمه مصعب . لإرشاد الساري ٣١٢/٦ .
(٢) فدّقد : را . مشرفة .

نزّلوا إليهم ، فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتارَ قسيّهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذي معهما : هذا أول الغدر ! فأبى أن يصحبهم . فخرّوه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل ، فقتلوه .

وانطلقوا بحُبيّب وزيد حتى باعوهما بمكة ، فاشترى حُبيّباً بنو الحارث بن عاصم بن نوفل ، وكان حُبيّب هو قتل الحارث يوم بدر ، فكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعمار موسى من بعض بنات ^(١) الحارث يستعدُّ بها فأعارته .

قالت : ففعلتُ عن صبيّ لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على نخذه ، فلما رأيته فرعتُ فرعةً عَرَفَ ذلك مني ، وفي يده الموسى فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

وكانت تقول : : ما رأيتُ أسيراً قط خيراً من حُبيّب ، لقد رأيته يأكل من قِطْفِ عنب وما بمكة يومئذٍ من ثمرة ، وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقاً رزقه الله .

فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعوني أصلي ركعتين ، ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أن مابى جزعٌ من الموت لزدت . فكان أول من سنَّ الركعتين عند القتل هو . ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً . ثم قال :

ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً على أى شقٍ كان فى الله مضرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصالِ شلوٍ مُمرّعٍ ^(٢)

قال : ثم قام إليه عُقبه بن الحارث فقتله ، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم ^(٣) يوم بدر ، فبعث الله

(١) اسمها زينب بنت الحارث : أخت عقبه بن الحارث الذى قتل حبيبا .
(٢) أوصال : جمع وصل وهو العضو . والشلو : الجسد والعضو . (٣) قيل : هو عقبه بن أبي معيط .

عليه مثل الظلّة من الدبر^(١) فحمته من رُسُلهم فلم يقدروا منه على شيء .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله يقول : الذى قتل خبيباً هو أبو سرّوعة .

قلت : واسمه عقبه بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك ، وله حديث فى الرضاع وقد قيل إن أبا سرّوعة وعقبه أخوان . فالله أعلم .

هكذا ساق البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه قصة الرّجيع . ورواه أيضاً فى التوحيد وفى الجهاد من طرق ، عن الزهرى ، عن عمرو بن أبى سفيان وأسد ابن حارثة الثقفى جليّف بنى زهرة ، ومنهم من يقول عمر بن أبى سفيان والمشهور عمرو .

وفى لفظ للبخارى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهطٍ سريةً عيناً ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح . وساق بنحوه .

وقد خالفه محمد بن إسحاق وموسى بن عقبه وعروة بن الزبير فى بعض ذلك .

ولنذكر كلام ابن إسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف ، على أن ابن إسحاق إمام فى هذا الشأن غير مدافع ، كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق !

قال محمد بن إسحاق : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهطٍ من عَصَل القارة ، فقالوا : يا رسول الله إنّ فينا إسلاماً فابعث معنا نفرّاً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئونا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرأ ستة من أصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوى ، حليف حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وهو أمير القوم .

وخالد بن البكير الليثي حليف بنى عدى ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بنى عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدى أخو بنى جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثينة أخو بنى بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر رضى الله عنهم .

هكذا قال ابن إسحاق أنهم كانوا ستة ، وكذا ذكر موسى بن عقبة وسامم كما قال ابن إسحاق .

وعند البخارى : أنهم كانوا عشرة ، وعنده أن كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : فخرجوا^(١) مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهدأة^(٢) غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يرع القوم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوم ، فأخذوا أسياقهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .

فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، وقال عاصم بن ثابت . والله أعلم والله الحمد والمنة :

ما علّتى وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل^(٣)

(١) ابن هشام : فخرج . (٢) الهدأة : موضع بين عسفان ومكة ، على سبعة أميال من عسفان .

(٣) النابل : صاحب النبل . والعنابل : الغليظ .

تزلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ^(١) الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَهُ نَازِلٌ بِالْمَرَّةِ وَالْمَرَّةِ إِلَيْهِ آيَلٌ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَمَى هَابِلٌ

وقال عاصم أيضاً :

أبو سليمان وريشُ المقعدِ وضالَّةٌ مثلُ الجحيمِ الموقدِ^(٢)
إذا النواحي افتُرشتْ لم أرعدِ ومُجَنَّاٌ من جِلْدِ ثورٍ أُجْرَدِ^(٣)
ومؤمِّنٌ بما على محمدِ

وقال أيضاً :

أبو سليمان ومثلي رامى وكان قومي معشراً كراماً

قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحبه .

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعه من سُلَاقَة بنت سعد بن سهيل ،
وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد : لئن قَدَرْتُ على رأس عاصم لتَشْرِبَنَّ
في قِحْفِهِ الخمر .

فمنعته الدَّبْرُ ، فلما حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يُمَسِّيَ فَيُذْهِبَ عَنْهُ فَنَأْخُذَهُ ،
فبعث الله الوادي فاحتملَ عاصماً فذَهَبَ بِهِ .

وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً ألا يَمَسَّهُ مشرك ولا يَمَسَ مشركاً
أبداً . تَنْجِسًا .

فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدَّبْرَ منعه : يحفظُ الله العبدَ المؤمنَ !

(١) المعابِل : جمع معبلة وهو نصل عريض طويل .
(٢) المقعد : رجل كان يريش السهام . والضالَّة : السلاح ، أو السهام .
(٣) الجنأ : الترس لاحتديد فيه . والأجرد : الأملس .

كان عاصم نذر الأيمسّه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته
كما امتنع منه في حياته !

قال ابن إسحاق : وأما خبيب وزيد بن الدثينة وعبد الله بن طارق ، فلانوا
ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة
ليبيعوم بها .

حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه
واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبّره بالظهران .

وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثينة ، فقدموا بهما مكة ، فباعوهما من قريش
بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيباً حُجَير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل
لمعبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه
ليقتله بأبيه .

قال : وأما زيد بن الدثينة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له
يقال له نسطاس إلى التنعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهط من قريش فيهم
أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك بالله يا زيد ، أنحب
أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟

قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا
جالس في أهلي .

قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحُبِّ أصحاب

محمدٍ محمداً !

قال : ثم قتله نسطاس .

قال : وأما خبيب بن عدى : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدّث عن ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندي خبيب حُبس في بيتي ، فلقد أطلمت عليه يوماً وإن في يده لقطعاً من عنق مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل !

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح أنهما قالا : قالت : قال لي حين حصّره القتل : ابغني إلى بحديدة أنظهرُ بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاماً من الحى الموصى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت . فقالت : فوالله إن هو إلا أن ولي الغلامُ بها إليه فقلت : ماذا صنعتُ؟! أصاب والله الرجل ناره ، يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل .

فلما ناوله الحديدية أخذها من يده ثم قال : لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدية إلى ! ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه .

وقال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إماما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرتُ من الصلاة .

قال : فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين (١) .

(١) في هامش الأصل : « حاشية بخط المصنف . قال السهيلي : وإنما صارت سنة لأنها فعلت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم واستحسن من صنيعه ، قال : وقد صلاها زيد بن حارثة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً . ثم قتله .

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيتهُ يُلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعي عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه .

وفي مغازي موسى بن عقبة : أن خبيبا وزيد بن الدثنة قُتلا في يوم واحد ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُمع يوم قُتلا وهو يقول : وعليكما أو عليك السلام . خبيب قتله قريش !

وذكر أنهم لما صلحوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه ، فما زاده إلا إيماناً وتسليماً .

ثم ساق بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيشمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن الليث بن سعد قال : بلغني أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلا من الطائف واشترط عليه السكري أن ينزله حيث شاء ، فقال به إلى خربة فإذا بها قتلى كثيرة ، فلما هم بقتله قال له زيد : دعني حتى أصلي ركعتين . فقال : صل ركعتين ، فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً ! قال : فصليت ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين ، فإذا صارخ يقول : لا تقتله . فهاب وذهب ينظر فلم ير شيئاً ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين . فسمع أيضاً الصوت يقول لا تقتله . فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت يا أرحم الراحمين ، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربية في رأسها شعلة من نار فطعنه بها حتى أفضه فوق ميتنا ، ثم قال : لما دعوت الله في المرة الأولى كنت في السماء السابعة ، ولما دعوته في المرة الثانية كنت في السماء الدنيا ، ولما دعوته في الثالثة أتيتك .

قال السهيلي : وقد صلاها حجر بن عدى بن الأديب حين حمل إلى معاوية من العراق ومعه كتاب زيد ابن أبيه وفيه : أنه خرج عليه وأراد خلمه ، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين ، فلما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال : أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله . فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله .

قال : وقد عاتب عائشة معاوية في قتله فقال : إنما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعيني وحجراً فأني سألقاه على الجادة يوم القيامة ! . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : حين غاب منكم من قومي . اهـ .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه :
أحب أن محمداً مكانك ؟

قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه ! فضحكوا منه .
وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدثنة . فإله أعلم .
قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيباً .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ،
عن عقبة بن الحارث ، قال : سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيباً ، لأننا كنت أصغر من
ذلك ، ولكن أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة فجعلها في يدي ، ثم أخذ يدي
وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد
ابن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري
القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمه قدمها عليه فقال :
ياسعيد ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ، ولكنني كنت
فيمن حضر خبيب بن عدى حين قُتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي
وأنا في مجلس قط إلا غشي علي ! فزادته عند عمر خيراً .

وقد قال الأموي : حدثني أبي قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أن عمر قال : من
سره أن ينظر إلى رجل نسيجٍ وحده فليُنظر إلى سعيد بن عامر .

قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه .
وقد روى البيهقي من طريق إبراهيم بن إسماعيل ، حدثني جعفر بن عمرو بن أمية ،
عن أبيه ، عن جده عمرو بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعثه عيناً وحده
قال : جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون ، فأطلقته فوقع إلى الأرض

ثم اقتحمتُ فانتبذت قليلاً ، ثم التفتُ فلم أر شيئاً ، فكأُنا بلعته الأرض ، فلم تُذكر
لخبيب رمةً حتى الساعة .

ثم روى ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : لما قُتل أصحاب الرّجيع قال ناس من المنافقين : يا ويح هؤلاء المقتونين الذين
هلكوا هكذا ، لاهم أقاموا في أهلهم ولاهم أدوا رسالةً صاحبهم .

فأنزل الله فيهم : « ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على
ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام ^(١) » وما بعدها .

وأنزل الله في أصحاب السرية « ومن الناس من يَشْرِي نفسه ابتغاءَ مَرْضاةِ الله والله
رهوف بالعباد ^(٢) » .

قال ابن إسحاق وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قولُ خبيب حين أُجمِعوا
على قتله . قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له :

| | |
|-----------------------------------|--|
| لقد جمع الأحزابُ حَوْلِي وألَّبوا | قبائلهم واستَجَمَعوا كلَّ تَجْمَعِ |
| وكلُّهم مُبْدِي العداوةِ جاهدُ | على لَأَنِّي في وِثاقٍ بِمَضْمَعِ ^(٣) |
| وقد جَمَعوا أبناءهم ونساءهم | وقُرِّبت من جذعٍ طويلٍ مَمْنَعِ |
| إلى الله أشكو غُرْبتي ثم كُرْبتي | وما أرصد الأعداء ^(٤) لي عند مصرعي |
| فذا العرشِ صَبْرني على ما يراد بي | فقد بضَّعوا الحمي وقد يأس مَطْمَعِي |
| وذلك في ذات الإله وإن يشأُ | بباركٍ على أوصالٍ شَلُوٍ مُمَزَّعِ |
| وقد خيَّروني الكفرَ والموتُ دونه | وقد هملت عيناى من غيرِ مُجَزَّعِ |
| وما بي حذارُ الموتِ إني لميتُ | ولكن حذارى جَحَمِ نارٍ مُلْفَعِ |

(١) سورة البقرة ٢٠٤ . (٢) سورة البقرة ٢٠٧ . (٣) ابن هشام: بمصيه . (٤) ابن هشام: الأحزاب .

فوالله ما أرجو إذا ميتٌ مسلماً
على أى جنبٍ كان في الله مضجعي
فلستُ بمبديٍّ للعدوِّ تحشعاً
ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي
وقد تقدم في صحيح البخارى بيتان من هذه القصيدة وهما قوله :

فلست أبالي حين أقتلُ مسلماً
على أى شِقِّ كان في الله مضرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصالٍ شلُّوا ممزَع

وقال حسان بن ثابت يرثي خبيباً فيما ذكره ابن إسحاق :

ما بال عينك لا ترقأ مدامعها
سحاً على الصدرِ مثل اللؤلؤ القلق^(١)
على خبيبٍ فتى الفتيان قد علموا
لا فشىل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خيبُ جزاك الله طيبةً
وجنةً أخلد عند الحور في الرفق
ماذا تقولون إن قال النبي لكم
حين الملائكة الأبرار في الأفق
فيم قتلتهم شهيد الله في رجل
طاغٍ قد أوعث في البلدان والرفق^(٢)
قال ابن هشام : تركنا بعضها لأنه أفدع فيها .

وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع من بنى لحيان ، فيما ذكره ابن إسحاق
والله أعلم والله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة :

إن سرك الغدرُ صرفاً لا مزاج له
فأت الرجيع فسأل عن دار لحيان
قومٌ تواصوا بأكل الجار بينهم
فالكلبُ والقرد والإنسان مثلان
لو ينطق التيس يوماً قام يخطبهم
وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شانٍ
وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يهجو هذيلاً وبنى لحيان على غدورهم بأصحاب الرجيع
أرضى الله تعالى عنهم أجمعين :

لعمري لقد شانت هذيل بن مدركٍ أحاديثُ كانت في خبيب وعاصم

(١) القلق : التحرك المنساق . والأصل : الفلق . و ما أنبته عن ابن هشام .

(٢) الرفق : جمع رفة .

أحاديثُ لِحْيَانٍ صَلَّى بَقِيحِهَا
 أَنَسٌ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ
 هُمْ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمْتُ
 رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ غَدْرًا وَلَمْ تَكُنْ
 فَسُوفَ يَرَوْنَ النَّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ
 أَبَابِيلُ دَبْرَ شَمْسٍ دُونَ لَحْمِهِ
 لَعْلٌ هَذِيبٌ لَأَنْ يَرَوْا بِمَصَابِهِ
 وَتُوقِعُ فِيهَا وَقْعَةً ذَاتَ صَوْلَةٍ
 بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ
 قَبِيلَةٌ لَيْسَ الْوَفَاءُ بِهِمْ
 إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْقَضَاءِ رَأَيْتَهُمْ
 مَحْلَمُهُ دَارَ الْبُورِ وَرَأَيْتَهُمْ
 وَلِحْيَانُ جَرَّامُونَ شَرَّ الْجَرَائِمِ
 بِمَنْزِلَةِ الزَّمْعَانِ دُبْرَ الْقَوَادِمِ (١)
 أَمَاتَهُمْ ذَا عَفَاةٍ وَمَكَارِمِ
 هَذَا لِيُتَوَقَّى مُفْكَرَاتِ الْحَارِمِ
 بِقَتْلِ الَّذِي تَحْمِيهِ دُونَ الْجَرَائِمِ
 حَمَتْ لَحْمَ شَهَادِ عَظِيمِ الْمَلَّاحِمِ (٢)
 مَصَارِعَ قَتْلَى أَوْ مَقَامًا لَمَاتِهِمْ
 يُوَافِي بِهَا الرِّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
 رَأَى رَأَى ذِي حِزْمٍ بِلِحْيَانِ عَالِمِ
 وَإِنْ ظَلَمُوا لَمْ يَدْفَعُوا كَفَّ ظَالِمِ
 بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْحَارِمِ (٣)
 إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ كَرَّ أَى الْبِهَائِمِ

وقال حسان رضى الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرجيع ويسميهم بشعره ، كما ذكره

ابن إسحاق رحمه الله تعالى :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا
 رَأْسُ السَّرِيَةِ مَرْتِدٌ وَأَمِيرُهُمْ
 وَابْنُ لِيَطَارِقُ وَابْنُ دَثَنَةَ مِنْهُمْ
 وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ
 حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبٌ
 يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثْبِتُوا
 وَابْنُ الْبُكَيْرِ إِمَامُهُمْ وَخَيْبٌ
 وَوَفَاءُ نَمَّ حَامُهُ الْمَكْتُوبُ
 كَسَبَ الْمَعَالِي إِنَّهُ لَكَسُوبُ
 حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبٌ
 مَنَعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَبَالُوَ ظَهْرَهُ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

(١) الزمعة : هنة زائدة وراء الظلف أو شبه أظفار الغنم في الرسغ وأراد بالقوادم : الأيدي .
 (٢) الأبابيل : الجماعات . والدبر : ذكور النحل . والمامية : الملامح . والحروب : وفي ابن
 هشام : عظام الملاحم .
 (٣) الحارم : مسابيل الماء .

سرية عمرو بن أمية الضمري

على أثر مقتل خبيب

قال الواقدي : حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، وعبد الله بن أبي عبيدة ، عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن ^(١)] عمرو بن أمية الضمري ، وعبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عوف ، وزاد بعضهم علي بعض قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة : ما أحدٌ يفتال عمداً فإنه يمشى في الأسواق فندرك ثأرنا ؟ فاتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له : إن أنت وفيتني خرجتُ إليه حتى أغتاله ، فإني هادٍ بالطريق خريّت ، معي خنجر مثل خافية النسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بغيراً ونفقة وقال : اطوِ أمرَك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحدٌ فينميه إلى محمد . قال : قال العربي : لا يعلمه أحد .

نخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً وصبحَ ظهرَ الحىِّ يوم سادسة ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه إلى بني عبد الأشهل .

نخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده . فلما دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : إن هذا الرجل يريد غدراً والله حائلٌ بينه وبين ما يريد . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . فذهب ينحني على رسول الله صلى الله عليه

(١) هذه الزيادة وما بعدها من أمثالها منقولة عن الطبري ٣ : ٣٢ .

وسلم كأنه يُسأَرُهُ فحَبَّذَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَقَالَ : تَنَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَذِبْ بِدَاخِلِ إِزَارِهِ ، فَإِذَا الْخَنْجَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا غَادِرٌ .

فَأَسْقَطَ فِي يَدِ الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ : دَمِي دَمِي يَا مُحَمَّدُ . وَأَخَذَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يُلَبِّبُهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اضِدَّقْتَنِي مَا أَنْتَ وَمَا أَقَدَمَكَ ، فَإِنْ صَدَّقْتَنِي نَفَعَكَ الصِّدْقُ ، وَإِنْ كَذَبْتَنِي فَقَدْ اطَّلَعْتُ عَلَى مَا هَمَمْتَ بِهِ . قَالَ الْعَرَبِيُّ : فَأَنَا آمِنٌ ؟ قَالَ : وَأَنْتَ آمِنٌ .

فَأَخْبَرَهُ نَجْبَرُ أَبِي سَفْيَانَ وَمَا جَعَلَ لَهُ . فَأَمَرَ بِهِ فُحْبِسَ عِنْدَ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، ثُمَّ دَعَا بِهِ مِنَ الْغَدِّ فَقَالَ : قَدْ آمَنْتُكَ فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ ، أَوْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ فَقَالَ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ .

فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَا مُحَمَّدُ مَا كُنْتُ أَفْرَقُ مِنَ الرِّجَالِ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُكَ فَذَهَبَ عَقْلِي وَضَعْفَتْ ثُمَّ اطَّلَعْتَ عَلَى مَا هَمَمْتُ بِهِ ، فَمَا سَبَقْتُ بِهِ الرِّكْبَانَ وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، فَعَرَفْتُ أَنَّكَ مَمْنُوعٌ ، وَأَنْتَ عَلَى حَقٍّ ، وَأَنْ حِزْبَ أَبِي سَفْيَانَ حِزْبَ الشَّيْطَانِ .

فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَّبِعُهُمْ . وَأَقَامَ أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَأْذَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ بَدْرٌ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمْرُو بْنِ أُمِيَةِ الصَّمْرِيِّ وَلِسَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمِ بْنِ حَرِيْسٍ^(٢) : أَخْرَجَا حَتَّى تَأْتِيَا أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَإِنْ أَصَبْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً فَاقْتُلَاهُ .

قَالَ عَمْرُو : نَخَرَجْتُ أَنَا وَصَاحِبِي حَتَّى أَتَيْنَا بَطْنَ يَأْجِجٍ ، فَقَيَّدَنَا بِعَيْرِنَا وَقَالَ لِي صَاحِبِي : يَا عَمْرُو هَلْ لَكَ فِي أَنْ نَأْتِيَ مَكَّةَ فَنَطُوفَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَنُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ فَقُلْتُ : [أَنَا أَعْلَمُ بِأَهْلِ مَكَّةَ مِنْكَ إِنْهُمْ إِذَا أَظْلَعُوا رِشْوًا أَفْنَيْتَهُمْ ثُمَّ جَلَسُوا بِهَا] ^(١) [بِئْسَ أَعْرَفُ

(١) من تاريخ الطبري : ٣٢٢/٣ . (٢) الأصل : حريش . وهو تحريف وما أنبته عن شرح

بمكة من الفرس الأبلق . فأبى عليٌّ فأنطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعاً^(١) وصلينا ركعتين ،
فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال : عمرو بن أمية ، واحزنناه . فنذير
بنا أهل مكة ، فقالوا : ماجاء عمرو في خير . وكان عمرو فأنكا في الجاهلية . فحشد أهل
مكة وتجمعوا ، وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل . قال عمرو :
فدخلت في غار ففتعيت عنهم حتى أصبحت ، وباتوا يطلبوننا في الجبل وعمى الله عليهم
طريق المدينة أن يهتدوا له ، فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله
التيمي يختلي لفرسه حشيشا فقلت لسلمة بن أسلم : إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد
انفضوا عنا . فلم يزل يدنو من باب الفار حتى أشرف علينا ، قال : فخرجت إليه فطعمته
طعنة تحت الثدي بخنجري ، فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت
إلى مكاني فدخلت فيه] وقلت لصاحبي : لا تتحرك . فأقبلوا حتى أتوه وقالوا : من قتلك؟
قال : عمرو بن أمية الضمري . فقال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت خير . ولم يستطع
أن يخبرهم بمكاننا؛ فإنه كان بأخر رمق فمات ، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فملوه ، فكثنا
ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [إلى التنعيم] فقال صاحبي :
يا عمرو بن أمية ، هل لك في خبيب بن عدى تنزله؟ فقلت له : أين هو؟ قال : هو ذاك
مصلوب حوله الحرس . فقلت : أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئا فأنحُ إلى بعيرك فاقعد
عليه فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ودعني فأبى عالم بالمدينة . ثم
استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى
استيقظوا فخرجوا في أثرى فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها ، يعنى صوتها ، ثم أهلت
عليه التراب برجلي ، فأخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا ، وكنت لا أدري مع
بقاء نفسي ، فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ،

(١) أسبوعاً : سبعا .

وأقبلتُ حتى أشرفت على الغليل غليل ضجفان ، فدخلتُ في غارٍ معي قوسي وأسهمي
وخنجرى ، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بنى الدَّيْل بن بكر أعور طويل يسوق غنما
ومعزى ، فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر . فقال : وأنا من
بنى بكر . ثم اتسكا ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

فأستُ بمُسلم مادمتُ حيًّا وأستُ أدِين دين المسامينا

فقلت في نفسي : والله إنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قتت إليه فقتلته شرًّا قتلة
قتلها أحد قط .

ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثما قريش يتجسسان
الأخبار ، فقلت : استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر
فشددته وثاقًا ، ثم أقبلت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما قدمتُ للمدينة أتى صبيانُ الأنصار وهم يلعبون ، وسمعوا أشياخهم يقولون :
هذا عمرو . فاشتد الصبيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، وأتته بالرجل قد
ربطت إبهامه بوتر قوسي ، فالتد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضحك !
ثم دعا لى بخير .

وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام .

رواه البيهقي .

وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم ير له رمةً ولا جسداً ، فاعله دُفن مكان
سقوطه ، والله أعلم .

وهذه السرية إنما استدركها ابن هشام على ابن إسحاق ، وساقها بنحو من سياق
الواقدي لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر ،
فإنه أعلم والله الحمد .

سَرِيَّةُ بَيْتِ مَعُونَةَ

وقد كانت في صفر منها . وأغْرَبَ مكحولٌ رحمه الله حيث قال : إنها كانت بعد الخندق .

قال البخاري : حدثنا أبو مَعْمَرٍ ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القُرَاءُ . فعرض لهم حَيَّانُ من بني سُلَيْمٍ : رِغْلٌ وَذَكَوَانٌ ، عند بَيْتٍ يقال لها بَيْتُ مَعُونَةَ ، فقال القوم : والله ما إياكم أَرَدْنَا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم . فقتلوه .

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم شهراً في صلاة الغداة ، وذلك بدء القنوت وما كنا نَقْنُتُ .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن خوه .

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رِغْلًا وَذَكَوَانًا وَعُصَيَّةً وَبَنِي لِحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَدُوِّهِمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، كُنَّا نَسْمِيهِمُ الْقُرَاءَ فِي زَمَانِهِمْ ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيَصَلُّونَ بِاللَّيْلِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْتِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَقْنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصَّبْحِ عَلَى أَحْيَاءِ مِنَ الْعَرَبِ : عَلَى رِغْلٍ وَذَكَوَانٍ وَعُصَيَّةً وَبَنِي لِحْيَانَ ، قَالَ أَنَسٌ : فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قِرَاءً ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ « بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا » .

ثم قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا همام ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث حراماً ،

أَخَا لَامٍ سُلَيْمٍ ، فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا ، وَكَانَ رَئِيسَ الْمُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ خَيْرٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ فَقَالَ : يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ وَلِي أَهْلُ الْمَدَرِ ، أَوْ أَكُونَ خَلِيفَتِكَ ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ عَظْفَانَ بِأَلْفٍ وَأَلْفٍ .
فَطَعَنَ عَامِرٌ فِي بَيْتِ أُمِّ فُلَانٍ ^(١) فَقَالَ : غُدَّةٌ كَنَسَدَةُ الْبَكْرِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلَانٍ ، انْتَوَى بِفَرَسِي . فَثَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ .

فَانْطَلَقَ حَرَامٌ أَحْوَامَ سُلَيْمٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ أَعْرَجٌ ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ فَقَالَ : كَوْنَا قَرِيبًا حَتَّى آتَيْهِمْ ، فَإِنْ آمَنُونِي كُنْتُمْ قَرِيبًا وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ أَحْسَابَكُمْ . فَقَالَ : أَنْتُمْ مَنُونِي حَتَّى أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لِجَعَلِ يَحْدِثْتَهُمْ وَأَوْمَأُوا إِلَى رَجُلٍ فَاتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ . قَالَ هَمَّامٌ : أَحْسَبُهُ حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرَّمْحِ . فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! فَزَتْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ !

فَلَحِقَ الرَّجُلَ فَقَتَلُوا كُلَّهُمْ غَيْرَ الْأَعْرَجِ ، وَكَانَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ، فَانْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا ثُمَّ كَانَ مِنَ الْمُنْسُوخِ : « إِنَّا لَقَدْ لَعَيْنَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا » .
فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا عَلَى رِغْلٍ وَذَكَوَانَ وَبَنِي حُلَيْمَانَ وَعَصِيَّةَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا حَبِيبَانُ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ ، حَدَّثَنِي ثُمَامَةُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : لَمَّا طَعَنَ حَرَامٌ بَنَ مَلْجَانَ - وَكَانَ خَالَه - يَوْمَ بَيْرِ مَعُونَةَ قَالَ بِالْدَمِ هَكَذَا ، فَفَضَّحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ ، وَقَالَ : فَزَتْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : لَمَّا قَتَلَ الَّذِينَ بَيْرَ مَعُونَةَ وَأَسْرَعُوا بَنِي الضَّمْرِيِّ قَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : مَنْ هَذَا ؟ وَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةَ : هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ قَالَ :

(١) طعن : أصابه الضاعون . وأم فلان : هي سلول بنت شيبان ، امرأة أخيه .

لقد رأيته بعد ما قُتل رفع إلى السماء حتى أتى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع .
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فنعام فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد
سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم
وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ، ومنذر بن عمرو
وسمى به منذر .

هكذا وقع في رواية البخاري مرسلًا عن عروة .

وقد رواه البيهقي من حديث يحيى بن سعيد عن أبي أسامة عن هشام ، عن أبيه عن
عائشة ، فساق من حديث الهجرة ، وأدرج في آخره ما ذكره البخاري ها هنا ، فإله أعلم .
وروى الواقدي عن مصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود وعن عروة ، فذكر القصة
وشأن عامر بن فهيرة وإخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء ، وذكر أن الذي قتله
جبار بن سلمى الكلابي .

قال : ولما طعمه بالرمح قال : فُزْتُ وربُّ الكعبة .

ثم سأل جبار بعد ذلك : ما معنى قوله : فُزْتُ ؟ قالوا : يعني بالجنة . فقال : صدق
والله . ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك !

وفي مغازي موسى بن عقبة ، عن عروة ، أنه قال : لم يوجد جسدُ عامر بن فهيرة ،
يروون أن الملائكة وارتته .

وقال يونس : عن ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعد أحد ،
بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، ثم بعث أصحابَ بئر معونة في صفر على رأس
أربعة أشهر من أحد .

فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،

وعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدِم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر مُلَاعِب الأَسِنَّة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يُسَلِّم ولم يُبَعِد وقال : يا محمد لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعَوْهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك .

فقال صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد .

فقال أبو براء : أنا لهم جازٍ .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو وأخا بني ساعدة ، المُعْنِق ليموت ، في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ، فيهم الحارث بن الصَّمة وحرام بن ملحان أخو بني عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصَّلْت السلمي ، ونافع بن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، في رجال من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُليم ، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوا إلى مادعاهم ، وقالوا : لن نُخَفِّرَ أبا براء وقد عَقَدَ لهم عَقْداً وجواراً .

فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سُليم ، عُصَيَّة ورِعْلا وذَكَوان والقارّة ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالم ، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قُتِلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم تركوه به رمق ، فارتث من بين القتلى فعاش حتى قُتِل يوم الخندق .

وكان في سَرَح القوم عمرو بن أمية الضَّمْرِي ورجل من الأنصار من بنى عمرو بن عوف فلم ينبثهما بمصاب القوم إلا الطيرُ تحوم حول العسكر فقالا : والله إن لهذه الطير

اشاناً ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دماهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصاري لعمر بن أمية : ماذا ترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر . فقال الأنصاري : لكني لم أكن لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لأخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قُتل ، وأخذ عمرو أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجزَّ ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فيما زعم !

قال : وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا في ظلِّه هو فيه ، وكان مع العامرين عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتم ؟ قالا : من بنى عامر . فأمرهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بالخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد قتلت قتيلين لأدبَ بينهما » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا عملُ أبي براء ، قد كنتُ لهذا كارهاً متخوفاً » .

فبلغ ذلك أبا براء فشقَّ عليه إخفارُ عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره .

فقال حسان بن ثابت في إخفار عامر أبا براء ويحرض بنى أبي براء على عامر :

بنى أمّ البنين ألم يرُغمكم
وأنتم من ذوائبِ أهلِ نجدِ
تهكّمُ عامرٍ بأبي براء
ليُخفره وما خطأ كعمدِ
ألا أبلغ ربيعة ذاللساعى فـ
أحدثت في الحدثنان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء
وخالك ماجدُ حكمِ بنِ سعدِ

قال ابن هشام : أم البنين أم أبي براء ، وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

قال : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعمه في نخذه فأشواه^(١) ووقع عن فرسه ، وقال : هذا عمل أبي براء ، إن أمت فدى لعمى فلا يقبعن به ، وإن أعش فسأرى رأبي .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل : مرثد بن أبي مرثد .
وقال حسان بن ثابت يبيح قتل بئر معونة ، فيما ذكره ابن إسحاق رحمه الله ، والله أعلم :

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| على قتلى معونة فاستهلى | بدمع العين سحًا غير نزرٍ |
| على خيل الرسول غداة لاقوا | ولاقتهم مناياهم بقدرٍ |
| أصابهم الفناء بعقد قوم | تخون عقد حبلهم بقدرٍ |
| فيالهفي لمنذر إذ تولى | وأعنى في منيته بصير |
| وكان قد أصيب غداة ذاكم | من أبيض ماجد من سير عمرو |

(١) أشواه : لم يصب مقاتله .

غزوة بني النضير

وهي التي أنزل الله تعالى فيها سورة الحشر

في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بني النضير .
وحكى البخاري عن الزهري ، عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بمد بدر ستة أشهر قبل أحد .

وقد أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري به .

وهكذا روى حنبل بن إسحاق ، عن هلال بن العلاء ؛ عن عبد الله بن جعفر الرقي ، عن مطرف بن مازن اليماني ، عن معمر ، عن الزهري ، فذكر غزوة بدر في سبع عشر رمضان سنة ثنتين .

قال : ثم غزا بني النضير ، ثم غزا أحداً في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع .

وقال البيهقي : وقد كان الزهري يقول : هي قبل أحد .

قال : وذهب آخرون إلى أنها بمد ، وبعد بئر معونة أيضاً .

قلت : هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم ، فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو ابن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر ، ولم يشعر بمدّها الذي معها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد قتلت رجلين لأديتهما » .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتاها عمرو بن أمية ، للعهد الذي كان صلى الله

عليه وسلم أعطاهما ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف ، فلما أتاهم صلى الله عليه وسلم قالوا : نعم يا أبا القاسم أعيذك على ما أحببت .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه . ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد . فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فَيَلْقَى عَلَيْهِ صَخْرَةً وَيَرْجِنَا مِنْهُ .

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القيام ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة .

فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه فقال : رأيتُه داخلاً المدينة . فأقبل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به . قال الواقدي : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهلُ النفاق يثبّتونهم ويحرضونهم على المُقَامِ وبعِدونهم النصرَ ، فقويت عند ذلك نفوسُهم ، وحمى حيُّ بن أخطب ، وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم لا يخرجون ، ونابدوه بنقض العهود .

فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .

قال الواقدي : فحاصروهم خمس عشرة ليلة .

وقال ابن إسحاق : وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وذلك في شهر

ربيع الأول .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل بهم فحاصروهم ست ليال ، ونزل تحريمُ الخمر

حينئذ ، وتحصنوا في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها .

قال : وقد كان رهطٌ من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ووديعه ومالك وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نُسلمكم ، إن قوتكم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله أن يُجلبهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حلت الإبلُ من أموالهم إلا الحائقة .

وقال العوفي : عن ابن عباس ، أعطى كلُّ ثلاثة بعيرا يعتقبونه [و] وسقاً^(١) .
رواه البيهقي .

وروى من طريق يعقوب بن محمد ، عن الزهري ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسامة ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن مسامة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال .

وروى البيهقي وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعوا وتعجلوا .
وفي صحته نظر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(٢) بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان من أشرف من ذهب منهم إلى خيبر : سلام بن أبي الحقيق وكفانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحُي بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

(١) الوسق : حمل البعير . (٢) النجاف : أسكفة الباب .

فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء ونفر ، ما رؤى مثله لحي من الناس في زمانهم .

قال : وخلقوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى النخيل والمزارع ، فكانت له خاصة يضمها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل ابن حنيف وأبا دجاجة ذكرا فقراً فأعطاهما ، وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة .
حكاة السهيلي .

قال ابن إسحاق : ولم يُسلم من بنى النضير إلا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأى ؟ فجعل يامين لرجل جُعللاً على أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله لعنه الله .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكلمها ، يذكر فيها ما أصابهم به من نعمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم .

ثم شرع ابن إسحاق يفسرها . وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطاً في كتابنا التفسير والله الحمد .

قال الله تعالى : « سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَأَنزَلْنَا اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ، وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ . ذَلِكَ

بأنهم شاقوا الله ورسوله، ومن يشاق الله فين الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين .

سبح سبحانه وتعالى نفسه السكرية ، وأخبر أنه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز ، وهو منبع الجناب فلا ترام عظمته وكبريائه ، وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدييره وتيسيره لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المفضى لقتالهم كما تقدم ، حتى حاصرهم المؤيد بالرعب والرهب مسيرة شهر ، ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال ، فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى انعموا وصالحوا على حقن دماهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركبهم ، على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانة لهم واحتقاراً ، فجعلوا يُخزّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم الجلاء وهو التسيير والنفي من جوار الرسول من المدينة لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوي وهو القتل ، مع ما أذخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدر لهم .

ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم وترك ما بقي لهم ، وأن ذلك كله سائغ فقال : « ما قطعتم من لينة » وهو جيد التمر « أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله » إن الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدرأً ، فلا حرج عليكم فيه ولنعم ما رأيتم من ذلك ، وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد ، إنما هو إظهار للقوة وإخزاء للكفرة الفجرة .

وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن قتبية ، عن الليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع ، وهى البؤيرة ، فأنزل

الله : « ما قطعتم من لينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين » .
وعند البخارى من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع ، وهى البويرة ، ولها يقول
حسان بن ثابت :

وهان على سرة بنى لؤى حريقٌ بالبويرة مستطيرٌ
فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :
أدام الله ذلك من صنيعٍ وحرَّق في نواحيها السعيرُ
ستعلم أينما منها بسترٍ وتعلم أى أرضينا نصيرُ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن

الأشرف قاله الله أعلم :

لقد خزيت بغدرتها الجبور^(١) كذاك الدهر ذو صرفٍ يدورُ
وذلك أهم كفروا ربِّ عظيمٍ أمره أمرٌ كبيرُ
وقد أوتوا معاً فهماً وعِلماً وجاءهم من الله النذيرُ
نذيرٌ صادقٌ أدى كتاباً وآياتٍ مبينةً تنيرُ
فقالوا ما أتيتَ بأمرٍ صدقٍ وأنت بمنكرٍ منا جديرُ
فقال بلى لقد أدبت حقاً يصدقنى به القهمُ الجبيرُ
فمن يتبعه يهْد لكلِّ رُشدٍ ومن يفر به يخِر الكفورُ
فلما أشربوا غدرًا وكفراً وجدَّ بهم من حقِّ النفورِ
أرى الله النبيَّ برأى صدقٍ وذنَّ الله يحكمُ الخورِ
فأيده وسلطه عليهم وكان نصيره من النصيرِ

(١) الجبور : جمع جبر ، وهم علماء اليهود .

فُقُودِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيحاً فذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
 عَلَى الْكُفَّيْنِ نَمٌّ وَقَدْ عَلَّتَهُ بِأَيْدِينَا مُشْمَرَةٌ ذُكُورُ
 بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
 فَاكْرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ وَمُحَمَّدُ أَخُو ثِقَةِ جَسُورُ
 فَتَلَّكَ بَنُو النَّضِيرِ بَدَارِ سَوْءٍ أَبَارَهُمْ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمِيرُ^(١)
 غَدَاةً أَتَاهُمْ فِي الزَّحْفِ رَهْوًا^(٢) رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرُ
 وَغَسَّانُ الْحِمَاةِ مُؤَاظِرُوهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرُ
 فَقَالَ السَّلْمُ وَيَحْكُمُ فَصَدُّوا وَخَالَفَ أَمْرَهُمْ كَذِبٌ وَزُورُ
 فَذَاقُوا غِيبَ أَمْرِهِمْ وَبِالَاءٍ لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرُ
 وَأَجْلُوهَا عَامِدِينَ لَقِينَعًا وَغُودِرَ مِنْهُمْ نَخْلٌ وَدُورُ
 وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ جَوَابَهَا لِسَمَالِ الْيَهُودِيِّ ، فَتَرَكَهَا قَصْدًا .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل في بني النضير قول ابن لقيم العبسي ، ويقال : قاله
 قيس بن بحر بن طريف الأشجعي :

أَهْلِي فِدَاءٍ لِأَمْرِي غَيْرِهَا لِكِ أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحِسِيِّ الزَّيْمِ^(٣)
 يَقِيلُونَ فِي جَمْرِ الْعِضَاءِ وَبَدَّلُوا أَهْيَضَ عَوْدًا بِالْوَدِيِّ الْمَكْمِ^(٤)
 فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلَا وَيَرْمَرُمِ^(٥)
 يَوْمَ بَهَا عَمْرُوبَنُ بَهْشَةَ إِنْهُمْ عَدُوٌّ وَمَا حَيُّ صَدِيقٌ كَجَجْرِمِ
 عَلَيْهِنَ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرٍ فِي الْوَشْيِ يَهْزُونُ أَطْرَافَ الْوَشْيِجِ الْمُقَوْمِ^(٦)

(١) أبارهم : أهلكتهم . (٢) رهوا : سيرا سهلا . (٣) الحسي : ما يحسى من الطعام والمزيم
 الرجل يكون في القوم ليس منهم . يريد : أحلهم بأرض غربة في غير عشائرتهم . وانظر الروض الأنيب
 ١٧٧ / ٢ . (٤) جر : الأصل خر . وما أنبته من ابن هشام . والعضاء : شجر . وأهيضب
 مكان مرتفع . والودي : صغار النخل . والمكّم : الذي خرج كأمه . (٥) الصلا : موضع . ويرمرم
 جبل . (٦) الوشيح : شجر الرمامح .

وكلّ رقيق الشفرتين مهتدٍ تُورثن من أزمان عادٍ وجُرمِ
فَن مُبَلِّغٍ عني قريشاً رسالةً فهل بعدهم في المجد من مُتكرِّمِ
بأن أخاهم فاعلمنّ محمداً تليد الندى بين الحجون وزمزمِ
فدِينُوا له بالحقّ تجسمِ أموركم وتسمو من الدنيا إلى كلِّ مُعظَمِ
نبيٌّ تلافنّه من الله رحمةً ولا تسألوه أمرَ غيبِ مرجَمِ
فقد كان في بدرٍ لعمرى عبرةً لكم يا قريش والقلبِ الملمَمِ
غداة أتى في الخزرجية عامداً إليكم مطيعاً للعظيم المكرمِ
معاناً بروح القدس ينكس عِدوّه رسولاً من الرحمن حقاً بمعلمِ
رسولاً من الرحمن يتلو كتابه فلما أنار الحقّ لم يتلعمِ
أرى أمره يزداد في كل موطن علواً لأمرِ حه الله مُحكمِ

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب ، وقال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين ، ولم أر أحداً يعرفها العلي :

عرفتُ ومن يعتدل يعرفِ وأبقتُ حقاً ولم أصدفِ
عن الكليم الحكيم اللاء من لدى الله ذى الرأفة الأرافِ
رسائل تُدرَس في المؤمنين بهن اصطفى أحمدَ المصطفى
فأصبح أحمدُ فينا عزيزاً عزيز المقامة والموقفِ
فيا أيها الوعوده سفاهاً ولم يأت جوراً ولم يعنفِ
السم تخافون أدنى العذابِ وما آمنُ الله كالأخوفِ
وأن نُصرعوا تحت أسيافه كضرع كعبِ أبي الأشرفِ
غداة رأى الله أطفيانه وأعرض كالجلج الأجنفِ
فأنزل جبريل في قتله بوحي إلى عبده مُلطفِ

فدسَّ الرسولُ رسولاً له بأبيض ذي هبةٍ مرهفٍ
فباتت عيونٌ له مَعُولَاتٍ متى يُنْعَ كعبٌ لها تَدْرِفِ
وقلن لأحمد ذرنا قليلاً فإننا من النوحِ لم نَشْتَفِ
نُفْلَاهُمُ ثم قال اطعنوا دُحوراً على رَغَمِ الآنفِ
وأجلى النضيرِ إلى غربةٍ وكانوا بدارِ ذوى زُخْرِفِ
إلى أذِرْعَاتِ رِدَافَاً وهم على كل ذى دُبْرِ أعْجِفِ
وتركنا جوابها أيضاً من سمال اليهودى قصداً .

ثم ذكر تعالى حكم الفداء ، وأنه حكم بأموال بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وملكها له ، فوضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراه الله تعالى .
كما ثبت في الصحيحين ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : كانت أموال
بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركابٍ ، فكانت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً ، فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقى
في الكراع والسلاح عدةً في سبيل الله عز وجل .

ثم بين تعالى حكم الفداء وأنه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم
وطريقتهم : « ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كي لا يكون دولةً بين
الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله
شديد العقاب » .

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم وعفان ، قالوا : حدثنا معتمر ، سمعت أبي يقول : حدثنا
أنس بن مالك ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات
أو كما شاء الله ، حتى فُتحت عليه قريظة والنضير ، قال : فجعل يردُّ بعد ذلك .

قال : وإنَّ أهلي أمروني أن آتي نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم أعطاه أمَّ أيمن أو كما شاء الله .

قال : فسألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأعطينهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول : كلا والله الذي لا إله إلا هو لا أعطيكن وقد أعطانيهن أو كما قالت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لك كذا وكذا . وتقول : كلاً والله .

قال : ويقول لك كذا وكذا . وتقول : كلا والله . قال : ويقول لك كذا وكذا حتى أعطاه حسبتُ أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال .
أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به .

ثم قال تعالى : ذمًّا للمنافقين الذين مالوا إلى بني النضير في الباطن كما تقدم ، ووعدوهم النصر فلم يكن من ذلك شيء ، بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم ، وغرَّوهم من أنفسهم فقال : « ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نُطِيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنَّكم والله يشهد إنهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولنَّ الأدبارَ ثم لا ينصرون . »

ثم ذمَّهم تعالى على جُبْنِهِمْ وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَخَفَةِ عَقْلِهِمِ النَّافِعِ ، ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشیطان حين « قال للإنسان : اكفر فلما كفر قال : إني بريء منك إني أخاف الله ربَّ العالمين ، فكان عاقبتهما أمهما في النار خالدین فيها وذلك جزاء الظالمين . »

قصة عمرو بن سُعدى القرظى

حين مرَّ على ديار بنى النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب ، وقد كانت بنو النضير أشرف منى بنى قريظة ، حتى حذاه ذلك على الإسلام وأظهر صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة .

قال الواقدي حدثنا ابراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سُعدى فأطاف بمنازلهم ، فرأى خرابها وفكر ، ثم رجع إلى بنى قريظة فوجدهم في الكنيسة ، فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل . وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية . قال : رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها ، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل ، ولا التوراة ما سلط هذا على قومٍ قط لله بهم حاجة ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزم ثم بيته في بيته آمننا ، وأوقع بابن سُنيفة سيدهم ، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود ، وكانوا أهل عُدَّة وسلاح ونجدة ، فحصرهم فلم يُخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً ، والله إنكم لتعلمون أنه نبي قد بشرنا به وبأمره ابن الهيثم أبو عمير وابن حراش ، وهما أعلم بها دجاء أنا يتوَكَّفان قدومه وأمرانا باتباعه ، جاءنا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ودفنناهما بحرّتنا هذه .

فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم .

ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخوَّفهم بالحرب والسِّبَاء والجلاء . فقال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأتُ صفته في كتاب باطا ، التوراة التي نزلت على موسى ، ليس في المتأني الذي أحدثنا .

قال : فقال له كعب بن أسد : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال أنت يا كعب . قال كعب : فلم ؟ والتوراة ما حُلَّتْ بينك وبينه قط .
قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعَقْدنا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبيتنا .
فأقبل عمرو بن سعدى على كعب ، فذكر ما تناقولا في ذلك ، إلى أن قال عمرو : ما عندي في أمره إلا ما قلت : ما تطيب نفسي أن أصير تابعا !
رواه البيهقي .

غزوة بني لحيان

التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان

ذكرها البيهقي في الدلائل ، وإنما ذكرها ابن إسحاق فيما رأته من طريق هشام عن زياد عنه في جمادى الأولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله أعلم .
وقال الخافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الخافظ ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره ، قالوا : لما أصيب خبيد وأصحابه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا بدمائهم ليصيب من بني لحيان غرةً ، فسلك طريق الشام ليرى أنه لا يريد بني لحيان حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رموس الجبال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أننا هبطنا عسفان لرأت قريش أننا قد جئنا مكة » .
فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم^(١) ثم انصرفا .
فذكر أبو عياش الزُّرْقِيُّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بعسفان صلاة الخوف .

(١) الغميم : و د أ م عسفان بثلثة أميال . يضاف إلى كراع ، جبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عيَّاش ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة ، فصلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصبنا غرَّتهم . ثم قالوا : تأتي الآن عليهم صلاةٌ هي أحبُّ إليهم من أبنائهم . وأنفسهم .

قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : « وإذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم الصلاة » .

قال : فحضرتُ ، فأمرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاحَ ، فصففنا خلفه صفين ، ثم ركع فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء ، وجاء هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء . قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد الصفُّ الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم . ثم انصرف .

قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بأرض عسفان ، ومرة بأرض بني سليم .

ثم رواه أحمد عن عُندَر ، عن شعبة ، عن منصور به ، نحوه .

وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور ، عن جرير بن عبد الحميد ، والنسائي عن الفلاس ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن محمد بن المثنى ، ووثندار ، عن عُندَر ، عن شعبة ، ثلاثهم عن منصور به .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه واحد منهما .

لسكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر

قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً من جُهينة ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، فلما أن صلى الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم مِئَلَةً لا تقطعناهم .

فأخبر جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وقالوا : إنه ستأتيهم صلاة هي أحبُّ إليهم من الأولاد » فذكر الحديث كنجو ماتقدم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا هشام ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظهرَ بنخلٍ ، فهمَّ به المشركون ثم قالوا : دَعُوهم فإن لهم صلاةً بعد هذه الصلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم .

قال : فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فصلى بأصحابه صلاةَ العصر ، فصفَّهم صفَّين بين أيديهم رسولُ الله والعدوُّ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبَّروا وكبَّروا جميعاً وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونهم والآخرون قياماً ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون ، ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء ، فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونه والآخرون قياماً ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون .

وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن أبي الزبير ، عن جابر . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا سعيد بن عبيد الهنأى ^(١) ، حدثنا عبد الله بن شقيق ، حدثنا أبو هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بين ضَجْنان وعُسْفان ، فقال المشركون : إن لهؤلاء صلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر ، فجمعوا أمرَكم فيلوا عليهم مِئَلَةً واحدة .

وإن جبريل أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقيم أصحابه شَطْرين فيصلي

(١) الهنأى : نسبة إلى هناة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، بطن من الأزدي . الباب ٣ / ٢٩٤ .

بعضهم ويقدم الطائفة الأخرى وراءهم ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ثم تأتى الأخرى فيصلون معه ، ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ، ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولرسول الله ركعتان .

ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الصمد به ، وقال الترمذى : حسن صحيح . قلت : إن كان أبو هريرة شهدها فهذا فهو بعد خير ، وإلا فهو من مُرسلات الصحابي ، ولا يضر ذلك عند الجمهور . والله أعلم .

ولم يذكر فى سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبى داود الطيالسى أمر عُسفان ولا خالد بن الوليد ، لكن الظاهر أنها واحدة .

بقى الشأنُ فى أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ؟ فإن من العلماء ، منهم الشافعى ، من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق ، فإنهم أخرجوا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ، ولو كانت صلاة الخوف مشروعاً إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازى : إن غزوة بنى لحيان التى صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بنى قريظة .

وقد ذكر الواقدى بإسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بإزائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا ، فأطلعنا الله على ما فى أنفسنا من الهم به ، فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف .

قلت : وعمره الحديبية كانت فى ذى القعدة سنة ست بعد الخندق وبنى قريظة كما سيأتى .

وفى سياق حديث أبى عيَّاش الزرقى ما يقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت فى هذه

الغزوة يوم عُثْفَان ، فاقتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاحها . والله أعلم .
وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب
« الأحكام الكبير » إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

غزوة ذات الرِّقَاع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير
شهرى ربيع وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من عَطْفَان
واستعمل على المدينة أبا ذر .

قال ابن هشام : ويقال : عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل نخلاً وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : لأنهم رَفَعُوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها
ذات الرقاع .

وقال الواقدي : يجبل فيه بُقَع حمر وسود وبيض .

وفى حديث أبي موسى : إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من

الخِرْق من شدة الحرِّ .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعاً من عطفان ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم

حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس
صلاة الخوف .

وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف هاهنا عن عبد الوارث بن سعيد التَّنُورِي ،

عن يونس بن عُبَيْد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ، وعن عبد الوارث ، عن

أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافع ،

عن ابن عمر ، ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ، ولم يتعرض
لزمان ولا مكان .

وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان
قبل الخندق نظر .

وقد ذهب البخارى إلى أن ذلك كان بعد خيبر ، واستدل على ذلك بأن أبا موسى
الأشعري شهدا ، كما سيأتى ، وقدمه إنما كان ليالى خيبر صحبة جعفر وأصحابه ،
وكذلك أبو هريرة ، وقد قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
نجد صلاة الخوف .

ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر إنما أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القتال أول ما أجازه يوم الخندق . وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : غزوت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فذكر صلاة الخوف .

وقول الواقدي : إنه عليه السلام خرج إلى ذات الرقاع في أربعائة ويقال سبعائة من
أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس . فيه نظر .

ثم لا يحصل به نجاته من أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد الخندق ، لأن الخندق
كان في شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل في شوال سنة أربع ، فتحصّل على هذا
القول مخلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا .

قصة غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق في هذه الغزوة : حدثني عمرو بن عبّيد ، عن الحسن ، عن جابر
ابن عبد الله ، أن رجلا من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب :

ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به.

قال: فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره. فقال: يا محمد، أنظرني إلى سيفك هذا؟ قال: نعم. فأخذه ثم جعل يهرزه ويهمم، فكبته الله. ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: لا، ما أخاف منك؟ قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يميني الله منك. ثم عمد إلى سيف النبي صلى الله عليه وسلم فردّه عليه.

فأنزل الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبدسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون^(١)».

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش أخي بني النضير وما هم به.

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدرى رأس الفرقة الضالة، وهو وإن كان لا يهتم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه والله الحمد.

فقد أورد الحافظ البيهقي هاهنا طرقالهكذا الحديث من عدة أماكن، وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن، أبي سنان وأبي سلمة عن جابر، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته القائلة في وادٍ كثير العِضاه^(٢)، ففترق الناس يستظلون بالشجر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه.

(٢) العِضاه: شجر عظيم له شوك.

(١) سورة المائدة.

قال جابر : فَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَأَجْبِنَاهُ ، وَإِذَا عِنْدَهُ
أَعْرَابِي جَالِسٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ
فَأَسْتَيْقِظُ وَهُوَ فِي يَدِي صَلْتًا ^(١) فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتَ : اللَّهُ . فَشَامَ السَّيْفَ
وَجَلَسَ . وَلَمْ يَمَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ .

وقد رواه مسلم أيضاً ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفان ، عن أبان ، عن يحيى بن
أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن جابر قال : أقبِلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى
إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرَّقَّاعِ ، وَكُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَيْفٌ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْلُوقٌ بِشَجَرَةٍ ،
فَأَخَذَ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ فَاخْتَرَطَهُ وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ : لَا .
قَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ . قَالَ : فَهَدَدَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ وَعَلَقَهُ .

قال : ونودي بالصلاة ، فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا ، وصلى بالطائفة الأخرى
ركعتين . قال : فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان .
وقد علقه البخاري بصيغة الجزم عن أبان به .

قال البخاري : وقال : مُسَدَّدٌ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشْرٍ ، إِنْ اسْمَ الرَّجُلِ غَوْرَثُ بَيْنَ الْحَارِثِ .
وَأَسْنَدُ الْبَيْهَقِيِّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَوَانَةَ ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ ، عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ
جَابِرٍ قَالَ : قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَارِبًا وَغَطْفَانَ بَنِي خَلٍ ، فَرَأَوْا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ غُرَّةً ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ وَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : اللَّهُ . فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ .

فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ وَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقَالَ : كُنْ خَيْرَ

(١) صلتا : مجردا من غمده ، بمعنى وصلت .

أخَذَ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : لا ، ولكن أعاهدك على ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك .

نُفِى سَبِيلِهِ ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ وَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدَ خَيْرِ النَّاسِ .

ثم ذكر صلاة الخوف ، وأنه صَلَّى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ ، بِكُلِّ طَائِفَةٍ رَكَعَتَيْنِ .

وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع ، عن صالح بن خوات بن جبير ،

عن سهل بن أبي حنمة ، وحديث الزهري ، عن سالم عن أبيه ، في صلاة الخوف بنجد .

وموضع ذلك كتاب الأحكام . والله أعلم .

قصة الذي أصيبت امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثني عمي صدقة بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن

عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل

فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب

محمد دما .

فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا

فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقالا :

نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بقم الشعب من الوادي . وهما عمّار بن ياسر وعبد بن

بشر ، فلما خرجا إلى قم الشعب قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن

أكفيك أوله أم آخره ؟ قال : بل أكفي أوله . فاضطجع المهاجري فنام وقام

الأنصاري يصلي .

قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيثة القوم ، فرمى بسهم

فوضعه فيه ، فانتزعه ووضعه وثبت قائماً . قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائماً . قال : ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهبَّ صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت .

قال : فوثب الرجل فلما رآها عرف أنه قد نذراً به ، فهرب .

قال : ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال : سبحان الله أفلا أهبتني

أول مارماك؟!

قال : كنت في سورة أقرؤها ، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع عليّ الرمي ركعتُ فآذنتك ، وأيم الله لولا أن أضيع نقرأ أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها !

هكذا ذكره ابن إسحاق في المغازي . وقد رواه أبو داود عن أبي توبة ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن صالح بن خوات ، عن أبيه ، حديث صلاة الخوف بطوله . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب في محالهم نسوة ، وكان في السبي جارية وضيئة ، وكان زوجها يحبها ، فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبتة ، ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق .

قال الواقدي : وكان جابر بن عبد الله يقول : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، فأقبل إليه أبوا ، أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه ، فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه ؟ فوالله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه !!

قصة جمل جابر في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال :
خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جبل لى
ضعيف ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرقاع تمضى وجعلت أتخلف ،
حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله
أبطأ بى جلى هذا . قال : أنخه . قال : فأنخته وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال : أعطنى هذه العصا من يدك أو اقطع عصا من شجرة . ففعلت فأخذها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب . فركبت ، فخرج والذى بعثه بالحق
يواهى ناقته مواهقة^(١) .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتبيعى جملك هذا يا جابر ؟
قال : قلت : بل أهبه لك . قال : لا وإلكن بعنيه ، قال : قلت : فسمنيه ، قال : قد أخذته
بدرهم ، قال : قلت : لا إذا تغبني يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ، قال : قلت : لا . قال :
فلم يزل يرفع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقية ، قال : فقالت : أفقد
رضيت ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته .

ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيباً أم
بكرأ ؟ قال : قلت : بل ثيباً . قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك !

قال : قلت يا رسول الله إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً ، فنكحت
امراًة جامعة تجمع روسهن فتقوم عليهن . قال : أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو جئنا
صِراراً^(٢) أمرنا بجزور فنحرت فأقننا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها . قال :
قلت : والله يا رسول الله مالنا نمارق . قال : إنها ستكون فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيتسأ .

(٢) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(١) المواهقة : المباراة .

قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا . قال : فحدثتُ المرأة الحديث وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدونك فسمع وطاعة .

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل فقال : ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعيت له ، قال : فقال : يا ابن أخى خذ برأس جملك فهو لك . قال : ودعا بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادنى شيئاً سيراً .

قال : فوالله ما زال ينمى عندى ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعنى يوم الحرّة .

وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمري ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بنحوه .

قال السهيلي : فى هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكنه فقال له : تمنّ علىّ . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » وزادهم على ذلك فى قوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فردّ عليهم أرواحهم التى اشتراها منهم فقال : « ولا تحسبنّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » والروح للإنسان بمنزلة اللطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال :

فلذلك اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جابر جملة ، وهو مطيته ، فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك .

قال : ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه .

وهذا الذى سلكه السهيلي هاهنا إشارة غريبة وتحليل بديع . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد ترجم الحافظ البيهقي فى كتابه « دلائل النبوة » على هذا الحديث فى هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظهر فى غزاته هذه من بركاته وآياته فى جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة ، وفيه اختلاف كثير فى كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط فى البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الأحكام والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة ، وجاء تقييده بغيرها ، كما سيأتى . ومُسْتَبْعَد تعداد ذلك والله أعلم .

غزوة بدر الآخرة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا إليها من أحد كما تقدم .

قال ابن إسحاق : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرأً وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان .

وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنّة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يامعشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عام جذب وإني راجع فارجموا .

فرجع الناس فسمّاهم أهل مكة جيشَ السويق يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق . قال : وأتى مخشئ بن عمرو الصّمري وقد كان وادع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ودّان على بني ضمرة فقال : يا محمد أجنّت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت ردّدنا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيداً .

قال ابن إسحاق : وقد قال عبد الله بن رواحة يعني في انتظارهم أبا سفيان ورجوعه

بقريش عامه ذلك . قال ابن هشام : وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك :

وَعَدْنَا أبا سفيان بَدْرًا فلم نجد
فَأَقْسِمُ لو لَأَقِيْتَنَا فَلَقيْتَنَا
تركنا به أوصال عتبة وابنه
عصيم رسول الله أف لدينكم
فإني وإن عَنَفْتُمُونِي لَتَقَاتِلُنَّ
أطعناه لم نَعَدْهُ فينا بغيره
لميعاده صِدْقًا وما مَكَانَ وافيًا
لَأُبْتِ ذَمِيما وافتقدت الموالِيَا
وعمرًا أبا جهل تركناه ناويًا
وأمركم السّيء الذي كان غاويًا
فدّى لرسول الله أهلي وماليًا
شهابًا لنافي ظلمة الليل هاديًا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دَعُوا فَلجأت الشام قد حال دونها
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم
إذا سلكت للغوز من بطن غالج
أقمنا على الرسّ النَّزوع ثمانيا
بكل كميّت جوزة نصف خلقه
تري العرفج العامي تَدْرِي أصوله
فإن تَلَقَّ في تطوافنا والتماسنا
وإن تَلَقَّ قيس بن امرئ القيس بعده
فأبلغ أبا سفيان عني رسالة

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وقد أسلم فيما بعد ذلك :

أحسان إنا يا ابن آكلة الفعّاء وَجَدْكَ نَقْتال الخروقَ كَذَلِكَ (٥)

(١) الفلجيات : جمع فلج ، وهو النهر الصغير . والأوارك : الإبل التي رعت الأراك .

(٢) الرس : البئر . والنزوع : القرية القمر . والأرعن : الجيش ذو الفضول .

(٣) الكميّت : الفرس . والجوز : الوسط . والقب : جمع أقب ، وهو الفرس الضامر البطن

والحوارك : جمع حارك وهو أعلى الكامل .

(٤) العرفج : شجر سهل . والعامي : الذي أتى عليه العام . والرواتك : المسرعة

(٥) الفعا : شيء كالثنين . والخروق : القفار . ونقتال : نقتل .

خرجنا وماتنجو اليعافيرُ بيننا ولو وألت منا بشدِّ مُدارِكِ (١)
 إذا ما انبعثنا من مُنَاخِ حَسْبَتِهِ مُدْمَنَ أَهْلِ الْمَوْسِمِ الْمُتَعَارِكِ (٢)
 أَمَّتْ عَلَى الرَّسِّ السَّرْوَعِ تَرِيدُنَا وَتَرَكْنَا فِي النَّخْلِ عِنْدَ الْمُدَارِكِ
 عَلَى الزَّرْعِ تَمْشَى خَيْلُنَا وَرِكَابُنَا فَمَا وَطِئَتْ الصَّقْفَةَ بِاللِّدِّ كَادِكِ (٣)
 أَقْمْنَا ثَلَاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ بِجُرْدِ الْجِيَادِ وَالْمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ (٤)
 حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ عِنْدَ فَنَائِكُمْ (٥) كَمَا خَذَكُمْ بِالْعَيْنِ أَرْطَالُ آتِكِ (٦)
 فَلَا تَبْعُثِ الْخَيْلَ الْجِيَادَ وَقُلْ لَهَا عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْمُعْصِمِ الْمُتَمَاسِكِ
 سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانِ أَهْلُهَا فَوَارِسُ مِنْ أَبْنَاءِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ
 فَإِنَّكَ لَا فِي هَجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا وَلَا حَرَمَاتٍ دِينِهَا أَنْتَ نَاسِكُ (٧)

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتاً لا اختلاف قوافيها .

وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن أبي عمير ، عن أنى الأسود ، عن عروة بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر الناس لموعده أبي سفيان ، وانبعث المنافقون في الناس يُكَبِّطُونَهُمْ ، فسلم الله أوليائه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وأخذوا معهم بضائع وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر .

(١) اليعافير : جمع يعفور وهو ولد الظبية . ووألت : احتمت . والشد : الجرى .

(٢) المدمن : الموضع به آثار الناس والدواب .

(٣) الكادك : جمع دكدك ، ماتكيس واستوى من الرمل ، أو أرض فيها غلظ .

(٤) الرواتك : التي تقارب في خطوها .

(٥) ابن هشام : عند قبائهم . ورواها ابن سلام في طبقات الشعراء : حول بيوتكم .

(٦) العين : المال ، والذهب ، والدينار . والآتك : الرصاص الأبيض . وقد ذكر المصهلي عن ابن

سلا . أن أبا سفيان بن حرب قال لأبي سفيان بن الحارث : يا ابن أخي لم جعلتها آتك ، إن كانت الفضة بيضاء جيدة !

(٧) وتروى : ولا حرمت الدين أنت بناسك .

ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنّة ، ورجوعه ، وفي مقابلة الضمري ، وعرض النبي صلى الله عليه وسلم والمناظرة فأبى ذلك .
قال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة . وكان خروجه إليها في مستهل ذي القعدة ، يعني سنة أربع .

والصحيح قول ابن إسحاق ، أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ، ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان ، لكن قال : في سنة ثلاث وهذا وهم ، فإن هذه توعدوا إليها من أحد وكانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدم . والله أعلم .
قال الواقدي : فأقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا كما قال الله عز وجل : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ^(١) » .

فصل

في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، يعني من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ست سنين ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرته والده عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قلت : وفيه توفي أبو سلامة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، وأمه برّة بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتضعا من ثويبة مولاة أبي لهب .

وكان إسلام أبي سلمة وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحد .

وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة وقد ولد لها بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة ، وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم . وشهد بدرأً وأحدأً ، ومات من آثار جرح جرّحه بأحد . رضى الله عنه وأرضاه . له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة ، سيأتي في سياق تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم سلمة قريباً .

قال ابن جرير : وفي ليال خلّون من شعبان منها ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم .

قال : وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، الهلالية .

وقد حكى أبو عمر بن عبد البر ، عن علي بن عبد العزيز الجرجاني أنه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استغربه وقال : لم أره لغيره . وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم وإحسانها إليهم . وأصدقها ثلثي عشرة أوقية ونشأ^(١) ودخل بها في رمضان ، وكانت قبله عند الطّفيّل بن الحارث فطلقها .

قال أبو عمر بن عبد البر ، عن علي بن عبد العزيز الجرجاني : ثم خاف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف .

قال ابن الأثير في الغابة : وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد .

(١) النش . نصف أوقية ، وهو عشرون درهما .

قال أبو عمر : ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضى الله عنها .
وقال الواقدي : في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية .

قلت : وكانت قبله عند زوجها أبي أولادها أبي سلمة بن عبد الأسد ، وقد كان شهيداً أحداً كما تقدم ، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ ، ثم خرج في سرية فغنم منها نهما ومغناً جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى من هذه السنة .

فلما حلت في شوال خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها بنفسه الكريمة وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً ، فتذكر أنها امرأة غيّرى ، أى شديدة الغيرة وأنها مُصِيبَةٌ ، أى لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون إلى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقال : أما الصَّبيَّةُ فإلى الله وإلى رسوله . أى نفقتهم ليس إليك ، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها .

فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم فزوّج النبي صلى الله عليه وسلم . تعنى قد رضيتُ وأذنت .

فتوهم بعضُ العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد ، وقد جمعتُ في ذلك جزءاً مفرداً بيّنت فيه الصواب في ذلك . والله الحمد والمنة .
وأن الذى ولى عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة ، وهو أكبر ولدها .

وساغ هذا لأن أباه ابن عمها ، فلابن ولاية أمه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوة بالإجماع . وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً .

فأما مخض البنوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده ، وخالفه الثلاثة :
أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله . ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه ، وهو كتاب
النكاح من الأحكام الكبير . إن شاء الله .

قال الامام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، يعني ابن سعد ، عن يزيد بن عبد الله
بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطالب ، عن أم سلمة قالت : أتاني
أبو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد سمعت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قولاً سررت به ، قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند
مصيبته ثم يقول : اللهم آجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها إلا فعل به » . قالت
أم سلمة : لحفظت ذلك منه .

فلما توفي أبو سلمة استرجعتُ وقلت : اللهم آجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها
ثم رجعت إلى نفسي فقلت : من أين لي خير من أبي سلمة ؟
فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لي ، ففسلت
يدي من القرض وأذنت له ، فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف ، فقعدها عليها فخطبني إلى
نفسى ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنى
امرأة بي غيرة شديدة ، فأخاف أن ترى منى شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت
في السن وأنا ذات عيال .

فقال : أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد
أصابني مثل الذى أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالى . فقالت : فقد
سلمتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبى سلمة خيراً
منه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عمر بن أبى سلمة ، عن أمه أم سلمة عن أبى سلمة به . وقال الترمذى حسن غريب . وفى رواية للنسائى عن ثابت عن ابن عمر بن أبى سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبه عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن قدامة الجحى عن أبيه ، عن عمر بن أبى سلمة به .

وقال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى من بدر الموعود - راجعاً إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع .

وقال الواقدى : وفى هذه السنة يعنى سنة أربع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود .
قلت : فثبت عنه فى الصحيح أنه قال : تعلمته فى خمسة عشر يوماً . والله أعلم .

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجندل في ربيع الأول منها

قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل (١).

قال ابن هشام: في ربيع الأول - يعني من سنة خمس - واستعمل على المدينة سبّاع بن عُرْفُطَةَ الْغِفَارِي .

قال ابن إسحاق: ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

هكذا قال ابن إسحاق .

وقد قال محمد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا: أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدْنُو إلى أداني الشام ، وقيل له: إن ذلك مما يُفزع قيصر ، وذكُر له أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يَظْهَرون من مرّ بهم ، وكان لها سوق عظيم ، وهم يريدون أن يَدْنُوا من المدينة .

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليلَ وَيَكْمُنُ النهار ، ووعه دليل له من بني عُذْرَةَ يقال له مذكور ، هادٍ خَرِيَّت (٢) .

فلما دان من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بن تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ، فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبرُ أهل دومة الجندل فتنفروا ،

(١) دومة: بضم الدال عند أهل اللغة ، وأصحاب الحديث يفتحنونها . كذاف، الصحاح . قال البكري: سميت بدومي بن إسماعيل ، وكان نزلها . (شرح المواهب ٩٥/٢) .
(٢) الخريت: الماهر بالهداية .

فنزّل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فقام بها أياماً ، وبثّ السرايا ، ثم رجعوا وأخذ محمد بن سامة رجلاً منهم فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن أصحابه فقال : هربوا أمس . فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

قال الواقدي : وكان خروجه عليه السلام إلى دومة الجندل في ربيع الآخر^(١) سنة خمس .

قال : وفيه توفيت أم سعد بن عباد ، وابنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة .

وقد قال أبو عيسى الترمذي في جامعه : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب ، أن أم سعد ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم غائب ، فلما قدم صلى الله عليه وسلم غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضى أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدي رحمه الله .

غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدرَ سورة الأحزاب . فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً ، وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً * إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصارُ وبلغت القلوبُ الحناجرَ وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً

(١) عند ابن جرير عن الواقدي : في ربيع الأول . وكذلك في شرح المواهب : « وكان في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة » وكانت رجوعه إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر .

شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً *
وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريقٌ منهم النبيَّ
يقولون إن بيوتنا عورةٌ . وما هي بعورةٍ إن يريدون إلا فراراً * ولو دُخِلت عليهم
من أقطارها ثم سُئِلوا الفتنَةَ لأتَوْها وما تلبثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله
من قبل لا يولّون الأديبارَ وكان عهدُ الله مسئولا * قل لن يَنْفَعَكُم الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ
الموتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذْ لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلاً * قل من ذا الذي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ
بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْمَ مِّنَ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ
المُعْذِقِينَ مِنْكُم وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُم
فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ
الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ، أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ
بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنَ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَاقَاتِلُوكُمْ إِلَّا قَلِيلاً * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا * وَلَمَّا
رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَا زَادَهُمْ
إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ
مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا .

وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمة في التفسير والله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع .

وكذلك قال الإمام مالك بن أنس ، فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه .

قال البيهقي : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة ، لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس .

ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المساهين إلى بدر العام القابل ، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع ورجع أبو سفيان بقرش لجذب ذلك العام ، فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعين أن الخندق في شوال من سنة خمس . والله أعلم .

وقد صرح الزهري بأن الخندق كانت بعد أحد بستين . ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث ، إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها ، كما حكاها البيهقي . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي ، وقد صرح بأن بدرأ في الأولى ، وأحداً في سنة ثنتين ، وبدر الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع .

وهذا مخالف لقول الجمهور ، فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول

التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة والله أعلم .

والصحيح قول الجمهور : أن أحداً في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم .

فأما الحديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ فَأُجِزْنِي . فَقَدْ أَجَابَ عَنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ الْبَيْهَقِيُّ بِأَنَّهُ عَرِضَ يَوْمَ أَحَدٍ فِي أَوَّلِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ ، وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ فِي أَوَّلِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ .

قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه في يوم الأحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التي يجاز ليثلها العلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا الفرق بين الصغير والكبير . ثم كتب به إلى الآفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء . والله أعلم .

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن إسحاق وغيره .

قال ابن إسحاق : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

فحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ومن لا أتهم ، عن عبيد^(١) الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا . وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض . قالوا :

إنه كان من حديث الخندق : أن نفرأ من اليهود منهم سَلَامٌ بن أبي الحُقَيْقِ النضرى ، وحيي بن أخطب النضرى ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْقِ ، وهُوذَةُ بن قيس

(١) ابن هشام : عبد الله بن كعب .

الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حَزَبُوا
الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم
إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .
فقالتم قريش : يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا مختلف
فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فهم الذين أنزل الله فيهم : « ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون
بالجبوت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهْدَى من الذين آمنوا سبيلاً . أولئك
الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً^(١) » الآيات .

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعواهم إليه من حرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعواهم إلى
حرب النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم يكونون^(٢) معهم عليه ، وأن قريشاً قد
تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن
حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحارث بن عوف بن أبى حارثة المرزى فى بنى مرة ، وميسع
ابن ربيعة بن نؤيرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن
ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق

على المدينة .

(٢) ابن هشام : سيكونون .

(١) سورة النساء .

قال ابن هشام : يقال إن الذي أشار به سلمان .

• قال الطبري والسهيلي : أول من حفر الخنادق : منوشهر بن أيرج بن أفريدون .
وكان في زمن موسى عليه السلام .

قال ابن إسحاق : فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر ،
وعمل معه المسلمون ، وتحلّف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف^(١) ، ومنهم من ينسئل
حُفْيَةً بغير إذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام .

وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى « إيماناً المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ،
وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئتَ منهم واستغفر
لهم الله إن الله غفور رحيم * لا تجعلوا دُعاءَ الرسولِ بينكم كدُعاءِ بعضِكُم بعضاً قد يعلم
الله الذين يتسللون منكم لوأذاً ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنةٌ
أو يصيبهم عذابٌ أليم ، ألا إن الله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ، ويوم
يرُجمون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكلِّ شيءٍ عليم^(٢) » .

قال ابن إسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين
يقال له جُعيل سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمراً ، فقالوا فيما يقولون :
سَمَاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلِ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَانِسِ يَوْمًا ظَهْرًا^(٣)
وكانوا إذا قالوا : عمراً . قال معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمراً . وإذا قالوا :
ظَهْرًا قال لهم : ظهراً .

(١) ابن هشام : وجعلوا يورون بالضعيف من العمل . (٢) سورة النور .

(٣) ظهر : قوة ومعونة .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنسًا قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال : « اللهم إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة » فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بآبِءِوا مُحَمَّدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا

وفى الصحيحين من حديث شعبة ، عن معاوية بن قُرَّة عن أنس . نحوه .

وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن أنس ، بنحوه .

وقال البخارى : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندقَ حول المدينة وينقلون التراب على مُتُونِهِمْ ويقولون :

نحن الذين بآبِءِوا مُحَمَّدًا على الإسلام ما بقينا أبدًا

قال : يقول النبي صلى الله عليه وسلم مجيباً لهم : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة » .

قال : يُؤْتُونَ بملء كَفِّ من الشعير فيصنع لهم بإهالة سَنِيخَةً^(١) توضع بين يدي

القوم والتوم جياح ، وهى بَشِعة فى الخلق ولها ريح منتن !

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن^(٢) أبي حازم ، عن

سهل بن سعد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق وهم يحفرون ،

ونحن ننقل التراب على أكتادنا^(٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) الإهالة : الدكة . والسنيخة : النفرة الريح الفاسدة الطعم .

(٢) البخارى : عن أبي حازم . وهو أبو عبد العزيز .

(٣) الأكتاد : جمع كتد ، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر .

« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار » .

ورواه مسلم عن القَعْنَبِيِّ ، عن عبد العزيز به .

وقال البخاري : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى أُغْمِرَ بطنه ، أو اغبرَّ بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا
فأنزلن سَكِينَةً علينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته : أبينا ، أبينا .

ورواه مسلم من حديث شعبة به .

ثم قال البخاري : حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شريح بن مسلمة ، حدثني إبراهيم بن يوسف ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى التراب جِلْدَةَ بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسممته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
فأنزلن سَكِينَةً علينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا
وإن أرادوا فتنة أبينا

ثم يمد صوته بأخرها .

وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفَّار ، حدثنا إسماعيل بن الفضل البجلي ، حدثنا إبراهيم بن يوسف البلخي ، حدثنا

المسيب بن شريك ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في الخندق وقال :

باسم الله وبه هُـدِينَا ولو عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا
يا حَبِذَا رَبًّا وَحَبَّ دِينًا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قُرَّة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة ، فأصلح الأنصارَ والمهاجرة » .

وأخرجه في الصحيحين من حديث غُنْدَر ، عن شعبة .

قال ابن إسحاق : وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، من الله فيها عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فمن ذلك : أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كذبة^(١) ، فشكروها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء من ماء فتقل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكذبة ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لأنهالت حتى عادت كالكتيب ماترذ فأساً ولا مسحاة .

هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وقد قال البخارى رحمه الله : حدثنا خلاد بن يحيى ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، قال : أتيت جابراً فقال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كذبة شديدة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كذبة عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل .

(١) الكذبة : القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول .

ثم قام وبطنه معصوب بججر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقا^(١) ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المِعْوَل ففرض فماد كَثِيبًا أَهْيَلًا أو أَهِيمًا^(٢) .

فقلت : يا رسول الله ائذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتى : رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئًا ما كان في ذلك صَبْرٌ ، فمَسَدُكَ شَيْءٌ ؟ قالت : عندي شعير وعَنَاق^(٣) ، فذَبَحْتُ العَنَاقَ وطَحَمَتُ الشعيرَ حتى جعلنا اللحم في البُرْمَةِ^(٤) ، ثم جِئْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم والمعجِنُ قد انكسر والبرمة بين الأثافي^(٥) قد كادت أن تنضج ، فقلت : طُعِمَ لي^(٦) فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال : كم هو ؟ فذَكَرْتُ له ، فقال : كثير طيب ، قل لها لا تَنزِعِ البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى . فقال : قوموا . فقام المهاجرون والأنصار .

فلما دخل على امرأته قال : ويحك ! جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم . فقال : ادخلوا ولا تضاغظوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر^(٧) البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع . فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية . قال : كل هذا وأهدى ، فإن الناس أصابهم مجاعة .
تفرد به البخارى .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه

- (١) ذواقا : شيئًا من مأكول أو مشروب . (٢) الأهيل أو الأهيم : السائل .
(٣) العناق : الأثافي من ولد الماعز .
(٤) البرمة : القدر .
(٥) الأثافي : حجارة ثلاثة توضع عليها القدر .
(٦) طعيم : تصغير طعام : لتقليله .
(٧) يخمر : يغطي .

أَيُّمِنَ الْحَبَشِيُّ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ ، عَنْ جَابِرٍ بِقِصَّةِ الْكُدَيْيَةِ وَرَبَطَ الْحَجْرَ عَلَى بَطْنِهِ الْكَرِيمِ .

وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ ، عَنِ الْحَاكِمِ ، عَنِ الْأَصَمِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْجُبَارِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيُّمِنَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرٍ ، بِقِصَّةِ الْكُدَيْيَةِ وَالطَّعَامِ . وَطَوَّلَهُ أَتَمُّ مِنْ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ قَالَ فِيهِ : لَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقْدَارِ الطَّعَامِ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا : قَوْمُوا إِلَى جَابِرٍ . فَقَامُوا ، قَالَ : فَلَقِيتُ مِنَ الْحَيَاءِ مَا لَا يَمْلِكُهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَقُلْتُ : جَاءَنَا بِمَخْلُوقٍ عَلَى صَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ وَعَفَاقٍ . وَدَخَلْتُ عَلَى امْرَأَتِي أَقُولُ : افْتَضَحْتِ ، جَاءَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَنْدَقِ أَجْمَعِينَ ، فَقَالَتْ : هَلْ كَانَ سَأَلُكَ كَمْ طَعَامِكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَتْ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : فَكَشَفْتُ عَنِّي غَمًّا شَدِيدًا ، قَالَ : فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : خَدِّمِي وَدَعِينِي مِنَ اللَّحْمِ . وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُثْرِدُ وَيُغْرِفُ اللَّحْمَ وَيُنْخَمِرُ هَذَا وَيُنْخَمِرُ هَذَا ، فَازَالَ يَقْرُبُ إِلَى النَّاسِ حَتَّى شَبِعُوا أَجْمَعِينَ وَيَعُودُ التَّنْثُورُ وَالْقِدْرُ أَمْلًا مَا كَانَا !

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلِّي وَأَهْدِي . فَلَمْ تَزَلْ تَأْكُلُ وَتَهْدِي يَوْمَهَا . وَقَدْ رَوَاهُ كَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَارَبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيُّمِنَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرٍ بِهِ وَأَبْسَطُ أَيْضًا ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ : وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانِمِائَةً أَوْ قَالَ : ثَلَاثِمِائَةً .

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي الزَّيْبِرِ ، عَنْ جَابِرٍ . فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوَّلِهَا فِي الطَّعَامِ فَقَطْ وَقَالَ : وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةً .

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي

سفيان ، عن أبي الزبير ، حدثنا ابن مينا ، سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حفر الخندق رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم خصاً^(١) ، فانكفأتُ إلى امرأتى فقلت : هل عندك شيء ، فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خصاً شديداً ؟ فأخرجتُ لى جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمةٌ داجن^(٢) ، فذبحتها ، فطحنها ، وفرغتها إلى فراغى ، وقطعتها فى برمتها ، ثم ولّيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه ، فحفته فساررتَه فقلت : يا رسول الله ذبحتُ بهيمةً لنا ، وطحنْتُ صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سُوراً^(٣) فخيلاً بكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُنزِلنَّ برُمتكم ولا تُخبِزن عجينكم حتى أجيء .

فجئتُ وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدمُ الناس ، حتى جئتُ امرأتى فقالت : بك وبك . فقلت : قد فعلتُ الذى قلت . فأخرجتُ لنا عجيناً فبسق فيه وبارك ، ثم عدتُ إلى برمتنا فبسق وبارك ، ثم قال : ادع خبازةً فلتخبز معك ، واقدحى^(٤) من برمتك ولا تنزلوها .

وهم ألف ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغيط^(٥) كما هي وإن عجيننا كما هو .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن أبي عاصم به نحوه .

(١) الخمس : ضمور البطن من الجوع . (٢) البهيمة : بضم الباء تصغير بهيمة وهى الصغير ومن أولاد الغنم . والداجن : ما يربى فى البيوت من الغنم ولا تخرج إلى المرعى .
(٣) سُوراً : يروى بالهمزة ، وفى اليونانية بتركها : وهو الطعام الذى يدعى إليه ، وهى انضة فارسية ، وهذا دليل على تكلم الرسول بالفارسية . والسُور بالهمز : البقية .
(٤) اقدحى : اغرفى .
(٥) تغيط : تفور بحيث يسفح لها غطيط .

وقد روى محمد بن إسحاق هذا الحديث وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال :
حدثني سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : علمنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الخندق ، وكانت عندي شويهة غير جد سميئة ، قال : فقلت : والله لو صنعناها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأمرت امرأتى فطحننت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا
منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا
نعمل فيه نهراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ، فقلت : يا رسول الله إني قد صنعت لك
شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأنا أحب أن تنصرف معي
إلى منزلي . قال : وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .

قال : فلما أن قلت ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا
إليه راجعون !

قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه ، فجلس وأخرجناها إليه ،
قال : فبرك وسمى الله تعالى ، ثم أكل ، وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ،
حتى صدر أهل الخندق عنها .

والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء ، عن يعقوب بن إبراهيم بن
سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق عنه ، عن جابر مثله سواء .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني سعيد بن ميناء ، أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد
أخت النعمان بن بشير قالت : دعيت أمي عمرة بنت رواحة ، فأعطتني حفنة من تمر في
ثوبي ، ثم قالت : أي بُنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغداهما . قالت :
فأخذتها وانطلقت بها .

فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالي ، فقال : تعالى يا بنيتي ما هذا معك ؟ قالت : قلت : يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال : هاتيه . قالت : فصبيتته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما .

ثم أمر بثوب فيسقط له ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء .

فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد .

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربتُ في ناحية من الخندق فغلظت عليَّ صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رأني أضرب ورأى شدة المكان عليَّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيتُ لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال : قلت : نعم . قال : أما الأولى فإن الله فتح عليَّ باب اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليَّ باب الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح عليَّ بها المشرق .

قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عُقبة في مغازيه ، وذكره أبو الأسود عن عروة .

ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكندي وفي حديثه نظر . لكن رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة ، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن غوف المزني ، عن أبيه عن جده ، فذكر حديثاً فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال : واحتق المهاجرون والأنصار في سلمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا حتى إذا بلغنا التدي ظهرت لنا صخرة بيضاء مروة ، فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها بركة أضاءت ما بين لابتيها - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيراً فتتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك النور ، فقال : لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا ، واستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعود صادق .

قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا !

فنزّل فيهم « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » .

وهذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدّثنا هارون بن ملول ، حدّثنا أبو عبد الرحمن ، حدّثنا عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق فخندق على المدينة قالوا : يا رسول الله إنا وجدنا صفاة لا نستطيع حفرها . فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقتنا معه ، فلما أتاها أخذ المعول فضرب به ضربة وكبّر ، فسمعتُ هدّةً لم أسمع مثلها قطّ فقال : فتحت فارس . ثم ضرب أخرى فكبّر فسمعتُ هدّةً لم أسمع مثلها قطّ ، فقال : فتحت الروم . ثم ضرب أخرى فكبّر فسمعتُ هدّةً لم أسمع مثلها قطّ ، فقال : جاء الله بمحمّد أعواناً وأنصاراً . وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه . وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف فالله أعلم .

وقال الطبراني أيضاً : حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدّثني سعيد بن محمد الجرمي حدّثنا أبو نميلة ، حدّثنا نعيم بن سعيد الغري ، أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال : احتقر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هل دُلّتم على رجل يُطعمنا أكلة ؟ قال رجل : نعم . قال : أما لا فيقدّم فدلتنا عليه . فانطلقوا إلى [بيت] الرجل ، فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه ، فأرسلت امرأته أن جيء ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتانا . فجاء الرجل يسعى وقال : بأبي وأمي . وله معزة

ومعها جديها فوثب إليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الجدى من ورأها فذبح الجدى ، وعمدت المرأة إلى طحينفة لها فعجنمتها وخبزت فأدركت القدر فثردت قصعتها فقربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبعه فيها وقال : بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا . فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقي ثلثاها . فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرّحوا إلينا بعدئسكم . فذهبوا فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربة البيت وسمت^(١) عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : اذهبوا بنا إلى سلمان ، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعونى فأكون أول من ضربها . فقال : بسم الله . فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال : الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال : الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة .

فقال عندها المشافقون : نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم .

ثم قال الحافظ البيهقي : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصنفار ، حدثنا محمد بن غالب بن حرب ، حدثنا هودبة ، حدثنا عوف ، عن ميمون بن أستاذ الزهرى ، حدثنى البراء بن عازب الأنصارى ، قال : أما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها أخذ المعول وقال : بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن . والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة .

(١) سمت : ذكر الله .

وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن أستاذ هذا ، وهو بصري روى عن البراء وعبد الله بن عمرو ، وعنه حميد الطويل والجريري وعوف الأعرابي . قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور عن ابن معين : كان ثقة . وقال علي بن المديني : كان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه .

وقال النسائي : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا ضمرة ، عن أبي زرعة السيباني ، عن أبي سكينه رجل من البحرين ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرةٌ حالت بينهم وبين الحفر ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ المِغُول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » فندر ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ، ثم ضرب الثانية وقال : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » . فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فرآها سلمان ، ثم ضرب الثالثة وقال : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » . فندر الثلث الباقي .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رداءه وجلس . فقال سلمان : يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان رأيت ذلك ؟ قال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله .

قال : فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني . فقال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ادع [الله] أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونحرب بأيدينا بلادهم . فدعا بذلك .

قال : ثم ضربت الضربة الثانية ، فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها

بعينى . قالوا : يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويفنمنا ذراريهم ونحرب بأيدينا بلادهم . فدعا .

ثم قال : ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعينى . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » .

هكذا رواه النسائي مطوّلاً ، وإنما روى منه أبو داود : « دَعُوا الحِمْشَةَ مَا وَدَعَوْكُمْ وَاتْرَكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكَوْكُمْ » عن عيسى بن محمد الرملى ، عن ضَمْرَةَ بن ربيعة ، عن أبى زُرْعَةَ يحيى بن أبى عمرو السَّيْبَانِي^(١) به .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أبى هريرة أنه كان يقول حين فُتِحَتْ هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً ، وقد وصل من غير وجه والله الحمد .

فقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنى عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بُعثت بجوامع الكلم ونُصرت بالرعب ، وبيننا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوَضعت فى يدي » .

وقد رواه البخارى منفرداً به ، عن يحيى بن بُكَيْر ، وسعد بن عفير ، كلاهما عن الليث به . وعنده قال أبو هريرة : فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تفتنونها . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى

(١) نسبة إلى سيبان ، بطن من حمير ، تولى أبو زرعة سنة ١٤٨ ، وكان ثقة . اللباب ١/٥٨٥ .

هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأَوْتَيْتُ جِوَامِعَ الْكَلِمِ وَجُمِلْتُ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أُتَيْتُ بِمِفْتَاحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَتَلَّتْ فِي يَدِي » .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرجوه . وفي الصحيحين : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسى بيده لَتُنْفَقَنَّ كِنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وفي الحديث الصحيح : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيِّئَاتِهَا مُلْكٌ أُمَّتِي مَا زَوَى لِي مِنْهَا » .

فصل

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذي نبق^(١) إلى جانب أحد .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع^(٢) في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالدرارى والنساء فجعلوا فوق الآطام^(٣) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى « إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ قَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا »^(٤) .

(١) موضع من أعراض المدينة . (٢) سلع : جبل بالمدينة . (٣) الآطام : الحصون .

(٤) سورة الأحزاب ١٠ .

قال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا عبيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : « إذ جاءوك من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار » .
قالت : ذلك يوم الخندق .

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم .
قال ابن إسحاق : وخرج حُي بن أخطب النَّضْرِي حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عَقْدَم وعهدهم .

فلما سمع به كعب أغلق بابَ حصنه دون حُي ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناده : ويحك يا كعب افتح لى . قال : ويحك يا حُي ، إنك امرؤ مشثوم ، وإني قد عاهدتُ محمداً فلستُ بناقيص ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً .

قال : ويحك افتح لى أكلك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت دونى إلا خوفاً على جشيشتك ^(١) أن آكل معك منها فأحفظ الرجلَ ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدهر وبحرٍ طامٍ .

قال : وما ذاك ؟ قال : جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذب نَقَمَى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاهدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

فقال كعب : جئتنى والله بذل الدهر وبحمهم ^(٢) قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ، ويحك يا حُي فدعنى وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقاً .

(١) ابن هشام : إلا عن جشيشتك . والجشيشة : طعام يصنع من البر الذى طحن غليظاً .

(٢) الجهم : السحاب الذى لاماء فيه .

وقد تسكلم عمرو بن سعد القرظي ، فأحسنَ فيما ذكره موسى بن عقبة ، ذكّرهم
ميثاقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ومعاهدتهم إياه على نصره ، وقال : إذا لم
تنصروه فاتركوه وعدوه .

قال ابن إسحاق : فلم يزل حيي بكعب يقتله في الذروة والغارب حتى سمع له ، يعني
في نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي محاربتة مع الأحزاب ، على أن أعطاه
حيي عهدَ الله وميثاقه لئن رجعت قريش وخطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في
حصنك حتى يصيبني ما أصابك .

فنقض كعب بن أسد العهدَ وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال موسى بن عقبة : وأسر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب أن يأخذهم
من قريش وخطفان رهائن تكون عندهم لئلا يفلتوا منهم إن هم رجعوا ولم ينجزوا محمداً ،
قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرفهم . فنازلهم حيي على ذلك . فعند ذلك
نقضوا العهدَ ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سَعْنَةَ ، أسد وأسيد وثلعبية ،
فإنهم خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين
بعث سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ،
ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال : انطلقوا حتى تأنوا هؤلاء القوم
فتنظروا أحقَّ ما بلغنا عنهم ، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تنفثوا في أعضاء
المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجبروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم .

قال موسى بن عقبة ، فدخلوا معهم حصنهم فدعواهم إلى المواعدة وتجديد الحلف . فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرَجهم ، يريدون بني النضير . ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل سعد بن عبادَةَ يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ : إنا والله ماجئنا لهذا ، ولَمَّا بَدَيْنَا أ كَبُرَ من المِشَامَةِ .

ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة ، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمرٍ منه . فقالوا : أكلت أير أريك . فقال : غير هذا من القول كان أجملَ بكم وأحسن .

وقال ابن إسحاق : نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : مَنْ رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه حِدَّة ، فقال له سعد ابن عبادَةَ : دَع عَنكَ مِشَامَتَهُمْ ، لَمَّا بَدَيْنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَى من المِشَامَةِ .

ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا : عُضِل والقَارَةُ . أَى كَعْدَرَهُم بِأَصْحَاب الرَّجِيعِ خُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبرُ أبشروا يا معشر المسلمين .

قال موسى بن عقبة : ثم تقنع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة ، فاضطجع ومكث طويلا ، فاشتد على الناس الالاء والخوف حين رأوه اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأتِه عن بني قريظة خَير . ثم إنه رفع رأسه وقال : أبشروا بفتح الله ونصره .

فدأ أن أصبحوا دنا القومُ بعضهم من بعض وكان بينهم رمى بالنبيل والحجارة .

قال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تُعبد .

قال ابن إسحاق وعَظُم عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأتاهم عدوُّهم من فوقهم
ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن ، ونجم النفاق ، حتى قال معتب بن
قُشَيْر أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدنا أن نأكل كَنوزَ كسرى وقيصر ،
وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط !

وحقَّ قال أَوْس بن قَيْظَى : يارسول الله إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن
مأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة .

قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * » وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أهلَ يَثْرِبِ لا مُقَامَ
لكم فارجعوا ، ويستأذن فريقٌ منهم النبيَّ يقولون إنَّ بيوتنا عورةٌ وما هي بعورة
إن يريدون إلا فرارا .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مرابطاً ، وأقام المشركون
يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرِّمِيَّ بالنبل .

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عاصم بن
عمر بن قنادة ، ومن لا أمهم ، عن الزهري ، إلى عُيَيْنَةَ بن حصن والحارث بن عوف
المرِّي ، وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثلثَ ثمار المدينة ، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن
أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة
الصلح ، إلا المراوضة .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك بعث إلى السَّعْدِين فذكر لها
ذلك ، واستشارها فيه .

فقالا : يارسول الله أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ،
أم شيئاً تصنعه لنا ؟

فقال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العربَ رمتكم عن قوسٍ واحدةٍ وكألبوكم من كلِّ جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما .

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لانعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرةً واحدةً إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنَّا بك وبه ، نعطيهم أموالنا؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيِّف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم !

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفةَ فحما ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

قال : فأقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه محاصرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس ، أحد بني عاصم بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهُبيرة بن أبي وهب الخزوميان ، وضرار بن الخطاب ابن مرداس أحد بني محارب بن فهر ، تلبَّسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهاؤوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم . ثم أقبلوا تُعْنِقُ بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لَمَكيدة ما كانت العرب تسكدها . ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً ، فضربوا خيلهم فانحمت منه ، فجالت بهم في السَّبْخَةِ بين الخندق وسَلْع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تُعْنِقُ نحوهم .

وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد ،

فلما كان يوم الخندق خرج معلماً يُري مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : مَنْ يبارز ؟
فبرز له عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال له : يا عمرو إنك كنت عاهدت الله
لا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه . قال : أجل . قال له عليّ :
فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فإني
أدعوك إلى النزال . قال له : لم يا بن أخي ، فوالله ما أحبُّ أن أقتلك ! قال له عليّ :
لكنى والله أحبُّ أن أقتلك . فحِمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب
وجهه ، ثم أقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا فقتله عليّ رضى الله عنه .
وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق وقال علي بن أبي طالب في ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرتُ ربَّ محمد بصوابِ
فصدّرت حين تركته متجدِّلاً كالجدع بين دَكادِكِ (١) ورواى
وعففت عن أثوابه ولو أنى كنت للمقطر بزنى أثوابى
لا تحسبنَّ الله خاذلَ دينه ونبيةً يا معشر الأحزابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعليّ .

قال ابن هشام : وألقى عكرمة ربحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال في ذلك
حسان بن ثابت :

فرّاً وألقى لنا ربحه لعلك عكرم لم تفعلِ
ووليتت تعدو كعدو الظلي مـ ما إن يحور عن المعدلِ
ولم تلوِ ظهرك مستانساً كأن قفّاك قفا فرُعْلِ

قال ابن هشام : الفراعيل : صفار الصبّاع .

(١) الدكادك : جمع دكدك ، وهو الرمل اللين .

وذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن إسحاق في موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنّع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام على بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : إنه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قُتل منكم دخلها ؟ أفلا تُبرزون إلى رجلاً ؟ فقام على فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بُحِثت من النداء للجمهم : هل من مُبارزٍ
ووقفت إذ جبنُ المشجع موقوف القرن المناجز
ولذلك إني لم أزل متسرّعاً قبل الهزاهز^(١)
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

قال : فقام على رضى الله عنه فقال : يا رسول الله أنا . فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن كان عمراً ! فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى إليه حتى أتى وهو يقول :

لا تعجلنّ فقد أنا ك مجيب صوتك غير عاجز
في نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة تجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا على بن أبي طالب . فقال : يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنُّ منك فإني أكره أن أهريق دمك ؟ فقال له على : لسكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ! فغضب فنزل وسل سيفه كأنه

(١) الهزاهز : الدوامى والشدائد .

شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مغضباً واستقبله عليٌّ بدرقته ، فضربه عمرو في درقته فقتلها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه ، وضربه عليٌّ على جبل عاتقه فسقط ، وثار العجاج ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرفنا أن عليّاً قد قتل . فمّم يقول علي :

أعلىّ تَقْتَحِمُ الفوارس هكذا عنيّ وعنهم أخروا أصحابي
اليوم يَمْنَعُنِي الفِرَارَ حفيظتي ومصمّم في الرأس ليس بنايبي
إلى أن قال :

عَبَدَ الحِجَارَةَ مِنْ سفاهةِ رَأْيِهِ وَعَبَدْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بصوابٍ
إلى آخرها .

قال : ثم أقبل عليٌّ نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلّل ، فقال له عمر بن الخطاب : هلاًّ استلبته درعه ، فإنه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقاني بسوائه ، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه . قال : وخرجت خيوله منهزماً حتى اقتحمت من الخندق .

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عن البيهقي ، أن عليّاً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مرقاه ، فمات في الخندق ؛ وبعث المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال : هو لكم لا نأكل ثمن الموتى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن باب ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوا جيفته مالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادفعوا إليهم جيفته ، فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية » فلم يقبل منهم شيئاً .

وقد رواه البيهقي من حديث حماد بن سلمة ، عن حجاج ، وهو ابن أُرْطاة ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس : أن رجلا من المشركين قُتِلَ يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا بجسده ونعطيهم اثني عشر ألفا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا خير في جسده ولا في ثمنه » .

وقد رواه الترمذى من حديث سفیان الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، وقال : غريب .

وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسدَ نوفل بن عبد الله الخزومي حين قُتِلَ وعرضوا عليه الدية فقال : « إنه خبيثٌ خبيثٌ الدية ، فلعنه الله ولعن ديته . فلا أَرَبَ لنا في ديته ، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه » .

وذكر يونس بن بُكَيْرٍ عن ابن إسحاق قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة الخزومي فسأل المبارزة ، فخرج إليه الزبير بن العوام فصر به فشقّه باثنتين ، حتى فلَّ في سيفه فلا وانصرف وهو يقول :

إني امرؤٌ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأُمِّي

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول : قَتَلَهُ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ يَامَعْشَرَ الْعَرَبِ . فنزل إليه عليٌّ فقتله ، وطلب المشركون رِمَّتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالثَّمَنِ فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ شَيْئًا وَمَكَّنَّهُمْ مِنْ أَخْذِهِ إِلَيْهِمْ .

وهذا غريب من وجهين .

وقد روى البيهقي من طريق حماد بن يزيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأُطْمِ ومعى عمر بن أبي سلمة ، فجعل يطأطأ لي فأصعد على ظهره فأنظر قال : فنظرت إلى أبي وهو يحمل

مَرَّةً هَاهُنَا وَمَرَّةً هَاهُنَا ، فَمَا يَرْتَفِعُ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا أَتَاهُ ، فَلَمَّا أَمْسَى جَاءَنَا إِلَى الْأَطْمِ ،
قُلْتُ : يَا أَبْتَ رَأَيْتَكَ الْيَوْمَ وَمَا تَصْنَعُ . قَالَ : وَرَأَيْتَنِي يَا بِنْتِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَذَى
لَكَ أَبِي وَأُمِّي !

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى ، عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل
الأنصاري أخو بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ،
وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن . قالت
عائشة . وذلك قبل أن يُضْرَبَ علينا الحجابُ . قالت : فرمَّ سعد وعليه درع مُقَلَّصَةٌ قد
خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يرْفُلُ بها ويقول :

لَبَّثْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ ^(١) لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ !

فقالت له أمه : الحقُّ بِنِيَّ فَقَدْ وَاللَّهِ أَخَّرْتَ . قالت عائشة : فقلت لها : يَا أُمَّمُ سَعْدِ وَاللَّهِ
لَوَدِدْتُ أَنَّ دَرَعَ سَعْدٍ كَانَتْ أَسْبَغَ مِمَّا هِيَ . قالت : وَخَفْتُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَصَابَ السَّهْمُ
مِنْهُ . فَرُمِيَ سَعْدُ بْنُ مِعَاذٍ بِسَهْمٍ فَقَطَعَ مِنْهُ الْأَكْحَلَ .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : رماه حِبَّانُ بْنُ قَيْسِ بْنِ
الْعَرِيقَةِ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَلَمَّا أَصَابَهُ قَالَ : خَذَهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ الْعَرِيقَةِ . فَقَالَ لَهُ
سَعْدٌ : عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي
لَهَا ، فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَجَاهِدَ مِنْ قَوْمِ آذَوُا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ . اللَّهُمَّ
وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً وَلَا تَمْتِنْنِي حَتَّى تُتْرَعَّ عَيْنِي مِنْ
بَنِي قُرَيْظَةَ .

(١) الأصل : جمل وهو تحريف . وقد مر هذا الشطر في صفحة ٨٢ من هذا الجزء . وانظر فيها
تخرجه . قال في تاج العروس ٢٩٠/٧ : وقد تمثل به سعد بن معاذ يوم الخندق .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجُشمي حليف بني مخزوم ، وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبي جهل :

أَعِزَّكُمْ هَلَّا لُمْتُني إِذْ تَقُولُ لِي فداك بِأَطامِ المَدِينَةِ خالِدُ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلْزَمْتَ سَعْدًا مَرِيضَةً لها بَيْنَ أَثْناءِ المَرافِقِ عانِدُ (١)
قَضَى نَحْبَهُ مِنْها سَعِيدٌ فَأَعْوَلْتُ عَلَيْهِ مَعَ الشُّمَطِ العَذارِي النَواهِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دافَعْتَ عَنْه وَقَدَدَعَا عبيدَةً جَمعاً مِنْهُمُ إِذْ يَكابِدُ
عَلَى حِينِ ما هُمُ جائِرٌ عَن طَرِيقِهِ وَآخِرُ مَرعوبٍ عَنِ القَصْدِ قاصِدُ

قال ابن إسحاق : والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن هشام : ويقال إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

قلت : وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة ، أقر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك . كما سيأتي بيانه . فحكم بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ، حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة (٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارغ ، حصن حسان بن ثابت . قالت : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فمر بنا رجل من يهود فجعل يُطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا

(١) عند العرق : سال فلم يرقأ . (٢) الأرقعة : السماوات ، جمع رقيق . ورواية الصحيح :

وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا ، إذ أتانا آتٍ فقلت : يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدلَّ على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . قال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا .

قالت : فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً ، احتججتُ ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلتها فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحصن فقلت : يا حسان انزل فاستلبه فإنه لم يمتنع من سلبه إلا أنه رجل . قال : مالي بسلبه حابة يا بنت عبد المطلب (١) !

قال موسى بن عقبة : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتابهم ، فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية ، حتى لا يُدري أتمَّ (٢) أم لا .

قال : ووجهوا نحو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبةً غليظة فقاتلهم يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا ، فانكفت الكتيبة مع الليل ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شغلونا عن صلاة العصر ملاً الله بطونهم وقلوبهم ، وفي رواية : وقبورهم ، ناراً » .

(١) ذكر السهيلي أن بعض العلماء دفع هذا وأنكره وذلك أنه حديث منقطع الإسناد . وقال : لو صح هذا لهجن به حسان ، فإنه كان يهاجن الشعراء وكانوا يناضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بيجن ولا اسمه به . فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق . الروض ١٩٤/٢ .

(٢) كذا بالأصل .

فلما اشتد البلاء ناقق ناسٌ كثيرٌ وتكلموا بكلامٍ قبيح .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشّرهم ويقول : « والذي نفسى بيده كَيْفَ رَجَنَ عَنْكُمْ مَا تَرُونَ مِنَ الشَّدَةِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ آمِنًا ، وَأَنْ يَدْفَعَ اللَّهُ إِلَيَّ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ، وَكَيْهَلَا كُنَّ اللَّهُ كَسْرَى وَقِصْرًا وَلَتُنْفَقَنَّ كَنُوزَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! » .

وقد قال البخارى : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، حَدَّثَنَا رَوْحُ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَبِيدَةَ ^(١) ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ : « مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ يَوْمَئِذٍ قُبُورَهُمْ نَارًا ، كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ » .

وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي به . ورواه مسلم والترمذى من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي حسان الأعرج ، عن عبيدة ، عن علي به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

ثم قال البخارى : حَدَّثَنَا الْمَسْكِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ ، عَنْ يَحْيَى ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَجَعَلَ يَسُبُّ كُفْرًا قَرِيشَ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كِدْتُ أَنْ أَصْلَى حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا » فَنَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْحَانَ ^(٢) فَيُوضَأُ لِلصَّلَاةِ وَتُوضَأُ نَا لَهَا ، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم والترمذى والنسائى من طرق ، عن يحيى بن أبي

كثير ، عن أبي سلمة به .

(١) عبيدة بفتح العين وكسر الواو ، ابن عمرو السلماني الكوفي ، كما ضبطه القسطلاني . لإرشاد

(٢) بطحان : واد بالمدية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قاتل النبي صلى الله عليه وسلم عدواً فلم يفرغ منهم حتى أخرج العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك قال : « اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملاً بيوتهم ناراً ، واملاً قبورهم ناراً » .

ونحو ذلك تفرد به أحمد ، وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي ، وهو ثقة يصحح له الترمذي وغيره .

وقد استدلل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث ، وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث .

وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ^(١) » .

وقد استدلل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما هو مذهب مكحول والأوزاعي .

وقد بوّب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث ويقول صلى الله عليه وسلم يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة - كما سيأتي - : « لا يصلّين أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة » وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ، ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ، ولم يمتنع واحداً من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر ، حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقتراب فتح الحصن .

(١) سورة البقرة آية ٢٣٨ .

وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور ، منهم الشافعي : هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك ، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلهذا آخرها يومئذ . وهو مشكل .

قال ابن إسحاق : وجماعة ذهبوا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بعُسفان ، وقد ذكرها ابن إسحاق وهو إمام في المغازي قبل الخندق ، وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق . فالله أعلم .

وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً ، كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس ، فهو مُشكَل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت العشاء ، من رواية أبي هريرة وأبي سعيد .

قال الإمام [أحمد] : حدثنا يزيدو حجاج ، قال : حدثنا ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه . قال : حُبسنا يوم الخندق حتى ذهب هَوِيٌّ من الليل حتى كُفينا . وذلك قوله : « وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً » قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصلها في وقتها ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حجاج : في صلاة الخوف « فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا » .

وقد رواه النسائي عن الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن ابن أبي ذئب به . قال : شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس . فذكره .

وقال أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا أبو الزبير ، عن نافع بن جبير ، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

الخنديق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ماشاء الله . قال : فأمر بلالا فأذن ثم أقام
فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ثم أقام فصلى المغرب ، ثم أقام فصلى العشاء .
وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا مؤمل يعني ابن إسماعيل ،
حدثنا حماد ، يعني ابن سلمة ، عن عبد الكريم ، يعني ابن أبي المخارق ، عن مجاهد ، عن
جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر
والمغرب والعشاء ، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ،
ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء . ثم قال : « ما على
وجه الأرض قومٌ يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » .

تفرد به البزار ، وقال : لانعرفه إلا من هذا الوجه . وقد رواه بعضهم عن عبد
الكريم عن مجاهد عن أبي عبيدة عن عبد الله .

فصل

في دعائه عليه السلام على الأحزاب

وكيف صرّفهم الله بحوله وقوته ، استجبابا لرسوله صلى الله عليه وسلم وصيانةً لحوزته
الشريفة ، فزلزل قلوبهم ، ثم أرسل عليهم الريح الشديدة فزلزل أبدانهم .
قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله - حدثنا ربيع
بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، قال : قلنا يوم الخندق : يا رسول الله هل من شيء نقوله ؟
فقد بلغت القلوب الحناجر ! قال : « نعم : اللهم استر عوراتنا وآمن رؤعاتنا » . قال :
فضرب الله وجوه أعدائه بالريح .

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن أبي عامر - وهو العقدي^(١) - عن

(١) هو أبو عامر عبد الملك بن عمرو العقدي . يروى عن شعبة . الباب ١٤٤/٢ .

الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان ، عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، فذكره وهذا هو الصواب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، عن ابن أبي ذئب ، عن رجل من بني سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ولم يصل . قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلى .

وثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » وفي رواية : اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم .

وروى البخارى عن قتيبة ، عن الليث ، عن سعيد المقبرى عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا إله إلا الله وحده ، أعزّ جُنُده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » .

وقال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدّة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة ابن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فرزني بما شئت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة » .

نخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت لست عنفدنا بمتهم .

فقال لهم : إن قريشاً و غطفان ليسوا كأنتم ، البلدُ بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم
ونسائوكم لاتقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً و غطفان قد جاءوا لحرب
محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدُهم ونسائوهم وأموالهم بغيره ، فليسوا كأنتم فإن
رأوا نهزةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ،
ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من
أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه . قالوا : لقد
أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش :
قد عرفتم ودّى لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه
نصحاً لكم فاكتموا عنى . قالوا : نفعل .

قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد
أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش
و غطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم
حتى تستأصلهم . فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهودٌ يلمسون منكم رهناً من
رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجالاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحبُّ
الناس إلى ولا أراكم تتهمونى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا عنى .
قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنيع الله تعالى لرسوله صلى
الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب وروس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن
أبى جهل فى نفر من قريش و غطفان ، فقال لهم : إنا لسنا بدارم مقام ، هلك الخلف والحافر ،

فأعدّوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لانعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نناجز محمداً ، فإننا نخشى إن صرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تئسّمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً .

فأبوا عليهم وخذّل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة^(١) شامية شديدة البرد ، فجعلت تسكفأ قدورهم وتطرح آيتهم .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره

موسى بن عقبة .

وقد أورده عنه البيهقي في الدلائل ، فإنه ذكر ما حاصله : أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

(١) ابن هشام : ليال .

عشاء ، فأشار إليه أن تعال . فجاء فقال : ما وراءك ؟ فقال : إنه قد بعثت قريش و غطفان إلى بنى قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك ، فقالت قريظة : نعم فأرسلوا إلينا بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم إيماناً نقضوا العهد على يدي حبي بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثيقاً .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني مُسرٌّ إليك شيئاً فلا تذكره . قال : إنهم قد أرسلوا إليّ يدعونني إلى الصلح وأرد بنى النضير إلى دورهم وأموالهم . فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا » .

فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القومُ وأرسلوا إلى بنى قريظة عكرمة وجماعة معه ، وانفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثيقاً فأوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن تكون قريظة لما يتسوا من انتظام أمرهم مع قريش و غطفان بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون منه الصلح على أن يردَّ بنى النضير إلى المدينة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جمعهم ، دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله أرايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبهتموه ؟ قال : نعم يا بن أخي . قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كننا نجتهد . قال : والله لو أدر كنا ما تركناه يمشي على الأرض ولجئناه على أعناقنا !

قال : فقال حذيفة : يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ ؟ فشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّجْمَةَ ، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة . فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم يَقم أحدٌ دعاني ، فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تتحدثن شيئاً حتى تأتينا .

قال : فذهبت فدخلت في القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرّ لهم

قِدرًا ولا نارًا ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه .

قال حذيفة : فأخذتُ بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال فلان بن فلان ؛ ثم قال : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكُراع والخُف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قِدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل . ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلَقَ عقاله إلا وهو قائم . ولولا عهدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليّ : لا تتحدث شيئاً حتى تأتيني .

لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مِرْطَ لبعض نسائه مُرْجَل ، فلما رأني أدخلني إلى رجليه وطرح عليّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإني لفيهِ ؛ فلما سلم أخبرته الخبر . وسمعتُ غطفانُ بما فعلت قريش فأنشَمروا راجعين إلى بلادهم .

وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه ، من حديث الأعمش عن إبراهيم

ابن يزيد التيمي عن أبيه ، قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت . فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب في ليلة ذات ریح شديدة وقرّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم أجدهم إلا إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال : اتبني بخبر القوم ولا تدعهم عليّ . قال : فضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يُصلي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبدي قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدعهم عليّ . ولو رميته لأصعبته ، فرجعت كأنما أمشي في حمام ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابني البرد حين رجعت وقررت ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسني من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أرح نأماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا نومان !

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبد الله الدؤلي ، عن عبد العزيز بن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنوا ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافئون قعود ، وأبوسفيان ومن معه فوقنا ، وقرينة اليهود أسفل منا يخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه .

فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : إن بيوتنا عورة وما هي

بعورة . فما يستأذنا أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك ، إذ استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً حتى أتى عليّ وما عليّ جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لاسرأتى ما يجاوز ركبتي ، قال : فأتاني وأنا جاثٍ على ركبتيّ فقال : من هذا ؟ فقلت : حذيفة . فقال : حذيفة ! فتعاصرت للأرض فقأت : بلى يا رسول الله . كراهية أن أقوم . فقامت فقال : إنه كائن في القوم خبرٌ فأنتي بخبر القوم . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قرأً .

قال : فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » قال : فوالله ما خلق الله فزعا ولا قرأً في جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئاً ! قال : فلما وليت قال : يا حذيفة لا تُحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني .

قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد ، وإذا رجل أذم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل . ولم أكن أعرف أباسفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبدي قوسى لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُحدثن فيهم شيئاً حتى تأتيني . فأمسكتُ ورددت سهمي إلى كفانتي ، ثم إني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله إني لآسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم ، الريح تضرب بها ، ثم إني خرجت نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً ونحو ذلك معتمين فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه .

قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في شملة يصلي ، فوالله

ماعدًا أن رجعت راجعني القرش وجعلت أقرّفت ، فأومأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يصلي ، فدنوت منه فأسبل عليّ شملته ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمرٌ صلى . فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أني تركتهم يرّحلون . قال : وأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم ترّوها وكان الله بما تعملون بصيراً » يعني الآيات كلها إلى قوله : « وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً » أي صرف الله عنهم عدوهم بالريح التي أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله إليهم « وكفى الله المؤمنين القتال » أي لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم بل صرفهم القويّ العزيز بحوله وقوته .

لهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » .

وفي قوله : « وكفى الله المؤمنين القتال » إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم . وهكذا وقع ، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين ، كما قال محمد بن إسحاق رحمه الله : فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم » . قال : فلم تغز قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة . وهذا بلاغ من ابن إسحاق .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن سفيان ، حدثني أبو إسحاق ، سمعت سليمان ابن صرد رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآن تغزونم ولا يغزونا .

وهكذا رواه البخارى من حديث إسرائيل وسفيان الثورى كلاهما عن أبى إسحاق السديعى ، عن سليمان بن سرد به .

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بنى عبد الأشهل ، وهم سعد بن معاذ - وستأى وفاته مبسوطة - وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، والطفيل بن النعمان ، وعلبة بن غنمة الجشميان السلميان ، وكعب بن زيد النجارى ، أصابه سهمٌ غرّب فقتله .

قال : وقتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمن كبير . كما تقدم . وعمرو بن عبد ود العامرى ، قتله على بن أبى طالب .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهرى أنه قال : قتل على يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو . قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود . ويقال عمرو بن عبد .

فصل

في غزوة بني قريظة

وما أحلَّ الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعدَّ الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم .

وذلك لسكفرهم ونقضهم العهد التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُملاتهم الأحزاب عليه ، فما أجدى ذلك عنهم شيئاً ، ولبهوا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة .

وقد قال الله تعالى : « وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً * وأنزلَ الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيبهم وقذف في قلوبهم الرعبَ فريقاً تفقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها ، وكان الله على كل شيء قديراً (١) » .

قال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا عبد الله ، حدثنا موسى بن عُبَبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من الغزوة والحج والعمرة يبدأ فيكبَّر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

فلما كانت الظهر أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني الزهري ،
مُتَجَرِّباً بِعِمَامَةٍ مِنْ اسْتَبْرَقٍ عَلَى بَغْلَةٍ عَلَيْهَا رِحَالَةٌ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ ، فَقَالَ : أَوْقَدْ
وَضَعْتَ السَّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ جَبْرِيلُ : مَا وَضَعْتَ الْمَلَأُكَ السَّلَاحَ
بَعْدُ وَمَا رَجَعْتَ الْآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ ، إِنْ اللَّهُ بِأَمْرِكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ،
فَأَيُّ عَامِدٍ إِلَيْهِمْ فَرَزَلْزَلُ بِهِمْ .

فَأَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّنًا فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ : مَنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا
فَلَا يَصِلِينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ
ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السَّلَاحَ
وَاجْتَسَلَ أَنَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ ! وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ ! فَاخْرَجَ إِلَيْهِمْ ،
قَالَ : فَبِأَيِّ أَيْنَ ؟ قَالَ : هَاهُنَا . وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَقَالَ أَحْمَدُ : وَحَدَّثَنَا حَسَنٌ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْأَحْزَابِ دَخَلَ الْمَغْتَسِلَ لِيُغْتَسَلَ ،
وَجَاءَ جَبْرِيلُ فَرَأَيْتَهُ مِنْ خِلْفِ الْبَيْتِ قَدْ عَصَّبَ رَأْسَهُ الْغَبَارُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَوْضَعْتُمْ
أَسْلِحَتَكُمْ ؟ فَقَالَ : وَضَعْنَاهَا أَسْلِحَتِنَا ، فَقَالَ : إِنْ لَمْ نَضَعْ أَسْلِحَتِنَا بَعْدَ ، انْهَدَّ إِلَى
بَنِي قُرَيْظَةَ .

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُوسَى ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ هَلَالٍ ، عَنْ
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغَبَارِ سَاطِعًا فِي زَفَاقِ بَنِي غَنَمٍ مَوْكِبِ جَبْرِيلَ ، حِينَ
سَارَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ ، عَنْ

نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي لم يُرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعذف واحداً منهم .

وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به .

وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي

قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن خالد بن علي ، حدثنا بشر بن حرب ، عن أبيه ، حدثنا الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللآمة واغتسل واستحجم ، فتبدى له جبريل عليه السلام فقال : عذيرك من محارب! الأراك قد وضعت اللآمة وما وضعناها بعد!

قال : فوثب النبي صلى الله عليه وسلم فزعاً فعزم على الناس ألا يصلوا صلاة العصر إلا في بني قريظة .

قال : فابس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، فاختم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم علينا ألا نصلي حتى نأتي بني قريظة ، وإنما نحن في عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فابس علينا ثم . وصلى طائفة من الناس احتساباً ، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصاها حين جاءوا بني قريظة احتساباً . فلم يعذف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين .

ثم روى البيهقي من طريق عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها فسلم علينا رجل ونحن في

لبيت ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً وقت في أثره فإذا بدخية الكلبي ، قال : هذا جبريل أمرني أن أذهب إلى بني قريظة وقال : قد وضعت السلاح لكننا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد . وذلك حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً وقال لأصحابه : عزمت عليكم ألا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد أن تدعوا الصلاة يصلوا . وقالت طائفة : والله إنا لنرى عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علينا من إثم . حصلت طائفة إيماناً واحتساباً وتركت طائفة إيماناً واحتساباً ، ولم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرّ بمجالس بينه وبين بني قريظة فقال : هل منكم أحد ؟ فقالوا : مرّ علينا دحية الكلبي على بغلة نهباء تحته قطيفة ديباج . فقال : ذلك جبريل أرسل إلى بني قريظة ليزكزلهم ويقذف في لوهم الرعب .

فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه أن يستروه بالحجف^(١) حتى يسمع كلامهم ، فناداهم : يا إخوة التردة والخنازير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فخاشاً . فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه ، فحكم فيهم أن تقتل نقاتهم ونسبي دراريهم ونساؤهم .

ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها .

وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الإجماع على أن كلاً من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف .

(١) الحجف : جمع حجمة . وهي الترس من جلد بلا خشب ولا عقب .

قالت طائفة من العلماء : الذين أخرّوا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدّر لها حتى صلّوها في بني قريظة هم المصيبون ، لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص ، فيقدّم على عموم الأمر بها في وقتها المقدّر لها شرعاً .

قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أننا لو كنا هناك لم نصلّ العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام !

وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلّوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون ، لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة لتأخير الصلاة ، فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها ، مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التي حوّلت إليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخرّوا فعدّروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه .

وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من أخرّ ولا على من قدّم أيضاً . والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق : وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ومعه رايته وابتدراها الناس .

وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُغتسله كما يزعمون قد رجّل أحد شقيقه أتاه جبريل على فرس عليه لأمته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل :

غفر الله لك أو قد وضعت السلاح؟ قال: نعم فقال جبريل: لكننا لم نضعه منذ نزل بك العدو وما زلت في طلبهم حتى هزمهم الله - ويقولون: إن على وجه جبريل لأثر الغبار - فقال له جبريل: إن الله قد أمرك بقتال بني قريظة فأنا عامدٌ إليهم بمن معي من الملائكة نازل بهم الحصون، فاخرج بالناس.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر جبريل فر على مجلس بنى غنم وهم ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم فقال: مرّ عليكم فارسٌ آفنا؟ قالوا: مرّ علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة ديباج عليه اللّامة. فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ذاك جبريل، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه دحية الكلبي بجبريل، فقال: الحقونى ببني قريظة فصاوا فيهم العصر.

فقاموا وما شاء الله من المسامحة فانطلقوا إلى بني قريظة، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق، فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض: ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة. وقال آخرون: هي الصلاة. فصلى منهم قوم وأخرت طائفة الصلاة حتى صلوا في بني قريظة بعد أن غابت الشمس، فذكروا الرسول الله صلى الله عليه وسلم من عجل منهم الصلاة ومن أخرها، فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعنف واحداً من الفريقين.

قال: فلما رأى علي بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً تلقاه وقال: ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود. وكان علي قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه رضى الله عنهن، فكره أن يسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تأمرنى بالرجوع؟ فكتمته. فسمع منهم فقال: أظنك سمعت فيّ منهم أذى، فامض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت. فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصمهم، وكانوا في أعلاه، نادى بأعلى

صوته نقرأ من أشرفهم حتى أسمعهم فقال : أجيئوا يامعشر يهود يا إخوة القردة ، قد نزل بكم خزى الله عز وجل .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ، وردَّ الله حُيَّ بن أخطب حتى دخل حصنَ بني قريظة ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، واشتد عليهم الحصار ، فصرخوا بأبى لُبابة بن عبد المنذر - وكانوا حلفاء الأنصار - فقال أبو لبابة : لا آتيتهم حتى يأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أذنتُ لك .

فأتاهم أبو لبابة فبكوا إليه وقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا ؟ فإنه لا طاقة لنا بالقتال .

فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه وأمرَّ عليه أصابعه ، يريهم أنما يراد بهم القتلُ . فلما انصرف أبو لبابة سُقط في يده ، ورأى أنه قد أصابته فتنةٌ عظيمة ، فقال : والله لا أنظر في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أُحدثَ لله توبةً نصوحاً يعلمها الله من نفسى .

فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غاب عليه أبو لبابة : أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ؟ فذُكر له ما فعل ، فقال : لقد أصابته بعدى فتنةٌ ولو جاءنى لاستغفرت له ، وإذ قد فعل هذا فإن أحرَّكه من مكانه حتى يقضى الله فيه ما يشاء .

وهكذا رواه ابن لهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة . وكذا ذكره محمد بن إسحاق في مغازيه فى مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهرى ، ومثل رواية أبى الأسود عن عروة .

قال ابن إسحاق : ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنى ، فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصارُ وقذف في قلوبهم الرعب .

وقد كان حياً بن أذباب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يُنأجزهم قال كعب بن أسد : يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإني عارضٌ عليكم خِلالاً ثلاثاً نخدوا بما شئتم منها . قالوا : وما هن ؟ قال : تتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مُرسَل وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لانفارق حُكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره .

قال : فإذا أبيت على هذه فهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلتين بالسيوف ^(١) ، لم نترك وراءنا ثَقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن نَظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء .

قالوا : أقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟

قال : فإن أبيت على هذه ، فالليلةُ ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنونا فيها ، فانزلوا علينا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّة .

قالوا : أنفسد سَبْتنا ونُحدث فيه ما لم يُحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخفَ عنك من المسخ .

فقال : ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أمه ليلةً من الدهر حازماً .

(١) ابن هشام : مصليين السيوف .

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر
أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، نستشيرهم في أمرنا .

فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء
والصبيان يبكون في وجهه ، فرق لهم وقالوا : يا أبا لبابة أتري أن نزل على حكم محمد ؟
قال : نعم . وأشار بيده إلى حلقة أنه الذبح .

قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدمي من مكانهما حتى عرفتُ أني قد خُنت
الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى
ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته ، وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما
صنعتُ . وأعاهد الله ألا أطأ بنى قريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله
فيه أبداً .

قال ابن هشام : وأنزل الله ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن عبد الله بن أبي قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسولَ وتخونوا أماناتكم
وأنتم تعلمون ^(١) » .

قال ابن هشام : أقام مرتبطاً ستَّ ليالٍ ، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتخذه
حتى يتوضأ ويصلي ، ثم يرتبط ، حتى نزلت توبته في قوله تعالى : « وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خَلطوا أعمالاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوبَ عليهم إن الله غفور
رحيم ^(١) » .

وقولُ موسى بن عُقبة أنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به . والله أعلم .
وذكر ابن إسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو في بيت أم

سلمة ، فجعل يبتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة ، فاستأذنته أن تبشّره فأذن لها ، فخرجت فبشّرته ، فثار الناسُ إليه يبشرونه ، وأرادوا أن يحلّوه من رباطه فقال : والله لا يحلّني منه إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفجر حلّه من رباطه رضى الله عنه وأرضاه .

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعِيَةَ وأسيد بن سَعِيَةَ وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بني هَدَل ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم ، أساءوا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فرَّ بجرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسleme تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا أغدر بمحمد أبداً . فقال محمد بن مسleme حين عرفه : اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام . ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب لم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا فذكر شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك رجل نجّاه الله بوفائه .

قال : وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة ، فأصبحت رُمته ملقاةً ولم يُدر أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة . والله أعلم أيّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتواثبت الأوسُ فقالوا : يا رسول الله إنهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت ، يعنون عَنوهُ عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله ابن أبي . كما تقدم .

قال ابن إسحاق : فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رُفيدة في مسجده وكانت تداوى الجرحى ، فلما حكمه في بني قريظة أتاه قومُه فحملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولأك ذلك لئتحسن فيهم . فلما أكتروا عليه قال : قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لأثم !

فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار ، وأما الأنصار فيقولون : قد عم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين . فقاموا إليه . فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولأك أمر مواليك لئتحكم فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا . في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلاله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن يُقتل الرجال وتقسّم الأموال وتُسبى الذراري والنساء . قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد ابن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرفعة .

وقال ابن هشام : حدثني من أثق به من أهل العلم أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان . وتقدم هو والزيير بن العوام وقال : والله لأذوقن ماذاق حمزة أو أفتحم حصنهم . فقالوا : يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ .

* * *

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعتُ أبا أمامة بن سهل ، سمعت أبا سعيد الخدري ، قال : نزل أهلُ قريظة على حكم سعد بن معاذ . قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتاه على حمار ، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا لسيديكم أو خيركم . ثم قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك . قال : نقتل مقاتلتهم ونسبي ذريتهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قضيت بحكمك الله . وربما قال : قضيت بحكم الملك . وفي رواية الملك .

أخرجاه في الصحيحين من طرق عن شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حُجَين ويونس ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : رُمِيَ يومَ الأحزاب سعدُ بن معاذ فقطعوا أكَحَلَه ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار فانتفخت يده فنزفه ، فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تُخرج نفسي حتى تُقرَّ عيني من بني قريظة . فاستمسك عرقه فما قطر قطرةً حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم ونسبي نساؤهم وذرائعهم يستعين بهم المسلمون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبت حكم الله فيهم . وكانوا أربعائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات .

وقد رواه الترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة ، عن الليث به . وقال الترمذى :

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن مُعمر ، عن هشام ، أخبرني أبي ، عن عائشة قالت : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأناه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها اخرج إليهم . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ قال : هاهنا . وأشار إلى بني قريظة . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . قال هشام : فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فردَّ الحكمَ فيهم إلى سعد . قال : فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وتُسبى النساء والذرية وتقسم أموالهم .

قال هشام : قال أبي : فأخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد حكمت فيهم بحكم الله

وقال البخاري : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا عبد الله بن مُعمر ، حدثنا هشام عن أبيه ، عن عائشة قالت : أصيب سعدٌ يومَ الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له حَبَّان ابن العَرِيقَة ، رماه في الأكل ، فَضْرَبَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم خيمةً في المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل ، فأناه جبريل وهو يفيض رأسه من الغبار فقال : قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعتُهُ اخرج إليهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ فأشار إلى بني قريظة . فأناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكمه ، فردَّ الحكمَ إلى سعد . قال : فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم . قال هشام : فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحب إليَّ أن أجاهدكم فيك من قومٍ كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريشِ شيءٌ فأبقني له حتى أجاهدكم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فأفجرها واجعل موتى فيها . فانفجرت من لَبَّتِهِ فلم يرُعْهم وفي

المسجد خيمة من بني غِفَارٍ إلا الدمُ يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغدو جرحه دمًا فمات منها .

وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن مُبَيْرٍ به .

قلت : كان دعا أولًا بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا تُمتني حتى تُقرَّ عيني من بني قريظة . فاستجاب الله له ، فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أيّ قرار دعا ثانيًا بهذا الدعاء فجعل الله له شهادة يرضى الله عنه وأرضاه . وسأني ذكر وفاته قريباً إن شاء الله .

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولاً يبدأ وفيه نحو ما ورد فقال : حدثنا يزيد ، أنبأنا محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن وقاص ، قال : أخبرتني عائشة قالت : خرجتُ يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وثيد الأرض ورأى ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنّه . قالت : فجلستُ إلى الأرض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه ، فأناتخوف على أطراف سعد ، قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمرّ وهو يرتجز ويقول :

لَبَّثَ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْمَيِّجَا حَمَلٌ
مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت : فقامت فانتحمت حديقةً فإذا نفر من المساهين ، فإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبعة له ، تعني المغفر ، فقال عمر : ما جاء بكِ والله إنك لجريرة وما يؤمنك أن يكون بلائاً أو يكون تحوُّز . فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض فتحت ساعتئذ فدخلتُ فيها فرفع الرجل السبعة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : يا عمر ويحك إنك قد أكرت منذ اليوم وأين التحوُّز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل .

قالت : ويرحمي سعداً رجلاً من قريش يقال له ابن العرقة وقال : خذها وأنا ابن العرقة .

فأصاب أ كحلّه قطعته ، فدعا الله سعدُ فقال : اللهم لا تُمتني حتى تقر عيني من بني قريظة .
قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية . قالت فرقاً بكلمته وبعث الله الريح على
المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . فلاحق أبو سفیان ومن معه
بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد .

ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيمهم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة وأمر بقبة من آدم ، فضربت على سعد في المسجد . قالت : فجاء جبريل وإن
على ثنائه لنتع الغبار فقال : أقد وضعت السلاح ! لا والله ما وضعت الملائكة السلاح
بعد ، اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم .

قالت : فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن
يخرجوا ، فر على بني عَمِّهم وهم جيران المسجد حوله فقال : من مرّ بكم؟ قالوا : مرّ بنا
دحية السكبي ، وكان دحية السكبي تشبهه لحيته وسنّه ووجهه جبريل عليه السلام .

فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصرهم
واشتد البلاء قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاستشاروا أبا لُبابة
ابن عبد المنذر فأشأ إليهم أنه الذبح قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : انزلوا على حكم سعد بن معاذ . فأتى به على حمار عليه إكاف من
ليف قد يحمل عليه وحفّ به قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو حلفائك ومواليك وأهل النكابة ،
ومن قد علمت . قالت : ولا يرجع إليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم
التفت إلى قومه فقيل : قد آن لي الأبا لي في الله لومة لائم !

قالت : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى
سيدكم فأنزلوه . قال عمر : سيدنا الله . قال : أنزلوه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
احكم فيهم فقال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلاتهم وتُسبي ذراريهم وتقسم

أموالهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله وحكم رسوله . ثم دعا سعداً فقال : اللهم إن كنتَ أبقيتَ على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، وإن كنتَ قطعتَ الحربَ بينه وبينهم فأقبضني إليك . قالت : فانفجرَ كُلمه وكان قد برئ حتى لا يرى منه إلا مثل الخُرص^(١) ، ورجع إلى قبته التي ضربَ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت عائشة : فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، قالت : فوالذي نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرني ، وكانوا كما قال الله : « رَحْمَاءَ بَيْنَهُمْ^(٢) » .

قال علقمة : فقلت : يا أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد . ولكنه كان إذا وجدَ فإنما هو آخذٌ بلحيته .

وهذا الحديثُ إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة ، وفيه التصريحُ بدعاء سعد مرتين ، مرة قبلَ حكمه في بني قريظة ومرة بعد ذلك ، كما قلناه أولاً والله الحمد والمنة . وسندُ كَر كَر كيفية وفاته ودفنه وفضله في ذلك رضى الله عنه وأرضاه بهمد فراغنا من القصة .

قال ابن إسحاق : ثم استنزَلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار . قلت : هي نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلة الكذاب ، ثم خلفَ عليها عبد الله بن عامر ابن كَر كَر .

ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فحَدَّقَ بها خنادق ، ثم بعث إليهم
فَضْرَبَ أعناقهم في تلك الخنادق ، فخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدو الله حَيِّ بن أخطب
وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة . والمكثِر لهم يقول : كانوا ما بين
الثمانمائة والتسعمائة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبي الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعمائة
فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ما تراه يَصْنَعُ بنا ؟ قال : أفى كل مَوْطِنٍ لا تَعْقِلُونَ !
ألا ترون الداعى لا يَنْزِعُ ومن ذهب به منكم لا يَرْجِعُ ، هو والله القتل !
فلم يزل ذلك النداب حتى فرغ منهم ، وأتى بجي بن أخطب وعايه حُلَّة له
فُقَّاحِيَّةٌ ^(١) قد شقها عليه من كل ناحية قدرَ أنملة لثلاثا يُسَلِّبها ، مجموعةً يدها إلى عنقه
بجبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله ما لمتُ نفسي في عداوتك ،
ولكنه من يَحْذِلُ الله يَحْذِلُ !

ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كِتَابٌ وَقَدَرٌ
ومَلْحَمَةٌ كتبها الله على بنى إسرائيل ! ثم جالس فَضْرَبَتْ عنقه .
فقال جَبَل بن جَوَّال التَّمَلُّبِي :

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ ابْنُ أُخْطَبِ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَحْذِلُ اللهُ يَحْذِلُ
لِجَاهِدِ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلْقَلْ بِيغْيِ الْعِزَّ كُلَّ مُقْلَقِلٍ ^(٢)

(١) الفقاح : الزهر إذا انشقت أكنه . والمراد أنها كانت تضرب إلى الحمرة . قال ابن هشام : فقاحية :
ضرب من الوشى .
(٢) قلقل : سعى وتحرك .

وذكر ابن إسحاق قصة الزبير بن باطا ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، وكان قد من يوم بعث على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته ، فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفنى يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك . فقال له ثابت : أريد أن أكَفِّتَكَ . فقال : إن الكريم يجزى الكريم .

فذهب ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلقه فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره فقال : شيخ كبير لا أهل [له ^(١)] ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ! فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلق له امرأته وولده ، فأطلقهم له . ثم جاءه فقال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلق مال الزبير بن باطا ، فأطلقه له .

ثم جاءه فأخبره فقال له : يا ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى حتى ^(٢) ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتِل .

قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حبي بن أخطب ؟ قال : قُتِل .

قال : فما فعل مُقدمتنا إذا شدّدنا وحاميتنا إذا فررنا : عزال بن شموال ^(٣) ؟ قال : قُتِل .

قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة . قال : ذهبوا قتلوا .

قال : فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقمتني بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فيلة ^(٤) دَلُّوا ناصح حتى ألقى الأحبة .

(٢) ابن هشام : عذارى الحمى .

(١) من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : سموال بالسين .

(٤) المذكور فى ابن هشام والروض الأنف للسهبلى : فتلة بالياء . ولعله تحريف فيهما ، ما دام ابن كثير

قد ضبطه بالحروف .

فقدّمه ثابت فُضِرَت عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : « ألقى الأحبة » قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها محمداً !

قال ابن إسحاق : « قَيْلَةٌ » بالغاء والياء المثناة من أسفل . وقال ابن هشام ، بالقاف والباء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح : البعير الذي يُسْتَقَى عليه الماء لسقى النخل . وقال أبو عبيدة : معناه إفراغة دلو .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أُنْبِتَ منهم . فحدثني شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أُنْبِتَ منهم ، وكنتُ غلاماً ، فوجدوني لم أُنْبِتْ فخلّوا سبيلي . ورواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي نحوه .

وقد استدلل به من ذهب من العلماء إلى أن إنبات الشعر الخشن حول الفرج دليلٌ على البلوغ ، بل هو بلوغٌ في أصح قول الشافعي .

ومن العلماء من يفرق بين صبيان أهل الزمة ، فيكون بلوغاً في حقهم دون غيرهم ، لأن المسلم قد يتأذى بذلك لمقصد .

وقد روى إسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن ، أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن شموال ، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبيل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله إن رفاعة يزعم أنه سيُصلّى وبأكل لحم الجمل . فأجابها إلى ذلك فأطلقه .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لم يُقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندي تحدّثت معي تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : وبلك مالك ؟ قالت : أقتل ! قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته . قالت : فانطلق بها فضربت عنقها .

وكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها طيبٌ نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تُقتل !

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به . قال ابن إسحاق : هي التي طرحت الرّاحا على خلاد بن سويد فقتلته . يعني فقتلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم به .

قال ابن إسحاق في موضع آخر : وسماها نباتة امرأة الحكم القرظي .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم ، سهمين للفارس وسهما لراكبه ، وسهما للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين . قال : وكان أول فيء وقعت فيه السهمان وخمس .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيد بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحاً . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى من نساءهم ريمانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، وكان عليها حتى توفى عنهما وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها الإسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسُرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامها

وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاخترت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام .

ثم تسكلم ابن إسحاق على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها والله الحمد والمنة .

وقد قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة خَلَادُ بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي طُرحت عليه رحاً فشدخته شدخاً شديداً ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

قلت : كان الذي ألقى عليه الرحى تلك المرأة التي لم يقتل من بني قريظة امرأة غيرها كما تقدم . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان من بني أسد بن خزيمه ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم .

وفاة سعد بن معاذ رضى الله عنه

قد تقدم أن حِبَّان بن العرقة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكله ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيئاً بالنار فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله ألا يميته حتى يُقر عينه من بني قريظة ، وذلك حين تقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلما ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة وبات بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحاصرهم كما تقدم ، فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحكم فيهم بما أَرَادَهُ اللهُ ، فردَّ الحكم فيهم إلى رئيس الأوس وكانوا حلفاءهم في الجاهلية ،

وهو سعد بن معاذ، فرضوا بذلك. ويقال: بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لما يرجون من حُنُوِّه عليهم وإحسانه وميله إليهم، ولم يعلموا بأنهم أبعض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير لشدة إيمانه وصدقته رضي الله عنه وأرضاه.

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في خيمة في المسجد النبوي، فنجى به على حمار تحته إكاف قد وطئ تحته لمرضه، ولما قارب خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عليه السلام من هناك بالقيام له. قيل: لئِنزَل من شدة مرضه، وقيل توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ في نفوذ حكمه. والله أعلم.

فلما حكم فيهم بالقتل والسب وأقر الله عينه وشفى صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوي صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة، واختار الله له ما عنده فانفجر جرحه من الليل، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأنُ بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً.

حدثني معاذ بن رفاعة الزُّرقي قال: حدثني من شئت من رجال قومي: أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق، فقال: يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سربعاً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات رضي الله عنه.

هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله.

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أبي وشُعيب بن الليث ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن معاذ بن رفاعه ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش ؟

قال : نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سعد بن معاذ ، قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال : « سبحان الله » مرتين ، فسمح القوم ، ثم قال : « الله أكبر الله أكبر » فكبر القوم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه في قبره حتى كان هذا حين فرج له » .

وروى الإمام أحمد والنسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعه عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد يوم مات وهو يدفن : « سبحان الله لهذا الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء ، شدد عليه ثم فرج الله عنه » .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني معاذ بن رفاعه ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو ابن الجوح ، عن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا : يا رسول الله مم سبحت ؟ قال : « لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه » .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق به .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للقبر ضمةً لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ » .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن للقبر ضغطةً ، ولو كان أحد ناجياً منها لتجا سعد بن معاذ » .

وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين ، إلا أن الإمام أحمد رواه عن غنْدَر ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إنسان ، عن عائشة به .

ورواه الحافظ البزار عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا داود ، عن عبد الرحمن ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك إلى الأرض لم يهبطوا قبل ذلك ، ولقد ضمة القبر ضمة . ثم بكى نافع !

وهذا إسناد جيد ، لكن قال البزار : رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلًا .

ثم رواه البزار ، عن سليمان بن سيف ، عن أبي عتاب ، عن سُكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرضَ قبلها » وقال حين دفن : « سبحان الله لو انفلت أحدٌ من ضغطة القبر لانتقلت منها سعد » .

وقال البزار : حدثنا إسماعيل بن حفص ، عن محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ . فقيل : إنما يعني السرير « ورفع أبويه على العرش » قال : تفتحت أعواده . قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبره فاحتبس فلما خرج قيل له : يا رسول الله ما حبسك ؟ قال : ضمة سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه .

قال البزار : تفرد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلم فيه .
وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته ضمة سعد رضى الله عنه في القبر أثراً غريباً فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثني أمية بن عبد الله ، أنه سأل بعض أهل سعد : ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا ؟ فقالوا : ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال : كان يقصّر في بعض الطهور من البول .
وقال البخارى : حدثنا محمد بن المثني ، حدثنا الفضل بن مساور ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اهتزَّ العرشُ لموت سعد بن معاذ .

وعن الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . فقال رجل لجابر ؟ فإن البراء بن عازب يقول : اهتز السيريرُ ؟ [فقال] إنه كان بين هذين الحَيِّين ضفائناً سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ .
ورواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن إدريس وابن ماجه ، عن علي بن محمد ، عن أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش به . وليس عندهما زيادة قول الأعمش عن أبي صالح عن جابر .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيْج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وجزاة سعد بن معاذ بين أيديهم : اهتزَّ لها عرشُ الرحمن .

ورواه مسلم عن عَبد بن مُحمَّد ، والترمذى عن محمود بن غَسِيلان كلاهما عن عبد الرزاق به .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عوف ، حدثنا أبو نَصْرَةَ ، سمعت

أبا سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم : اهتزَّ العرشُ لموت سعد بن معاذ .

ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى به .

وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، قال قتادة : حدثنا أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجنازته موضوعة : اهتز لها عرش الرحمن . ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله الأزدي ، عن عبد الوهاب به .

وقد روى البيهقي من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن البصري ،

قال : اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه .

وقال الحافظ البزار : حدثنا زهير بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن

قتادة ، عن أنس قال : لما أُحْمِلت جنازةُ سعد قال المنافقون : ما أخفَّ جنازته ! وذلك لحُكْمه في بني قريظة . فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا ولكن الملائكة تحمّله .

إسناد جيد .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شُعْبَةَ ، عن أبي إسحاق ،

سمعت البراء بن عازب يقول : أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حُلَّةً حرير ، فجعل أصحابه يمسونها ويمسحون من لِينِهَا ، فقال : « أتعجبون من لِينِ هذه ؟ لَمَنَادِيلُ سعد بن معاذ خيرُ نِهَا أو أَلِينِ » .

ثم قال : رواه قتادة والزُّهري ، سمعنا أنسا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، هو ابن أبي عروبة ، عن قتادة ،

عن أنس بن مالك ، أن أُكَيْدِرَ دُومَةَ أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبةً وذلك قبل أن يُنْهَى عن الحرير ، فلبسها فعجب الناس منها فقال : « والذي نفسي

بيده لَمَنَادِيلُ سعد في الجنة أحسنُ من هذه » .

وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه ، وإنما ذكره البخاري تعليقا .
وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ ، قال محمد : وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم ، قال : دخلت على أنس بن مالك فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ . فقال : إنك بسعدٍ لشبّيه . ثم بكى وأكثرت البكاء وقال : رحمة الله على سعد ! كان من أعظم الناس وأطولهم . ثم قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى أكيذر دومة ، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة من ديباج منسوج فيها الذهب ، فلبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل ، فجعل الناس يأمسون الجبة وينظرون إليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتعجبون منها ؟ لمناديل سعد ابن معاذ في الجنة أحسن مما ترون » .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عمرو به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

قال ابن إسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد ابن معاذ : وفي ذلك يقول رجل من الأنصار :

وما اهتزَّ عرشُ الله من موتِ هالكٍ سمعنا به إلا لسعدٍ أبي عمرو
قال : وقالت أمه ، يعني كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية حين احتمل سعد على نعشه تندبه :

وَيْلَ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا صَرَامَةً وَحَادًا
وَسُودَدًا وَمَجْدًا وَفَارِسًا مُعَدًا
سَدًّا بِهِ مَسَدًا يَقْدَهُهَا مَاقِدًا

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ ! »

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، إذ كان قدوم الأحزاب في شوال سنة خمس كما تقدم فأقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحصار بني قريظة ، فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك في أواخر ذى القعدة أو أوائل ذى الحجة من سنة خمس والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق : إن فتح بني قريظة كان في ذى القعدة وصدر ذى الحجة . قال : وولى تلك الحجة المشركون .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثي سعد بن معاذ رضى

الله عنه :

| | |
|-------------------------------------|--|
| لقد سَجَمْتَ من دمع عيني عَبْرَةً | وَحَقَّ لِعيني أن تفيض على سعدِ (١) |
| قتيلِ ثوى في مَعْرِكٍ فُجِعْتَ به | عيونُ ذَواري الدمع دأمة الوَجْدِ (٢) |
| على مِلَّةِ الرحمن وارثُ جنَّةِ | مع الشهداء وفُذِّها أكرمُ الوَفْدِ |
| فإن تكُ قد وعدتنا وتركتنا | وأَمْسَيْتَ في غَبراءِ مُظلمةِ اللحدِ |
| فأنت الذى يأسعدُ أبتَ بمشهدِ | كريمٍ وأثوابِ المسكارمِ والمجدِ |
| بحمك في حَيِّ قريظة بالذى | قضى الله فيهم ما قضيت على عمَدِ |
| فوافق حكمُ الله حكمك فيهمُ | ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرْتَ ما كان من عَهْدِ |
| فإن كان ريبُ الدهرِ أمْضاك في الألى | شَرَوْا هذه الدنيا بجناتها الخلدِ |
| فنعم مصيرُ الصادقين إذا دُعوا | إلى الله يوماً للوجاهة والقصدِ |

(٢) ذواري الدمع : غزيرته .

(١) سَجَمْتَ : فاضت .

فصل

فيما قيل من الأشعار في الخندق وبنى قريظة

قال البخارى : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا شعبة ، حدثنا عدى بن ثابت ، أنه سمع البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : اجهم أو هاجهم وجبريل معك . قال البخارى : وزاد إبراهيم بن طهمان ، عن الشيبانى ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت : اهج المشركين فإن جبريل معك .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم والنسائى من طرق عن شعبة بدون الزيادة التى ذكرها البخارى يوم بنى قريظة .

قال ابن إسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بنى محارب ابن فهر فى يوم الخندق . قلت : وذلك قبل إسلامه :

ومُشفِّقَةٌ تظنُّ بنا الظنوناً وقد قُدنا عَرَندسةً طحوناً^(١)
كأن زهاءها أحدٌ إذا ما بدت أركانهُ للناظريناً
ترى الأبدانَ فيها مُسبغاتٍ على الأبطال واليَّابِ الحصيناً^(٢)
وجُرداً كالقِداحِ مسوَّماتٍ نوؤمُ بها الفِواةَ الخاطئيناً^(٣)
كأنهمُ إذا صالوا وصلنا يباب الخندقينِ مُصاخوناً
أناسٌ لا نرى فيهم رشيداً وقد قالوا ألسنا راشديناً
فأحجرتناهمُ شهراً كَريْتاً وكنا فوقهمُ كالقاهريناً^(٤)

(١) المرندس : القوى . والطحون : المهلكة . يريد الكتيبة .

(٢) الأبدان : جمع بدن وهى الدرع القصيرة . والياب : محرمة : الترسة أو الدروع من الجلد .

(٣) الجرد : جمع أجرد وهو من الخيل : السباق . والسومات : المعلمات أو المرسلات .

(٤) أحجرتناهم : حصرناهم . والكريت : التام .

نُراوهم ونغدو كلَّ يوم
بأيدينا صوارمُ مرهقات
كانَّ وميضهنَّ مُعريَّاتٍ
وميضُ عَقِيقةٍ لَمعتْ بلبيلٍ
فلولا خندقٌ كانوا لديه
ولكن حالَ دونهم وكانوا
فإن نرحل فإننا قد تركنا
إذا جنَّ الظلامُ سمعتَ نوحاً
وسوف نروركُم عمَّا قريب
بجمعٍ من كنانةٍ غيرِ عُزْلِ

عليهم في السلاح مُدَجِّجينا
نقدُّ بها المَفاوِقَ والشُّوناً^(١)
إذا لاحت بأيدي مُصَلِّتينا
تَرى فيها العَقائقَ مُسْتَبِيناً^(٢)
لدمرنا عليهم أجمعيناً
به مِن خَوْفنا متعوِّذينا
لدى أبياتكم سعداً رهينا
على سعد يرجعنَ الحنيناً
كما زرناكم مُتوازييناً
كأسد الغاب إذ حمتِ العَربينا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة رضى الله عنه فقال :

وسائلةٍ تُسائل ما لقيننا
صبرنا لا نرى الله عُدلاً
وكان لنا النبيُّ وزيرٌ صدق
نقاتل معشراً ظالموا وعَقُوا
نعالجهم إذا نهضوا إلينا
ترانا في فضائفِ سابغاتٍ
وفي أيامنا بيضٌ خِفَافٍ
ولو شهدتُ رأينا صابرينا
على ما نابنا متوكِّليناً
به نَعَلو البريةَ أجمعينا
وكانوا بالعداوة مُرْصِدينا
بضربٍ يُعْجِلُ المُتسرِّعينا
كغُدرانِ المَلأ مُتسرِّليناً^(٣)
بها نَشفى مراحَ الشاغبيننا

(١) الشئون : جمع شأن : يجمع العظام في الرأس .

(٢) العقيقة : من البرق ما يبقى في السحاب من شعاعه .

(٣) النضائف : جمع فضاضة وهي الدرع الواسعة . والغدران : جمع غدِير . والملا : الصحراء .

بياب الخندقين كأن أسداً شوابكهن يَحْمِينُ الْعَرِينَا
فوارسنا إذا بكروا وراحوا على الأعداء شوساً مُعَلِينَا (١)
لنصر أحمداً والله حتى نكون عباداً صِدْقِ مَخْلَصِينَا
ويملم أهل مكة حين ساروا وأحزابٌ أتوا متحزبينَا
بأن الله ليس له شريك وأن الله مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَا
فإما تقتلوا سعداً سفاهاً فإن الله خير القادرِينَا
سيدخله جناتاً طيباتٍ تكون مقامةً للصالحِينَا
كما قد ردكم فلا شريداً بغيظكم خزايا خائبِينَا
خزايا لم تنالوا ثم خيراً وكدتُم أن تكونوا دامرِينَا
بريح عاصف هبت عليكم فكنتُم تحتها متكهمِينَا (٢)

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبيرى السهمى فى يوم الخندق . قلت : وذلك قبل أن يُسلم :

حَىِّ الدِيَارِ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا طُولُ الْبَيْلَى وَتَرَاوِحُ الْأَحْقَابِ
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رَسُومَهَا إِلَّا الْكِنِيفَ وَمَعْقَدَ الْأَطْنَابِ (٣)
قَفَرَا كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا فِي نَعْمَةٍ بِأَوَانِسِ أَتْرَابِ
فَأَتْرَكَ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عَيْشَةٍ وَحِجْلَةَ خَلْقِ الْمَقَامِ بِيَابِ
وَإِذَا كَرَّ بِلَاءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرَهُمْ سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ (٤)

(١) متكهمينا : عميا لا تبصرون .

(٢) الشوس : جمع أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينه كبرا . والعلم : الذى جعل لنفسه علامة فى الحرب يعرف بها .

(٣) الكنيف : المظيرة . والأطناب : جمع طناب وهو الجبل الذى تشد به الخيمة ونحوها .

(٤) الأنصاب هنا : الحجارة التى يعلم بها الحرم .

أنصاب مكة عامدين ليثرب
 يدعُ الحزونَ منهاجاً معلومةً
 فيها الجياد شوازبٌ مجنوبةٌ
 من كل سلهيةٍ وأجرد سلهبٍ
 جيشٌ عيينة قاصدٌ بلوائه
 قرمان كالبدرين أصبحَ فيهما
 حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا
 شهراً وعشراً قاهرين عمداً
 نادوا برحاتهم صبيحةَ قلمٍ
 نولا الخفادقُ غادروا من جمعهم
 في ذى غياطلَ جحفل جَبجَب (١)
 في كل نشزٍ ظاهرٍ وشعابٍ (٢)
 قُبُ البطون لواحقُ الأقرابِ (٣)
 كالسَّيدِ بادرَ غفلةَ الرءقابِ (٤)
 فيه وصخرٌ قائدُ الأحزابِ
 غيثُ الفقيرِ ومَعقلُ الهُرَّابِ
 للموتِ كلُّ مُجربٍ قَضابِ
 وصحابُهُ في الحربِ خيرُ صحابِ
 كِدنا نكونُ بها مع أنخِيابِ
 قتلى لَطيرِ سَعْبِ وذئابِ

قال : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسمُ دارسةِ المقامِ يَبابِ
 ققرٌ عفا رهمُ السحابِ رسومَه
 ولقد رأيتُ بها الحلولَ يزِينهم
 فدعِ الديارِ وذكُرْ كلَّ خريدةِ
 واشكُ الهمومَ إلى الإلهِ وما ترى
 ساروا بأجمعهمُ إليه والَبوا
 متكلمٌ لمُحاورٍ بجوابِ
 وهبوبٌ كلُّ مُطلةٍ مِرَبابِ (٥)
 بيضُ الوجوهِ ثواقبُ الأحسابِ
 بيضاءِ آنسةِ الحديثِ كعابِ
 من معشرِ ظلموا الرسولَ غضابِ
 أهلَ القرىِ وبواديِ الأعرابِ

(١) الغياطل: الأصوات المختلطة . يريد كثرة الجيش والجحفل : الجيش الكثير . والجَبجَب : الكثير .

(٢) الحزون : جمع حزن وهو ما ارتفع من الأرض . والنشز كذلك . والنساجح : جمع منهج وهو الطريق الواضح .

(٣) الشوازب : الضواصر . والمجنوبة : التي تقاد . والقب : جمع أقب وهو الضامر من الخيل . واللواحق : الضامرة . والأقرباب : جمع قرب ، وهو الحاصرة .

(٤) السلهية : الطويلة . (٥) الرهم : جمع رهمة ، وهو الطر الضعيف الدائم . والمرباب : الدائمة .

جيشٌ عِيْنَةٌ وابنُ حربٍ فيهمُ
 حتى إذا وردوا المدينةَ وارتجوا
 وغدوا علينا قادرين بأيديهم
 بهبوبٍ مُعْصِفَةٍ تفرِّقُ جمعهم
 فكفى الإلهُ المؤمنين قتلهم
 من بعد ما قاتلوا ففرَّق جمعهم
 وأقرَّ عينَ محمدٍ وصحابه
 على الفؤادِ موقعِ ذى ريبه
 علقَ الشقاءَ بقلبه ففؤاده
 متخبطون بحلِّبةِ الأحزابِ (١)
 قتلَ الرسولَ ومَنَّمِ الأَسلابِ
 رُدُّوا بفيظهمُ على الأَعقابِ (٢)
 وجنودِ ربك سيدِ الأربابِ
 وأتابهمُ فى الأجرِ خيرَ ثوابِ
 تنزيلُ نصرِ مليكنا الوهابِ
 وأدَلَّ كلَّ مكذِّبٍ مرتابِ
 فى الكفرِ ليس بطاهرِ الأثوابِ
 فى الكفرِ آخرَ هذه الأَحقابِ

قال : وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً فقال :

أبقى لنا حدَّ الحروبِ بقيةً
 بيضاءَ مُشرَفةَ الدُّرى ومَماطناً
 كاللُّوبِ يُبذَلُ جَهماً وحَفيلاً
 ونزائماً مثلَ السراجِ نَمى بها
 عرسي الشَّوى منها وأردفَ نَحْصَها
 من خَيرِ نَحْلةِ ربنا الوهابِ
 حُمِّ الجذوعِ غزيرةِ الأَحلابِ (٣)
 للجارِ وابنِ العمِّ والمُنْتابِ (٤)
 علفُ الشَّعيرِ وجَزَّةُ المِقْضابِ (٥)
 جُرْدُ المتونِ وسائرُ الآرابِ (٦)

(١) متخبطون : مختلطون .

(٣) المعاطن : قال السهيلي : يعنى نبات النخل عند الماء شبيها بمعاطن الإبل وهى مباركها عند الماء .
 وقوله : حم الجذوع : وصفها بالحمه وهى السواد لأنها تضرب إلى السواد من الحضرة والنمة ، وشبه ما يجتنى منها بالحب فقال : غزيرة الأحلاب . الروض ٢٠٤/٢ .

(٤) اللوب : جمع لوبية وهى الحره ، وهى أرض ذات حجازة سود . واللوب أيضاً : النحل ، ويجوز أن يكون شبيها بالنحل فى كثرتها . وجها وحفيلا : أراد الكثير منها . والمُنْتاب : الزائر الملم .

(٥) النزائغ : الخيل التى تجلب إلى غير بلادها ، يريد أنهم استلبوها من الأعداء . والمقضب : مزرعة كما قال السهيلي ، وجزتها : ما يجز منها للخيل .

(٦) الشوى : القوائم . والنحض : اللحم . والآراب : المفاصل واحدها إرب .

| | |
|--|--|
| قوداً تُرَاحُ إِلَى الصَّيَاحِ إِذَا غَدَتْ | فَعَلَ الضَّرَاءُ تُرَاحَ لِلْكَلَابِ (١) |
| وَتَحْمُوطِ سَائِمَةِ الدِّيَارِ وَتَارَةً | تُرْدَى العِدَى وَتَوُوبُ بِالأَسْلَابِ |
| حَوْشِ الوَحُوشِ مُطَارَةً عِنْدَ الوَغَى | عُبَسَ اللِقَاءَ مُبِينَةَ الإِنجَابِ (٢) |
| عُلِفَتْ عَلَى دَعَاةِ فَصَارَتْ بَدْنَا | دُخَسَ البَضِيعَ خَفِيفَةَ الأَقْصَابِ (٣) |
| بَيِّنْدُونَ بِالزَّرْغَفِ لِلْمَضَاعِفِ شَكَّهُ | وَبِمُتْرَصَاتِ فِي الثَّقَافِ صِيَابِ (٤) |
| وَصَوَارِمِ نَزَعِ الصَّيَاقِلِ عُنَبَهَا | وَبِكُلِّ أَرْوَعِ مَا جَدِ الأَنْسَابِ (٥) |
| بِصِلِ العَيْنِ بَمَارِنِ مُتْقَارِبِ | وَوَكَلَتْ وَوَقِيعَتَهُ إِلَى خَبَابِ (٦) |
| وَأَغْرَ أَرْزُقِ فِي التَّنْسَاءِ كَأَنَّهُ | فِي طُخْيَةِ الظَّلْمَاءِ ضَوْءَ شَهَابِ (٧) |
| وَكَتِيبَةِ بِنَنِ القِرَانِ قَتِيرُهَا | وَتُرْدُ حَدَّ قَوَاحِزِ النَّشَابِ (٨) |
| جَاوَى مُلَمَّمَةً كَأَنَّ رِمَاحَهَا | فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ صَرِيمَةٌ غَابِ (٩) |
| تَأَوَى إِلَى ظِلِّ اللِّوَاءِ كَأَنَّهُ | فِي صَعْدَةِ المَطْحَى فِيهِ عُقَابِ (١٠) |
| أَعَيْتَ أبا كَرِبٍ وَأَعَيْتَ تُبَعًّا | وَأَبَتْ بِسَائِمَتِهَا عَلَى الأَعْرَابِ (١١) |
| وَمَوَاعِظًا مِنْ رَبِّنَا نُهْدَى بِهَا | بِلِسَانِ أَزْهَرَ طَيِّبِ الأَثْوَابِ |

- (١) القود : الطوال الأعتاق . والضراء : الكلاب الضارية . والكلاب : جمع كالب وهو صاحب الكلاب الذي يصيد بها .
- (٢) الحوش : الوحشية ؛ وأصله من الإبل الحوشية وهي التي يزعمون أن غول نعم الجن قد ضربت فيها ويسمونها الحوش . قال رؤبة : * جرت رحانا من بلاد الحوش *
- والمطارة : المستخفة . والعيس : جمع عبوس .
- (٣) البضيع : اللحم المتطيل . والدخس من اللحم : الكثير . والأقصاب : جمع قصب وهو المعى .
- (٤) الزرغف : الدروع الواسعة . والشك : الخلق والنسج . والمترصات : الحكمة ، يعني الزماح المنقفة .
- والصياب : المصيبة . (٥) عليها : خشوتها وتثلماها . (٦) المارن : اللين . ووقيعته : صقله .
- وخباب : اسم صيقل . (٧) أغر أزرُق : يريد الرمح . وطخية الظلماء : شدتها .
- (٨) القران : اقتران النبل واجتماعه . والقدير : رهوس مسامر الدرع . القواحز : فجز السهم إذا رماه فوق بين يديه . (٩) الجاوى : التي يخالط غبرتها حمرة . والملممة : المجمعمة .
- (١٠) الصعدة : القناة المستوية . والمطحى : الرماح المنسوبة إلى الحط ، موضع كانت تناع فيه .
- والنء : الظل . (١١) أبو كرب وتبع : من ملوك اليمن قبل الإسلام .

عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِرَعْمِهِمْ حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
جَاءَتْ سَخِينَةٌ كَى تُغَالِبُ رَبَّهَا فَلْيُغْلِبْنِ مُغَالِبُ الْغَلَابِ ١

قال ابن هشام : حدثني من أثق به ، حدثني عبد الملك بن يحيى بن عبّاد بن عبد الله ابن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما سمع منه هذا البيت : « لقد شكرت الله يا كعب على قولك هذا » .

قلت : ومراده بسَخِينَةٍ قريش ، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي لا يتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادي . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمْتَمَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَعْمَةِ الْأَبَاءِ الْحَرَقِ (١)
فَلِيَّاتٍ مَأْسَدَةً تَسْنُ سِيوفَهَا بَيْنَ اللَّذَادِ وَبَيْنَ جِذْعِ الْخَنْدَقِ (٢)
دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلَمِينَ وَأَسْمَوْا مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ
فِي عَصَبَةٍ نَصَرَ الْإِلَٰهَ نَبِيَّهُ بِهِمْ وَكَانَ بَعِيدَهُ ذَا مَرْفَقِي
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ تَخْطُ فُضُولُهَا كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ لِلتَّرْقِرِ (٣)
بِيضَاءِ مُحْكَمَةٍ كَانَتْ قَتِيرَهَا حَدَقَ الْجَنَادِ بِذَاتِ شَكِّ مَوْثِقِ (٤)
جَدَلَاءٍ يَحْفَزُهَا نِحَاذًا مُهَنْدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْثِ (٥)

- (١) المعمة : صوت النار فيما عظم وكثف من الفصاء . والأباء : القصب واحدها إباءة . وفي الأصل : الإناء . وما أثبتته عن ابن هشام . (٢) اللذاد : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق .
(٣) السابغة : الدرع الوافية . وفضولها : أطرافها . والنهي : الغدير . والترقرق : صفة للنهي .
(٤) القتير : رهوس مسامير الدرع . والجنادب : الجراد . والشك : النسيج .
(٥) الجدلاء : الدرع القوية القتل . ويحفزها : يرفعها ، وذلك أن الدرع إذا طالت فضولها ربطوها بنجاد سيف . والنجاد : حائل السيف .

تلكم مع التقوى تكون لباسنا
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا
فترى الجاهم ضاحياً هاماتها
نلقى العدو بفخمة مملومة
ونعد للأعداء كل مقلص
تردى بفرسان كأن كمامهم
صدق يعاطون الكفاة حتوفهم
أمر الإله برابطها لصدوه
لتكون غيظاً للعدو رحيمياً
ويعيننا الله العزيز بقوة
ونطيع أمر نبيينا ونجيبه
ومتى ينادى للشدائد نأيتها
من يتبع قول النبي فإنه
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا
إن الذين يكذبون محمداً

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لقد علم الأحزاب حين تألبوا
أضاميم من قيس بن عيلان أضفت
علينا وراموا ديننا ما نواع
وخندق لم يدروا بما هو واقع^(٤)

(١) المخلص : الفرس الخفيف .

(٢) تردي : تسرع . والظل : المطر الضعيف . واللائق : ما يكون عن الظل من زلق وطين ، والأسد أجوع ما تكون وأجراً في ذلك الحين .

(٣) العماية : ظلمة الغبار . والوشيج : الرماح . والزرق : القاتل .

(٤) الأضاميم : واحدها أضامة ، وهو كل شيء يجتمع . وأضفت : اجتمعت .

يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنَذُودُهُمْ عَنْ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَأْيٍ وَسَامِعُ
إِذَا غَايَبُونَا فِي مَقَامِ أَعَانِنَا عَلَى غِيظِهِمْ نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَاسِعُ
وَذَلِكَ حَفِظُ اللَّهِ فِينَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ
هَدَانَا لِلدِّينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَاللَّهُ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعُ (١)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له - يعني طويلاً -

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة :

أَقْدَ لَقَيْتُ قُرَيْظَةَ مَا سَاءَهَا وَمَا وَجَدْتِ لِنَدْلٍ مِنْ نَصِيرِ
أَصَابِهِمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ سِوَى مَا قَدَّ أَصَابَ بَنِي النَّصِيرِ
غَدَاةَ أَنَاهُمْ يَهْوَى إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى بَفَرَسَانِ عَلَيْهَا كَالصَّقُورِ
تَرْكَنَاهُمْ وَمَا ظَفَرُوا بِشَيْءٍ دَمَاؤُهُمْ عَلَيْهَا كَالْعَبِيرِ
فَهُمْ صَرَخُوا تَحْمُومُ الطَّيْرِ فِيهِمْ كَذَلِكَ يُدَانُ ذُو الْعَنْدِ الْفَجُورِ
فَأَنْزَرْنَا مِثْلَهَا نُصَجًا قَرِيشًا مِنَ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلْتَ نَذِيرِي

قال : وقال حسان بن ثابت أيضاً في بني قريظة :

تَعَاقَدَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا قَرِيشًا وَلَيْسَ لَهُمْ بِيَلَدَتِهِمْ نَصِيرُ
هُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ وَهُمْ مَعْنَى مِنْ التَّوْرَةِ بُورُ
كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أُتِيتُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي قَالَ النَّذِيرُ
فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُؤْرَةِ مُسْتَطِيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعِ وَحَرَّقَ فِي طَوَائِفِهَا السَّعِيرُ

(١) الأصل : صانع . وما أثبتته عن ابن هشام .

سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِنُزِهِ وَتَعْلَمُ أَيُّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ^(١)

فَلَوْ كَانَ النَّخِيلُ بِهَارِكَابَا لَقَالُوا لَا مَقَامَ لَكُمْ فَسَيَرُوا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يُسَلَّمَ ، وقد تقدم في صحيح البخاري

بعض هذه الأبيات .

وذكر ابن إسحاق جواب حسان في ذلك لجلب بن جَوَّال الثعلبي تركناه قصداً .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً بيكي سعداً وجماعة ممن استشهد

يوم بني قريظة :

| | |
|---|---|
| أَلَا يَا قَوْمِي هَلْ لِمَا حُمِّ دَافِعُ | وهل ماضى من صالح العيش راجعُ |
| تَذَكَّرْتُ عَصراً قَدْ مَضَى فَتَهَافَتْتُ | بناتُ الحشَا وانهلَّ مَنَى اللدَامِعُ |
| صَبَابَةٌ وَجَدٍ ذَكَرْتَنِي إِخْوَةٌ | وَقَتَلَى مَضَى فِيهَا طُفَيْلٌ وَرَافِعُ |
| وَمَعْدُ فَاضْحَوَا فِي الْجَنَانِ وَأَوْحَشْتُ | مَنَازِلَهُمْ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بِلَاقِعُ ^(٢) |
| وَقَوَا يَوْمَ بَدْرِ لِلرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ | ظِلَالُ الْمَنَايَا وَالسِّيُوفُ الْوَالِامِعُ |
| دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّي وَكَلَّهْمُ | مَطِيحٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ |
| فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَلَّوْا جَمَاعَةً | وَلَا يَقْطَعُ الْآجَالَ إِلَّا الْمِصَارِعُ |
| لَأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شِفَاعَةً | إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّونَ شَافِعُ |
| فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بِلَاؤُنَا | إِجَابَتُنَا اللَّهُ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ |
| لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَفْنَا | لَأَوْلَانَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ |
| وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ | وَأَنَّ قِضَاءَ اللَّهِ لَا بُدَّ وَاقِعُ |

مقتل أبي رافع سَلَام بن أبي الحَقِيق اليهودي لعنه الله
في قصره في أرض خيبر، وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة، وكان سَلَام بن أبي الحَقِيق، وهو أبو رافع، فيمن حَزَب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأوس قبل أُحُدٍ قد قتلت كعب بن الأشرف فاستأذن الخزرجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سَلَام بن أبي الحَقِيق وهو بخيبر فأذن لهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم الزُّهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحَيِّين من الأنصار: الأوس والخزرج، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاولَ الفَحْلين، لا تَصْنَع الأوسُ شيئاً فيه غَنَاءٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقالت الخزرج: والله لا يَذْهَبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها. وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك.

قال: ولما أصابت الأوسُ كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج: والله لا يَذْهَبون بها فضلاً علينا أبداً.

قال: فتذاكروا من رجلٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحَقِيق وهو بخيبر، فاستأذِنوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قتله فأذن لهم.

نُجِرَ من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عَمِيك، ومسعود بن سِنان،

وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربیع ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم ، فخرجوا وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله . قال : وكان في عليّة له إليها عَجَلَةٌ ^(١) قال : فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تحوطاً أن يكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته فنوّهت بنا ، فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قُبْطِيَّةٌ ^(٢) مُلْقَاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكفّ يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تماثل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قَطْنِي قَطْنِي . أَيْ حَسْبِي حَسْبِي .

قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر ، قال : فوقع من الدرجة فوثبت يده وثبتاً شديداً ^(٣) ، وحملناه حتى نأثى به منهراً من عيونهم فندخل فيه . فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ، حتى إذا يئسوا رجعوا إليه فاكتنفوه وهو يقضى .

قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس قال : فوجدتها - يعني امرأته -

(١) العلية : العرفة : والعجلة : الدرج من النخل .

(٢) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع بمصر .

(٣) وثبت : فسكت ، أو أصابها وجع بلا كسر . وفي الأصل : وثبت . وما أثبتته عن ابن هشام .

ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحذثهم وتقول : أما والله قد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت : فاظ (١) والله يهود . فاسمعت كلمة كانت ألد على نفسي منها .

قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقد منا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله كلنا يدعيه . قال : فقال : هاتوا أسيافكم . فجئنا بها فنظر إليهما ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لله دَرٌّ عَصَابَةٌ لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحاً كأسد في عرين مغرف (٢)
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتماً ببيض دُفِّف
مستبصرين لنصر دين نبهم مستصغرين لكل أمرٍ مجحف
هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله .

وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاري : حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم رهطاً إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله .

قال البخاري : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن

(١) فاظ : مات . (٢) مغرف : ذو شجر كثير ملتف .

إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرّحهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فإني منطلق متلطّف للبواب لعلّي أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقمّع بشوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمّمت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علّق الأغاليق على ودّ^(١) قال : قممت إلى الأقاليد وأخذتها وفتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمّر عنده وكان في علالي له ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه ، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل ، فقلت : إن القوم نذروا بي^(٢) لم يخلصوا إليّ حتى أقتله . فانهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش ، فما أغنيت شيئاً ، وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال : لأمك الويل إن رجلاً في البيت [ضربني^(٣)] قبل بالسيف . قال : فأضربه ضربة أنخنته ولم أقتله ، ثم وضعت صبيب^(٤) السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أني قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت ، فوقعت في ليلة مقمرة فأنكسرت ساق فصببتها بعمامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب فقات : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته . فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال : أنعى أبا رافع ناصر أهل

(١) الود : الوند ، أدغم التاء بعد قلبها دالا .

(٢) نذروا : علموا . وفي الأصل : سدروا لي . وما أثبتته عن صحيح البخاري ٢١٤/٢ .

(٣) من صحيح البخاري ٢١٥/٢ .

(٤) الصبيب : طرف السيف .

الحجاز . فانطلقتُ إلى أصحابي فقلت : النجاء فقد قتل الله أبا رافع . فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : ابسط رجليك . فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها قط .

قال البخارى : حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى ، حدثنا شريح ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق سمعت البراء ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم ، فانطلقوا حتى دنوا من الحصن ، فقال لهم عبد الله بن عتيك : امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأناظر . قال : فتلطفتُ حتى أدخل الحصن ، ففقدوا حمارا لهم فخرجوا يقبسون بطلبونه . قال : فخشيت أن أعرف قال : فغطيت رأسي وجلست كأتى أفضى حاجة فقال^(١) : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه . فدخلتُ ثم اختبأت في مَرَبَط حمار عند باب الحصن ، فتمشوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ، ثم رجعوا إلى بيوتهم .

فلما هدأت الأصواتُ ولا أسمع حركةً خرجتُ . قال : ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة ، فأخذته . ففتحت به باب الحصن قال : قلت : إن نذير بي القوم انطلقتُ على مهل . ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلقتُها عليهم من ظاهر .

ثم صعدت إلى أبي رافع في سُلَّم فإذا البيت مظلم قد طفيء سراجُه ، فلم أذرِ أين الرجلُ ، فقلت : يا أبا رافع . قال : من هذا ؟ فعمدت نحو الصوت فأضربه ، وصاح فلم تُغن شيئا . قال : ثم جئته كأتى أغيبته فقلت : مالك يا أبا رافع . وغيّرت صوتي قال : لا أعجبك^(٢) لأملك الويل ! دخل على رجلٍ فضرني بالسيف . قال : فعمدت إليه

(١) البخارى : فنادى صاحب الباب . (٢) البخارى : ألا أعجبك .

أيضا فأضربه أخرى فلم تفن شيئا ، فصاح وقام أهله . ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فإذا هو مستلق على ظهره فأضع السيف في بطنه ثم أنكفي عليه حتى سمعت صوت العظم ، ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه ، فاجتمعت رجلي فمصبتها ، ثم أتيت أصحابي أحجل . فقلت : انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية . فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال : أنمي أبا رافع . قال : فقامت أمشي ما بي قلباً^(١) فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشروته .

تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة . ثم قال : قال الزهري : قال أبي بن كعب : فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال : أفلحت الوجوه . قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله . قال : أفتمتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ناولني السيف . فسأله فقال : أجل هذا طعامه في ذباب السيف .

قلت : يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثئت^(٢) رجله ، فلما عصبها استكن ما به لما هو فيه من الأمر الباهر ، ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ، ثم لما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقرت نفسه ثاوره الوجع في رجله ، فلما بسط رجله ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل ، جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدمت . والله أعلم .

هذا ، وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمد بن إسحاق ، وسمى الجماعة

الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق وإبراهيم وأبو عبيد .

(١) القلبة : العلة والداء . (٢) الأصل : وثبت . وهو تحريف .

مقتل خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلي

ذكره الحافظ البيهقي في الدلائل تلو مقتل أبي رافع .

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد بنى أن خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلي يجمع لي الناس ليفزوني وهو بعرة ، فائته فاقتله . قال : قلت : يا رسول الله انعمه لي حتى أعرفه . قال : إذا رأيته وجدت له قشعيرة .

قال : فخرجت متوشحاً سبني حتى وقعت عليه وهو بعرة مع ظعن يرتاد لمن منزلاً وحين كان وقت العصر ، لما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعيرة ، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاورة تشفاني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي للركوع والسجود ، فلما انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال : أجل أنا في ذلك . قال : فشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنتني حملت عليه السيف حتى قتلته ، ثم خرجت وتركت طعامه مكبات عليه .

فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني قال : أفلح الوجه . قال : قلت : قتلته يا رسول الله . قال : صدقت . قال : ثم قام معي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل في بيته فأعطاني عصا فقال : أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أمسكها . قالوا : أو لا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله عن ذلك . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله لم أعطيتني

هذه العصا؟ قال : آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة إن أقلّ الناس المتخصّرون^(١) يومئذ .
قال : فقرّنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمت في كفنه
ثم دفنا جميعاً .

ثم رواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن
إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن بعض ولد عبد الله بن أنيس ، أو قال : عن
عبد الله بن عبد الله بن أنيس ، عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه .

وهكذا رواه أبو داود ، عن أبي مَعمر ، عن عبد الوارث ، عن محمد بن إسحاق ،
عن محمد بن جعفر ، عن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . فذكر نحوه . ورواه الحافظ البيهقي
من طريق محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله
ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . فذكره .

وقد ذكر قصته عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيهما مرسلَةً . فالله أعلم .
قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان :

| | |
|-----------------------------------|---|
| تركتُ ابنَ ثورٍ كالحوَارِ وحوله | نواحُ تفرى كلَّ جيبٍ مُقدِّدٍ ^(٢) |
| تناولته والظعنُ خلفه | بأبيض من ماء الحديدِ المهنَّدِ |
| عجُومٍ لهَامِ الدارِعينِ كأنه | شهابُ غَضَى من هُلهبٍ مُتوقِّدٍ ^(٣) |
| أقول له والسيفُ يعجُمُ رأسه | أنا ابن أنيس فارسٌ غيرُ قعدُدِ |
| أنا ابن الذي لم يُنزل الدهرُ قدره | رَحيبٌ فِناء الدارِ غيرِ مزَنَدٍ ^(٤) |
| وقلت له خذها بضربةٍ ماجدٍ | خفيفٍ على دين النبي محمدٍ |
| وكنت إذا همَّ النبيُّ بكافرٍ | سبقت إليه باللسان وباليدِ |

(١) المتخصرون : المتكثرون على المخاصر ، جمع مخصرة ، وهي يامسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها .

(٢) الحوَار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه . وتفرى : تقطع .

(٣) عجوم : مختبر . والقعدد : الجبان . (٤) المزند : البخيل الضيق .

قلت : عبد الله بن أنيس بن حرام أبو يحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر ، كان فيمن شهد العقبة ، وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك ، وتأخر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور . وقيل توفي سنة أربع وخمسين . والله أعلم .

وقد فرق علي بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاري ، الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا يوم أحد بإداوة فيها ماء فخلّ فيها وشرب منها ، كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري ، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه . ثم قال الترمذي : وليس إسناده بصح ، وعبد الله العمري ^(١) ضعيف من قبل حفظه .

(١) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، العمري . وهو ضعيف غلب عليه الصلاح فلم يحفظ وكثر الخطأ في روايته . الباب ١٥٣/٢ .

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وقعة الخندق

وإسلامه

قال محمد بن إسحاق بعد مقتل أبي رافع .

وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أوس الثقفي ، عن حبيب ابن أوس ، حدثني عمرو بن العاص من فيه قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون رأبي ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرأً ، وإني لقد رأيتُ أمراً فأترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟

قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كننا عند النجاشي ، فإننا إن نكنا تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نهدي له . فكان ^(١) أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم ^(٢) ، فجمعنا له أدماً كثيراً .

ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه .

قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ،

(١) ابن هشام : وكان .

(٢) الأدم : الجلد أو أحمرة ، أو المصبوغ منه .

لو قد دخلتُ على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربتُ عنقه ، فإذا فعلتُ رأيتُ قريشُ
أنى قد أجزأتُ عنها حين قتلتُ رسولَ محمد .

قال : فدخلتُ عليه فسجدتُ له كما كنتُ أصنع . فقال : مرحبا بصدقي ، هل
أهديتُ لى من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديتُ لك أدمًا كثيرًا .
قال : ثم قربته إليه فأعجبته واشتهاه . ثم قلت له : أيها الملك إني قد رأيتُ رجلاً خرج من
عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطينيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من
أشرافنا وخيارنا .

قال : فغضب ثم مدَّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقت
الأرض لدخلتُ فيها فرقاً !

ثم قلت : أيها الملك والله لو ظننتُ أنك تكبره هذا ما سألتك .
قال : أتسألني أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي
موسى فنتقتله ؟

قال : قلت : أيها الملك أ كذاك هو ؟ قال : ويحك ياعمرؤ أظنني واتبعه ، فإنه
والله كعلى الحق ، وليظننَّ على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده .
قال : قلت : أفتبأعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايمته
على الإسلام .

ثم خرجتُ على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابي إسلامي ،
ثم خرجتُ عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيتُ خالد بن الوليد وذلك
قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة فقلت : أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام الميسم^(١)

(١) الميسم : المكواة . وهو أثر الحسن أيضا . ورواية أبي ذر : في شرح السيرة : المنسم بالنون .
قال : « ومعناه : تبين الطريق ووضح » .

وإن الرجل لَنبيٌّ ، أذهبُ واللهُ أُسلمُ فحتى متى ! قال : قلت : واللهِ ماجئت
إلا لأسلم .

قال : فقدمنا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ،
ثم دنوت فقلت : يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا
أذكر ما تأخر .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان
قبله ، وإن الهجرة يجب ما كان قبلها .
قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ،
أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن أبي الزبَيْر السهمي :

أَنشَدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ خَلْفَنَا وَمُلِّقَى نَعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبَلِ ^(١)
وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ حِلْفَةٍ وَمَا خَالَدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمَحَلِّ
أَمْفِتَاحِ بَيْتِ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِي وَمَا تَبْتَغِي مِنْ بَيْتِ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ ^(٢)
فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانَ جَاءَ بِالذَّهْمِ الْمُعْضَلِ ^(٣)

قلت : كان إسلامهم بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل
للمشركين كما سيأتي بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب ،
ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى ، لأن أول ذهاب عمرو
ابن العاص إلى النجاشي كان بعد وقعة الخندق ، [و] الظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس .
والله أعلم .

(٢) ابن هشام : من مجد بيت مؤثّل .

(١) خلفنا : كذا بالأصل ، ولعلها : حلفنا .

(٣) الدهيم : الداهية .

فصل

في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة » قال : هو تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين .

ثم قال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أحمد بن نجدة ، حدثنا يحيى ابن عبد الحميد ، أنبأنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن أم حبيبة أنها كانت عند عبيد الله بن جحش ، وكان رحل إلى النجاشى فمات ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأم حبيبة وهى بأرض الحبشة وزوجها إياه النجاشى ومهرها أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهازها من عنده وما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء . قال : وكان مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أربعة .

قلت : والصحيح أن مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت ثلثي عشرة أوقية ونشأ ، والواقية أربعون درهما ، والنش النصف . وذلك يعدل خمسمائة درهم .

ثم روى البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانيا ، فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجها منه عثمان بن عفان رضى الله عنه .

قلت : أما تنصّر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه ، وذلك على أثر ما هاجر مع

المسلمين إلى أرض الحبشة استنزله الشيطان فزين له دين النصارى فصار إليه حتى مات ، عليه لعنة الله . وكان يعير المسلمين فيقول لهم : أبصرنا وصأصأتم . وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة (١) .

وأما قول عروة : إن عثمان زوجها منه . فغريب ، لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك ، ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم . والله أعلم .

والصحيح ما ذكره يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص .

قلت : وكان وكيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبول العقد أضحمة النجاشي ملك الحبشة ، كما قال يونس عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربع مائة دينار .

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن إسماعيل بن عمرو ، أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ماشرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي ، جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فاستأذنت علي فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلي أن أزوجك . فقلت : بشرك الله بالخير . وقالت : يقول لك الملك : وكلّي من يزوجك .

قالت : فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارين

من فضة وخذمتين ^(١) من فضة كاتسا على^٢ وخواتيم من فضة في كل أصابع رجلى ،
سروراً بما بشرتني به .

فلما أن كان من العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من
المسلمين أن يحضروا ، وخطب النجاشي وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم . أما بعد
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى
مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقها أربع مائة دينار . ثم سكب الدنانير
بين يدي القوم .

فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمده وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون . أما بعد ، فقد أجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته
أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا فقال :
اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام^٣ على التزويج . فدعا بطعام
فأكلوا ثم تفرقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي بعد
الخذق إنما كان في قضية أم حبيبة . فالله أعلم .

لكن قال الحافظ البيهقي : ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه عليه السلام بأم
حبيبة كان في سنة ست ، وأن تزويجه بأم سلمة كان في سنة أربع .

(١) الخدمة في الأصل : سمة للابل .

قلت : وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المنثري وابن البرقي ، وأن تزويج أم حبيبة كان في سنة ست . وقال بعض الناس : سنة سبع . قال البيهقي : هو أشبهه .
قلت : قد تقدم تزويجه عليه السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع ، وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ، ويحتمل أن يكون بعده ، وكونه بعد الخندق أشبهه ، لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي ، فهو في قضيتها والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الأثير في الغابة عن قتادة ، أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها .

وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح ، واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليماني عن أبي زميل سمك بن الوليد ، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يارسول الله ثلاث أعطينهن . قال : نعم . قال : تؤمّرنى على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : نعم . قال : ومعاوية تجعله كاتبين يديك . قال : نعم . قال : وعندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها . الحديث بتمامه .

قال ابن الأثير : وهذا الحديث مما أنكر على مسلم ، لأن أبا سفيان لما جاء يحدد العقد قبيل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فنذت عنه فراش النبي صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما أدري أرغبت بي عنه أو به عني ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك . فقال : والله لقد أصابك بعدى يابنية شرٌّ . وقال ابن حزم : هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار ، وهذا القول منه لا يتابع عليه .

وقال آخرون : أراد أن يحدد العقد لما فيه بغير إذنه من الفضاضة عليه . وقال

بعضهم : لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه .

وهذه كلها ضعيفة ، والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى عمرة لما رأى في ذلك من الشرف له واستعان بأختها أم حبيبة كما في الصحيحين . وإنما وهم الراوى في تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً .
قال أبو عبيد القاسم بن سلام : توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : توفيت قبل معاوية بسنة . وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين .

تزوج عليه السلام بزَيْنَب بنت جحش

ابن رثاب بن يَعْنَر بن صبرة بن مُرَّة بن كَبِير بن غَمَم بن دُودان بن أسد بن خزيمَةَ الأَسَدِيَّة أم المؤمنين . وهى بنت أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه .
قال قتادة والواقديّ وبعض أهل المدينة : تزوجها عايه السلام سنة خمس ، زاد بعضهم فى ذى القعدة . قال الحافظ البيهقي : تزوجها بعد بنى قريظة . وقال خليفة بن خيَّاط وأبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى وابن منده : تزوجها سنة ثلاث . والأول أشهر وهو الذى سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ فى سبب تزويجه إياها عايه السلام حديثاً ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده تركنا إيراداً قصداً لئلا يضعه من لا يفهم على غير موضعه .

وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « وإذ تقولُ للذى أنعمَ اللهُ عليه وأنعمتَ عليه أمسِكْ عليك زوجك واتقِ الله وتخفى فى نفسك ما اللهُ مُبْدِيهِ وتخشى الناسَ والله أحقُّ أن تخشاه ، فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها لكيلا يكونَ على المؤمنين حرجٌ فى أزواجٍ أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمرُ الله مفعولاً . ما كان على

النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً» (١) .

وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية .

فالمراد بالذي أنعم الله عليه ها هنا زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعتق وزوجه بابنة عمه زينب بنت جحش .

قال مقاتل بن حبان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخاراً ومِئحة ودرعاً وخمسين مِداً وعشرة أمداد من تمر ، فكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم يقول له : اتق الله وأمسك عليك زوجك .

قال الله : « وتخفى في نفسك ما الله مبديه » قال علي بن الحسين زين العابدين والسدي : كان [رسول] الله قد علم أنها ستكون من أزواجه ، فهو الذي كان في نفسه عليه السلام . وقد تكلم كثير من السلف ها هنا بأثار غريبة ، وبعضها فيه نظر تركناها .

قال الله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » ذلك أن زيدا طلقها ، فلما انقضت عدتها بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبها إلى نفسها ثم تزوجها ، وكان الذي زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس ابن مالك ، أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول : زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات .

وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس ، قال : كانت زينب تفخر على

نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : أنكحني الله من السماء . وفيها أنزلت آية الحجاب
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بِيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ
نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ » الآية .

وروى البيهقي من حديث حماد ، بن زيد عن ثابت ، عن أنس ، قال : جاء زيد يشكو
زينب ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك .
قال أنس : فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً لكتم هذه ، فكانت
تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوّجكن أهليكن وزوّجني الله من
فوق سبع سماوات . ثم قال : رواه البخاري عن أحمد ، عن محمد بن أبي بكر المقدسي ،
عن حماد بن زيد .

ثم روى البيهقي من طريق عفان ، عن حماد بن زيد ، عن ثابت عن أنس ، قال : جاء
زيد يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : أمسك عليك أهلك . فنزلت : « وتخفي في نفسك ما الله مبديه » .

ثم قال : [رواه] البخاري : عن محمد بن عبد الرحيم ، عن معلى بن منصور ، عن محمد
مختصراً . وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير عن مغيرة ، عن الشعبي قال :
كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إني لأدل عليك بثلاث ، ما من نساءك امرأة
تدُلُّ بهن ، أن جدى وجدك واحد ، تعنى عبد المطلب ، فإنه أبو أبي النبي صلى الله عليه
وسلم وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب ، وأنى أنكحنيك الله عز وجل من السماء ، وأن
السفير جبريل عليه السلام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم - يعني ابن القاسم - حدثنا النضر ، حدثنا سليمان
ابن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي صلى الله عليه
وسلم لزيد : اذهب فاذكرها عليّ . فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجيبها ، قال : فلما رأيتها

عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا اسْتَطِيعَ أَنْ أَنْظِرَ إِلَيْهَا ، أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَهَا ، فَوَلَّيْتَهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقْبِي . وَقُلْتُ : يَا زَيْنَبُ أَبْشِرِي ، أُرْسَلَنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُكَ . قَالَتْ : مَا أَنَا بِصَانِعَةِ شَيْئَا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ قَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ . قَالَ أَنَسُ : وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا حِينَ دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْعَمَنَا عَلَيْهَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ ، فَفَرَجَ النَّاسَ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ ، فَفَرَجَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّبَعْتَهُ فَجَعَلَ يَتَّبِعُ حُجْرَةَ نِسَائِهِ يَسْلُمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقْلُنُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتِ أَهْلَكَ ؟ فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتَهُ وَالْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبِر . قَالَ : فَاذْطَلِقْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ فَذَهَبَتْ أَدْخَلَ مَعَهُ ، فَأَلْتِي السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَنَزَلَ الْحِجَابَ وَوَعِظَ الْقَوْمَ بِمَا وَعَظُوا بِهِ : « لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ » الْآيَةُ . وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمَغِيرَةِ .

ذِكْرُ نَزُولِ الْحِجَابِ صَبِيحَةَ عَرْسِهَا

الَّذِي وَلى اللَّهُ عَقْدَ نِكَاحِهِ

فَنَاسِبُ نَزُولِ الْحِجَابِ فِي هَذَا الْعَرَسِ صَيَانَةً لَهَا وَلِأَخْوَاتِهَا مِنْ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَلِكَ وَفْقَ الرَّأْيِ الْعَمَرِيِّ .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَّاشُ ، حَدَّثَنَا مَعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو مَجْلَزٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا الْقَوْمَ فَطَعَمُوا وَجَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ ، فَإِذَا هُوَ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مِنْ قَامٍ وَقَعْدَ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ ، وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَاذْطَلَقُوا ، فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ

قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي » الآية .

وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم والنسائى من طرق عن معتمر . ثم رواه البخارى منفردا به من حديث أبوب عن أبى قلابه عن أنس نحوه .

وقال البخارى : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : بُنى على النبي صلى الله عليه وسلم بزينة بنت جحش بجنز ولحم ، فأرسلت على الطعام داعياً ، فيجىء قوم فياً كلون ويخرجون ثم يجىء قوم فياً كلون ويخرجون ، فدعوت حتى ماجد أحداً أدعوه ، فقلت : يابى الله ماجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طعامكم ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته . قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف وجدت أهلك بارك الله لك ! فتقرى حجر نسائه كلهن ويقول لمن كما يقول لعائشة ويقان له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا رهط ثلاثة فى البيت يتحدثون ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا ، فخرج حتى إذا وضع رجله فى أسكفة الباب وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

تفرد به البخارى من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن إسحاق ، هو ابن نصر ، عن عبد الله بن بكير السهمى ، عن محمد بن أنس بنحو ذلك ، وقال : « رجلان » بدل ثلاثة . فالله أعلم .

قال البخارى : وقال إبراهيم بن طهمان ، عن الجعد أبى عثمان ، عن أنس فذكر نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو المظفر ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان اليشكري ، عن أنس بن مالك ، قال : أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه ، فصنعت أم سليم جيساً ثم حطته في تور فقالت : اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن هذا مناله قليل . قال أنس : والناس يومئذ في جهد ، فجئت به فقلت : يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم إليك وهي تقرئك السلام وتقول : إن هذا مناله قليل فنظر إليه ثم قال : ضعه في ناحية البيت . ثم قال : اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً . فسئى رجالاً كثيراً قال : ومن لقيت من المسلمين . فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين . فجئت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس . فقلت : يا أبا عثمان كم كانوا ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمائة .

قال أنس : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : جئى . فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعا وقال ماشاء الله . ثم قال : ليتحلق عشرة عشرة ويُسْمُوا ، وليأكل كل إنسان مما يليه . فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعه . قال : فجئت فأخذت التور فنظرت فيه ، فلا أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته !

قال : وتختلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مؤلوية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أشد الناس حياء ، ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حُجره وعلى نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابْتَدَرُوا الباب فخرجوا ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا وأنزل الله القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا

لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دُعيتُم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ، وإذا سألتوهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً . إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً^(١) .

قال أنس : فقرأهن على قبل الناس وأنا أحدثُ الناس بهن عهداً .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان به . وقال الترمذي : حسن صحيح . ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الجعد أبي عثمان به .

وقد روى هذا الحديث البخاري والترمذي والنسائي من طرق ، عن أبي بشر الأحمسي الكوفي ، عن أنس بنحوه . ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي نضرة العبدي عن أنس بنحوه ، ولم يخرجه . ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزُّهري عن أنس نحو ذلك .

قلت : كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها من المهاجرات الأول ، وكانت كثيرة الخير والصدقة ، وكان اسمها أولاً ترّة فسمها النبي صلى الله عليه وسلم زينب ، وكانت تكنى بأب الحكم .

قالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة .

وثبت في الصحيحين كما سيأتى في حديث الإفك عن عائشة أنها قالت : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زينب بنت جحش وهى التى كانت تُسامينى من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع فقالت : يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً .

وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا محمود بن عيـلان ، حدثنا الفضل بن موسى الشيبانى ، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً . قالت : فكنا نتناول أينا أطول يداً . قالت : فكانت زينب أطولنا يداً ، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق . انفراد به مسلم .

قال الواقدى وغيره من أهل السير والمغازى والتواريخ : توفيت سنة عشرين من الهجرة ، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ودفنت بالبقيع وهى أول امرأة صُنِع لها النَشْ .

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي: كان يقال: في الحرم منها سرية محمد بن مسleme قبل نجد، وأسروا فيها ثمامة بن أنال اليمامي.

قلت: نسكن في سياق ابن إسحاق عن سعيد القُبُري عن أبي هريرة، أنه شهد ذلك. وهو إنما هاجر بعد خيبر فيؤخر إلى مابعدها. والله أعلم.

وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني الحَيان على الصحيح.

قال ابن إسحاق: وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدِر من ذي الحجة، وولى تلك الحجة المشركون، يعني في سنة خمس. كما تقدم.

قال: ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفرًا وشهري ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني الحَيان بطاب بأصحاب الرَّجيع خُبيب وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرّة. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

والمقصود أنه عليه السلام لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه، فتحصنوا في رؤوس الجبال فقال إلى عُسفان فلقى بها جمعًا من المشركين وصلى بها صلاة الخوف. وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهنالك ذكرها البيهقي.

والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق. وقد ثبت أنه صلى بُسفان يوم بني الحَيان، فلتكتب هاهنا وتحول من هناك، اتباعًا لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده، كما قال الشافعي رحمه الله: من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق.

وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني الحَيان:

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عصباً في دارهم ذات مصدق
لقوا سرعاناً يملأ السرب روعه أمام طحون كالحجرة قيليقي (١)
ولكنهم كانوا وبارأ تنبعت شعاب حجاز غير ذي متنفق (٢)

غزوة ذي قرَد

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يُقيم بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على إقحاح النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك - كلٌّ قد حدث في غزوة ذي قرَد بعض الحديث - أنه كان أول من نذر بهم سلامة بن عمرو بن الأكوغ الأسلمي ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف في ناحية سَمِعَ ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع ، حتى لحق بالقوم فجعل يردُّهم بالنبل ويقول :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوغِ الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوغِ الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

قال : فيقول قائلهم : أَوْيُكِنُّنَا (٣) هو أول النهار .

(١) السرعان : أوائل الخيل . والسرب : القلب . والطحون : الكتبية العظيمة . والحجرة : باب السماء . والقباق : الكتبية .

(٢) الوبار : جمع وبر وهي دوية كالسنور . والشعاب : جمع شعب . والمتنفق : المخرج .

(٣) يكمننا : يخوفنا ، أو بصرفنا عن غابتنا .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحُ ابن الأكوخ فصرخ بالمدينة :
الفرع الفرع . فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أول من
انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود ، ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن
ظهير - يشك فيه - وعكاشة بن محصن ، ومُحرز بن نضلة أخو بني أسد بن خزيمة وأبو
قتادة الحارث بن ربي أخو بني سلمة ، وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بني زريق
قال : فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال :
أخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي
عياش فيما بلغني عن رجال من بني زريق : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو
أفرس منك فلحق بالقوم . قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله أنا أفرسُ الناس . ثم
ضربت الفرس فوالله ماجرى بي خمسين ذراعاً حتى طرختني فعجبت من ذلك ، فزعم
رجال من زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عياش معاذ بن معص أو
عائذ بن معص بن قيس بن خلدة ، وكان ثامناً . قال : وبعض الناس يعدُّ سلمة بن الأكوخ
ثامناً ويطرح أسيد بن ظهير . فالله أعلم أي ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوخ
يومئذ فارساً ، قد كان أول من لحق بالقوم على رجله .

قال : ففرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس
لحق بالقوم مُحَرز بن نضلة وكان يقال له الأخرم ويقال له قُمير ، وكانت الفرس التي تحته
لمحمود بن مسلمة ، وكان يقال للفرس ذو اللمة فلما انتهى إلى العدو قال لهم : قفوا معشر
بني السكينة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال :
فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه من بني عبد
الأشهل ، أي رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره . قال ابن هشام :

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قُتل معه أيضا وقاص بن محرز الدُلجى .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محزرا كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال لها الجناح ، فقتل محرز واستلب جناح . فإله أعلم .

قال : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة وغشاه برده ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . فإذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا : قتل أبو قتادة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لأبي قتادة . ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه .

قال : وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانظماهما بالرمح فقتلتهما جميعا واستنقذوا بعض اللقاح . قال : وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس فأقام عليه يوما وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : إنيهم الآن ليغيبقون في عطفان . فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جزورا وأقاموا عليها ، ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة .

قال : وأقبلت امرأة الغفارى على ناقة من إبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يا رسول الله إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بثما جزيتها

أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحريها ، إنه لا نذرَ في معصية الله ولا فيما لا يملكين ، إنما هي ناقةٌ من إبلٍ ، فارجمي إلى أهلك على بركة الله .

قال ابن إسحاق : والحديث في ذلك عن أبي الزبير المسكي عن الحسن البصرى .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكر من الإسناد والسياق .

وقد قال البخارى رحمه الله بعد قصة الحديدية وقبل خير : غزوة ذى قرد ، وهى الغزوة

التي أغاروا على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم قبل خير بثلاث .

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذَنَ بالأولى^(١) ، وكانت لقاح النبي صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد قال : فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخذت لقاحُ النبي صلى الله عليه وسلم . فقلت : من أخذها ؟ قال : غطفان . قال : فصرختُ ثلاث صرخات : واصباحاه ! قال : فأسمعت ما بين لابتي المدينة . ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء ، فجعلت أرميهم بنبلي ، وكنت رامياً ، وأقول : أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع^(٢) . وأرتجز . حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بُردة .

قال : وجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس فقلت : يا رسول الله قد حميتُ التومَ الماء وهم عطاش فابمت إليهم الساعة . فقال : « يا ابن الأكوع ، ملكت فأسجج^(٣) » ثم رجعنا ويردفتني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به ، ورواه البخارى عن أبي عاصم السهلى ، عن يزيد ابن أبي عبيدة ، عن مولاة سلمة بنحوه .

(١) الأولى : صلاة الصبح . (٢) يوم الرضع : يوم هلاك اللثام . (٣) أسجج : اعف
(١٩ - السيرة ٣)

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت أناورباح غلام النبي صلى الله عليه وسلم بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أئديه مع الإبل ، فلما كان بفلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل ، فقلت : يارباح أقم على هذا الفرس فألقه بطلحة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أغير على سرحه .

قال . وقتت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه اقال : ثم اتبعت القوم معي سيفي ونبلي ، فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين يسكن الشجر ، فإذا رجعت إلى فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت ، فلا يقبل إلى فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال : فألحق برجل منهم فأرميه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم

كتفه فقلت :

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

، فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل ، فإذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فردّيتهم بالحجارة ، فما زال ذلك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رحماً وأكثر من ثلاثين برودة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جمعت عليه حجارة وجمعت على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مدداً لهم وهم في ثنية ضيقة ، ثم علوت

الجبل فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح ، ما فارقنا
بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة : لولا أن هذا
يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم إليه نفر منكم . فقام إلى نفر منهم أربعة فصعدوا
في الجبل ، فلما أسمعتهم الصوت قلت : أتعرفونني ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن
الأكوع ، والذي كرم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني .
فقال رجل منهم : إن أظن . قال : فما برحتُ مقعدى ذلك حتى نظرت إلى فوارس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخللون الشجرَ وإذا أولهم الأخرم الأسدَى ، وعلى أثره أبو
قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أثره المقداد بن الأسود الكِندي ، فولّى
المشركون مدبرين ، وأنزل من الجبل فأخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أكرم ائذن القوم
- يعني احذرهم - فإنى لا آمن أن يقطعوك فأتد حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه . قال : ياسلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حقٌ
والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة !

قال : فخلّيت عنان فرسه ، فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة ويعطف عليه عبد الرحمن ،
فاختلفا طمئتين ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله . فتحول عبس
الرحمن على فرس الأخرم ، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طمئتين فعقر بأبي قتادة
وقته أبو قتادة ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم .

ثم إنى خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي صلى الله عليه
وسلم شيئاً ، ويمرّ ضون قبل غيبوبة الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد ، فأرادوا أن
يشربوا منه فأبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا في الثنية ثنية ذى بئر وغربت
الشمس ، وألحق رجلا فأرميه فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع . قال :
فقال : يائسكل أم أكوع بكرة . فقلت : نعم أى عدو نفسه . وكان الذى رميته بكرة^(١) ،

(١) صحيح مسلم : « قال : يائسكلته أمه أكوعه بكرة . قال . قلت : ياعدو نفسه أكوعك بكرة . »

وأتبعته سهما آخر فعلق به سهمان ، ويخلفون فرسين فجثت بهما أسوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ، ذو قرد ، وإذا بنى الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة ، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفت فهو يشوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها .

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله خلّني فأتخب من أصحابك مائة فأخذها على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال : أكنت فاعلاً ذلك يا سلمة ؟ قال : قلت : نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ، ثم قال : إنهم يُقرّون الآن بأرض غطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مرّوا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزوراً ، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هراباً .

فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيرُ فرساننا أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة . فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم الفارس والراجل جميعاً ، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة .

فلما كان بيننا وبينها قريباً من ضحوة ، وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق جعل ينادى : هل من سابق ، ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم مُردي ، فقلت له : أما تُكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلّني فلاُسبق الرجل . قال : إن شئت . قلت : أذهبُ إليك . فظفر عن راحلته وثنيّت رجلي فظفرت عن الناقة ، ثم إنى ربطت عليه شرفاً أو شرفين ، يعني استبقيت من نفسي ، ثم إنى عدوت حتى ألحقته فأصك بين كتفيه بيدي قلت : سبقتك والله . أو كلمة نحوها . قال : فضحك وقال : إن أظن . حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه ، وعنده : فسبقته إلى المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا إلى خيبر . ولأحد هذا السياق .

ذكر البخارى والبيهقى هذه الغزوة بعد الحديدية وقبل خيبر ، وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق والله أعلم . فينبغى تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإن خيبر كانت في صفر منها .

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن إسحاق بروايته عن أبي الزبير ، عن الحسن البصرى مرسلا . وقد جاء متصلا من وجوه آخر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أبو بوب عن أبي قلابة ، عن أبي للملب ، عن عمران بن حصين ، قال : كانت العضباء لرجل من بني عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت العضباء معه . قال : فرر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في وثاق ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار عليه قطيفة ، فقال : يا محمد علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نأخذك بجزيرة حلفائك ثقيف . قال : وكانت ثقيف قد أسروا رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقال فيما قال : [إني] مسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قُلْتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح . قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إني جائع فأطعمني وإني ظمآن فاسقني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه حاجتك . ثم فدى بالرجلين وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لرحله .

قال : ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به ، وكانت العضباء فيه ، وأسروا امرأة من المسدين . قال : وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبله بأفئدتهم . قال : فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نوموا فجمعت كلما أتت على بعير رضا حتى أتت على العضباء ، فأنت

على ناقة ذلول مُجْرَسَةَ^(١) فركبتها ثم وجهتها قِبَلِ المدينة. قال: ونذرت إن الله أنجاها عليها لتنحرنها ، فلما قدمت المدينة عُرِفَتِ الناقة فقييل : ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنذرها أو أته فأخبرته ، فقال : بئس ماجزيتها أو بئس ماجزتها إن أنجاها الله عليها لتنحرنها . قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم » .

ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني ، عن حماد بن زيد .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لولا الذى لاقتَ ومَسَّ نسورها
للقينكم يمحمن كلُّ مُدَجِّجٍ
ولسراً أولادَ اللقيطة أننا
كنا ثمانيةً وكانوا جَحَفَلا
كنا من القوم الذين يُلُونهم
كلاً وربُّ الراقصاتِ إلى مَنى
حتى نُبيل الخيلَ في عَرَصاتكم
بجنوب سايَةَ أمسٍ فى التَّقْوادِ^(٢)
حامى الحقيقةِ ماجد الأجدادِ
سَلِمَ غداةَ فوارس اللقدادِ
لجِباً فشكُّوا بالرماحِ بَدادِ^(٣)
ويقدِّمون عِنانَ كلِّ جوادِ
يقطعن عُرُضَ تخاريمِ الأطوادِ^(٤)
وتثوب بالملكات والأولادِ^(٥)

(١) المجرسة : المدربة في الركوب والسير .

(٢) لاقت : يريد الخيل . ونسورها : النسر كالنواة في بطن الحافر ، وفي الفرس عشرون عضواً

كل عضو منها باسم طائر . وساية : موضع .

(٣) الجحفل : الجيش الكثير . واللجب : ذو الجلبة وال الصباح . وبداد : متفرقين .

(٤) المخارم : الطرق . والأطواد : الجبال .

(٥) نبيل : نجعلها تبول . والعَرَصات : جمع عرسة وهى البقعة الواسعة بين الدور . والملكات : النساء .

رَهْوًا بِكُلِّ مُقَلَّصٍ وَطِمْرَةٍ فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ عَطْفَنٍ وَوَادٍ (١)
أَفْتَى دَوَابِرَهَا وَوَلَّاحَ مَتُونَهَا يَوْمَ تَقَادُ بِهِ وَيَوْمَ طِرَادِ
فَكَذَلِكَ إِنْ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ غَوَادِ (٢)
وَسَيُوفُنَا بِيضُ الْخَدَائِدِ تَجْتَلِي جُنَّ الْحَدِيدِ وَهَامَةُ الْمِرْتَادِ
أَخَذَ الْإِلَهِ عَلَيْهِمُ الْحَرَامَةَ وَلَمَزَةُ الرَّحْمَنِ بِالْأَسْدَادِ
كَانُوا بَدَارِ نَاعِمِينَ فَبَدَّلُوا أَيَّامَ ذِي قَرْدٍ وَجَوْهَ عَنَادِ

قال ابن إسحاق : فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسان وحلف لا يكلمه أبداً ، وقال : انطلق إلى خيلى وفوارسى فجعلها للمقداد . فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الروى اسم المقداد ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد :

إِذَا أَرَدْتُمْ الْأَشَدَّ الْجَلْدَا أَوْ ذَا غَنَاءِ فَعَلَيْكُمْ سَعْدَا

سعدُ بن زيد لا يهدُ هداً

قال : فلم تقع منه بموقع .

وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قرد :

أَظَنَّ عَيْنِيَّةً إِذْ زَارَهَا بَأَنَّ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورَا
فَأَكْذَبْتَ مَا كُنْتَ صَدَّقْتَهُ وَقَلْتُمْ سَنَقُومُ أَمْرًا كَبِيرَا
فَعَفَّتَ الْمَدِينَةَ إِذْ زَرْتَهَا وَأَنْتَ لِلْأَسَدِ فِيهَا زُنْبُرَا
وَوَلَّوْا سَرَاعًا كَشَدَّ النِّعَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا غِنًى مُلِطٍ حَصِيرَا (٣)
أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِكِ أَحَبُّ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرَا

(١) رهوا : سريعا . والمقلص : المشمر . والطمرة : الفرس السريع .

(٢) ملبونة : تسقى الابن .

(٣) اللط : الناقة ، من قولهم : أظلت الناقة بذنبها إذا أدخلته بين رجلها . والحصير ما يكتف به حول الإبل من عيدان الحظيرة .

رسولٌ يصدّق ماجاءه ويتلو كتاباً مضيئاً منيراً
وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين :

أَجِسُّ أَوْلَادُ الْقَيْطَةِ أَنَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ
وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً وَلَا نَنْتَنِي عِنْدَ الرَّمَاحِ الْمَدَاعِسِ ^(١)
وَإِنَّا لَنَقْرَى الضَّيْفَ مِنْ قَعِ الدَّرَى وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلَجِ الْمُنْشَاوِسِ ^(٢)
نَزْدُ كِرَامَةَ الْمُعَلِّمِينَ إِذَا انْتَحَوْا بِضَرْبِ يَسْلَى نَخْوَةَ الْمُتَقَاعِسِ ^(٣)
بِكُلِّ فِتْنَى حَامِيَ الْحَقِيقَةِ مَا جَدِ كَرِيمٍ كَسَرَ حَانَ الْعِضَاهِ مُخَالِسِ ^(٤)
يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَبِلَادِهِمْ بِيَبِيضِ تَقْدُ الْمَامِ تَحْتَ الْقَوَانِسِ ^(٥)
فَسَائِلُ بَنِي بَدْرِ إِذَا مَا لَقِيَهُمْ بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ ^(٦)
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مِنْ لَقِيمِمْ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْمَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَّلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرِ بِهِ وَحَرَّ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُمَارَسِ ^(٧)

(١) المداعس : الرماح التي لا تنتهي . (٢) القمع : جمع قعقة وهي أعلى سنام البعير . والأبلج : المشرق . والمنشأوس : المتكبر . وفي ابن هشام : الأبلج . (٣) الكرامة : الفوارس . والمتقاعس : الذي لا يلين . (٤) السرحان : الذئب . والعضاه : شجر ضخم . (٥) القوانس : أعلى بيض الحديد (٦) التمارس : المجادلة في الحرب . (٧) الخادر : الأسد الذي يلزم أخته . والوحر : الحقد

غزوة بنى المصطلق من خزاعة

قال البخارى : وهى غزوة المريسيع . قال محمد بن إسحاق : وذلك فى سنة ست . وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهرى : كان حديث الإفك فى غزوة المريسيع . هكذا رواه البخارى عن مغازى موسى بن عقبة أنها كانت فى سنة أربع . والذى حكاه عنه وعن عروة أنها كانت فى شعبان سنة خمس . وقال الواقدى : كانت لليلتين من شعبان سنة خمس فى سبعمائة من أصحابه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار ، بعد ما أورد قصة ذى قرد : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ويقال نُمَيْلة بن عبد الله اللبني .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومحمد بن يحيى ابن حبان ، كلٌّ قد حدثني بعض حديث بنى المصطلق قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبى ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا ، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتراحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفأهم عليه . وقال الواقدى : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة فى سبعمائة من أصحابه إلى بنى المصطلق ، وكانوا حلفاء بنى مُذَلج ، فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبى بكر الصديق ، ويقال إلى عمار بن ياسر ، وراية الأنصار إلى سعد بن عباد ، ثم أمر عمر بن

الخطاب فنأدى في الناس أن قولوا : لا إله إلا الله . تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم . فأبوا
فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فحملوا حملة رجل واحد ،
لما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين
إلا رجل واحد .

وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال : كتبت إلى نافع أسأله عن
الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم
بخارون في أنعامهم تُسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم فأصاب يومئذ - أحسبه
قال - جويرية بنت الحارث . وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك ، وكان بذلك الجيش .
قال ابن إسحاق : وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابه ، أصابه
رجل من الأنصار وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ .

وذكر ابن إسحاق أن أخاه مقيس بن صبابه قدم من مكة مظهراً للإسلام فطلب
إديه أخيه هشام من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قتل خطأ ، فأعطاه دينه ، ثم مكث
بسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع مرتدداً إلى مكة وقال في ذلك :

شفي النفس أن قد بات بالقاع مُسنداً يضرِّجُ ثوبيه دماء الأخادع^(١)
وكانت هموم النفس من قبل قتله تُلْمُ فتَحْمِينِي وطَاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثورتى وكنت إلى الأوثان أول راجع
ثارتُ به فهراً وحملتُ عقَّله سراة بني النجار أربابَ فارع^(٢)

قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الأربعة الذين أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم الفتح دماءهم وإن وجدوا معلقين بأستار الكعبة .

(١) الأخادع : جمع أخدع ، وهو عرق في الحجمتين ، وهو شعبة من الوريد .

(٢) فارع : حصن بالمدينة .

قال ابن إسحاق : فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يامعشر الأنصار . وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين . فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلامٌ حدثٌ فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا ! والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول : « سمن كلبك يا كلك ! » أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتهموم بلادكم وقاسمتهموم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مرّ به عبّاد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لا ولكن أذن بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها . فارتحل الناس .

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله غسى أن يكون الفلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل . حدّبا على ابن أبي ودفعاً عنه .

فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يا رسول الله والله لقد رحّت في ساعة منكراً ما كنت تروح

في مثلها؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: أئى صاحب يارسول الله؟ قال: عبد الله بن أبي. قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل. قال: فأنت والله يارسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يارسول الله ارفق، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوّجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبتّه مأكاً.

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليتهم حتى أصبح، وصدّر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا من الأرض فوقعوا نياماً. وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي، ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقاء. فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريحٌ شديدة فأذتهم وتخوّفوها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخوّفوها فإنما هبت موت عظيم من عطاء الكفار. فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع، وكان عظيماً من عطاء اليهود وكهفياً للمنافقين، مات ذلك اليوم.

وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي.

وروى مسلم من طريق الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر نحو هذه القصة، إلا أنه لم يسمّ الذي مات من المنافقين. قال: هبت ريحٌ شديدة والنبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال: هذه موت منافق. فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من عطاء المنافقين.

قال ابن إسحاق: ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم وقال:

هذا الذى أوتى الله بأذنه . قلت : وقد تسكلمنا على تفسيرها بتمامها فى كتابنا المتصور بما فيه كفاية عن إعادته ها هنا ، وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم والله الحمد والمنة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه ها هنا فليطلبه من هناك . وبالله التوفيق .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمر لى به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى مغنيا . وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لى لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن ابنه عبد الله رضى الله عنه وقف لأبيه عبد الله بن أبي بن سلول عند مضيق المدينة فقال : قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك . فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه فى ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة .

قال ابن إسحاق : وأصيب يومئذ من بنى المصطلق ناسٌ ، وقتل على بن أبي طالب منهم رجلين : مالكا وابنه .

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين : يا منصور أمتُ أمت .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سبباً كثيراً فقسمهم في المسلمين .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، أخبرني إسماعيل بن جعفر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن ابن مُحَيْرِز ، أنه قال : دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل ، فقال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة بنى المصطلق فأصبنا سبباً من سبى العرب فاشتبهنا النساء واشتدت علينا العزوبة ، وأحببنا العزل وقلنا نازل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله ، فسألناه عن ذلك فقال : « ما عليكم ألا تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا كائنة » وهكذا رواه [مسلم] .

قال ابن إسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاححة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستعينه في كتابتها . قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكبرتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت . فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقع في السهم لثابت بن قيس بن شماس

أولابن عم له فكاتبته على نفسى فجتتك أستعينك على كتابتى .

قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يارسول الله ؟ قال : أفضى عنك كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يارسول الله قد فعلتُ .

قالت : وخرج الخبرُ إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرة بنت الحارث ، فقال الناس : أصهارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرسلوا ما بأيديهم . قالت : فلقد اعتق بزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الإفك بتامها فى هذه النزوة ، وكذلك البخارى وغير واحد من أهل العلم ، وقد حررت طرق ذلك كله فى تفسير سورة النور ، فليحقق بكأله إلى هاهنا وبالله المستعان .

وقال الواقدى : جدثنا حرام ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قالت جويرة بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى ، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سُبينا رجوت الرؤيا ، قالت : فأعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى ، والله ما كلتة فى قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت إلا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر ، فحمدت الله تعالى .

قال الواقدى : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق أربعين من بنى المصطلق .

وذكر موسى بن عقبة عن بنى المصطلق أن أبأها طلبها وافتداها ، ثم خطبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه إياها .

قصة الإفك

وهذا سياق محمد بن إسحاق حديث الإفك :

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب (١) وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله (٢) بن عتبة ، قال الزهري : وكلُّ قد حدثني بهذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت كل الذي حدثني القوم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكلُّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها بما سمع قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أفرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كان غزوة بني الأضطلق أفرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق (٣) لم يهجن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلست في هودجى ، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملوني ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

(١) ابن هشام : سعيد بن جبير . (٢) الأصل : وعبد الله بن عبيد الله . وما أثبتته عن ابن هشام . (٣) ابن هشام : لك الذى . (٤) العلق : جمع علقة ، وهى كل ما يتبلغ به من العيش .

قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ، ثم أذن مؤذناً في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جَزَع ظفّار (١) فلما فرغت أنسل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت أتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتصته حتى وجدته ، وجاء القوم خلفي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدّوه على البعير ولم يشكوا أني فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به .

فرجعت إلى العسكر وما فيه دايع ولا محيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو افتتحت لرجع الناس إلى .

قالت : فوالله إنني لمضطجعة إذ مرّ بي صفوان بن المعطل السلمي وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف عليّ وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ظمينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأنا متلففة في ثيابي . قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته . ثم قرب إلى البعير فقال : اركبي . واستأخر عنى .

قالت : فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس وما افتتحت حتى أصبحت ، ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، وارتج العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يبلغني من ذلك شيء .

(١) الجزع : الحرز . وظفّار : مدينة باليمن .

وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبويّ ، لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ، إلا أني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ لطفه بي ، كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندى أمي تمرّضني قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد علي ذلك .

قالت : حتى وجدت في نفسي فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لي : لو أذنت لي فانتقلتُ إلى أمي فرّضتني . قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نَهيت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم نعافها ونكرها ، إنما كنا نخرج في فُسح المدينة وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعى أم مسطح ابنة أبي رُهم بن المطلب ، قالت : فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها فقالت : تعس مسطح . ومسطح لقب واسمه عوف . قالت : فقلت : بئس لعمر و الله ما قلت لرجل من المهاجرين ، وقد شهد بدرأ . قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم . والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أفضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصُدع كبدي . قالت : وقلت لأمي : يفر الله لك تحدثت الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أي بنية خفّني^(١) عليك الشأن فوالله لقلّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها .

(١) ابن هشام : خفّض .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معي .

قالت : وكان كبيرُ ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحنمة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني في المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حنمة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لأختها فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيكمهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا أمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم .

قالت : فقام سعد بن عبادة ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد بن حضير : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين .

قالت : وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على فدعا على بن أبي طالب وأسامة ابن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل . وأما على فإنه قال : يا رسول الله إن النساء

لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسأل الجارية فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة يسألها . قالت : فقام إليها على فضربها ضرباً شديداً ويقول : أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أنى كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله !

قالت : ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى أبواى وعندى امرأة من الأنصار وأنا أبكى وهى تبكى ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده . قالت : فوالله إن هو إلا أن قال لى ذلك فقلص^(١) دمعى حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلما .

قالت : وایم الله لأنا كنت أحققر فى نفسى وأصغر شأنًا من أن يُنزل الله فى قرآنًا يقرأ به ويصلى به ، ولكنى كنت أرجو أن يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئاً يكذب الله به عنى لما يعلم من براءتى ويخبر خبيراً ، وأما قرآنًا ينزل فى فوالله لئنفسى كانت أحققر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوى يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالا : والله ما ندرى بما نجيبه . قالت : ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام . قالت : فلما استعجبا على استعبرتُ فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ، والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى منه بريئة لأقوان ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت

ما يقولون لا تُصدقونني . قالت : ثم التمس اسم يعقوب فما أذكره فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : « فصبّر جميل والله المستعان على ما تصفون » قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فرغت وما باليت ، قد عرفت أني بريئة وأن الله غير ظالمى ، وأما أبوإي فوالذى نفس عائشة بيده ماسرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس .

قالت : ثم سرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس وإنه ليمتدّر من وجهه مثل الجمان في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : أبشرى يا عائشة ، قد أنزل الله عز وجل براءتك . قالت : قلت : الحمد لله .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحنمة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدّهم .

وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين عن الزهري ، وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر حدّ القذف لحسان ومن معه ، رواه أبو داود في سننه .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسامير في ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاق حسان الذى كان أهله إذ قالوا هجيراً ومسطحاً^(١)
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم وسخطة ذى العرش الكريم فأترحووا^(٢)
وآذوا رسول الله فيها فجلّوا مخازى تبتقى عمومها وفصّحوا

(٢) أترحوا : أحرزوا ، من الفرح .

(١) الهجير : الفاحش من القول .

وَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتُ كَأَنهَا شَائِبٌ قَطْرٌ فِي ذُرِّ الزُّنِّ نَسْفَحٌ (١)

وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء (٢) من أصحاب جهنم كما تقدم أوله هي :

أَمْسَى الْجَلَايِبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وابن الفريضة أَمْسَى بِيضَةَ الْبَلَدِ (٣)
قَدْ ثَكَلَتْ أُمُّهُ مِنْ كَنْتَ صَاحِبَهُ أو كان مُنْتَشِبًا فِي بُرْنِ الْأَسَدِ
مَا لِقَتَيْلَى الَّذِي أَغْدُو فَاأَخْذَهُ من دَبِةٍ فِيهِ يُمْطَاها وَلَا قَوْدِ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَنْطَلُ وَيُرْمَى الْعَبْرَ بِالزَّبْدِ (٤)
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مَتَى حِينَ تُبْصِرْنِي مِنْغِيظُ أَفْرَى كَفْرَى الْعَارِضِ الْبَرْدِ (٥)
أَمَّا قَرِيشُ فَإِنِّي لَا أَسْلَمُهَا حَتَّى يُنَبِّئُوا مِنَ الْغِيَّاتِ لِلرَّشْدِ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعَزَى بِمَعْرَلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلَّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمْدِ
وَيَشْهَدُوا أَنْ مَا قَالِ الرَّسُولَ لَهُمْ حَقٌّ فَيُوفُوا بِحَقِّ اللَّهِ وَالْوَكْدِ (٦)

قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

وذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشدته وثاقاً ، فلقبه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من ذلك ؟ قال : لا . فأطلقه ثم أتوا كلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن المعطل : يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني

(١) المحصدات : السياط الشديدة القتل . والشائب : جمع شؤبوب وهي الدفعة من المطر . والزن : السحاب

(٢) ابن هشام : يعرض باين المعطل فيه ، ويعن أسلم من العرب من مضر .

(٣) الجلايب : الغرباء . (٤) ينفطل : يركب بعضه بعضاً . والعبر : جانب البحر .

(٥) أفرى : أقطع . والعارض : السحاب .

(٦) الوكد : العهود واللوائح .

الغضبُ فضرته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا احسان أنشوتَ على قومي إذ هدام الله . ثم قال : أحسن يا احسان فيما أصابك . فقال : هي لك يا رسول الله . فموضه منها بيرحاء^(١) التي تصدق بها أبو طلحة وجارية قبطية يقال لها سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن .

قال : وكانت عائشة تقول : سئل عن ابن المعتل فوجد رجلاً حصوراً ما يأتي النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضى الله عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تَزُنُّ بِرَبِيَّةٍ وَتَصْبِحُ غَرْتِي مِنْ لِحُومِ الْغَوَافِلِ^(٢)
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لَأْوِيَّ بْنِ غَالِبٍ كَرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
وَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِالْأَطِيطِ بَكَ الدَّهْرِ بِلِ قَيْلٍ أَمْرِي بِي مَا حَلِ^(٣)
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفْعَ سَوَطِي إِلَى أَنَا مَلِي
فَكَيْفَ وَوَدَّي مَا حَيِّتَ وَنُصْرَتِي لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنُ الْحَافِلِ
وَإِنْ لَمْ عَزَا تَرَى النَّاسَ دُونَهُ قَصَارًا وَطَالَ الْعَزُّ كُلَّ التَّطَاوُلِ

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور ، وهي من قوله : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ » إلى : « مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » وما أوردناه هنالك من الأحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف . وبالله التوفيق .

(١) حاء : اسم رجل أضيفت إليه البئر . وفي ابن هشام : وهي قصر بن جديلة اليوم بالمدينة .

(٢) تزن : تهم والغرئ : الجماعة . (٣) لائط : لاصق . والمالح : الواشى .

غزوة الحديبية

وقد كانت في ذى القعدة سنة ست بلا خلاف . ومن نص على ذلك الزهرى ،
ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وموسى بن عُبَبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم .
وهو الذى رواه ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ، أنها كانت في ذى القعدة
سنة ست .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسماعيل بن الخليل ، عن علي بن مُسهر ، أخبرنى
هشام بن عروة ، عن أبيه : قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في رمضان ،
وكانت الحديبية في شوال :

وهذا غريب جدا عن عروة .

وقد روى البخارى ومسلم جميعا عن هُدَبة ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، أن أنس بن
مالك أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عُمرَ في ذى القعدة إلا العمرة التى
مع حجته ، عمرة من الحديبية في ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل في ذى القعدة ، ومن
الجعرانة في ذى القعدة حيث قَسَمَ غنائم حُنَين ، وعمرة مع حجته .
وهذا لفظ البخارى .

وقال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة رمضان وشوالا
وخرج في ذى القعدة معتمراً لا يريد حرباً . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة مُمَيْلَة
ابن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا

معه ، وهو يخشى من قریش أن یدْرُضوا له بحربٍ أو یصدوه عن البیت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى وأحرَمَ بالعمرة ليأمن الناسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البیت ومعظماً له .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحکم أنهما حدّثاه قالَا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البیت لا يريد قتالاً ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعائة رجل ، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر ، وكان جابر ابن عبد الله فيما بلغني يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة .

قال الزهري : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر^(١) بن سفيان الكعبي ، فقال : يا رسول الله هذه قریش قد سمعتُ بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٢) ، قد لبسوا جلودَ النمر وقد نزلوا بذي طوى ، يماهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى كراع النعميم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قریش ! قد أكلتهم الحربُ ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قریش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يُظهره الله أو تفرد هذه السالفة .^(٣) ثم

(١) ويقال له : بسر . كما قال ابن هشام .

(٢) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللبن معها أولادها . وهي كناية عن النساء معها الأطفال .

(٣) السالفة : صفحة العتق . وأراد بذلك الموت .

قال : مَنْ رجلٌ يخرج بنا على طريقٍ غير طريقهم التي هم بها ؟ .
قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أسلم قال : أنا يارسل
الله . فسلك بهم طريقاً وِغراً أَجْرَل^(١) بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شقَّ ذلك
على المسامِين فأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله : قولوا : نستغفر
الله ونتوب إليه . فقالوا ذلك . فقال : والله إنها لألحظة التي عُرِضت على بني إسرائيل
فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا
ذات اليمين بين ظهري الحمض . في طريق يُخرجُه على ثنية المَرَار مَهْبَطَ الحُدَيْبِيَّةِ
من أسفل مكة .

قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأَت خيلُ قريش قَترةَ الجيش قد خالفوا
عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك في ثنية المَرَار بركت ناقته
فقال الناس : خلَّأت^(٢) . فقال : ما خلَّأتُ وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابسُ
الفيل عن مكة ، لا تدعونني قريشُ اليومَ إلى خِطَّةِ يسألوني فيها صلَّةَ الرحم إلا
أعطيتم إياها .

ثم قال للناس : انزلوا . قيل له : يارسل الله ما بالوادي ماء يُنزلُ عليه . فأخرج
سهماً من كنفاته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قلب من تلك القُلب ، ففرزه في
جوفه فغاش بالرَّواء حتى ضرب الناسُ عنه بعطن^(٣) .

(١) الأجرل : الكثير الحجارة .
(٢) خلَّأت : حرنت وبركت من غير علة . (٣) ضرب الناس بعطن : أناخوا حول الماء بعد الذي

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُنْدَب^(١) ، سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم أى ذلك كان . ثم استدلل ابن إسحاق للأول أن جارية من الأنصار جاءت البئر وناجية أسفله يبيح^(٢) فقالت :

يا أيها المأخِ دَلَوِي دونكا إني رأيت الناس يُحمدونكا
يُذنون خيراً ويُجدونكا

فأجابها فقال :

قد علمت جارية يَمَانِيَه أنى أنا المأخِ واسمى ناجية
وطعنة ذات رَشاشِ وإِهِيَه طعنُها عندَ صدورِ العاديَه

قال الزهري في حديثه : فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بُدَيْل بن وَرْقَاء في رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة . ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش إنكم تعجلون على محمد ، وإن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت . فأنهم وهم وجبهم وقالوا : وإن جاء ولا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهري : وكانت خزاعة عيية^(٣) نُصَح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشرکہا لا يُخفون عنه شيئاً كان بمكة .

(٢) يبيح : يملأ الدلاء .

(١) ذكر ابن هشام بقية نسبه .

(٣) العيية : موضع السر والخاصة .

قال : ثم بعثوا إليه مِكرَز بن حفص بن الأَخِيْف أَخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبِلا قال : هذا رجل غادر . فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبَدِيل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم بعثوا بِمُحَلِّيس بن علقمة أو ابن زَبَّان وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن أبي بكر أن الحُليْس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قريش والله ماعلى هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم ، أصدُّ عن بيت الله من جاءه معظماً له ؟ والذي نفس الحُليْس بيده لئن تخلن بين محمد وبين ماجاء له أو لأتفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه كفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهرى في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال : يامعشر قريش إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والدُّ وأنى ولد ، وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس ، وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومي ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم .

فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد أجمعت أو شباب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قریش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر ، بماهدون الله لاتدخلها عليهم عنة أبدا ، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا .

قال : وأبو بكر الصديق رضی الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : امضنْ بظرف اللات ! أنحن نكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة . قال : أما والله لولا يدي كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بهذه .

قال : ثم جعل يتناول حية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، قال : فجعل يقرع يده إذ يتناول حية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك . قال : فيقول عروة : ويحك ما أفضلك وأغلظك !

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . قال : أي غدر وهل غسلت سواتك إلا بالأمس !

قال الزهري : فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قریش فقال : يا معشر قریش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه ! ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً ، فرؤا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاشَ بن أُمَيَّة الخِزَاعِي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيشُ فخلَّوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لآتهم عن عكرمة عن ابن عباس ، أن قريشا كانوا بمثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين ، أمرهم أن يُطِيفُوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعا عنهم وخلي سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدى أحد يمتعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكنني أدلك على رجل أعزَّ بها مني ، عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت الحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته .

فخرج عثمان إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظاء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن تطوف بالبيت فُطْفُ . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد

قتل . قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نُنَاجِزَ القومَ .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة ، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجَدُّ بن قيس أخو بني سلمة ، وكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد ضباً^(١) إليها يستتر من الناس .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذُكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : وذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عن حدثه بإسناده عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه الأخرى .

وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف ، ولكنه ثابت في الصحيحين .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وأخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أنت محمدٌ وصالحه ، ولا يكن في صلحه

(١) ضباً : لصق .

إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تتحدث العربُ أنه دخلها عنوةً أبداً .
فأتاه سهيل بن عمرو فلهما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : قد أراد
القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل .

فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا
ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمرُ ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس
برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟
قال : بلى . قال : فعلامُ نِعْطِي الدَّيْنِيَّةِ في ديننا ؟ قال : أبو بكر : يا عمر الزم غَرْزَه (١)
فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أأنتَ برسول الله ؟ قال :
بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال :
فعلامُ نِعْطِي الدَّيْنِيَّةِ في ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني .
وكان عمر رضى الله عنه يقول : ما زلت أصوم وأصدق وأصلى وأعتق من الذى
صَعَّتُ يومئذٍ ، مخافةً كلامي الذى تكلمته يومئذٍ ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

قال : ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليَّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال :
اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال : فقال سهيل : لأعرف هذا ، ولكن اكتب
باسمك اللهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم . فكتبها .
ثم قال : اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . قال :
فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقانك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك .

(١) الغرز : ركاب من جلد توضع فيه الرجل . والمراد : اتبع أمره ولا تخالفه .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشرَ سنين يَأْمَنُ فِيهِمُ النَّاسُ وَيَكْفُؤُ بَعْضُهُمْ عَنِ بَعْضٍ ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ أُمَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيهِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِنْ مَعِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرْدُوهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْ بَيْنَنَا عَيْبَةٌ ^(١) مَكْفُوفَةٌ ، وَأَنْهُ لَا إِسْلَالَ ^(٢) وَلَا إِغْلَالَ ، وَأَنْهُ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ » .

فتوالت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم .

وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقت بها ثلاثاً ، معك سلاحُ الرَّاكِبِ : السيوف في القرب لا تَدْخُلُهَا بغيرها .

قال : فبينما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إذ جاء أبو جَنْدَلُ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ قَدْ انْفَلَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا يهلكون .

فلما رأى سهيلُ أبا جَنْدَلٍ قَامَ إِلَيْهِ فَضَرَبَ وَجْهَهُ وَأَخَذَ بِتَلْبِيهِ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ قَدْ تَلَّجْتَ الْقَضِيَّةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكَ هَذَا . قال : صدقت . فحُجِّلَ يَنْتَرُهُ بِتَلْبِيهِ وَيَجْرُهُ

(١) العيبة : موضع السر ومكفوفة : مطوية . (٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

يعنى يردّه^(١) إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أُرِدُّ
إلى المشركين يفتنوننى فى دىنى .

فزاد ذلك الناس إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعلٌ
لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً
وأعطيناكم على ذلك وأعطونا عهداً الله ، وإنا لا نغدر بهم » .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر
أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدكم دم كلب . قال : ويذنى قائم السيف منه .

قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيفَ فيضرب أباه ! قال : فضنَّ الرجلُ

بأبيه ، ونفذت القضية .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح رجالات من
المسلمين ورجالات من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن
ابن عوف ، وعبد الله بن مهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مسامة
ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبى طالب ، وكتب ، وكان هو
كاتب الصحيفة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً فى الحِلِّ^(٢) ، وكان يصلّى فى الحرم ،
فلما فرغ من الصلح قام إلى هدّيه فنحّره ، ثم جلس فخلق رأسه ، وكان الذى خلقه فى ذلك
اليوم خِراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله وسلم قد نَحَرَ
وحلّق توائبوا ينحرون ويحلّقون .

(٢) مضطرباً : كانت خيامه مقامة فى الحِلِّ .

(١) ابن هشام : ليرده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حاق رجالٌ يومَ الحديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلّقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « والمقصرين » .

قالوا : يارسول الله فلم ظهرت التّرحيم للمحلّقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكروا .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عامَ الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه بُرّة من فضة ليفيظ بذلك المشركين .

هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفي سياق البخارى كما سيأتى مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما سترها إن شاء الله وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ، ونذكر في الأحاديث الصحاح والحسان ما فيه [غناء] . إن شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان .

قال البخارى : حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثنا صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن زيد بن خالد ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قال الله تعالى : « أصبح من عبادى مؤمنٌ بى وكافرٌ بى ، فأما من

قال: مُطَرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطَرْنَا
بِنَجْمٍ كَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي .

وهكذا رواه في غير موضع من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهري ، وقد روى
عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة .

وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن
البراء قال : تعدّون الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدُّ الفتح بيعة
الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر
فنزحناها فلم نترك فيها قطرةً فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأثابها فجلس على
شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبّه فيها فتركها غير بعيد
ثم إنها أصدرت لنا ما شدتنا نحن وركابنا .

انفرد به البخاري .

وقال ابن إسحاق في قوله تعالى : « فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » : صلح
الحديبية . قال الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال
حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلهم بعضهم
بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا
دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة رجل في قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بمد
ذلك بستين في عشرة آلاف .

وقال البخاري : حدثنا يوسف بن عيسى ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا حُصَيْن ،

عن سالم ، عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين

يديه رَكْوَةٌ فتوضأ منها ، ثم أقبل الناسُ نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مالكُم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب إلا مافي رَكْوَتِكَ .
فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الرَكْوَةَ فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال
العيون . قال : فشربنا وتوضأنا . فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف
لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من طرق ، عن حصين ، عن سالم بن أبى الجعد
عن جابر به .

وقال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن
قتادة قلت لسعيد بن المسيب : بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع
عشرة مائة . فقال لى سعيد : حدثنى جابر : كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبي
صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية .

تابعه أبو داود ، حدثنا قرّة عن قتادة . تفرد به البخارى .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً
قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : « أنتم خيرُ أهلِ الأرضِ »
وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكانَ الشجرة .

وقد روى البخارى أيضاً ومسلم من طرق ، عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه
الليث بن سعد ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : إن عبداً لحاطبٍ جاء يشكوه فقال :
يا رسول الله ليدخان حاطبُ النارَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت
لا يدخلها ، شهدَ بداراً والحديبية » .

رواه مسلم .

وعند مسلم أيضا من طرق [عن] ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابراً

يقول : أخبرني أمُّ ميسر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة : « لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » فقالت حفصة : بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة : « وإن منكم إلا واردُها » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قال تعالى : « ثم ننجي الذين اتقوا ونذرُ الظالمين فيها جثيا » . قال البخارى : وقال عبيد الله بن معاذ : حدثنا أبى ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، حدثنى عبد الله بن أبى أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلمُ ثمّ المهاجرين .

تابعه محمد بن بشار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة .

هكذا رواه البخارى معلقا عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المنبجى ، عن أبى داود ، عن إسحق بن إبراهيم ، عن النضر ابن شميل كلاهما عن شعبة به .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن مروان والمِسور بن مخرمة ، قالا : خرج النبى صلى الله عليه وسلم عامَ الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما كان بذي الحليفة قلّد المذى وأشعر وأحرَم منها . تفرد به البخارى وسيأتى هذا السياق بتمامه .

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة .

وهو والله أعلم إنما قال ذلك تفقهاً من تلقاء نفسه من حيث إن البدن كن سبعين بدنة ، وكل منها عن عشرة على اختياره ، فيكون المهاون سبعائة .

ولا يلزم أن يهذى كلهم ولا أن يُجرم كلهم أيضا ، فقد ثبت أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة ولم يُحْرَم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحمار الوحشي فأكل منه هو وأصحابه ، وحملوا منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق فقال : هل منكم أحدٌ أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها ؟ قالوا : لا . قال : فكلوا ما بقي من الحمار .

وقد قال البخارى : حدثنا شعبة بن الربيع ، حدثنا علي بن المبارك ، عن يحيى عن عبد الله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فأحرّم أصحابي ولم أحرّم .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا شبابة بن سوار الفزاري ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها . حدثنا موسى ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا طارق ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا .

وقال البخارى أيضاً : حدثنا محمود ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن عبد الرحمن ، قال : انطلقت حاجاً فررت بقوم يصلون ، فقلت : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان . فأتيت سعيد بن المسيّب فأخبرته فقال سعيد : حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، قال : فلما كان من العام المقبل نسيتها فلم نقدر عليها .

ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد لم يعلموها ، وعلمتموها أنتم ! فأنتم أعلم ؟ ورواه البخارى ومسلم من حديث الثوري وأبي عوانة وشبابة عن طارق .

وقال البخارى : حدثنا سعيد ، حدثني أخي ، عن سليمان ، عن عمرو بن يحيى ، عن عبّاد بن تميم قال : لما كان يوم الحرة والناس يبائعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن

زيد : على ما يبائع ابنَ حفظة الناسُ ؟ قيل له : على الموت . فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان شهد معه الحديبية .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبى عبيد قلت

لسلمة بن الأكواع : على أى شىء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت .

ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبى عبيد .

وفى صحيح مسلم عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات فى أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم .

وفى الصحيح عن معقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو يبائع الناس ، وكان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم

يومئذ أبو سنان ، وهو وهب بن مخصن أخو عكاشة بن محصن ، وقيل سنان

ابن أبى سنان .

وقال البخارى : حدثنى شجاع بن الوليد ، سمع النضر بن محمد ، حدثنا صخر بن

الربيع ، عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ،

ولسكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتى به

ليقاتل عليه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبائع عند الشجرة ، وعمر لا يدرى بذلك ،

فبايعه عبد الله ، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى التى

تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وقال هشام بن عمار : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عمر بن محمد العُمري ، أخبرنى

نافع ، عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا

فى ظلال الشجرة ، فإذا الناس مُحدِّقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبد الله انظر

ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبائعون ، فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع .

تفرد به البخارى من هذين الوجهين .

ذكرى سياق البخارى لعمرة الحديبية

قال فى كتاب المغازى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظتُ بعضه وثبتتني معمر ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره^(١) وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بقدير الأشطاط أتاه عينه قال : إن قريشاً جمعوا لك جمعاً ، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال : أشيروا أيها الناس على ، أترون أن أميل إلى عيالمهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين . قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله .

هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا .

وقال فى كتاب الشهادات^(٢) : حدثني عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، أخبرني الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه

(١) أشعره : ألبسه الشعار تمييزاً له . (٢) هو فى كتاب الشروط صحيح البخارى ١٠ / ٢

وسلم زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن خالد ابن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعةً ، فخذوا ذات اليمين . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش ، فانطلق يرّكض نذيراً لقريش .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حلّ حل (١) ، فألحت ، فقالوا : خلّات القصواء خلّات القصواء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خلّات القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس القيل . ثم قال : والذي نفسى بيده لا يسألونى خطّة يعظّمون فيها حرّات الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجرها فوثبت .

فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمّد قليل الماء يتبرّضه (٢) [الناس (٣)] تبرّضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه ، وشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فانتزع سهماً من كفّاته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرّي حتى صدروا عنه .

فبينما هم كذلك إذا جاء بُدّيل بن ورّقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيّبة نصّح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة - فقال : إني تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياها الحديبية معهم العوذ للطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نجى لقتال أحد ، ولكن جئنا مُقتمرين ، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم ، فإن شاءوا مادّتهم مدةً ويحلّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جّجّوا ،

(٢) يتبرّضه : يأخذونه قليلاً قليلاً .

(١) حلّ : كلمة تقال للناقة إذا بركت .

(٣) من صحيح البخارى ١٠/٢

وإن هم أبوا فوالذي نفسى بيده لأفاننهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن أمر الله .

قال بُدَيْل : سأبلغهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا . فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ، ألسن بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أو لسنم بالولد ؟ قالوا بلى . قال : فهل تهمنى ؟ قالوا : لا . قال : ألسن تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا ^(١) على جئكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى . قال : فإن هذا قد عرض لكم خطبة رُشد اقبلوها ودعونى آتية ، فقالوا : اثته .

فأتاه ، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من قوله لبُدَيْل فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فإنى والله لا أرى وجوهاً وإنى لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرثوا ويدعوك .

فقال له أبو بكر : امصص بظرة اللات ! أنحن نفرث عنه وندعه ؟ ! قال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسى بيده لولا يدك كانت لك عندى لم أجرك بها لأجبتك .

قال : وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فكلمها تكلم أخذ بلحيمته ، والمغيرة بن شعبه قائم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلمها أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بفعل السيف وقال له : أحر

(١) بلحوا : أبطأوا .

يدك عن خية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرفع عروة رأسه فقال . من هذا ؟ قالوا :
المغيرة بن شعبة . فقال : أئى غَدَرُ أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ !

وكان المغيرة بن شعبة صَحِيبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَةِ فَفَقَتْهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ ،
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلْ ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ .

ثُمَّ إِنْ عَرَوَةَ جَمَلَ يَرْمُقِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعِينِيهِ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ
مَا تَنْخَمُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا
وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا
تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ .

فَرَجَعَ عَرَوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أئى قَوْمٌ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتَ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَفَدْتَ عَلَى
قَيْصَرَ وَكَسْرَى وَالنَّجَاشِي ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتَ مَلِكًا قَطَّ يَعْظُمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يَعْظُمُ أَصْحَابُ
مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ؛ وَاللَّهِ إِنْ تَنْخَمَّ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ (۱) ،
وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحَدِّثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ
خِطَّةَ رَشْدٍ فَاقْبَلُوهَا .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ : دَعَوْنِي آتِيهِ . فَقَالُوا : آتِيهِ . فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يَعْظُمُونَ
الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ . فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يَلْبَسُونَ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ : سَبْحَانَ اللَّهِ
مَا يَنْبَغِي لَهُؤْلَاءَ أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ الْبَيْتِ . فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ : رَأَيْتَ الْبُدْنَ قَدْ قُلِدَتْ
وَأَشْعَرَتْ ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ الْبَيْتِ .

(۱) لعل هذا الوصف مبالغة في الحب والتعظيم ، كان فيه مخالفة لمبادئ الإسلام التي تدعو إلى النظافة
وتحت على التطهر ، ولعل هذا لا يتناسب مع ما كان عليه المسلمون من وضوء وطهر . ونحن لا ننكر
الرواية ولكننا نحملها على المبالغة والتجاوز .

فقام رجل منهم يقال له مِكَرَز بن حفص فقال : دعوني آتية . قالوا : ائته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مِكَرَز وهو رجل فاجر . فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة ، أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد سهّل لكم من أمركم » .

قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل فقال : هات فاكتب بيننا وبينك كتاباً . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم السكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال للمسلمون : والله لانكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم .

ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني ، اكتب محمد ابن عبد الله .

قال الزهري : وذلك لقوله : لا يسألوني خُطَّةَ يعظّمون فيها حرمة الله ، إلا أعطيتهم إياها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على أن تُخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به .

قال سهيل : والله لاتحدث العرب أنا أخذنا ضُفْطَةً ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب . فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك من رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا .

قال المسلمون : سبحان الله كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً .

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن مهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أفاضيك عليه أن ترده إلى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نقض الكتاب بعد . قال : فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأجزه لى . قال ما أنا بمجيزه لك . قال : بلى فافعل . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بلى قد أجزناه لك .

قال أبو جندل : أى معشر المسلمين أردت إلى المشركين وقد جئت مسلماً ، ألا ترون ماقد لقيت ؟! وكان قد عذب عذاباً شديداً فى الله . فقال عمر رضى الله عنه : فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ألسنت نبى الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نُعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ . قال : إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى .

قلت : أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : « بلى ، فأخبرتكم أنا نأتيه العام » ؟ قال : قلت : لا . قال : « فإنك آتية ومطوف به » .

قال : فأنت أبابكر فقلت : يا أبابكر أليس هذا نبى الله حقاً . قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال : قلت : فلم نُعطى الدنية فى ديننا إذن . قال : أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره ، فاستمسك بغيره فوالله إنه على الحق .

قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرك أنك تأتية العام . فقلت : لا . قال : فإنك آتية ومطوف به .

قال الزهرى : قال عمر : فعملتُ لذلك أعمالاً .

قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :

قوموا فانحروا ثم احلقوا .

قال : فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاثَ مرات ، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ؛ فقالت أم سلمة : يا نبيَّ الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ وتدعو حالقَكَ فيحلقَكَ .

فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بُدْنَه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً .

ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن » حتى بلغ « بعصم الكوافر » فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير ، رجل من قريش ، وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إنى لأرى سيفك هذا يافلان جيداً . فاستله الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه . فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه : « لقد رأى هذا دُعراً » .

فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : قُتل والله صاحبي وإنى لمتقول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وبئله أمه ! مسعّر حرب لو كان له أحد ! »

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر .

قال : وابتغلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فالحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج

من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون

بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعتراضوا لها فقتلوه وأخذوا أموالهم .
فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم لما أرسل إليهم فن
أناه فهو آمن ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم . فأنزل الله تعالى : « وهو الذى كفَّ
أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم » حتى
بلغ : « الحمية حمية الجاهلية » .

وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله ، ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم ،
وحالوا بينهم وبين البيت .

فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري ، فقد
رواه عن الزهري عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومعمّر ومحمد بن إسحاق ، كلهم عن
الزهري عن عروة عن مروان ومِسْوَر ، فذكر القصة .

وقد رواه البخارى في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بُكَيْر ، عن الليث بن سعد ،
عن عُقَيْل عن الزهري عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، عن
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القصة .

وهذا هو الأشبه ، فإن مروان ومِسْوَر كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما
أخذهما عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

وقال البخارى : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا مالك
ابن مِقْوَل ، سمعت أبا حُصَيْن قال : قال أبو وائل : لما قدم سُهيل بن حُنيف من صِفِّين
أتيناه نستخبره فقال : أتيموا الرأى ، فلقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أستطيع أن أردَّ
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره لرددت ، واللهُ ورسوله أعلم ، وما وضعنا أسيافنا

عن عواتقنا لأمر يُفْطِننا إلا أسهَلن بنا إلى أمرٍ نعرفه ، قبل هذا الأمر ما نَسُدُّ منها خُصْماً
إلا انفجر علينا خُصْمٌ^(١) ما ندرى كيف نأتى له .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن
أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب
يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شىء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : شكلك أمك يا عمر ، نَزَرْتُ^(٢)
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك .

قال عمر : فحُرِّكْتُ بعيرى ثم تقدمت أمامَ المسلمين ، وخشيت أن ينزل فى قرآن ،
فما نَسَبْتُ أن سمعت صارخاً يصرُخ بى ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فى قرآن .
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت عليه فقال : « لقد أنزلت على الليلة
سورة لهى أحبُّ إلى مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ : « إنا فتحنا لك فتحاً ميبناً » .
قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكلماتها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية والله الحمد
والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل .

(١) الخصم : الجانب . ويريد بهذا الأمر : الفتنة التى حدثت بين على ومعاوية .

(٢) نزلت : ألحقت عليه .

فصل في ذكر السرايا والبعوث

التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي عن الواقدي :

في ربيع الأول منها أو الآخر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى [غرو مرزوق] ^(١) فهربوا منه ونزل على مياهم وبعث في آثارهم وأخذ منهم مائتي بعير فاستاقها إلى المدينة .

وفيها كان بعث أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة بأربعين رجلاً أيضاً ، فساروا إليهم مشاة حتى أتوها في عمية الصبيح ، فهربوا منه في رءوس الجبال ، فأسر منهم رجلاً فقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه محمد بن مسامة في عشرة نفر وكن القوم لهم حتى باتوا [فقتل] ^(٢) أصحاب محمد بن مسامة كلهم وأفلت هو جريحاً .
وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالجُموم ^(٣) فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليمة ، فداتهم على محلة من محال بن سليم فأصابوا منها نساءً وأسروا [جماعة من المشركين] ^(٤) وكان فيهم زوج حليمة هذه فوهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها وأطلقهما .

وفيها كان بعث زيد بن حارثة أيضاً في جمادى الأولى إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ، فهربت منه الأعراب ، فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ثم رجع بعد أربع ليال .

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من المواهب . (٢) سقطت من الأصل .

(٣) الأصل : الجموم . وما أثبتته من المواهب . (٤) سقطت من الأصل وأثبتها من المواهب .

وفيهما خرج زيد بن حارثة في جمادى الأولى إلى العيص .

قال : وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، فاستجار بزینب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجارته .

وقد ذكر ابن إسحاق قصته حين أخذت العير التي كانت معه وقتل أصحابه وفرّ هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هاجرت بعد بدر ، فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح ، فأجاره لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بردّ ما أخذوا من غيره ، فردّوا كل شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها إلى مكة وأدى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم ، وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة ، فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته بالنكاح الأول ولم يحدث نكاحاً ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك . وكان بين إسلامه وهجرتها ست سنين ، ويروى سنتين .

وقد بينا أنه لا منافاة بين الروایتين ، وأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين ، وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح لا كما تقدم في كلام الواقدي من أنه سنة ست . فالله أعلم .

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر ، قد أجازته بأموال وخلع ، فلما كان بحُشمى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة أيضاً رضى الله عنه .

قال الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج عليّ رضى الله عنه في مائة رجل إلى أن نزل إلى حى من بنى أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ، فسار إليهم بالليل

وكنّ بالنهار وأصاب عيناً لهم ، فأقرّ له أنه بُعث إلى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر .

قال الواقدي رحمه الله تعالى : وفي سنة ست في شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم أطاعوا فتزوج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الإصبع الكلبية ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

قال الواقدي : في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفيهري إلى العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارساً فردّوهم .

وكان من أمرهم ما أخرجه البخاري ومسلم ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رهطاً من عكّل وعرينة - وفي رواية : من عكل أو عرينة - أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله إنا أناس أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة . فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بدؤد^(١) وراع ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرّة قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر^(٢) أعينهم وتركهم في الحرّة حتى ماتوا وهم كذلك .

قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب بعد ذلك حصّ على الصدقة ونهى عن المثلة .

(١) الذود : القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العشر . (٢) سمر : فقأ .

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك .
وفي رواية مسلم عن معاوية بن قرة عن أنس ، أن نفرأ من عُريفة أتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة الموم - وهو البرسام ^(١) - فقالوا :
هذا الموم قد وقع يارسول ، لو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل . قال : نعم فاخرجوا فكونوا
فيها . فخرجوا فقتلوا الراعين وذهبوا بالإبل .

وعنده : سار من الأنصار قريبُ عشرين فأرسلهم إليهم وبعث معهم قائفاً يقتص
أثرهم ، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم .

وفي صحيح البخارى من طريق أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، أنه قال :
قدم رهط من عكل فأسلموا واجتووا المدينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكروا ذلك له فقال : الحقوا بالإبل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها
ماشاء الله ، فقتلوا الراعى واستاقوا الإبل فجاء الصريحُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمر بمسامير فأحيت فكواهم بها وقطع أيديهم وأرجلهم ،
وألقام في الحرّة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحجمهم .

وفي رواية عن أنس قال : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش .
قال أبو قلابة : فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البيهقي من طريق عثمان بن أبي شيبة ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن
محمد بن عبيد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث
في آثارهم قال : اللهم عمِّ عليهم الطريقَ ، واجعلها عليهم أضيّقَ من مسك جبل ،
قال : فعمى الله عليهم السبيل ، فأدركوا فأتى بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم .
وفي صحيح مسلم : إنما سملهم لأنهم سملوا أعين الرّعاء .

(١) البرسام : ذات الجنب . وهو التهاب في النشاء المحيط بالرّئة .

فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة

أعنى سنة ست من الهجرة .

فيها نزل فَرَضَ الْحَجَّ ، كما قرره الشافعي رحمه الله زمن الحديبية في قوله تعالى
« وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » .

ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخي لا على الفور ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحج
إلا في سنة عشر .

وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد ، فمئذهم أن الحج يجب على كل من استطاعه
على الفور ، وَمَنَعُوا أَنْ يَكُونَ الْوَجُوبُ مُسْتَفَادًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ
وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » وإنما في هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد
أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة بما
فيه كفاية .

وفي هذه السنة حرّمت المسلمات على المشركين ، تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح
عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحدٌ وإن كان على دينك إلا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا ، فنزل
قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَآهِنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ
يَحِلُّونَ لَهُنَّ » الآية .

وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع التي كان فيها قصة الإفك ونزول براءة
أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما تقدم .

وفيها كانت عمرة الحديبية ، وما كان من صدّ المشركين رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأمن الناس فيهنّ

بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال . وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أما كنه
ولله الحمد والمنة . وولى الحج في هذه السنة المشركون .

قال الواقدي : وفيها في ذى الحجة منها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة
نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية . وشجاع بن وهب
ابن أسد بن جذيمة شهد بدرأ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يعني ملك عرب النصارى ،
وَدِحِيَّة بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة
السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامري إلى هَوَؤْذَة بن علي الحنفي ،
وعمر بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمة بن الحر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر في أولها

قال شعبة عن الحاكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله : « وأتابهم فتحاً قريباً » قال : خيبر .

وقال موسى بن عقبة : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج إلى خيبر ، وهي التي وعده الله إياها .
وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع . كما قدمنا .

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض الحرم ، ثم خرج في بقية الحرم إلى خيبر .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن الزهري ، عن عروة عن مروان والمسيور قالا : . انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر فنزل بالرّجيع : وادّ بين [خيبر و] غطفان فتخوف أن يمدّم غطفان ، حتى أصبح ففدا عليهم .

قال البيهقي : وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخي في خروجه أول سنة سبع

من الهجرة .

وقال عبد الله بن إدريس : عن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : لما كان افتتاح خيبر في عقيب الحرم ، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في آخر صفر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة مُمَيْلَة بن عبد الله الليثي .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا خُثَيْم بن يعنى ابن عراك ، عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم في خيبر وقد استخلف سِبَاع بن عُرْفُطَة يعنى العطفاني على المدينة . قال : فأنتميت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى كهيعص وفي الثانية ويل للمطففين ، فقلت في نفسي : ويل لفلان إذا اكتال [ا ك ت ا ل] بالواو وإذا كال كال بالناقص .

قال : فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ، قال : فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم .

وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب ، عن وهيب ، عن خُثَيْم بن عراك ، عن أبيه عن نفر من بني غِفَار قال : إن أبا هريرة قدم المدينة فذكره .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر وبني له فيها مسجداً ثم على الصَّهَاء ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحُول بينهم وبين أن يُمدُّوا أهلَ خيبر ، كانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغني أن غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلةً سمعوا خلقهم في أموالهم وأهلهم حسداً ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أموالهم وأهلهم وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن

بشير أن سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسويق فأمر به فترى فأكل وأكلنا : ثم قام إلى المغرب فمضى ثم صلى ولم يتوضأ .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ألا تسمعنا من هُنَيْهَاتِكَ ؟ وكان عامر رجلا شاعراً . فنزل يحدو بالقوم يقول :

لا هُمَّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصَدَّقنا ولا صلينا
فاغفر فداءً لك ما أبقينا وألقين سكيناً عاينا
وثبت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صيح بنا أينا
وبالصياح عوّلوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع قال : يرحمه الله ! فقال رجل من القوم : وجبت يانبي الله لولا أمتعتنا به !

فأتينا خيبر فنصرناهم حتى أصابتنا نخمسة شديدة . ثم إن الله فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم أوقدوا نيرانا كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه النيران على أى شىء توقدون ؟ قالوا : على لحم . قال : على أى لحم ؟ قالوا : لحم الحمر الإنسانية . قال النبي صلى الله عليه وسلم : أهريقوها واكسروها . فقال رجل : يا رسول الله أو نهريقها ونفسلها ؟ فقال : أو ذاك . فلما تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودى ليضره به فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركة عامر فمات منه ، فلما قفلوا قال سلمة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدي قال : مالك ؟ قلت : فدك أبى وأمى

زعموا أن عامراً حبط عمله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : كذب من قاله ، إن له لأجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهدٌ مجاهدٌ قلَّ عرني مشى بها مثله .

ورواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل وغيره عن يزيد بن أبي عبيد مثله . ويكون [مثله] منصوباً على الحالية من نكرة ، وهو سائغ إذ ادلت على تصحيح معنى ، كما جاء في الحديث «فصلى وراءه رجال قياماً» .

وقد روى ابن إسحاق قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمي ، أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره إلى خيبر اماما بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : « انزل يا بن الأكوع فخذ لنا من هفاتك » . قال : فنزل يرتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إننا إذا قومٌ بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا
فأنزلن سكينةً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب : وجبت يا رسول الله لو أممتنا به . فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنجو ما ذكره البخارى .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه عن أبي معتب بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : « اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإننا نسألك خير هذه القرية

وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا
بسم الله .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن العطاردي ، عن يونس
ابن بكير ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي مروان
الأسلمى ، عن أبيه عن جده قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر حتى
إذا كنا قريباً وأشرفتنا عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قفوا . فوقف الناس
فقال : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقلن ، ورب
الشياطين وما أضلن ، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من
شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآتهم ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُعز عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم
يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر ليلاً فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح لم
يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ،
فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والخميس معه ، فأذبروا هُراباً ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هرون عن حميد عن أنس بمثله .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا مالك ، عن حميد الطويل ، عن

أنس بن مالك أن رسول الله أتى خيبر ليلاً وكان إذا أتى قومًا بليلاً لم يُغربهم حتى يصبح ، فلما أصبح خرجت اليهودُ بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا أبو عيينة ، حدثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال : صَبَحْنَا خَيْبَرَ بِكَرَّةٍ نَفْرَجَ أَهْلُهَا بِالْمَسَاجِي ، فلما بصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال : فأصبنا من لحوم الحمر فنأدى منأدى النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس .

تفرد به البخاري دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم ومساحيهم ، فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا إلى حصنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين .

وقال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال صلى رسول الله عليه وسلم الصبحَ قريبًا من خيبر بفلس ، ثم قال : الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

فخرجوا يسعون بالسكك فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبى الذرية

وكان في السبي صافية ، فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها .

قال عبد العزيز بن صهيب لثابت : يا أبا محمد ، أنت قلت لأنس : ما أصدقها ؟
فحرك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخاري ومسلم النهي عن لحوم الحرم الأهلية من طرق تذكر في كتاب الأحكام .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو طاهر الفقيه ، أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسي ، حدثنا محمد بن حميد الأبيوردى ، حدثنا محمد بن الفضل ، عن مسلم الأعمور الملائى ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويحيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بنى قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسّ ن ليف وتحته إكاف من ليف .

وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذى ، عن علي بن حجر ، عن علي بن مُشهر ، وابن ماجه ، عن محمد بن الصباح ، عن سفيان ، وعن عمر بن رافع عن جرير ، كلهم عن مسلم ، وهو ابن كيسان الملائى الأعمور الكوفي ، عن أنس به . وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من حديثه وهو يضعف .

قلت : والذي ثبت في الصحيح عند البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى في رفاق خيبر حتى انحسر الإزار عن نخذة ، فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار .

ولعل هذا الحديث إن كان صحيحاً محمول على أنه ركبه في بعض الأيام وهو محاصرهما . والله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن سعيد الخزاعي ، حدثنا زياد بن الربيع ، عن

أبي عمران الجوني ، قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالة فقال : كأنهم الساعة يهود خيبر .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : كان علي بن أبي طالب تخاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان رمداً ، فقال : أنا أتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فلقح به .

فلما بنتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : لأعطين الراية غداً ، أو ليأخذن الراية غداً ، رجل يحببه الله ورسوله يفتح عليه . فنحن نرجوها ، فقيل : هذا على . فأعطاه ففتح عليه .

وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتبية عن حاتم به .

ثم قال البخاري : حدثنا قتبية ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال : فبات الناس يدوكون^(١) ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يارسول الله يشتكي عينيه . قال : فأرسل إليه فأتى ، فصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاه ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أفاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم .

(١) يدوكون : يختلفون ويسألون .

وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة به .

وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سُهَيْل بن أَبِي صالح ، عن أَبِيهِ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأعطين الرايةَ غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله وسوله يفتح الله عليه » .

قال عمر : فما أحببتُ الإمارةَ إلا يومئذ !

فدعا علياً فبعثه ثم قال : « اذهب فقاتلْ حتى يفتح الله عليك ولا تلغفت » قال علي : على ما أقاتلُ الناسَ ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » .

لفظ البخارى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مُصعب بن المقدّام وجحش بن المنثري ، قالا : حدثنا إسرائيل ، حدثنا عبد الله بن عِصْمَةَ العِجْلِي ، سمعت أبا سعيد الخدري رضى الله عنه يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الرايةَ فهزّها ثم قال : من يأخذها بحقها ؟ فجاء فلان فقال : أنا . قال : امض . ثم جاء رجل آخر فقال : امض . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي كرّم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفرُّ » فقال : هالك يا على .

فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وقدك وجاء بعجوتها وقد يدها .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة .

وعبد الله بن عِصْمَةَ ، ويقال ابن أعصم ، وهكذا يكنى بأبي علوان العِجْلِي ، وأصله من اليمامة سكن الكوفة ، وقد وثقه ابنُ معين ، وقال أبو زُرْعَةَ : لا بأس به ، وقال

أبو حاتم : شيخ . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطئ كثيراً . وذكره في الضعفاء ، وقال : يحدث عن الأثبات مما لا يشبه حديث الثقات حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة أو موضوعة .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثني بريرة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوخ رضى الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتحاً وقد جهد .

ثم بعث عمر رضى الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتحاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غداً رجلاً يجهه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، وليس بفرار .

قال سلمة : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وهو يومئذ أرمئ ، فتفل في عينيه ثم قال : « خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك » .

فخرج بها والله يأنح^(١) يهرول هرولةً ، وإنا نلحفه نقيع أثره ، حتى ركز رايته في رضم^(٢) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال اليهودى : غلبتم وما أنزل على موسى . فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا العطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بريرة ، أخبرني أبي ، قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء

(١) يأنح : من لأنح وهو علو النفس من شدة العدو . وتروى : يصول .

(٢) الرضم : حجارة بعضها فوق بعض ، من غير بناء .

أبو بكر ، فرجع ولم يفتح له ، وقُتل محمود بن مسلمة ورجع الناس .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأدفعن لوأني غداً إلى رجل يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله ، لن يرجع حتى يفتح الله له » فَبِتْنَا طَيِّبَةً نَفوسَنَا أَنْ الْفَتْحَ غَدًا ، فصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ، ثم دعا باللواء وقام قائماً ، فامنا من رجل له
منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى
تطاواتُ أنا لها ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه ، فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي
عينيه . قال : فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح له ، فسمعت عبد الله بن بريدة يقول :
حدثني أبي أنه كان صاحب مَرَّحِب .

قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم ، وعنده قتل
محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحي منه فقتلته .

ثم روى البيهقي ، عن يونس بن بكير ، عن المسيب بن مسلمة الأزدي ، حدثنا
عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشقيقة^(١)
فلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، وإن
أبا بكر أخذت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع فأخذها عمر
فقاتل قتالا شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال : « لأعطينها غداً [رجلاً] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة » وليس
ثمَّ عليٌّ ، فتطاوات لها قريش ، ورجا كلُّ رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح
وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أزمَد قد عصب عينه بشقة بُرْد

(٣) الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه .

قطرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمدتُ بعدك . قال : ادنُ منى . فتفل فى عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله .

ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبةٌ أرجوانٍ حمراء قد أخرج خملها ، فأتى مدينة خيبر وخرج مَرَحَبَ صاحب الحصن وعليه مِغْفَرٌ يَمَانِيٌّ وَحَجَرٌ قد ثقبه مثل البَيْضَةِ على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمتُ خيبرُ أنى مَرَحَبُ شاكٍ سلاحى بطلٌ مجرَّبُ
إذا الليوثُ أقبلتُ تَلَهَبُ وأحجمتُ عن صولةِ الغلبِ
فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سَمَّنى أُمى حَيدَرَه كَلَيْتُ غاباتٍ شديدِ القَسورَه
أ كيلكم بالصاع كيلَ السَنَدَرَه^(١)

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدره على بضربة فقدَّ الحجرَ والمغفرَ ورأسه ، ووقع فى الأضراس ، وأخذ المدينة .

وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب ، عن عبد الله بن بكر ، عن حكيم ابن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قصة بعث أبى بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث على فكان الفتح على يديه . وفى سياقه غرابة ونكارة وفى إسناده من هو متهم بالتشيع . والله أعلم .

وقد روى مسلم والبيهقى واللفظ له ، من طريق عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ابن الأَكوع عن أبيه ، فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم عن غزوة بنى قريظة . قال : فلم تمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

(١) السندرة : ضرب من الكيل غراف جراف .

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن من فضلك ما استغفينا فأنزلن سكينه علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا القائل ؟ فقالوا : عامر . فقال :
غفر لك ربك . قال : وما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أحداً به إلا استشهد .
فقال عمر وهو على جمل : لولا متمتنا بعامر !

قال : قدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :
قد علمت خيبر أنى مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تأهب
قال : فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى عامر شاكي السلاح بطل مغامر
قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب يسعل له^(١) ، فرجع
على نفسه فقطع أ كحله فكانت فيها نفسه .
قال سلمة : فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : بطل
عمل عامر قتل نفسه !

قال : فأنيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال : مالك ؟ فقلت :
قالوا : إن عامراً بطل عمله . فقال : من قال ذلك ؟ فقلت : نفر من أصحابك . فقال :
كذب أولئك ، بل له الأجر مرتين .

قال : وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضى الله عنه يدعوه وهو
أرمد وقال : لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله . قال : فحئت به أتوده . قال :
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينه فبرأ ، فأعطاه الراية ، فبرز مرحب وهو يقول :

(١) يسعل : ينشط .

قد علمتُ خيبرُ أنى مَرَّحِبُ شاكى السلاحِ بطلُ مجرَّبُ
إذا الحروبِ أقبلتِ تلهبُ

قال : فبرز له على وهو يقول :

أنا الذى سَمَّيتنى أُمى حَيْدَرِه كَلَيْتِ غَابَاتِ كَرِيهَ الْمَنْظَرِه
أوفيهم بالصاع كيلَ السَّنْدَرِه

قال : فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح .

هكذا وقع فى هذا السياق أن علياً هو الذى قتل مرحباً اليهودى لعنه الله .

وقال أحمد : حدثنا حسين بن حسن الأشقر ، حدثنى قابوس بن أبى ظَبْيَان ، عن

أبيه عن جده عن على قال : لما قتلتُ مرحباً جئتُ برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى موسى بن عُقْبَةَ عن الزهرى ، أن الذى قتل مرحباً هو محمد بن مسَلَمَةَ .

وكذلك قال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن سهل أحمد بنى حارثة ، عن

جابر بن عبد الله ، قال : خرج مرحب اليهودى من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمتُ خيبرُ أنى مَرَّحِبُ شاكى السلاحِ بطلُ مجرَّبُ

أطعن أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوثِ أقبلتِ تلهبُ

إنِ حمائى لَأَجْمى لَأُقْرَبُ

قال : فأجابه كعب بن مالك :

قد علمتُ خيبرُ أنى كعبُ مفرِّجُ الغمِّ جَرِّئُ صلبُ

إذ شَبَّتِ الحربُ وثارَ^(١) الحربُ معى حُسامُ كالمقيقِ عَضْبُ

يَطَأُ كمْ حتى يَذِلُّ الصعبُ بكفِّ ماضٍ ليس فيه عيبُ

قال : وجعل مَرَّحِب يرتجز ويقول : هل من مبارز ؟ فقال رسول الله صلى الله

(١) ابن هشام : تلتها الحرب

عليه وسلم : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسleme : أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور والثائر ، قتلوا أخى بالأمس . فقال : قم إليه اللهم أعنه عليه .

قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية ^(١) من شجر العشر ^(٢) المسد ^(٣) ، فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها ، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه مادونه ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ، ثم حمل على محمد بن مسleme فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت [به] ، فاستلمه وضره محمد بن مسleme حتى قتله .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن إسحاق بنحوه .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجز حين ضربه وقال :

قد علمت خبيراً أنى ماضٍ حلوا إذا شئتُ وسميتُ قاضٍ

وهكذا رواه الواقدي عن جابر وغيره من السلف ، أن محمد بن مسleme هو

الذى قتل مرحباً .

ثم ذكر الواقدي أن محمداً قطع رجلى مرحب فقال له : أجهز عليّ . فقال : لا ، ذق

الموت كما ذاقه محمود بن مسleme . فمرّ به عليّ وقطع رأسه ، فاختمهما في سلبه إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسleme سيفه وريحه ومغفره

وبيضته . قال : وكان مكتوباً على سيفه :

هذا سيف مرحب من يذقه يعطب

(١) العمرية : القديعة .

(٢) العشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في أجود منه .

(٣) المسد : الشديد القتل . ولم ترد هذه الكلمة في ابن هشام .

ثم ذكر ابن إسحاق أن أبا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول : هل من مبارز؟

فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له ، فقالت أم صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابني يا رسول الله . فقال : بل ابني يقتله إن شاء الله . فالتقيا فقتله الزبير .

قال : فكان الزبير إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ صار ما يقول : والله ما كان بصارم ولكي أكرهته .

وقال يونس عن ابن إسحاق ، عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرجنا مع علي إلى خيبر ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضر به رجل منهم من يهود فطرح رأسه من يده ، فتناول علي باب الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجَّه على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه .

وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر .

ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق مُطَّلَب بن زياد ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر ، أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها ، وإنه جُرِّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً !

وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جَهدهم أن أعادوا الباب .

وقال البخاري : حدثنا مكى بن إبراهيم ، حدثنا يزيد بن أبي عبيد ، قال : رأيت

أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابني

يوم خيبر فقال الناس : أصيب سلمة . فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فنفت فيه ثلاث نَفَنَات ، فما اشتكيتها حتى الساعة .

ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا ابن أبي حازم ، عن أبيه عن سهل ، قال : التقى النبي صلى الله عليه وسلم والمشركون فى بعض مغازبه فاقتلوا ، فمال كل قوم إلى عسكرهم ، وفى المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه ، فقيل : يا رسول الله ما أجراً منا أحدٌ ما أجراً فلان . قال : إنه من أهل النار . فقالوا : أينما من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ ! فقال رجل من القوم : لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستمجّل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين تدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه .

فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : وما ذلك؟ فأخبره فقال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة .

رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب ، عن أبي حازم ، عن سهل . فذكره مثله أو نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرنى سعيد ابن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعى الإسلام : هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة ، حتى كاد بعض الناس يرتاب . فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه ، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا : يا رسول الله صدق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه . فقال : قم يا فلان فأذن : إنه لا يدخل

الجنة إلا مؤمن ، وإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ! » .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الإيمان والشهادة في ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة قالا : وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غم لسيدته ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألم قال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي .

فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إلى ما تدعو؟ قال : أدعوك إلى الإسلام ، إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وآلا تعبد إلا الله . قال : فقال العبد : فماذا يكون لى إن شهدتُ بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنة إن متَّ على ذلك .

فأسلم العبد فقال : يا نبي الله إن هذه الغنم عندى أمانة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخْرِجْهَا مِنْ عَسْكَرِنَا وَارْمِهَا بِالْحِصَا ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ . ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها ، فعرف اليهودى أن غلامه قد أسلم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظ الناس فذكر الحديث في إعطائه الراية علياً ودنوه من حصن اليهود وقتله مَرَجَبًا ، وقُتِلَ مَعَ عَلِيٍّ ذَلِكَ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ ، فَاحْتَمَلَهُ الْمَسْلُومُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ فَأَدْخَلَ فِي الْفَسْطَاطِ ، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطَّلَعَ فِي الْفَسْطَاطِ ثُمَّ أَطَّلَعَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : « لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ هَذَا الْعَبْدَ وَسَاقَهُ إِلَى خَيْرٍ ، قَدْ كَانَ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِهِ حَقًّا ، وَقَدْ رَأَيْتَ عِنْدَ رَأْسِهِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ! » .

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق ابن وهب ، عن حيوة بن شريح عن ابن الهادي ، عن شُرْحَبِيلِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

في غزوة خيبر، فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرهاها فذكر نحو قصة هذا العبيد الأسود وقال فيه: قُتل شهيداً وما سجد لله سجدة!

ثم قال البيهقي: حدثنا محمد بن محمد بن محمد بن محمد الفقيه، حدثنا أبو بكر القطان، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، حدثنا ثابت، عن أنس أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لي، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة؟ قال: نعم.

فتقدم فقاتل حتى قُتل، فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال: لقد حسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك وقال: «لقد رأيت زوجتي من الحور العين يفتازعان جنته عليه، يدخلان فيما بين جلده وجنته».

ثم روى البيهقي من طريق ابن جريج، أخبرني عكرمة بن خالد، عن ابن أبي عمير، عن شداد بن المهدي، أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمن به واتبعه فقال: أهاجر معك. فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهريهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسم لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما على هذا اتبعتك ولكنني اتبعتك على أن أرمي هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت فأدخل الجنة. فقال: «إن تصدق الله يصدقك».

ثم نهضوا إلى قتال العدو، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحمل وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هو هو؟ قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقته».

وكفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدّمه فصلى

عليه وكان مما ظهر من صلواته : « اللهم هذا عَبْدُكَ خرج مهاجراً في سبيلك قُتل شهيداً وأنا عليه شهيد » .

وقد رواه النسائي عن سُويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه .

فصل

قال ابن إسحاق : وتدنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأموالَ بأخذها مالا مالا ويفتتحها حصناً حصناً ، وكان أولُ لُحصونهم فُتِحَ حصنُ ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مَسامة ، أُلقيت عليه رَحَى منه فقتلته . ثم القموص حصن بنى أبي الحَقِيق .

وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، منهن صفية بنت حُي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيق وبنتي عم لها ، فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، وكان دِحْيَة بن خليفة قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها .

قال : وفشت السبايا من خيبر في المسلمين ، وأكل الناس لحوم الحمر فذَكَرَ نَهْيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عن أكلها .

وقد اعتنى البخارى بهذا الفصل ، فأورد النهي عنها من طرق جيدة .

وتحريمها مذهبُ جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الأئمة الأربعة .

وقد ذهب بعض السلف ، منهم ابن عباس إلى إباحتها ، وتفاوتت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها .

فقيل : لأنها كانت ظهراً يستعينون بها في الجمولة . وقيل : لأنها لم تكن مُحْتَسَبَةً

بعد . وقيل : لأنها كانت تأكل العذرة ، يعني جَلالة .

والصحيح أنه نهى عنها لذاتها ، فإن في الأثر الصحيح أنه نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهايكم عن لحوم الحمر ، فإنها رجس .
فأكفأوها والقدور تفورُ بها .
وموضع تقرير ذلك في كتاب الأحكام .

قال ابن إسحاق : حدثني سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ، ولم يشهد جابر خيبر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخليل .

وهذا الحديث أصله ثابت في الصحيحين ، من حديث حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن علي ، عن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في الخليل .
لفظ البخارى .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي نجيح ، عن مكحول ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الجبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغنم حتى تقسم .
وهذا مرسل .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى تميم ، عن حنّس الصنعانى ، قال : غزونا مع رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ الْمَغْرَبِ ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام نينا خطيباً فقال : أيها الناس إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرعاً

غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبى ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَغْنَمًا حتى يُقَسَم ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من قِء المسلمين حتى إذا أعجزها ردّها فيه ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يومًا من قِء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه .

وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن إسحاق . ورواه الترمذى عن حفص بن عمرو الشَّيبانى ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن ربيعة بن سليم ، عن بشر بن عبيد الله ، عن رويغ بن ثابت مختصرًا . وقال : حسن .

وفى صحيح البخارى عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم .

وقد حكى ابن حزم عن على وشريك بن الحنبل أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثوم النَّيِّء . والذي نقله الترمذى عنهما الكراهة . فالله أعلم .

وقد تكلم الناس فى الحديث الوارد فى الصحيحين من طريق الزهرى ، عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية ، عن أبيهما ، عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية .

هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره ، عن الزهرى وهو يقتضى تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر .

وهو مُشْكل من وجهين : أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثمَّ نساء يتمتعون بهن ، إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسَّبَاء عن نكاح المتعة .

الثاني : أنه قد ثبت في صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة ، عن معبد عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لهم في المتعة زمن الفتح ، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : إن الله قد حرمها إلى يوم القيامة .

فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حُرمت ، فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد .

ومع هذا فقد نصَّ الشافعي على أنه لا يعلم شيئاً أبيض ثم حُرِّم ، ثم أبيض ثم حرم ، غير نكاح المتعة . وما حدها على هذا رحمه الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه (١) .

وقد حكى الشَّهيلي وغيره عن بعضهم أنه ادَّعى أنها أبيضت ثلاث مرات ، وحُرمت ثلاث مرات . وقال آخرون : أربع مرات . وهذا بعيد جداً . والله أعلم .

واختلفوا أيَّ وقتٍ أول ما حُرمت ، فقيل : في خيبر . وقيل : في عُمرَةَ القضاء . وقيل : في عام الفتح . وهذا يظهر . وقيل : في أوطاس . وهو قريب من الذي قبله . وقيل : في تبوك . وقيل : في حجة الوداع .

رواه أبو داود .

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علي رضي الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير .

ولإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن الحسن وعبد الله ابني محمد عن أبيهما ، وكان حسن أرضاهما في أنفسهما ، أن علياً قال لابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الجمر الأهلية زمن خيبر .

(١) بالأصل بيأس بمقدار سطر .

قالوا : فاعتقد الراوى أن قوله خير ظرف للنهى عنهما ، وليس كذلك إنما هو ظرف للنهى عن لحوم الحمر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفا ، وإنما جمعه معه لأن عليا رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين على : إنك امرؤ تانه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر .

لجمع له النهى ليرجع عما كان يعتقد في ذلك من الإباحة .

وإلى هذا التقرير كان ميلُ شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى نعمده الله برحمته آمين .

ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب [إليه] من [إباحة] الحمر والمتعة .

أما النهى عن الحمر فتأوله بأنها كانت حمولتهم ، وأما المتعة فإنما كان يبيحها عند الضرورة فى الأسفار ، وجعل النهى على ذلك فى حال الرفاهية والوجدان ، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ، ولم يزل ذلك مشهورا عن علماء الحجاز إلى زمن ابن جريج وبعده .

وقد حكى عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كذهب ابن عباس ، وهى ضعيفة .

وحاول بعض من صنف فى الحلال نقل رواية عن الإمام بمثل ذلك . ولا يصح أيضا والله أعلم . وموضع تحرير ذلك فى كتاب الأحكام . وبالله المستعان .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون والأموال . فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدثه بعض من أسلم^(١) أن بنى سَهْمٍ مِنْ أَسْلَمٍ أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ، فقال : « اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء^(٢) »

(٢) الأصل : غنى . وما أثبتته من ابن هشام .

(١) ابن هشام : بعض أسلم

وأكثرها طعاماً وودّكاه . ففدنا الناس ففتح عليهم حصن الصَّعب بن معاذ ، وما بخير
حصن كان أكثر طعاماً وودّكاه منه .

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح
وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسَّلام ، وكان آخر حصون خيبر
افتتاحاً ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشرة ليلة .
قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر : يا منصور أمت أمت .

قال ابن إسحاق : وحدثني بُرَيْدة بن سفيان الأَسدي الأَسلمى ، عن بعض رجال بني
سُلَمة ، عن أبي اليسر كعب بن عمرو ، قال : إني لَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر
ذات عشيةٍ إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : مَنْ رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا
يا رسول الله . قال : فافعل .

قال : فخرجت أشدُّ مثل الظَّليم ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً
قال : اللهم أمتعنا به . قال : فأدرکتُ الغنم وقد دخلتُ أولها الحصن ، فأخذتُ
شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدي ، ثم جئتُ بهما أشدُّ كأنه ليس معي شيء ،
حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما فأكلوها .

فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتاً . وكان إذا
حدّث هذا الحديث بكى ثم قال : أمتعوا بني لعمري ا حتى كنت من آخرهم .

وقال الحافظ البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ،
حدثنا أبو سعيد بن الأعرابي ، حدثنا سعدان بن نصر ، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم
الأحول ، عن أبي عثمان النهدي ، أو عن أبي قلابة ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
خيبر قدم والثمره خَصْرَة ، قال : فأسرع الناس إليها فحَمُّوا فشكروا ذلك إليه ، فأمرهم

أن يقرّسوا الماء في الشَّنان^(١) ثمَّ يجرُّونه عليهم إذا أتى الفجرُ ويذكرون اسم الله عليه ،
ففعلوا ذلك فكانما نشطوا من عقل .

قال البيهقي : ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولا ، وعنه : بين صلاتي
المغرب والعشاء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى وبهرز ، قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن
هلال ، حدثنا عبد الله بن مُغفل ، قال : دلّني جرابٌ من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت :
لا أعطى أحدا منه شيئا . قال : فالتفتُ فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم .
وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن مغفل ،
قال : كنا نحاصر قصرَ خيبر ، فألقى إلينا جراب فيه شحم ، فذهبت فأخذهت فرأيت
النبي صلى الله عليه وسلم فاستحييت .

وقد أخرجه صاحبنا الصحيح من حديث شعبة . ورواه مسلم أيضا عن شيبان بن
فروخ ، عن عثمان بن المغيرة .

وقال ابن إسحق : وحدثني من لأئهم عن عبد الله بن مُغفل المزني قال : أصبتُ من
فيء خيبر جرابَ شحم ، قال : فاحتلمته على عنقي إلى رحلي وأصحابي . قال : فلقيني
صاحب المغنم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم حتى تقسمه بين المسلمين .
قال : وقلت : لا والله لا أعطيكه . قال : وجعل يماذيني الجراب ، قال : فرآنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغنم : خَلَّ بينه وبينه .
قال : فأرسله فانطلقتُ به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه .

(١) يهرسوا : يردوا . والشنان : القرب .

وقد استدلل الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلهم عليه غيرهم من المسلمين ، لأن الله تعالى قال : « وطعامُ الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم » قال : « لكم » قال : وليس هذا من طعامهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر . وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالاً لهم والله أعلم .

وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يُخمس ، ويعضد ذلك ما رواه الإمام أبو داود : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا إسحاق الشيباني ، عن محمد بن أبي مجالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قلت : كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبنا طعاماً يوم خيبر ، وكان الرجل يجيء فيأخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف .

تفرد به أبو داود وهو حسن .

ذكر قصة صفية بنت حُيِّ بن أخطب النضرية

رضى الله عنها

كان من شأنها أنه لما أجتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ بني النضير من المدينة كما تقدم ، فذهب عامتهم إلى خيبر وفيهم حُيِّ بن أخطب وبنو أبي الحقيق ، وكانوا ذوى أموال وشرف في قومهم ، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ ، ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بني عمها ، فلما زفَّت إليه وأدخلت إليه بنى بها ومضى على ذلك ليال ، رأت في منامها كأن قر السماء قد سقطت في حجرها ، فقصّت رؤياها على ابن عمها فلطم وجهها وقال : أتتمنين مَلِكٌ يثرب أن يصير بَعْلَكَ !

فما كان إلا مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصاره إيَّاهم ، فكانت صفية في جملة السبي ، وكان زوجها في جملة القتلى .

ولما اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت في حوزة وملكه كما سيأتي ، وبنى بها بعد استبرائها وحلبها وجد أثر تلك اللطمة في خدها ، فسألها ما شأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضى الله عنها وأرضاها .

قال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبحَ قريبا من خيبر بغلس ثم قال : « الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباحُ المنذرين » .
فخرجوا يسعون في السكك ، فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبى الذرية ، وكان في السبى صفية فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها .

ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن زيد ، وله طرق عن أنس .
وقال البخارى : حدثنا آدم ، عن شعبة ، عن عبد العزيز بن صهيب قال : سمعتُ
أنسَ بن مالك يقول : سبى النبي صلى الله عليه وسلم صفيّة فأعتقها وتزوجها . قال ثابت
لأنس : ما أصدّقها ؟ قال : أصدّقها نفسها فأعتقها .
تفرد به البخارى من هذا الوجه .

قال البخارى : حدثنا عبد الغفار بن داود ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح .
وحدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا وهب ، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن
عمرو مولى المطلب ، عن أنس بن مالك قال : قدّمنا خيرَ فلما فتّح صلى الله عليه وسلم
الحصنَ ذُكر له جمالُ صفيّة بنت حُي بن أخطب ، وقد قتل زوجها وكانت عروسا ،
فاصطفاها النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه ، فخرج بها حتى بلغ بها سُدَّ الصهباء (١) حلّت
فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صنع حَيْسًا فى نِطْع (٢) صغير ثم قال لى :
أذِنَ مَنْ حَوْلِكَ . فكانت تلك وليمة على صفيّة . ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي
صلى الله عليه وسلم يُجَوِّى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره ، فيضع ركبته وتضع صفيّة
رجلها على ركبته حتى تتركب .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن أبى مریم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير ،
أخبرني حميد ، أنه سمع أنسًا يقول : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خيبر والمدى .
ثلاث ليل يُبْنَى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمة وما كان فيها من خبز ولحم ،
وما كان فيها إلا أن أمر بلالا بالأنطاع فبسطت فألقى عليها التمر والأقط والسمن ، فقال
المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين أو ماملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجّبتها فهي إحدى

(١) الصهباء : موضع بينه وبين خير مرحلة . والسد : الحاجز .

(٢) النطع : بساط من الأديم .

أمهات المؤمنين ، وإن لم يججها فهي مما ملكت يمينه . فلما ارتحل وقَّأ لها خلفه ومدَّ الحجاب .

انفرد به البخارى .

وقال أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : صارت صَفِيَّةُ لِدِخِيَةَ الكَلْبِيِّ ، ثم صارت لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو داود : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عليَّة ، عن عبا العزير بن صهيب ، عن أنس قال : جُمع السبي - يعنى بنخير - فجاء دحية فقال : يا رسول الله أعطنى جارية من السبي قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صَفِيَّةَ بنت حبي ، فجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أعطيت دحية . قال يعقوب : صَفِيَّةُ بنت حبي سيدة قريظة والنضير ، ماتصلح إلا لك . قال : ادعوا بها . فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال : خذ جارية من السبي غيرها . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقها وتزوجها .

وأخرجاه من حديث ابن عليَّة .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن خَلاد الباهلي ، حدثنا بهز بن أسد ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت عن أنس ، قال : وقع في سهم دحية جارية جميلة ، فاشترها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أم سلمة تصنعها وتهيئها . قال حماد : وأحسبه قال : وتمتد في بيتها ، صَفِيَّةُ بنت حبي .

تفرد به أبو داود .

قال ابن إسحاق : فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص حصن بني أبي

الحقيق أتى بصفية بنت حبي بن أخطب وأخرى معها ، فمر بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكّت وجهها وحثّت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعزبوا^(١) عنى هذه الشيطانة . وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية مارأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما ! .

وكانت صفية قد رأت في المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قرأ وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ما هذا إلا أنك تمنين مَلِك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لطمه خَصَرَ عَيْنَهَا منها . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ما هذا ، فأخبرته الخبر .

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنزُ بنى النضير ، فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كلَّ غداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : أ رأيت إن وجدناه عندك أقتلك ؟ قال : نعم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بمض كنزهم ، ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فقال : عدّبه حتى تستأصل ما عنده . وكان الزبير يَقْدَح بَرَنْدَه^(٢) فى صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسleme فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسleme .

(٢) ابن هشام : زند .

(١) أعزبوا : أبعدوا .

فصل

قال ابن إسحاق : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم . ففعل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها الشق والنظاة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنين ، فلما سمع [بهم] أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويحلوا له الأموال ففعل . وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أخو بني حارثة .

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمرها . فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف على أننا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . وعامل أهل فدك بمثل ذلك .

فصل في فتح حصونها وقسمة أرضها

قال الواقدي : لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ إلى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال : يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النظاة وتخرج إلى أهل الشق ، فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك ؟

قال : فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وماله فقال له اليهودي : إنك لو أقت شهرأ تحاصرهم ما بالوا بك ، إن لهم تحت الأرض دُبُولاً^(١) يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعهم .

(١) الدبول : الجداول .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع دُبُولهم ، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة ، وافتتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر حصون النبطاة . وتحوّل إلى الشق ، وكان به حصون ذوات عدد ، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبيّ ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أشد القتال ، فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا إلى البراز فبرز إليه الحباب بن المنذر ، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده ، وفر اليهودى راجعاً فاتبه الحباب فقطع عرقوبه . وبرز منهم آخر فقام إليه رجل من المسلمين فقتله اليهودى ، فهض إليه أبودجانة فقتله وأخذ سلبه ، وأحجموا عن البراز فكبر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمّامهم أبودجانة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة وتحمّوا الجزر كأنهم الضباب حتى ساروا إلى حصن البرزة بالشق ، وتمنّوا أشدّ الامتناع ، فزحف إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقاموا ورمى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة ، حتى أصاب نبلهم بجانه عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفّاً من الحصار فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساق في الأرض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد .

قال الواقدي : ثم تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأخيصة والوطيح والسلام ، حصنّ أبي الحقيق ، وتحصنوا أشدّ التحصن وجاء إليهم كلٌّ من كان انهزم من النبطاة إلى الشق ، فتحصنوا معهم في القموص وفي الكتبية ، وكان حصناً منيعاً وفي الوطيح والسلام وجعلوا لا يبطّعون من حصونهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب المنجنيق عليهم .

فلما يقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر يوماً نزل إليه ابن أبي الحقيق فصالحه على حثن دماهم ويسيرهم ويحلّون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والسكرع والحلقة وعلى البرز،
إلا ما كان على ظهر إنسان ، يعنى لباسهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وبرئت
منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم شيئا . فصالحوه على ذلك .
قلت : ولهذا لما كنتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذى كان فيه أموال جزيلة ،
تبين أنه لا عهد لهم ، فقتل ابنى أبى الحقيق وطائفة من أهله ، بسبب نقض العهد
منهم والمواثيق .

وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو الحسن على بن محمد المقرئ الأسفرايينى ، حدثنا
الحسن بن محمد بن إسحاق ، حدثنا يوسف بن يعقوب ، حدثنا عبد الواحد بن غياث ،
حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، فيما يحسب أبو سلمة ، عن نافع عن ابن عمر ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم ، فقلب على الأرض
والزرع والنخل ، فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ورسول الله صلى الله عليه
وسلم الصفراء والبيضاء ، ويخرجون منها ، واشترط عليهم ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا ،
فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد .

فغيبوا مسكاً^(١) فيه مالٌ وحلى لحيتى بن أخطب ، وكان احتمله معه إلى خيبر حين
أجلت النضير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ : ما فعل مسكٌ حى الذى جاء
به من النضير؟ فقال : أذهبته النفقات والحروب . فقال : المهدي قريب والمال أكثر من ذلك
فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير فمسه بمذاب ، وقد كان حى قبل ذلك
دخل خربة ، فقال : قد رأيت حياً يطوف فى خربة ها هنا . فذهبوا فطافوا فوجدوا
المسك فى الخربة .

فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنى أبى الحقيق ، وأحدهما زوج صفية بنت

حي بن أخطب ، وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بالنكت الذى نكتوا .

وأراد إجلاءهم منها ، فقالوا : يا محمد دعنا نكون فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها . ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه غلال يقومون عليها ، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشىء ، ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عبد الله بن رواحة يأتهم كل عام فيخربها عليهم ، ثم يضمهم الشطر ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه فقال : يا أعداء الله تطمعونى الشحت ! والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلى ، ولأنتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والخنزير ، ولا يحملنى بغضى إياكم وحجى إياه على أن لا أعدل عليكم .

فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض !

قال : فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صافية خضرة ، فقال : يا صافية ماهذه الخضرة ؟ فقالت : كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت كأن قمرأ وقع فى حجرى ، فأخبرته بذلك فلطمنى وقال : تتمنين ملك يثر ب .

قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض الناس إلى ، قتل زوجى وأبى ، فما زال يعتذر إلى ويقول : إن أبك ألب على العربَ وفعل . فافعل ، حتى ذهب ذلك من نفسى .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير ، فلما كان فى زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن

عمر من فوق بيت ففدعوا^(١) يديه ، فقال عمر : من كان له سهمٌ بخيبر فليحضر حتى
تقسمها . فقسمها . بينهم . فقال رئيسهم : لا تخربنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر . فقال عمر : أتراني سقط على قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « كيف بك إذا وقصت^(٢) بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً » .

وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية .

وقد رواه أبو داود مختصراً من حديث حماد بن سلمة .

قال البيهقي : وعلقه البخاري في كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أره
في الأطراف فالله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهري ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني أسامة
ابن زيد الليثي ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : لما فتحت خيبر سألت يهود رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أقرم فيها على ذلك ما شئنا .

فكانوا على ذلك ، وكان التمر يقسم على الشهبان من نصف خيبر ويأخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخمس ، وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من
تمر وعشرين وسقا من شعير .

فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهن :
من أحب منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها ، ومن
الزرع مزرعة عشرين وسقا من شعير فعلنا ، ومن أحب أن نعزل الذي لها في الخمس
كما هو فعلنا .

(١) الفدع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل . (٢) وقصت : أسرعت .

وقد روى أبو داود من حديث محمد بن إسحاق حدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن عمر قال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل يهودَ خيبر على أن يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مالٌ فليلحق به ، فإني أُخرج يهود . فأخرجهم .

وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أعطيتَ بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : « إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد » . قال جبير بن مطعم : ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس وبنو نوفل شيئاً .

تفرد به دون مسلم .

وفي لفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بني هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد ، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام » .

قال الشافعي : دخلوا معهم في الشَّعب وناصروهم في إسلامهم وجاهليتهم .

قلت : وقد ذمَّ أبو طالب بني عبد شمس ونوفلاً حيث يقول :

جزى الله عنا عبدَ شمس ونوفلاً عقوبةَ شرٍّ عاجلاً غير آجلٍ

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن ثابت ، حدثنا زائدة ،

عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ خيبر للفرس سهمين وللرجال سهماً .

قال : فسره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن

معه فرس فله سهم .

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مریم ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد ،

عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخرَ
الناس بيانا^(١) ليس لم شيء ما فتحت على قريّة إلا قسمتها كما قسم النبي صلى الله عليه
وسلم خيبر ، ولكنى أتركها خزائنة لم يقسمونها .

وقد رواه البخارى أيضا من حديث مالك ، وأبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن ابن
مهدى ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عمر به .

وهذا السياق يقتضى أن خيبر بكاملها قُسمت بين الغانمين .

وقد قال أبو داود : حدثنا ابن السرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن
ابن شهاب قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عتوة بعد القتال
وترك من ترك من أهلها بعد القتال .

وبهذا قال الزهرى : خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ثم قسم ساورها على
من شهدها .

وفيا قاله الزهرى نظر ، فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وإنما قسم نصفها
بين الناس كما سيأتى بيانه .

وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخير في الأراضى المغنومة ، إن
شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين ، وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما
ينوبه في الحاجات والمصالح^(٢) .

قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا يحيى
ابن زكريا ، حدثني سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن بشير بن يسار ، عن سهل بن أبي
حشمة قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر نصفين ؛ نصفاً لنوائبه ، ونصفاً بين
المسلمين : قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً .

(١) بيانا : أى على طريقة واحدة ، وهى كلمة غير عربية .

(٢) ت : « إن شاء قسمها ، وإن شاء قسم بعضها ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر ،
فإنه خمسها ثم قسم نصفها في الغانمين ، وأرصد نصفها لما ينوبه في الحاجات والمصالح » .

تفرد به أبو داود . ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلا ، فعين نصف النوائب الوطيح والكتيبة والشلالم وما حيزَ معها ، ونصف المسلمين الشق والنظاة وما حيزَ معهما ، وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حيزَ معهما .

وقال أيضاً : حدثنا حسين بن علي ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن بشير بن يسار مولى الأنصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهماً ، جمع كلَّ سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس .
تفرد به أبو داود .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصاري ، سمعت أبي يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري ، عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري - وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن - قال : قُسمت خيبر على أهل الحديبية ، قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهماً ، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس ، سهمين وأعطى الراجل سهماً .

تفرد به أبو داود .

وقال مالك عن الزهري ، أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم افتتح بعضَ خيبر عنوةً .

ورواه أبو داود . ثم قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، حدثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوةً وبعضها صلحاً ، والكتيبة أكثرها عنوةً وفيها صلح ، قلت لمالك : وما الكتيبة ؟

قال : أرض خيبر ، وهى أربعون ألف عَدَق . قال أبو داود : والمدق : النخلة .
والمدق : العرجون .

ولهذا قال البخارى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا حرَمى ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمارة ،
عن عكرمة ، عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

حدثنا الحسن ، حدثنا قرّة بن حبيب ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن
أبيه ، عن ابن عمر قال : ما شعبنا - يعنى من التمر - حتى ففتحنا خيبر .

وقال محمد بن إسحاق : كانت الشق والنطاة فى سهمان المسامين ، الشق : ثلاثة عشر
سهما ونطاة خمسة أسهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ، ودفع ذلك إلى من شهد
الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خيبر من شهد الحديبية إلا جابر
ابن عبد الله فضرب له بسهمه .

قال : وكان أهل الحديبية ألفا وأربعمائة ، وكان معهم مائتا فرس لكل فرس
سهمان ، فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، وزيد المائتا فارس
أربعمائة سهم لخيولهم .

وهكذا رواه البيهقى من طريق سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن صالح بن
كيسان أنهم كانوا ألفا وأربعمائة معهم مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان
الشق مع عاصم بن عدى .

قال ابن إسحاق : وكانت الكتيبة خمساً لله تعالى ^(١) ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم ،
وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطعمة أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم ، وطعمة أقوام مشوا فى صلح أهل فَدَك ، منهم حِيصَة بن مسعود أقطعه رسول الله

(١) ابن هشام : خمس الله .

صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير . قال : وكان وادياها
الذان قسمت عليه يقال لها وادى السُرير ووادى خاص .

ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها ، فأجاد وأفاد رحمه الله .

قال : وكان الذى ولى قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية بن خنساء أخو بني

سلمة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خَرَص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة فخرصها سنتين ، ثم

لما قتل رضى الله عنه فى يوم مؤتة ولى بعده جبار بن صخر رضى الله عنه .

وقد قال البخارى : حدثنا إسماعيل ، حدثنى مالك ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن

سعيد بن المسيب عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

استعمل رجلا على خيبر فجاء بتمرٍ جَنِيْبٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكلت

تمر خيبر هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين ،

والصاعين بالثلاثة ، فقال : « لا تفعل بع الجمع بالدراهم ، ثم اتبع بالدراهم جنيبا » .

قال البخارى : وقال الدراوردي ، عن عبد المجيد ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبا سعيد

وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بنى عدى من الأنصار

إلى خيبر وأمره عليها . وعن عبد المجيد عن أبى صالح السمان ، عن أبى سعيد وأبى

هريرة مثله .

قلت : كان سهمُ النبي صلى الله عليه وسلم الذى أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر

وفدك بكاملها ، وهى طائفة كبيرة من أرض خيبر ، نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات

الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بني النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه

بخييل ولا ركاب .

فكانت هذه الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، وكان يعزّل منها نفقة أهله لسنة ، ثم يجعل ما بقي يجعل مال الله يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين . فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم - أو أكثرهن - أن هذه الأراضي تكون موروثه عنه ، ولم يبلغن ما ثبت عنه من قوله صلى الله عليه وسلم : « نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة » .

ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلمه إليهم ؛ ذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نورث ما تركنا صدقة » وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لقربة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي .

وصدق رضي الله عنه وأرضاه ، فإنه البارُّ الراشد في ذلك التابع للحق .

وطلب العباس وعليّ على لسان فاطمة ، إذ قد فاتهم الميراث ، أن ينظرا في هذه الصدقة وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصديق ذلك ، ورأى أن حقاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وألا يخرج من مسلكه ولا عن سننه .

فتفضّبت فاطمة رضي الله عنها عليه في ذلك ووجدت في نفسها بعض الموجبة .

ولم يكن لها ذلك ، والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محلّه ومنزله من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامه في نصرته النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته ، فجزاه الله عن نبيه وعن الإسلام وأهله خيراً .

وتوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدّد على البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوهم أن يفوض أمر هذه الصدقة إلى علي والعباس ، وثقلوا

عليه بجماعة من سادات الصحابة ، ففعل عمر رضي الله عنه ذلك ، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته .

فتغلب على علي عمه العباس فيها ، ثم تساوفاً بحتصمان إلى عمر ، وقدما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسمها بينهما فينظر كلٌّ منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشدَّ الامتناع وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة الموارث وقال : انظرا فيها وأنتما جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليّ ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أفضى فيها قضاء غير هذا .

فاستمرَّ فيها ومن بعدها إلى ولدهما إلى أيام بني العباس ، تُصرف في المصارف التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها ؛ أموال بني النضير وفدك وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر .

فصل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فرضخ^(١) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الغنيمة ولم يُسهم لهم .

قال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا بشر بن المفضل ، عن محمد بن زيد ، حدثني عمير مولى أبي الأحم قال : شهدت خيبر مع سادتي ، فكلموا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بي فقلدت سيفا ، فإذا أنا أجزؤه ، فأخبر أني مملوك ، فأمر لي بشيء من طريق المتاع .

ورواه الترمذي والنسائي جميعا ، عن قتيبة ، عن بشر بن المفضل به . وقال الترمذي :

(١) الرضخ : عطاء من الغنيمة غير محدد .

حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن محمد بن زيد بن المهاجر ، عن مُنْقَذ عن عُمر به .

وقال محمد بن إسحاق : وشهد خير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءً فرضخ لهن [من الفء ^(١)] ولم يضرب لهن بسهم .

حدثني سليمان بن سُحيم ، عن أمية بنت أبي الصلت ، عن امرأة من بنى غِنَارٍ قد سماها لي ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بنى غفار ، فقلنا : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خير - فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : « على بركة الله » .

قالت : فخرجنا معه ، قالت : وكنت جاريةً حدثثة السن ، فأردفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله ، قالت : [فوالله أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله ^(١)] قالت : وإذابها دم مني وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبَّضتُ إلى الناقة واستحييت . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم قال : « مالك ؟ لعلك تفسيتِ » قالت : قلت : نعم ، قال : « فأصلحي من نفسك ثم خذي إناءً من ماء فاطرحي فيه ملحاً ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودي لمرّك بك » .

قالت : فلما فتح الله خيرَ رَضِخٍ لنا من الفء ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلَّقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقني أبداً . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها .

قالت : وكانت لا تطهر من حيضها إلا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن إسحاق به .

قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّي في أطرافه : ورواه الواقدي ، عن أبي بكر بن أبي سبرة ، عن سليمان بن سُحيم ، عن أم علي بنت أبي الحكم ، عن أمية بنت أبي الصلت عن النبي صلى الله عليه وسلم به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا رافع بن سلامة الأشجعي ، حدثني حُشْرَج بن زياد ، عن جدته أم أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت : فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن معه نساء ، قالت : فأرسل إلينا فدعانا ، قالت : فرأينا في وجهه الغضب فقال : « ما أخرجكن وبأمر من خرجتني ؟ » قلنا : خرجنا نناول السهامَ ونسقى السَّويق ، ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشَّعر فنعين به في سبيل الله . قال : فمرنن فانصرفن .

قالت : فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها : يا جدَّة وما الذي أخرج لـكن ؟ قالت : تمرّاً .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسهمَ لهن في الأرض كسهام الرجال فلا ! والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : وفي كتابي عن أبي عبد الله الحافظ ، أن عبد الله الأصهباني

أخبره ، حدثنا الحسين بن الجهم ، حدثنا الحسين بن الفرَج ، حدثنا الواقدي ، حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه عن جده ، عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ومعى زوجتي وهي حبلى فنَفَسَتْ في الطريق ، فأخبرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : « انقع لها تمرّاً فإذا انغمر فأمر به لتشربه » ففعلت فما رأت شيئاً تسكره ، فلما فتحنا خيبر أجدى ^(١) النساء ولم يُسهم لهن ، فأجدى زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلاماً أو جارية .

(١) أجدى : أعطى .

ذَكَرَ قَدُومَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ كَانَ بَقِيَ بِالْحَبَشَةِ
مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَجِيمٌ بَخِيرٌ

قال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
أَبِي بَرْدَةَ ، عَنْ أَبِي بَرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : بَلَّغْنَا مَخْرَجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ
بِالْيَمَنِ ، فَخَرَجْنَا مَهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخْوَانُ لِي أَنَا أَصْفَرُهُمْ ، أَحَدُهُمَا أَبُو بَرْدَةَ وَالْآخَرُ أَبُو رُوَيْهْمُ ،
إِمَّا قَالَ : فِي بَيْضَعٍ ، وَإِمَّا قَالَ : فِي ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي .

فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ ، فَوَاقَفَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
فَاقْتَنَّا مَعَهُ حَتَّى قَدَمْنَا جَمِيعًا ، فَوَاقَفَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ ، فَسَكَانَ
أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ - : سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ .

وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ - وَهِيَ مِنْ قَدَمٍ مَعْنَا - عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ زَائِرَةً ، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ ، فَدَخَلَ عَمْرٌ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءَ
عِنْدَهَا فَقَالَ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَتْ : أَسْمَاءُ ابْنَةُ عُمَيْسٍ . قَالَ عَمْرٌ : أَلْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ ؟
الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ : نَعَمْ . قَالَ : سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنْكُمْ . فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ : كَلَّا وَاللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْعَمُ جَانِعَكُمْ ،
وَيُعْطِي جَاهِلَكُمْ ، وَكُنَّا فِي دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضٍ - الْبُعْدَاءِ وَالْبُغْيَاءِ بِالْحَبَشَةِ ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ
وَفِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِيْمَ اللَّهِ لَا أُطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أُشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ
مَا قَلَّتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْأَلُهُ ، وَوَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أُزَيِّغُ وَلَا أُزِيدُ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ عَمْرٌ قَالَ كَذَا وَكَذَا . قَالَتْ : قَالَ :

« فقلت له ؟ » قالت : قلت كذا وكذا . قال : « ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه
هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » .

قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا
الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم .

قال أبو بردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني .
وقال أبو بردة عن أبي موسى : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إني لأعرف أصوات
رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن
بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام إذا لقي العدو
— أو قال الخليل — قال لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم » .

وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن برادة عن أبي أسامة به .

ثم قال البخاري : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا بُريد
[ابن عبد الله^(١)] عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم
بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا .

تفرد به البخاري دون مسلم ورواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث بُريد به .
وقد ذكر محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية
الضمري إلى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد
فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر .

قال : وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجاج عن الشعبي ، أن جعفر بن أبي طالب
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين عينيه والتزمه وقال : « ما أدري بأيهما أنا أسرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » .

وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح ، عن الشعبي مرسلا .
وأسند البيهقي من طريق حسن بن حسين العرزمي ، عن الأجلح ، عن الشعبي عن
جابر قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قدم جعفر من الحبشة ،
فتلقاه وقبّل وجهه وقال : « والله ما أدرى بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدم جعفر » .
ثم قال البيهقي ، حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا الحسين بن أبي إسماعيل العلوي ،
حدثنا أحمد بن محمد البيروتي ، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة ، حدثني مكى بن إبراهيم
الرّعيني ، حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي
طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نظر جعفر إليه حجل -
قال مكى : يعنى مشى على رجل واحدة - إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبّل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه .

ثم قال البيهقي : في إسناده من لا يُعرف إلى الثوري .

قال ابن إسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه
خيبر ستة عشر رجلا . وسرد أسماءهم وأسماء نساءهم وهم : جعفر بن أبي طالب الهاشمي ،
وامراته أسماء بنت عميس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن
أمية بن عبد شمس ، وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وولده سعيد ، وأمة بنت خالد
ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ، وكان
إلى آل سعيد بن العاص .

قال : وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود
ابن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي ، وجسهم بن قيس بن عبد شريحيل العبدي ،
وقدمات امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنه عمرو ، وابنته خزيمة
ماتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزهري ، وعتبسة بن مسعود حليف لهم من

هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وقد هلكت بها امرأته رَيْطَة بنت الحارث
رحمها الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان الجحفي ، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ،
ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدوي ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك
ابن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدى ،
والحارث بن عبد شمس بن تقيط الفهري .

قلت : ولم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعرين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري
وأخويه أبا بُردة وأبا رُهم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعرين غير أبي موسى ولم
يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخارى .

وكان ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك . والله أعلم .
قال : وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد
حررنا هاهنا شيئاً كثيراً حسناً .

قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهرى ، وسأله
إسماعيل بن أمية قال : أخبرني عتبسة بن سعيد ، أن أبا هريرة أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسأله - يعنى أن يقسم له - فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لاتعطه . فقال
أبو هريرة : هذا قاتل ابن قوَّقل . فقال : واعجباً لو برَّ تدلَّى من قَدُوم الضَّان (١) .
تفرد به دون مسلم .

قال البخارى : ويذكر عن الزبيدي عن الزهرى ، أخبرني عتبسة بن سعيد ، أنه

(١) الوبر : فراء دوية تشبه السنور ، وتسمى غنم بنى إسرائيل . وتدلى : انحدر . وقدم الضأن :
جبل بأرض دوس قوم أبي هريرة . أراد بذلك تحقيره . ورواية صحيح البخارى : قدم الضأل باللام .
وما هنا رواية الأصل وأبى ذر .

سمع أبو هريرة يخبر سعيد بن العاص قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أباناً على سرية من المدينة قبل نجد .

قال أبو هريرة : فقدم أبان وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد ما افتتحها ، وإن حزم خيلهم لليف .

قال أبو هريرة : فقلت : يا رسول الله لا تقسم لهم . فقال أبان : وأنت بهذا يا وبر تحذر من رأس ضال . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبان اجلس » ولم يقسم لهم . وقد أسند أبو داود هذا الحديث ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحوه .

ثم قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ، أخبرني جدي وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، فقال أبو هريرة : يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل . فقال أبان لأبي هريرة : وأعجبا لك يا وبر ^(١) تردى من قَدُومِ ضَان ، تَنَعَى عَلَى امْرَأٍ أكرم الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده ؟ .

هكذا رواه منفرداً به هاهنا ^(٢) . وقال في الجهاد بعد حديث الحميدي ، عن سفيان ، عن الزهري عن عَنبَسَةَ بن سعيد ، عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد ما افتتحها ، فقلت : يا رسول الله أسهم لي . فقال بعض آل سعيد ابن العاص : لا تقسم له . فقلت : يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل . الحديث .

قال سفيان : حدثني السعيدى - يعنى عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبي هريرة بهذا :

ففي هذا الحديث التصريح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم في أول هذه

(١) صحيح البخارى : وأعجبا لك وبر تداأ .

(٢) من هنا إلى أول خبر الحجاج علاط ساقطة من (١) .

الغزوة . رواه الإمام أحمد من طريق عراك بن مالك ، عن أبي هريرة وأنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما افتتح خيبر فكلّم المسلمين فأشركونا في أسهامهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عمار بن أبي عمار ، قال : ماشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنماً قط إلا أقسم لي ، إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جاءا بين الحديبية وخيبر .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن مالك بن أنس ، حدثني ثور ، حدثني سالم مولى [عبد الله] بن مطيع ، أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الإبل والبقر والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادى القرى ومعه عبد له يقال له مدّعم أهداه له بعض بنى الضبيب ، فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلاً والذي نفسي بيده إن الشّملة التي أصابها يوم خيبر لم تُصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » .

فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراك أو شركا كين فقال : هذا شيء كنتُ أصبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شرك أو شركا كين من نار » .

ذكر قصة الشاة المسمومة

وما كان من أمر البرهان الذي ظهر عندها والحجة البالغة فيها

قال البخارى : رواه عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثني سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما
فُتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سمّ .
هكذا أورده هاهنا مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن
أبي هريرة قال : لما فُتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سمّ ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود » فجمعوا له ، فقال النبي صلى
الله عليه وسلم : « إني سألتكم عن شيء فهل أنتم صادقّ عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم .
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أبوكم ؟ » قالوا : أبونا فلان ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبتُم بل أبوكم فلان » قالوا : صدقت وبررت .
فقال : « هل أنتم صادقّ عن شيء إذا سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن
كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أيّنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ
أهل النار ؟ » فقالوا : نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله لا تخلفكم فيها أبداً » .
ثم قال لهم : « هل أنتم صادقّ عن شيء إذا سألتكم ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم .
فقال : « هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً ؟ » فقالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك ؟ »
قالوا : أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرك .

وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازي أيضاً عن قتيبة ، كلاهما
عن الليث به . وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا
سعيد بن سليمان ، حدثنا عبّاد بن العوام ، عن سفیان بن حسين ، عن الزهري ، عن سعيد بن
المسيّب وأبي سامة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أن امرأة من يهود أهدت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال لأصحابه : « أمسكوا فإنها مسمومة » وقال لها :

« ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أردتُ أن أعلم إن كنت نبيًا فسيُطعمك الله عليه ، وإن كنت كاذبًا أريح الناس منك . قال : فما عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله ، عن سعيد بن سليمان به .

ثم روى البيهقي عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شريح ، حدثنا عبّاد ، عن هلال - هو ابن خَبَّاب - عن عكرمة ، عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة ، فأرسل إليها فقال : « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أحببتُ - وأردت - إن كنت نبيًا فإن الله سيُطعمك عليه ، وإن لم تكن نبيًا أريح الناس منك .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد من ذلك شيئًا احتجم ، قال : فسافر مرةً فلما أحرم وجد من ذلك شيئًا فاحتجم .
تفرد به أحمد وإسناده حسن .

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك ، أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجىء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، قالت : أردت لأقتلك . فقال : « ما كان الله ليسلّطك عليّ » أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : « لا » .
قال أنس : فما زلتُ أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهزبي ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمّت شاة

مَصْلِيَّةٌ ^(١) ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها ، وأكل رهطٌ من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم » .

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فدعاها فقال لها : « أَسَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ ؟ » قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : « أخبرتني هذه التي في يدي » وهي الذراع ، قالت : [نعم] . قال : « فما أردتِ بذلك ؟ » قالت : قلت : إن كنت نبياً فلن تضرك ، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك .

فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، واحتجهم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة ، حججه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار .

ثم قال أبو داود : حدثنا وهب بن بَقِيَّة ، حدثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخير شاة مَصْلِيَّةٍ نحو حديث جابر . قال : فمات بشرُّ بن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية فقال : « ما حملك على الذي صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت ولم يذكر أمرَ الحِجَامَةِ .

قال البيهقي : ورويناه من حديث حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة .

قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بشرُّ بن البراء أمر بقتلها .
وروى البيهقي من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن

(١) مصلية : مشوية .

ابن كعب بن مالك ، أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر ، فقال : « ما هذه ؟ » قالت : هدية . وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل .

قال : فأكل وأصحابه ثم قال : « أمسكوا » ثم قال للمرأة : « هل سممت ؟ » قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : « هذا العظم » لساقها وهو في يده ، قالت : نعم . قال : « لم » . قالت : أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . قال : فاحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكاهل وأسر أصحابه فاحتجموا . ومات بعضهم .

قال الزهري : فأسلمت فتركها النبي صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقي : هذا مُرْسَل ، ولعله قد يكون عبد الرحمن حملة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وذكر ابنُ لُهَيْمَةَ عن أبي الأسود ، عن عروة ، وكذلك موسى بن عُقْبَةَ عن الزهري قالوا : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مَرْحَب لصفية شاة مصلية وسمتها ، وأكثرت في الكتف والذراع ، لأنه بلغها أنه أحبُّ أعضاء الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور ، وهو أحد بني سلمة ، فقدّمت إليهم الشاة المصلية ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتفَ وانتهش منها ، وتناول بشر عظاما فانتهش منه ، فلما استرط^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أني نعت فيها » فقال بشر بن البراء :

(١) استرط : ابتلع .

والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت ، فما معنى أن ألقظها إلا أنى
أعظمتك أن أبغضك طعامك ، فلما أسغت ما فى فىك لم أرغب بنفسى عن نفسك
ورجوت أن لاتكون استرطتها وفيها نعى . فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان
وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يحول .

قال الزهري : قال جابر : واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، حججه
مولى بنى بياضة بالقرن والشفرة ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين
حتى كان وجعه الذى توفى فيه فقال : « مازلت أجيد من الأكلة التى أكلت من الشاة
يوم خيبر عِدَاداً^(١) حتى كان هذا أو انقطاع أبهرى » .
فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً .

وقال محمد بن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب
بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو أحب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل لها الذراع . فأكثر فيها من السم ، ثم سمّت سائر
الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغاً فلم يسغها ، ومعه
بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما
بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقظها ثم قال : « إن هذا العظ يخبرنى
أنه مسموم » .

ثم دعاها فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك » قالت : بلغت من قومي ما لم يخف
عليك ، فقلت : إن كان كذا با استرحت منه ، وإن كان نبياً فسئخبر .
قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بشر من أكلته التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه - ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور - : « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت [فيه] انقطاع أبهرى من الأكلة التي أكلتُ مع أخيك بخير » .

قال ابن هشام : الأبهز : العرق المعلق بالقلب .

قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً مع

ما أكرمه الله به من النبوة .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحرّاني ،

قالا : حدثنا أبو غياث سهل بن حماد ، حدثنا عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه ، عن أبي

سعيد الخدرى ، أن يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة سميطاً ، فلما

بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمسكوا فإن عضوا من

أعضائها يخبرني أنها مسمومة » فأرسل إلى صاحبها : « أسممت طعامك ؟ » قالت :

نعم . قال : « ما حلك على ذلك ؟ » قالت : إن كنت كذاباً أن أريح الناس منك ، وإن

كنت صادقا علمت أن الله سيطلعك عليه .

فبسط يده وقال : « كلوا بسم الله » . قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر

أحداً منا .

ثم قال : لا يُروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة . والله أعلم .

وذكر الواقدي أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى في منامه رؤيا ورسول الله صلى

الله عليه وسلم محاصرٌ خبير ، فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وجده قد افتتحها ؛ فقال :
يا محمد أعطني ماغنمت من حلفائي - يعني أهل خيبر - فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى .

فرجع عيينة فلقية الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع في غير شيء ، والله
ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت
أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني
هارون ، إنه لمرسَل ، ويهود لا تطاوعني على هذا . ولنا منه ذبحان ؛ واحد ييثرب وآخر
بخيبر . قال الحارث : قلت لسلام : يملك الأرض ؟ قال : نعم والتوراة التي أنزلت على
موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولى فيه .

فصل

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى
وادي القرى فحاصر أهلها ليالى ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

ثم ذكر من قصة مدغم وكيف جاءه سهمٌ غارب فقتله ، وقال الناس : هنيئا له
الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذي نفسى بيده إن الشملة التي
أخذها يوم خيبر لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا » .

وقد تقدم في صحيح البخارى نحو ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم .
وسياتى ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبي
عمرة ، عن زيد بن خالد الجهني ، أن رجلا من أشجع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم توفي يوم خيبر ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « صلوا على صاحبكم »

فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال : « إن صاحبكم غلّ في سبيل الله » فقدشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود مايساوى درهمين .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبو داود وبشر بن الفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصارى به .

وقد ذكر البيهقي أن بنى فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيناً فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب ؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب .

وتقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حدثت صفة من استبرأها دخل بها بمكان يقال له سدّ الصهباء في أثناء طريقه إلى المدينة ؛ وأولم عليها بحجيس ، وأقام ثلاثة أيام يُبني عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مدّ عليها الحجاب وهو مردفها وراءه رضى الله عنها .

وذكر محمد بن إسحاق في السيرة قال : لما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بخيبر - أو ببعض الطريق - وكانت التي جمّتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له وبات أبو أيوب متوشحاً بسيفه يجرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُطيف بالقبعة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه قال : « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال : خِفْتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها ، وكانت حديثه عهد بكفر فخفّتها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى » .

ثم قال : حدثني الزهري عن سعيد بن المسيّب ، فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولهم استيقاظاً فقال : « ماذا صنعتَ بنا يا بلال ؟ » قال : يارسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال : « صدقت » ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضأ وصلى كما كان يصلها قبل ذلك . وهكذا رواه مالك عن الزهري عن سعيد مرسل . وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قُتل من غزوة خيبر ، فسار ليلةً حتى إذا أدركنا الكرى عرس وقال بلال : « اكلاً لنا الليل » قال : فغلبت بلالاً عيناه وهو مستندٌ إلى راحلته فلم يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظاً ، ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا بلال » قال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يارسول الله . قال : فافتادوا وراحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بلالاً فأقام الصلاة وصلى لهم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال : « من نسى صلاةً فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى يقول : « وأقم الصلاةَ لذكري » .

قال يونس : وكان ابن شهاب يقرأها كذلك .

وهكذا رواه مسلم عن حرمة بن يحيى ، عن عبد الله بن وهب به ، وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر .

وفي حديث شعبة عن جامع بن شدّاد ، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففي رواية عنه أن بلالاً هو الذى كان يكلّوهم ، وفي رواية عنه أنه هو الذى كان يكلّوهم .

قال الحافظ البيهقي : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال : وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة ، وفيه حديث الميضاة ، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة .

قال : وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال : وروى زافر بن سليمان ، عن شعبة ، عن جامع بن شدّاد ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك . فإله أعلم .

ثم أورد البيهقي ما رواه صاحب الصحيح من قصة عوف الأعرابي ، عن أبي رجاء عن عمران بن حصين ، في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السّطيحتين وكيف أخذوا منهما ماء روى الجيش بكأله ولم ينقص ذلك منهما شيئاً .

ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البناني ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة ، وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضاة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، عن عاصم عن أبي عثمان ، عن أبي موسى الأشعري قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبراً ، وقال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » . وأنا خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال : يا عبد الله بن قيس . قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله فذاك أبي وأمي . قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وقد رواه بقية الجماعة من طرق ، عن عبد الرحمن بن مُلِّ أبي عثمان النهدي ، عن
أبي موسى الأشعري .
والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر ، فإن أبا موسى إنما قدِم بعد فتح خيبر .
كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - قد أعطى
ابن لقيم العبسي حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر في صفر ،
فقال ابن لقيم في فتح خيبر :

| | |
|--|--|
| رُميت نِظَاةٌ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلِقِ | شهباء ذاتِ مناكِبٍ وِفقارِ (١) |
| وَأَسْتَيْقِنَتْ بِالذَّلِّ لَمَّا شُيِّعَتْ | وَرِجَالُ أُسْلَمٍ وَسَطَهَا وَغِفَارِ |
| صَبَحَتْ بَنِي عَمْرٍو بِنِزْزَعَةِ غُدُوَّةٍ | وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارِ |
| جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذِّيُولَ فَلَمْ تَدَعْ | إِلَّا الدِّجَاجَ نَصِيحَ بِالأَسْحَارِ |
| وَلِكُلِّ حَصْنٍ شَاغِلٌ مِنْ خِيْلِهِمْ | مِنْ عَبْدِ الأَشْهَلِ أَوْ بَنِي النَّجَارِ |
| وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أُعْلِمُوا سِيَاهَهُمْ | فَوْقَ النَّفَافِرِ لَمْ يَنْوُوا لِقِرَارِ |
| وَلَقَدْ عَلِمْتُ لِيَعْلَبِينَ مُحَمَّدٌ | وَلِيْمَثَوِينَ بِهَا إِلَى أَصْفَارِ (٢) |
| فَرَّتْ يَهُودٌ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الوَغَى | تَحْتَ العَجَاجِ غَمَامَ الأَبْصَارِ (٣) |

(١) نِظَاةٌ : حصن بخيبر . والفَيْلِقُ الكَتِيبة . والشهباء : الكثرة السلاح وذات مناكِبٍ وِفقارِ :
شديدة .

(٢) أَصْفَارٌ : جمع صفر وهو الشهر المعروف .

(٣) الغمام : جفون العين . قال السهيلي : وهو بيت مشكل ؛ غير أن في بعض النسخ وهي قليلة عن
ابن هشام أنه قال : فرت : فتحت ، من قولك : فرت الدابة ، إذا فتحت فاهها ، وغمائم الأبصار : هي
مفعول فرت ، وهي جفون أعينهم . انظر الروض الأنف .

فصل

في ذكر من استشهد بخير من الصحابة رضى الله عنهم
على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكرم بن سخبرة الأسدي مولى بنى أمية ، وثقيف بن عمرو ورفاعة بن مسروح حلفاء بنى أمية ، وعبد الله بن الهيب بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بنى سعد بن ليث حليف بنى أسد وابن أختهم . ومن الأنصار بشر بن البراء ابن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، وفُضيل ابن النعمان السلميان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق الزرقى ، ومحمود بن مسئلة الأشملى ، وأبو ضيَّاح حارثة بن ثابت بن النعمان العُمري ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مُرّة بن سُراقة ، وأوس [بن] الفائد^(١) وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة وطلحة ، وعمارة بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكوع ثم سلمة ابن عمرو بن الأكوع أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله رحمه الله كما تقدم ، والأسود الراعى . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الغزوة والله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : ومن استشهد بخير فيما ذكره ابن شهاب من بنى زهرة مسعود ابن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بنى عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضى الله عنهم أجمعين .

(١) الأصل : وأوس الفارض . وما أثبتته عن الإصابة .

خبر الحجاج بن علاط البهزي رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما فتحت خيبر كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزي فقال : يا رسول الله إن لي بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبه بنت أبي طلحة - وكانت عنده له منها معرض بن الحجاج - ومالاً متفرقا في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله . فأذن له ، فقال : إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول . قال : قل .

قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالا ، وهم يتجسسون الأخبار من الركبان (١) .

فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط - قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسرّكم . فالتبطوا (٢) بجنبي ناقتي يقولون : إيه يا حجاج ؟ قال : قلت : هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقد قُتل أصحابه قتلا لم تسوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا : لا نقله لي نبعث به إلى مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة] (٣) وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنظرون أن يُقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم .

(١) ابن هشام : يتجسسون الأخبار ويسألون الركبان .

(٢) التبطوا : مشوا بجانبها ولازموها .

(٣) من ابن هشام .

قال : قلت : أعيونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من قَلِّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هناك . قال : فقاموا فجمعوا إلى ما كان لى كأحثَّ جمع سمعتُ به ، قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وكان [لى]^(١) عندها مال موضوع ، فلعلى ألحق بخيبر فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقنى التجار .

قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبرَ وما جاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيم التجار ، فقال : يا حجاج ما هذا الذى جئتُ به ؟ قال : قلت : وهل عندك حِفْظٌ لى ما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخر حتى ألتاك على خلأ ، فإنى فى جمع مالى كما ترى ، فانصرف حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت : احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ثم قل ماشئت . قال : أفعل . قلت : فإنى والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعنى صفيّة بنت حبي - وقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : إى والله فاكتم عنى ، ولقد أسلمتُ وما جئتُ إلا لأخذ مالى فرقاً عليه من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهر أمرَكَ فهو والله على ماتحب ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلّةً له وتخلّق^(٢) وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رآوه قالوا : يا أبا الفضل هذا والله التجلّد لحرّ المصيبة ! قال : كلا والله الذى حلقتم به ، لقد افتتح محمدٌ خيبرَ ونزل عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها ، وأصبحت له ولأصحابه . قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه

(٢) تخلّق : تطيب بالخلوق .

(١) من ابن هشام .

فيكون معه ، فقالوا : يا لعباد الله ! انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن .
قال : ولم ينشبو أن جاءهم الخبر بذلك .

وهكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعة .

وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ،
سمعت ثابتاً يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج
ابن علاط : يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلاً ، وإني أريد أن آتيهم ، أفأنا
في حلٍ إن أنا نلت منك أو قلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يقول ماشاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ما كان عندك ، فإني أريد أن
أشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصببت أموالهم .

قال : وفشا ذلك بمكة ، فاتمعت المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً .

قال : وبلغ الخبرُ العباسَ فقمر وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرني
عثمان الخزرجي عن مِقْسَم قال : فأخذ ابنا يقال له قُومٌ واستلقى ووضعهُ على صدره
وهو يقول .

حِجِّي قُومٌ شِبْهَ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْمِ

بَنِي ذِي النَّعْمِ بَرَّغْمٌ مِنْ زَعْمِ

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلامه له إلى حجاج بن علاط فقال : وبيك ماجئت
به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خيرٌ مما جئت به . فقال : حجاج بن علاط : اقرأ على
أبي الفضل السلام وقل له فليدخل لي في بعض بيوته لآتيه ، فإن الخبر على مايسرهُ . فجاء
غلامه فلما بلغ الدار قال : أبشر يا أبا الفضل . قال : فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين
عينيه ، فأخبره ما قال حجاج فأعتقه .

قال : ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم

أموالهم ، وجرت سهامُ الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيةَ بنت حبي واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يمتعها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها ، فاخترت أن يمتعها وتكون زوجته . قال : ولكني جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي أن أقول ماشئت ، فأخفِ على ثلاثائكم اذكر ما بدا لك .

قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى أو متاع فجمعته ودفعته إليه ثم انشمرَ به ، فلما كان بعد ثلاثٍ أتى العباسُ امرأةَ الحجاج فقال : ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شقَّ علينا الذي بلغك ، قال : أجل لا يحزني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خير على رسوله وجرت فيها سهامُ الله ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به . قالت : أظنك والله صادقا ؟ قال : فإنني صادق والأمرُ على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالسَ قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . قال : لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خير فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألتني أن أخفي عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب . قال : فرد الله الكآبة التي كانت بالمسامين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباسَ فأخبرهم الخبر ، فسرَّ المسلمون وردَّ ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق به نحوه .
ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه .

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم
وتبايع ، منهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه . ومنهم من يقول : يظهر الخليفةان
ويهود خيبر . وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر ، وكان تحت أم شيبه أخت عبد الدار بن قصي ، وكان
الحجاج مُكثرا من المال ، وكانت له معادن أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله صلى
عليه وسلم على خيبر استأذن الحجاج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهاب إلى مكة
يجمع أمواله ، فأذن له نحو ما تقدم . والله أعلم .

[قال السهيلي رحمه الله : وروينا في سبب إسلام الحجاج هذا أمرا عجيبا مع الجن .
قال : وهو والد نصر بن حجاج الذي نفاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المدينة
بسبب افتتان بعض جواري المدينة . وفيه تقول الفريفة بنت همام أم الحجاج بن
يوسف الثقفي :

ألا سبيلَ إلى خمرٍ فأشربها ولا سبيلَ إلى نصر بن حجاج
قال : فلما ذهب إلى الشام فهوى امرأة أبي الأسود السلمي وأضنى من حبها ، وكان
يقال له الضنى . ومات بذلك]^(١) .

قال ابن إسحاق : ومما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حسان :

بئس ماقاتلت خيبرُ عمتا جمعوا من مزارعٍ ونخيلِ

كرهوا الموت فاستبيح حمامهم وأقرئوا فعلَ الذميمةِ اللذليلِ

ت موت الهزال غير جميلِ أمن الموت يهربون فإن الملو

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري :

ونحن وردنا خيبرا وفروضه بكل فتى عارى الأشاجعِ مذودِ^(٢)

(١) سقط من المطبوعة . (٢) الفروض : مواضع الشرب من الأثمار . والأشاجع : عروق
ظاهر الكف . والمذود : الحامي المدافع .

جوادٍ لدى الغاياتِ لا واهنِ القوى جرىء على الأعداءِ في كل مَشهدِ
 عظيمِ رَمادِ القِدرِ في كل شَتوةٍ ضروبٍ بنَصلِ المَشرفِ المَهندِ
 يرى القتلَ مَدْحًا إن أصاب شهادَةً من الله يرجوها وفوزاً بأحمدِ
 يذُودُ ويحمي عن ذِمَارِ محمدٍ ويدفع عنه باللسانِ وباليدِ
 وينصره من كل أمرٍ يَريبه يجود بنفسه دون نفسِ محمدِ
 يصدِّقُ بالأنباءِ بالغيبِ مُخلصًا يريد بذلك العزَّ والفوزَ في غدِ

فصل

في مروره عليه السلام بوادى القرى ومحاصرته قوما من اليهود ومصالحته

يهود على ما ذكره الواقدي

قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ،
 عن أبي هريرة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى وادى
 القرى ، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم عبدا أسود يقال له مدغم ، فكان يرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلنا
 بوادى القرى اتهمينا إلى يهود وقدم إليها ناس من العرب ، فبينما مدغم يحط رحل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وقد استقبلتنا يهود بالرمي حين نزلنا ولم نكن على تعبئة ، وهم
 يصيحون في آطامهم ، فيقبل سهم عائر فأصاب مدعما فقتله ، فقال الناس : هنيئا له الجنة .
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من
 المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا » فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بشراك أو شركين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « شرك من نار

أو شرا كان من نار» . وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

قال الواقدي : فعبي رسول الله أصحابه للقتال وصفهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد ابن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم وحسابهم على الله .

قال : فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز إليه على فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا ، كلما قتل منهم رجلا دعى من بقي منهم إلى الإسلام .

ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي بأصحابه ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عز وجل ورسوله ، وقتلهم حتى أمسى^(١) ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أئانا ومتاعا كثيرا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى أربعة أيام ، فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم .

فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام ، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز ، ومن وراء ذلك من الشام .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى وغنمه الله عز وجل .

قال الواقدي : حدثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أم عمارة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت : فذهب رجل من الحى فطرق أهله فوجد ما يكره ، نفلى سبيلها ولم يهجر ، وضمن بزوجه أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ما يكره .

فصل

ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع .

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالهم ، وفي بعضها : وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « نقرءكم فيها ما شئنا » .

وفي السنن أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمهم إليهم ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طريقه كتاب للزراعة من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن شئتم

دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، فأقرّكم ما أقرّكم الله .

فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله ابن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص .

فلما توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجهه الذي قبضه الله فيه : « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الشَّبتُ ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله أذن لي في إجلائكم . وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء . فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمائة أن بأيديهم كتابا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أنه وضع الجزية عنهم .

وقد اغترّ بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ، من الشافعية الشيخ أبو علي بن خيرون ، وهو كتاب مزوّر [مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بينتُ بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مُفرد] (١)

وقد تعرض لذكوره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كابن الصباغ في مسائله ، والشيخ أبي حامد في تعليقه ، وصنف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد تحرّكوا به بعد السبعائة وأظهروا كتابا فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه فإذا هو مكذوب ، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن

خير ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره : وكتبه على ابن أبي طالب . وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع . والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتماعدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، قال : فعُدِي علىَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي ففُدعت يداي من مرفقي ، فلما استصرخ على صاحباي فأتياي فسألاني من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري ، فأصلحا من يدي ، ثم قدما بي على عمر ، فقال : هذا عمل يهود خيبر .

ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليأحق به فإني نخرج يهود . فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر ، وقد كان وقفه في سبيل الله وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو ثابت في الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقي في الدلائل : جماع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إياس بن سلمة ، حدثني أبي ، قال : خرجنا مع أبي بكر ابن أبي قحافة وأمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ففزوننا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرّسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة ، فقتلنا على الماء من مرّ قبلنا .

قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم فوقهم وبين الجبل ، قال : فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع^(١) من آدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، قال : فنقلني أبو بكر بنتها ، قال : فما كشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة ، ثم بث فلم أكشف لها ثوبا ، قال : فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال لي : « ياسلمة هب لي المرأة » قال : فقلت : والله يارسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : « ياسلمة هب لي المرأة » . قال : فقلت : يارسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : « ياسلمة هب لي المرأة لله أبوك » قال : قلت : يارسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يارسول الله . قال : بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة .

وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به .

(١) القشع : الفرو الخلق .

سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة من أرض هوازن

وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيدِهِ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ثلاثين راكبا ومعه دليل من بني هلال ، وكانوا يسرون الليل ويكمنون النهار ، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم وكرَّ عمر راجعا إلى المدينة ، فقيل له : هل لك في قتال خنعم ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق إبراهيم بن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكبا فيهم عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بخيبر ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم ، فأتوه فقالوا : أرسلنا إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملك على خيبر . فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة نيار وهي من خيبر على ستة أميال ندم يسير بن رزام فأهوى بيده إلى سيف عهد الله بن رواحة ، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم ، حتى استمكن من يسير ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يسير وفي يده مخراش من شوَّحط^(١) فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجّه شجّة مأمومة^(٢) . وانكفا كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله ، غير رجل واحد من اليهود أمجزم شدا ولم يُصَّب من المسلمين أحد ،

(١) المخراش الجن ، وهو عصا معقوفة . والشوَّحط : شجر من النبع .

(٢) مأمومة : في أم رأسه .

وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجة عبد الله بن رواحة فلم تُفَيِّح ولم تؤذِه حتى مات .

سرية أخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدي بإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً إلى بني مرة من أرض فَدَك فاستاق نعيمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ، وقاتل قتالا شديداً ، ثم لجأ إلى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كرّ راجعاً إلى المدينة .

قال الواقدي : ثم بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله ، ومعه جماعة من كبار الصحابة ، فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البَدْرِي ، وكعب بن عجرة .

ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بني مرة ، وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل .

وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ من بني سلامة ، عن رجال من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرة فأصاب مرداس بن نهيك [حليفاً لهم من الحرقة فقتله أسامة . قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد . قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعني مرداس بن نهيك ^(١)] فلما شهرونا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم نزع عنه حتى قتلناه .

فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله » فقلت : يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل . قال : « فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » .

فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددّها عليّ حتى تمنيت أن ماضى من إسلامي لم يكن ، وأنى أسلت يومئذ ولم أقتله . فقلت : إني أعطى الله عهداً ألا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً . فقال : « بعدى يا أسامة » فقلت بعدك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشيم بن بشير ، أنبأنا حصين ، عن أبي ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يحدث قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرة من جهينة ، قال : فصبحناهم وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، وإذا أدبروا كان حاميتهم ، قال : ففشيتُهُ أنا ورجل من الأنصار ، فلما تعشينا قال : لا إله إلا الله . فكفّ عنه الأنصاري وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله !؟ » قال : فقلت : يا رسول الله إنما كان متعوذاً من القتل . قال : فكررها عليّ ، حتى تمنيت أنى لم أكن أسلتُ إلا يومئذ . وأخرجه البخاري ومسلم من حديث هُشيم به نحوه .

وقال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبد الله الجهني ، عن جندب بن مكيث الجهني قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث إلى بنى الملوّح بالكديد وأمره أن يغير عليهم ، وكنت في سريره ، فمضينا حتى إذا كنا بالتقديد^(١) لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثي فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضيرك

رباطاً يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك .

قال : فأوثقه رباطاً وخلف عليه رويحاً أسود كان معنا ، وقال : امكث معي حتى تمرّ عليك ، فإن نازعتك فاحتر رأسه . ومضينا حتى أتينا بطن الكديد ، فنزلنا عشيةً بعد العصر ، فبعثني أصحابي إليه فعمدتُ إلى تل يُطلعي على الحاضر ، فانبطحت عليه . وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحاً على التل فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التل مارأيته في أول النهار ، فانظري لاتكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك . فنظرت فقالت : والله ما أ فقد منها شيئاً ، قال : فناوليني قوسى وسهمين من نبلى ، فناولته فرماني بسهم في جنبى أو قال في جيبى ، فنزعته فوضعتَه ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعتَه فوضعتَه ولم أتحرك ، فقال لامرأته : أما والله لقد خالطه سهمى ولو كان ربيثةً^(١) ربيثةً لتحرك ، فإذا أصبحت فابتنى سهمى نخذيها لآتمضهما على الكلاب .

قال : فأملهننا حتى إذا راحت روائحهم وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل ؛ شنفنا عليهم الغارة ، فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به ، وخرج صريحُ القوم إلى قومهم بقربنا ، قال : وخرجنا سراعا حتى نمر بالخارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وأنا صريحُ الناس فجاءنا مالا قبيل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادى من قديد بعث الله من حيث شاء ماءً مارأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجذبها أو نحدوها - شك التثقيبى - فذهبنا سراعا حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حدرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا .

وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق في روايته عبد الله بن غالب ، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم .

(١) الربيثة : طليعة القوم . وفي المطبوعة : ربية . وهو تحريف .

وذكر الواقدي هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلا .

ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خيبر ، فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نعاماً كثيراً ، وكان بعثه في هذه السرية بإشارة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حُسَيْل بن نوبيرة وهو الذى كان دليل النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، قاله الواقدي .

سرية أبي حذرَد إلى الغابة

قال يونس عن محمد بن إسحاق : كان من حديث قصة أبي حذرَد وغزوته إلى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حذرَد قال : تزوجت امرأة من قومي فأصدقته مائتي درهم ، قال : فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي . فقال : « كم أصدقته ؟ » فقلت : مائتي درهم ، فقال : « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتم ، والله ما عندي ما أعينك به » فلبثت أياماً ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس - أو قيس بن رفاعة - في بطن عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم وشرف في جشم ، قال : فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بنخب وعلم » . وقدم لنا شارفاً مجفياً فحمل عليه أهدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلِّغوا على هذه » .

فخرجنا ومعنا سلاحنا من التُّبَلِّ والسيف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكنت في ناحية وأمريت صاحبي فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم ،

وقلت لها : إذا سمعتماني قد كبرت وشدت في العسكر فكبراً وشدّاً معي .
 فوالله إنا كذلك ننظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً وقد غشنا الليل حتى ذهب
 فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقام
 صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لأتيقنّ أمرَ راعينا ولقد
 أصابه شر ، فقال نفر من معه : والله لا تذهب نحن نكفيك . فقال : لا إلا أنا . قالوا :
 نحن معك . فقال : والله لا يتبعني منكم أحد . وخرج حتى مر بي ، فلما أمكنني نفخته
 بسهم فوضعتة في فؤاده ، فوالله ما تكلم فوثبت إليه فاحتزرت رأسه ، ثم شدت ناحية
 العسكر وكبرت وشد أصحابي وكبراً ، فوالله ما كان إلا النجا من كان فيه عندك
 بكل ما قدروا عليه من نساءهم وأبنائهم وماخف معهم من أموالهم ، واستقنا إبلا عظيمة
 وغنا كثيرة فجننا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني
 من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صدقاتي فجمعتُ إلى أهلي .

السرية التي قتل فيها محم بن جثامة عامر بن الأضبط

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبدالله بن قُسيط ، عن ابن عبدالله ^(١) بن أبي حذرد ،
 عن أبيه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين منهم ؛
 أبو قتادة الحارث بن ربي ومحم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم
 مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعوده معه مُتَّيِّع له ووطب ^(٢) من ابن ، فلم
 علينا بتحيه الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه
 وأخذ بعيره ومُتَّيِّعه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه الخبر فنزل فينا
 القرآن « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم

(١) ابن هشام : عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حذرد .

(٢) التبيح : التنازع القليل . والوطب وعاء اللبن .

السلام لست مؤمناً تبتغون عرضَ الحياة الدنيا ، فعندَ الله مقامٌ كثيرة ، كذلك كنتم من قبلُ فمنَّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً^(١) .

هكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القمقاع بن عبد الله بن أبي حدرَد عن أبيه . فذكره .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الصَّمري^(٢)

يحدث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه وعن جده قالا - وكانا شهدا حيننا - قالا : فصلي

رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقام إلى ظل شجرة فقمعد فيه فقام إليه عيينة بن

بدر فطلب بدم عاصم بن الأضبط الأشجعي وهو سيد عامر : هل لكم أن تأخذوا منا

الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه

حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نساءي . فقام رجل من بني ليث يقال له ابن

مُكَيْل وهو قصير من الرجال ، فقال : يا رسول الله ما أجد لهذا القليل شهباً في غرة

الإسلام إلا كنتم وردت فرُميت^(٣) أو لاها ففقرت أخراها ، استن^(٤) اليوم وغير غداً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن

وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محمَّد بن

جَنَامَةَ : إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : فجاء رجل طوَّال

صَرَب^(٥) اللحم في حُلَّة قد تهبأ فيها للقتل ، فقام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تنفر لحمَّ » قالها ثلاثاً . فقام وإنه ليلتقي

دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

(٢) ابن هشام : السلمي .

(١) سورة النساء ٩٤ .

(٤) استن : ضغ الأحكام والسنن .

(٣) غير ١ : فسريرت .

(٥) ضرب اللحم : خفيفه .

وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ابن إسحاق ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه ، فذكر بعضه .

والصواب كما رواه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة ^(١) عن أبيه وعن جده . وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وعن عبد الرحمن بن الحارث ، عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن إسحاق : حدثني سالم أبو النضر أنه قال ^(٢) : لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم وقال : يا معشر قيس ، سألكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلًا تتركونه ليُصلح به بين الناس فمنعتموه إياه ، أفأنتم أن يفضب عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفضب الله لفضبه ، ويلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لتُسلنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لآتين بخمسين من بني تميم كلهم يشهدون أن القتل كافر ما صلى قط فلا يُطلب ^(٣) دمه . فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية .

وهذا منقطع معضل .

وقد روى ابن إسحاق عن لا يُبهم عن الحسن البصرى ، أن محلما لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له : « أمنتهم ثم قتلته ؟ » ثم دعا عليه .

قال الحسن : فوالله ما مكث محلما إلا سبعا حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى وآروه ، فبلغ

(١) ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

(٢) ابن هشام : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث أن عينة بن حصن ... (٣) ابن هشام : فلا يُطلب .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الأرض لتطابق على من هو شرٌّ منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُرْم ما بينكم لما أراكم منه » .

وقال ابن جرير : حدثنا وكيع ، حدثنا جرير ، عن ابن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمَّ بن جَثَّامة مَبْعُثًا فلقبهم عامر بن الأَضْبَط فيأهم بتحيةة الإسلام - وكانت بينهم هِنَّةٌ في الجاهلية - فرماه محمَّ بسهم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فيه عيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله سنَّ اليوم وغير غدا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الشُّكل ما أذاق نساءي محمَّ في بُرْدِين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا غفر الله لك » فذكروا ذلك له فقال : « إن الأرض لتقبَّل من هو شر من صاحبكم ، ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » ثم طرحوه في جبل فألقوا عليه من الحجارة ونزلت : « يأبها الذين آمنوا إذا ضَربتم في سبيل الله فتبَيَّنوا » الآية .

وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري ، ورواه شعيب عن الزهري عن عبد الله بن وهب ، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسمَّ محمَّ بن جَثَّامة ولا عامر بن الأَضْبَط ، وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال : وفيه نزل قوله تعالى : « يأبها الذين آمنوا إذا ضَربتم في سبيل الله فتبَيَّنوا » الآية . قلت : وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في التفسير بما فيه الكفاية . والله الحمد والمنة .

سرية عبد الله بن حُذافة السهمي

ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن

الحُبْلَى ، عن علي بن أبي طالب قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار على سرّية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال : فأغضبوه في شيء فقال : اجتمعوا لي حطباً . فجمعوا . فقال : أوقدوا ناراً . فأوقدوا . ثم قال : ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا : بلى . قال : فادخلوها . قال : فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار . قال : فسكن غضبه وطفئت النار .

فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فقال : « لو دخلوها ماخرجوا منها ، إنما الطاعة في المعروف » .

وهذه القصة ثابتة أيضاً في الصحيحين من طريق يعقوب بن مسلم ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، وقد تكلمنا على هذه بما فيه كفاية في التفسير والله الحمد والمنة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عمرة القضاء

ويقال القِصَاص . ورجحه السُّهيلي . ويقال عمرة القَصِيَّة ، فالأولى قضاء عما كان أُحصر عام الحديبية والثاني من قوله تعالى : « وألحرمات قِصَاصٌ » والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة إلا في جُلبان^(١) السلاح وألا يقيم أكثر من ثلاثة أيام .

وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتَدْخُلَنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون » الآية . وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى فأخبرتكَ أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتية ومُطَوَّفٌ به » .

وهي المشار إليها في قول عبد الله بن رَوَاحَةَ حين دخل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

(١) الجلبان : شبه الجراب من الجلد يوضع فيه السيف .

أى هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت مثل
فلق الصبح .

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى المدينة
أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً ، يبعث فيما بين
ذلك سراياه .

ثم خرج من ذى القعدة في الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء
مكأن عمرته التي صدّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُوَيْف بن الأضبط الدؤلى .

ويقال لها عمرة القِصَاص ، لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة
في الشهر الحرام من سنة ست ، فانتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فدخل مكة
في ذى القعدة في الشهر الحرام الذى صدّوه فيه من سنة سبع .

بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى في ذلك « والحرماتُ قِصَاصٌ » .

وقال معتمر بن سليمان عن أبيه في منازيه : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذو القعدة ، فنادى في الناس : أن تجهزوا
للعمرة . فتجهزوا وخرجوا إلى مكة .

وقال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صدّاً معه في عمرته تلك وهى
سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمداً في عُسرة
وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أنهم ، عن عبد الله بن عباس قال : صُفِّوا له عند
دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسجد

اضطجع بردائه وأخرج عَصُدَهُ اليماني ثم قال : « رحم الله امرءاً أراه اليوم من نفسه قوة » .

ثم استلم الركن ، ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا وراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هزول كذلك ثلاثة أطواف ومشى ساورها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فازمها فضت السنة بها .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد - هو ابن زيد - عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حتى يثرب . فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعهم أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قال أبو عبد الله : وزاد بن سلمة - يعنى حماد بن سلمة - عن أيوب ، عن سعيد عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم لعامهم الذى استأمن قال : « ارملوا ليرى المشركون قوتهم ، والمشركون من قبل قعيقعان .
ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهرانى ، عن حماد بن زيد . وأسنده البيهقى طريق حماد بن سلمة .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمع ابن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان للمشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسياتى بقية الكلام على هذا المقام .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بحطام ناقته يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فِكْلُ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيَمِهِ أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم - يعنى يوم صفين - قاله السهيلي .

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرؤوا بالتنزيل ، وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل .

وفى ما قاله ابن هشام نظر ، فإن الحافظ البيهقي روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس قال : لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه ، وفى رواية وهو أخذ بقرنزه وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ قَدْ نَزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بِأَنْ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

وفى رواية بهذا الإسناد بعينه :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيَمِهِ

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام القِضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بِمِحْجَنِهِ . قال ابن هشام : من غير علة ، والمسلمون يَشْتَدُونَ حَوْلَهُ ، وعبد الله بن رواحة يقول :

باسمِ الَّذِي لَا دِينَ إِلَّا دِينُهُ باسمِ الَّذِي مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ

خلوا بني الكفار عن سبيله

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام القابل من عام الحديبية معتمراً في ذى القعدة سنة سبع ، وهو الشهر الذي صدّه المشركون عن المسجد الحرام ، حتى إذا بلغ بِأَجِجَ وَضَعُ الْأَدَاةِ كُلِّهَا الْحُجُفَ وَالْمِجَانَ وَالرِمَاحَ وَالنَّبِيلَ ، ودخلوا بسلاح الركب السيوف ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه ، فجلست أمرها إلى العباس وكان تحتها أختها أم الفضل بنت الحارث ، فزوجها العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه قال : « اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف » . ليرى المشركون جلدكم وقوتهم ، وكان يكأيدهم بكل ما استطاع ، فاستكف^(١) أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يطوفون بالبيت ، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحاً بالسيف وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله أنا الشهيدُ أنه رسولُهُ

(١) استكف : أحاطوا به .

قد أنزلَ الرحمنُ في تنزيله في صحف تُتلى على رسوله
فاليوم نضربكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مَقِيلِه ويذهل الخليلَ عن خليلِه

قال : وتغيَّب رجالٌ من أشرف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيظاً وحقناً ، ونفاسة وحسداً . وخرجوا إلى الخندمة^(١) ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية .

فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عباد ، فصاح حويطب بن عبد العزى : نناشدك الله والعقدَ لما خرجت من أرضنا ، فقد مضت الثلاثُ . فقال سعد بن عباد : كذبتَ لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلاً وحويطباً فقال : « إني قد فكحت فيكم امرأةً فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونضع الطعام فناكل وتأكلون معنا » فقالوا : نناشدك الله والعقدَ إلا خرجت عنا .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بيطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة ، وقد لقيت ميمونة ومن معها عناءً وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف فبنى بها ثم أدج فسار حتى أتى المدينة .

وقدّر الله أن يكون موتُ ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فانت حيث بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) الخندمة : جبل بمكة

ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل في تلك العمرة « الشهر الحرام بالحرم الحرام والحرمات قصاص » فاعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام الذي صدّ فيه .

وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحوه من هذا السياق ، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة .

ففي صحيح البخارى من طريق فليح بن سليمان ، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا إلا سيوفا ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا .

فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثا أمره أن يخرج فخرج .

وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء وإنما كانت شرطا على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي صدّهم فيه المشركون .

وقال أبو داود : حدثنا الثقفيلي ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، سمعت أبا حنيفة يحدث أن ميمون بن مهران قال : خرجت معتمرا عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة ، وبعث معي رجال من قومي بهدي .

قال : فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم ، قال : فبحرت الهدى مكانى ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضى عمرتى ، فأنتيت بن عباس فسألته فقال : أبديل الهدى ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه

من السلاح والخيل ، ففرغت قريش وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنا على كتابنا
وهُدنتنا ، فقيم يغزونا محمد في أصحابه ؟

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظهران ، وقدّم رسول الله صلى الله عليه
وسلم السلاح إلى بطن يَأْجِجٍ حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مِكرَز بن
حفص بن الأحنف في نفر من قريش ، حتى لقوه ببطن يَأْجِجٍ ورسول الله صلى الله عليه
وسلم في أصحابه والمهدى والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد ما عُرِفْتَ صغيراً ولا
كبيراً بالقدْر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شرطت لهم ألا تدخل إلا بسلاح المسافر
السيوف في القرب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لأُدخل عليهم السلاح »
فقال مِكرَز بن حفص : هذا الذي تُعْرِفُ به ، البر والوفاء ، ثم رجع سريعاً بأصحابه
إلى مكة .

فلما أن جاء مِكرَز بن حفص بخبر النبي صلى الله عليه وسلم خرجت قريش من مكة
إلى رءوس الجبال وخلصوا مكة وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى أمامه حتى حُبِسَ بذى طوى ، وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم مُحْدِقُونَ به يلبون وهم
متوشحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذى طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة
أخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول :

* خلوا بنى الكفار عن سبيله * إلى آخره

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه صبيحة رابعة - يعنى من ذى القعدة سنة سبع - فسال المشركون : إنه يقدم
عليكم وقد وهنتهم حتى يثرب . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرملوا

الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل بن زكريا ، عن عبد الله ابن عثمان ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مرَّ الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشا تقول : ما يتباعثون من العجف (١) . فقال أصحابه : لو انتحرننا من ظهرنا فأكلنا من لحومه وحسونا من مرقه أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبننا جامعة (٢) ، فقال : « لا تفعلوا ولكن اجمعوا الى من أزوادكم » فجمعوا له وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشا كل واحد منهم في جرابه .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطبع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غميرة » فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيّب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضون بالمشى أما إنهم لينفثون نفرة الطّباء ! ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة .

قال أبو الطفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك في حجة الوداع .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أبو داود ، حدثنا أبو سلمة موسى ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - أنبأنا أبو عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا . قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ، رمل رسول الله عليه وسلم ، وكذبوا ليس بسنة ، إن قريشاً زمن الحديبية قالت : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت

الْفَنَفِ (١) ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قِبَلِ قُعَيْقِعَانَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ارملوا بالبيت ثلاثاً » قال : وليس بسنة .

وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريري ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ، ثلاثهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن ابن عباس به نحوه .

وكون الرمل في الطواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل في عمرة القضاء وفي عمرة الجعرانة أيضاً ، كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عثمان بن خثيم ، عن أبي الطفيل عن ابن عباس فذكره .

وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب : فيم الرمضان وقد أطال الله الإسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وموضع تقرير هذا كتاب الأحكام . وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة ، كما ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إنما سعى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركين قوته .

لفظ البخاري .

وقال الواقدي : لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسكه في القضاء دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهرَ فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول ! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال

(١) النفف : دود في أنوف الإبل والغنم ، ويقال للمحترق : نففه .

خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أمات أبى ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت . وأما سهيل بن عمر ورجال معه لما سمعوا بذلك غطّوا وجوههم .
قال الحافظ البيهقي : قد أكرم الله أ كثرهم بالإسلام .
قلت : كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي أن هذا كان فى عمرة القضاء ،
والمشهور أن ذلك كان فى عام الفتح . والله أعلم .

وأما قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن إسحاق : حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء
ومجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت
الحارث فى سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبدالمطلب .
قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل
أمرها إلى زوجها العباس ، فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عنه
أربعمائة درهم .

وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهى راكبة
بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : وفيها نزلت الآية : « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي
أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » (٢) .

وقد روى البخارى من طريق أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو مُحْرَم ، وبنى بها وهو حلال ، وماتت بسرف .
قال السهيلي (١) وروى الدارقطنى من طريق أبى الأسود يقيم عروة ، ومن طريق مطر

(١) سورة الأحزاب ٥٠ . (٢) كذا فى ١ وفى ت : البيهقي .

الوراق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال .

قال : وتناولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان مُحْرَماً ، أى فى شهر حرام ، كما

قال الشاعر :

قتلوا ابنَ عفان الخليفةَ مُحْرَماً فدا فلَمْ أَر مثله غُذولاً

أى فى شهر حرام .

قلت : وفى هذا التأويل نظر ، لأن الروايات متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ،

ولا سيما [من] ^(١) قوله : « تزوجها وهو محرم وبنى بها وهو حلال » وقد كان فى شهر

ذى القعدة أيضاً وهو شهر حرام .

وقال محمد بن يحيى الذهلى ، حدثنا عبد الرزاق ، قال : قال لى الثورى : لا يُلتفت ^(٢)

إلى قول أهل المدينة . أخبرنى عمرو عن أبى الشعثاء ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم تزوج وهو مُحْرَم .

قال أبو عبد الله : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحدِيثين جميعاً ، عن عمرو ، عن

أبى الشعثاء ، عن ابن عباس وابن خثيم ^(٣) ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

قال : نعم ، أما حديث ابن خثيم فحدثنا هاهنا - يعنى باليمن - وأما حديث عمرو فحدثنا

ثُمَّ - يعنى بمكة - .

وأخرجه ^(٤) فى الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به .

وفى صحيح البخارى من طريق الأوزاعى ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو مُحْرَم . فقال سعيد بن المسيب : وَهَمَّ

(٢) ١ : لا تلتفت .

(٤) ١ : أخرجه .

(١) من ١

(٣) ١ خثيم وهو تحريف .

ابن عباس وإن كانت خالته ، ما تزوجها إلا بعد ما أحلَّ .

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثني بَقِيَّةٌ ، عن سعيد بن المسيَّب ، أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو مُحْرَمٌ فذكر كلمته ، إنما قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة فكان الحِلُّ والنكاح جميعا ، فشبَّه ذلك على ابن عباس (١) .

وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن يزيد بن الأصم العامري ، عن خالته ميمونة بنت الحارث ، قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان (٢) بسرف . لكن قال الترمذي : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني الزاهد ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا مطر الوراق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي رافع قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبني (٣) بها وهو حلال وكنت الرسولَ بينهما .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا ، عن قتيبة ، عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذي : حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر . ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلا .

[ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلا .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ، ويقال : سنة ستين ، رضي الله عنها] (٤)

(٢) غير أ : حلال .

(٤) سقطت من أ .

(١) ١ : على الناس .

(٣) ١ : وبني .

ذکر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا إليه حُوَيْطِب بن عبد العزى بعدمضى أربعة أيام ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم ، وإنما أراد تأليفهم بذلك ، فأبوا عليه وقالوا : بل اخرج عنا . فخرج . وكذلك ذكره ابن إسحاق^(١) .

وقال البخارى : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ؛ فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . قالوا : لا نقرُّ بهذا ، لو نعم أنك رسول الله مامنناك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبد الله . قال : « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعللى ابن أبي طالب : « أمح رسول الله » قال : لا والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ، وليس يُحسَن يكتب ، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله لا يدخل مكة [السلح^(٢)] إلا السيف في القراب ، وألا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وألا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها .

فلما دخل^(٣) ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادى : يا عم ياعم . فتناولها على فأخذ بيدها وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك . فحملتها ، فاختم فيها على وزيد وجعفر^(٤) ، فقال على : أنا أخذتها وهى ابنة عمى . وقال جعفر : ابنة عمى وخالتها تحتى ، وقال زيد : ابنة أخى . فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال : « الخالة بمنزلة الأم » وقال

(٢) من صحيح البخارى .

(١) في ابن هشام : ثلاثة أيام وأناه حويطب في اليوم الثالث .

(٣) ١ : دخلها ! (٤) ١ : وحفص . وهو تحريف !

لعلى : « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر : « أشبهت خلقتي وخلقتي » وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » قال^(١) على : ألا تزوج ابنة حمزة ، قال : « إنها ابنة أخي من الرضاة » .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقد روى الواقدي قصة ابنة حمزة فقال : حدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأمه سلمى بنت عميس كانت بمكة .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمَّ على بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علام نترك ابنة عمنا يتيممة بين ظهراني المشركين ؟ فلم يَنْه النبي صلى الله عليه وسلم عن إخراجها ، فخرج بها ، فسكلم زيد بن حارثة وكان وصي حمزة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ، ابنة أخي ، فلما سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة ، وأنا أحقُّ بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس . وقال على : ألا أراكم تحتصمون ! هي ابنة عمي وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين ، وليس لكم إليها سبب دوني ، وأنا أحقُّ بها منكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أحكم بينكم ، أما أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقتي وخلقتي ، وأنت يا جعفر أولى بها ، تحتك خالتها ولا تُنكح المرأة على خالتها ولا على عمها » ففضى بها لجعفر .

قال الواقدي : فلما قضى بها لجعفر [قام جعفر^(٢)] فحجج حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال : يا رسول الله كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجج حوله . فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : تزوجها فقال : « ابنة أخي من

(١) : قال ورواية البخارى : وقال . (٢) سقطت من أ .

الرضاعة ». فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبي سلمة ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « هل جَزَيْتُ أبا سلمة » .

قلت : لأنه ذكر الواقدي وغيره أنه هو الذي زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمه أم سلمة ، لأنه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة . والله أعلم .
قال ابن إسحاق : ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذى الحجة ، وتولى^(١) المشركون تلك الحجة .

قال ابن هشام : وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى : « لقد صدَّق الله رسوله الرؤيا بالحق لتَدْخُلَنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رموسكم ومقصرين لا تخافون فعمل ما لم تعلموا فاجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » [يعني خبير^(٢)] .

فصل

ذكر البيهقي هاهنا سرية ابن أبي العوجاء السلمى إلى بنى سليم .

ثم ساق بسنده عن الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزهرى قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضية رجع في ذى الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوجاء السلمى في خمسين فارساً ، فخرج العين إلى قومه فحذَّروهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيراً وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم مُعَدُّون ، فلما أن رأهم^(٣) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتهم إليه . فرموهم ساعةً وجعلت الأمدادُ

(٢) من ابن هشام .

(١) وولى .

(٣) غير ا : رأوهم .

تأتى حتى أهدقوا بهم من كل جانب ، فقاتل القوم قتالا شديداً حتى قُتل عامتهم ،
وأصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه
من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدي : في الحجة^(١) من هذه السنة - يعنى سنة سبع - رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع ، وقد قدمنا الكلام
على ذلك^(٢) ، وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ،
وقد أسلمتا في الطريق ، وغلام خصي .

قال الواقدي : وفيها اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منبره درجتين ومقعداه ،
قال : والثابت عندنا أنه عمل في سنة ثمان :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن بحولك وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

فصل

في إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة^(١) رضی الله عنهم
وكان قدومهم في أوائل سنة ثمان على ما سيأتي

قد تقدم طرف من ذلك^(٢) فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي ،
وذلك في سنة خمس من الهجرة .

وإنما ذكره الحافظ البيهقي ها هنا بعد عمرة القضاء ، فروى من طريق الواقدي :
أنبأنا عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مجانباً معانداً ،
حضرتُ بدرًا مع المشركين فنجوت ، ثم حضرتُ أحدًا فنجوتُ ، ثم حضرتُ
الخنديق فنجوت .

قال : فقلت في نفسي : كم أوضع^(٣) ! والله ليظهرنَّ محمدًا على قريش . فلحقت بمالي
بالرھط^(٤) ، وأقلتُ من الناس - أي من لقائهم - .

فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح ، ورجعت

(١) ١ : وطلحة بن أبي طلحة وهو تحريف . (٢) تقدم ذلك في هذا الجزء .
(٣) أوضع : أدبر وأحارب . (٤) الرھط : موضع في شعر هذيل . المراد : ٦٤٥/٢

قريش إلى مكة . جعلت أقول : يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه ، ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شيء خير من الخروج ، وأنا بعدُ ناء عن الإسلام ، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم .

فقدت مكة وجمعت رجالاً من قومي ، وكانوا يرون رأياً ويسمعون مني ويقدمونني فيما نأبهم ، فقلت لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا ومِدرَهنا^(١) في يمين نَقِيبة^(٢) وبركة أمر . قال : قلت : تعلمون إني والله لأرى أمر محمدٍ أمراً يعلو الأمور علواً مُنكراً ، وإني قد رأيت رأياً . قالوا : وما هو ؟ قلت : نلحق بالنجاشي فنكون معه ، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي [فإننا أن] نكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا .

قالوا : هذا الرأي . قال : قلت : فاجمعوا ما يهديه له - وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم - فجمعنا له^(٣) أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه بكتاب كتبه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سرت قريش^(٤) وكنت قد أجزأت عنها حين^(٥) قتلت رسول محمد .

فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : حيا بصدقي ، أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أدماً كثيراً . ثم قدمته فأعجبته وفرق منه شيئاً ؟ بين بطارقتي ، وأمر بسائره فأدخل في موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به .

(١) : ذا رأى . والمدره : المدافع .
(٢) : الطووعة : نفسه . وهو تحريف .
(٣) : غيراً : خملنا أدماً .
(٤) : سررت قريشا .
(٥) : الطووعة : حتى . وهو تحريف .

فلما رأيت ريبَ نفسه قلت : أيها الملك إنى قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول عدوِّ لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا ، فأعطينيه فأقتله . فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفى (١) ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر منخراى فجعلت أتلقى الدم بثيابى ، فأصابنى من الذل ما لو انشقت بى الأرض دخلتُ فيها فرقا منه .

ثم قلت : أيها الملك لو ظننت أنك تكبره ما قلتُ ما سألتك . قال : فاستحيا وقال : يا عمرو تسألنى أن أعطيك رسولَ من يأتيه الناموسُ الأكبر الذى كان يأتي موسى ؛ والذى كان يأتي عيسى لتقتله .

قال عمرو : فغيَّر الله قلبى عما كنت عليه ، وقلتُ فى نفسى : عرف هذا الحقَّ العربُ والعجم ، وتحالف أنت ! ثم قلت : أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قال : نعم أشهد به عند الله يا عمرو ، فأطعنى واتبعه ، فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعنى على الإسلام ، ثم دعا بطست ففسل عنى الدم وكسانى ثيابا . وكانت ثيابى قد امتلأت بالدم فألقيتها . ثم خرجت على أصحابى فلما رأوا كسوة النجاشى سُروا بذلك وقالوا : هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم : كرهت أن أكلمه فى أول مرة وقلت أعود إليه . فقالوا : الرأى مارأيت .

قال : فقارقتهم وكأنى أعمد إلى حاجة ، فعمدت إلى موضع السفن فأجد سفينة قد سُحنت تُدفع ، قال : فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشُّعبة وخرجت من السفينة ومعى نفقة ، فابتعت بغيراً وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مَرِّ الظهران ، ثم

(١) فى الروايات الأخرى : أنفه .

ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدّة فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً ،
وأحدهما داخل في الخيمة والآخر يمسك الراحتين ، قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد ،
قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمداً ، دخل الناس في الإسلام فلم يبق أحد به طمّ (٥) ،
والله لو أمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها .

قلت : وأنا والله قد أردت محمداً وأردت الإسلام . فخرج عثمان بن طلحة فرحب بي ،
فزلنا جميعاً في المنزل .

ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه بئر أبي عتبة يصيح :
يارباح يارباح يارباح . فتناءلنا بقوله وسرنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكة
المقادة بعد هذين . فظننت أنه يعينني ويعني خالد بن الوليد ، وولّي مدبراً إلى المسجد
سريماً ، فظننت أنه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمينا ، فكان كما ظننت .

وأخّنا بالحرة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى أطلعنا عليه ،
وإن لوجهه تهلاًلاً والسامون حوله قد سرّوا بإسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم
تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت
أن أرفع طرفي حياءً منه . قال : فبايعته على أن يُعفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرنى
ماتأخر ، فقال : « إن الإسلام يُحبُّ ما كان قبله ، والهجرة تجبُّ ما كان قبلها » .

قال : فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحداً من
أصحابه في أمرٍ حربه منذ أسلمنا ، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند
عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالدٍ كالعاتب .

قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب

(١) الطعم : القدرة .

فقال : أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس النخعي ، عن مولاة حبيب ، عن عمرو ابن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد ، عن مولاة حبيب [قال :] حدثني عمرو بن العاص من فيه ، فذكر ماتقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع . وسياقُ الواقدي أبسطُ وأحسن .

قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبي حبيب : وقت لك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إلا أنه قال قبل الفتح . قلت : فإن أبي أخبرني أن عمرا وخالداً وعمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان .

وفي صحيح مسلم ما يشهد لسياق إسلامه وكيفية حسن صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضی الله عنه .

طريق إسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي : حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال سمعت أبي يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلامَ وحضرتي رُشدي ، فقلت : قد شهدتُ هذه المواطنَ كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس في مواطن أشهده إلا أنصرفُ وأنا أرى في نفسي أني موضعٌ في غير شيء ، وأن محمداً سيظهر .

* فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بعسفان ، فقامت بإزائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليهم ثم لم يُعزم لنا - وكانت فيه خيرة - فاطلع على

ما في أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقماً
وقلت : الرجل ممنوع ، فاعتزلنا ، وعدل عن سنن^(١) خيلنا وأخذ ذات اليمين .

فلما صالح قريشاً بالحدِيبية ودافعته قريش بالرواح قلت في نفسي : أى شيء بقي ؟
أين أذهب ؟ إلى النجاشي ؟ فقد اتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج إلى هرقل
فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية ؟ فأقيم في عجم^(٢) ، فأقيم في داري بمن بقي ؟ فأنا
في ذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضية [فتغيبت ولم أشهد
دخوله ، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة
القضية^(٣)] فطلبني فلم يجدني فكتب إلى كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد ؛ فإنني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام
جهله أحد ؟ وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال : أين خالد ؟ فقلت :
يأتى الله به ، فقال : « مثله جهل الإسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وحدّه مع المسلمين
كان خيراً له ، ولقد مناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك [من]
مواطن صالحة .

قال : فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام ، وسررتني سؤال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى ، وأرى في النوم كأنى في بلاد ضيقة مجذبة فخرجت
في بلاد خضراء واسعة ، فقلت : إن هذه لرؤيا . فلما أن قدمت المدينة قلت : لأذكرنها
لأبي بكر ، فقال : تخرجك الذى هداك الله للإسلام ، والضيق الذى كنت فيه
من الشرك .

قال : فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : من أصحابى إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فليقت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب أما ترى

(٣) سقط من أ .

(٢) مع عجم .

(١) السنن : الجهة .

ما نحن فيه ؟ إنما نحن كأضراس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قد منا على محمد
واتبعناه فإن شرف محمد لنا شرف ؟ فأبى أشد الإباء فقال : لو لم يبق غيري
ما اتبعته أبدا .

فافترقنا وقتل : هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببذر . فلقيتُ عكرمةَ بن أبي جهل
فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية ، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية . قلت :
فاكتم علي . قال : لا أذكره .

فخرجت لي منزلي فأمرت براحتي فخرجت بها ، إلى أن لقيت عثمان بن طلحة
فقلت : إن هذا لي صديق ، فلو ذكرت له ما أرجو . ثم ذكرت من قُتل من آبائه ،
فكرهت أن أذكره ، ثم قلت : وما علي وأنا راحل من ساعتى . فذكرت له ما صار
الأمر إليه ، فقلت : إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صبَّ فيه ذنوب من ماء نخرج ،
وقلت له نحو ما قلت لصاحبي ، فأسرع الإجابة ، وقلت له : إني غدوت اليوم وأنا أريد
أن أغدو ، وهذه راحتي بفتح مُناخة . قال : فأنعدت أنا وهو بأجيج ، إن سبقني أقام
وإن سبقته أمت عليه .

قال : فأذلنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجيج ، ففقدونا حتى انتهينا إلى الهدية
فنجدُ عمرو بن العاص بها ، قال : مرحباً بالقوم . فقلنا : وبك . فقال : إلى أين
مسيركم ؟ فقلنا : وما أخرجك ؟ فقال : وما أخرجكم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام واتباع محمد
صلى الله عليه وسلم . قال : وذلك الذي أقدمنى .

فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة ، فأنحنا بظهر الحرّة ركابنا فأخبر بنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسرّ بنا ، فلبست من صالح ثيابي ثم عمّدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلقيني أخى : فقال أسرع ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بك فسر
بقدمك وهو ينتظركم .

فأسرعنا المشى فاطلعت عليه فما زال يتبسم إلىّ حتى وقفت عليه ، فسامت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق ، فقلت : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال : « تعال » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا نرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير » قلت : يا رسول الله إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادع الله أن يفرها لي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام يجب ما كان قبله » قلت : يا رسول الله على ذلك . قال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أُوْضِعَ فيه من صدرٍ عن سبيل الله » .

قال خالد : وتقدّم عثمان وعمر و فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان قدومنا في صفر سنة ثمان ، قال : والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه .

سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى نفر من هوازن

قال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن عمر بن الحكم ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكن النهار حتى جاءهم وهم غارثون ، وقد أوعز إلى أصحابه ألا تمعنوا في الطلب ، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً كل رجل وزعم غيره أنهم أصابوا سبئياً أيضاً ، وأن الأمير اصطفى عنهم جارية وضيئة ثم قدم أهلوم مسلمين ، فشاور النبي صلى الله عليه وسلم أميرهم في ردهم إليهم ، فقال : نعم فردوهم ، وخيّر الجارية التي عنده فاخترت للمقام عنده .

وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن

ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سريةً قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر ، قال : فأصبنا إبلا كثيرا فبلفت سهامنا اثني عشر بعيراً ونفلنا رسول الله ^(١) صلى الله عليه وسلم بعيراً بعيراً .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضا من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلفهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه .

وقال أبو داود : حدثنا هناد ، حدثنا عبدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً إلى نجد فخرجتُ فيها فأصبنا نعاماً كثيرا ، فنقلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان ، ثم قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم بيننا غنيمتنا ، فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس ، وما حاسبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع ، فكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنقله .

سرية كعب بن عمير إلى بني قضاة من أرض الشام

قال الواقدي : حدثنا محمد بن عبد الله ^(٢) [عن الزهري ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام ، فوجدوا جمعا من جمعهم كثيرا ، فدعَوْهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوهم أشد القتال حتى قُتلوا ، فارتث ^(٣) منهم رجلٌ جريح في القتلى ، فلما أن بردَ عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

(١) البخاري : و نفلنا بعيرا بعيرا . بالبناء للمجهول .

(٢) ارتث : جرح وبه رمق .

(٣) من ١ .

غزوة مؤتة

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أطراف (١) الشام

قال محمد بن إسحاق بعد قصة عمرة القضيّة : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية ذى الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والحرم وصفرأ وشهرى ربيع وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » .

فتجهز الناس ثم تهيأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن عمرو بن الحكم ، عن أبيه قال : جاء النعمان بن فنحص اليهودى فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن قتل عبد الله بن رواحة فليترضى المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم » .

فقال النعمان : أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سميت من سميت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً ؛ إن الأنبياء من بنى إسرائيل كانوا إذا سمو الرجل على القوم فقالوا : إن أصيب فلان

ففلان ، فلو سَمَّوْا مائةً أُصيبوا جميعاً . ثم جعل يقول لزيد : اعهدْ فإنك لا ترجع أبداً ،
إن كان محمد نبياً .

فقال زيد : أشهد أنه نبي صادق بارٌّ صلى الله عليه وسلم .
رواه البيهقي .

قال ابن إسحاق : فلما حَضَرَ خروجُهم ودَّع الناسُ أمراءَ رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسلموا عليهم ، فلما ودَّع عبدُ الله بن رواحة [مع ^(١)] من ودَّع بكى ، فقالوا :
ما يبكيك يا بن رواحة . فقال : أما والله ما بي حُبُّ الدنيا ولا صِباةٌ بكم ، ولكني
سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر فيها النار
« وإن منكم إلا واردُها كان على ربك حتماً مقضياً » ^(٢) فلست أدري كيف لي
بالصدْر بعد الورود !

فقال المسلمون : صَحِّبكم الله ودَّع عنكم وردَّكم إلينا صالحين .

فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسألُ الرحمنَ مَغْفِرَةً وضربةً ذاتَ فَرَعٍ تَقْدِفُ الزُّبْدَا ^(٣)
أو طعنةً بيدي حرانٍ مُجْهِزَةً بجريةٍ تُنْفِذُ الأحْشَاءَ والكَبْدَا ^(٤)
حتى يقال إذا مرُّوا على جَدِّي أرشده الله من غازٍ وقد رَشْدَا

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهبأوا للخروج ، فأتى عبدُ الله بن رواحة رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم فودَّعه ثم قال :

فثبَّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنِ تثبیتِ موسى ونصراً كالذي نُصِرُوا
إني تفرَّستُ فيك الخَيْرَ نافِلةً اللهُ يعلمُ أني ثابتُ البَصْرِ

(٢) سورة صمد الآية ٧١ .

(٤) الحران : الشديد .

(١) ليست في أ .

(٣) الفرغ : السعة .

أنت الرسولُ فمن يُحَرِّمِ نوافلهَ والوجهَ منه فقد أزرى به القدرُ
قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم ،
حتى إذا ودعهم وانصرف ، قال عبد الله بن رواحة :
خلف السلام على امرئٍ ودّعته في النخل خيرٌ مُشيعٍ وخليلٍ

[وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن
الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث إلى مؤتة فاستعمل زيدا ، فإن قُتل زيد فجعفر ، فإن قتل جعفر فابن رواحة ،
فخلف ابن رواحة فجمع مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فرآه فقال : « ما خلفك ؟ »
فقال : أجمع معك . قال : « لَعَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ^(١) »] .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن
ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق
ذلك يوم الجمعة ^(٢) ، قال : فقدّم أصحابه وقال : أتخلف فأصلي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجمعة ثم ألحقهم . قال : فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه فقال :
« ما منعك أن تصدو مع أصحابك ؟ » فقال : أردت أن أصلي معك الجمعة
ثم ألحقهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً
ما أدركت غدوتهم » .

وهكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن منيع ، عن أبي معاوية ، ثم قال : لا نعرفه
إلا من هذا الوجه .

وقال شعبة : لم يَسْمَعِ الحَكَمَ عن مِقْسَمِ الإِخْمَةِ أَحَادِيثَ - وَعَدَّهَا شُعْبَةَ - وَليْسَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْهَا ^(١) .

[قلت : والحجاج بن أرطاة في روايته نظر والله أعلم ^(٢)] .
والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضى أن خروج الأمراء إلى مؤتة كان في يوم
جمعة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم مضوا حتى نزلوا معانَ من أرض الشام ، فبلغ الناسَ أن
هرقل قد نزل مآبَ من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضم إليه من لحم
وجذام والقين وبهراء وآبى مائة ألف منهم عليهم رجل من بليّ ، ثم أحد إراشة يقال له
مالك بن زافلة .

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق : فبلغهم أن هرقل نزل بمآبٍ في مائة ألف من
الروم ومائة ألف من المستعربة .

[وقيل : كان الروم مائتي ألف ومن أعدّاهم خمسون ألفا . وأقل ما قيل : إن الروم
كانوا مائة ألف ومن العرب خمسون ألفا . حكاه السهيلي ^(٣)]

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا ، فإما أن يُمددنا بالرجال ، وإما أن
يأمرنا بأمره فنمضى له . قال : فشجّع الناسَ عبدُ الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن
التي تكروهون لَكُنَّي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ ، وَمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةَ وَلَا كَثْرَةَ ،

(١) غير أ : « وهذا الحديث قد رواه الترمذى من حديث أبي معاوية عن الحجاج - وهو ابن أرطاة .
ثم علله الترمذى بما حكاه عن شعبة أنه قال : لم يسمع الحكم عن مقسم إلا خمسة أحاديث وليس هذا منها » .
(٢) ليس في أ .
(٣) من أ .

مانقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإيما هي إحدى الحسنيين ،
إما ظهوراً وإما شهادة .

قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فمضى الناس .

فقال عبد الله بن رواحة في محبستهم ذلك :

جَلَبْنَا الخليلَ من أجأٍ وفرعٍ تعرُّ من الحشيش إلى العكوم^(١)
حذوناها من الصوانِ سبتاً أزلَّ كأنَّ صفحتَه أديم^(٢)
أقامت ليلتين على معانٍ فأعقبَ بعدَ فترتها جُجوم^(٣)
فرحنا والجياذُ مسوماتٌ تنفَسُ في مناخرها سموم^(٤)
فلا وأبى مآبُ لتأينها وإن كانت بها عربٌ ورومٌ
فعبأنا أعنتها فجاءت عوايسَ والغبارُ لها بريم^(٥)
بذي لب كأن البيضَ فيه إذا برزت قوائسُها النجوم^(٦)
فراضيةُ المعيشةِ طلقها أسفنا فتتكبح أوتنيم^(٧)

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال :

كنت^(٨) يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك مُردِّ في

(١) أجأ : أحد جبلي طيء والآخر سلمى . وفرع : أطول جبل بأجأ وأوسطه . وتعر : تطعم وتشبع .
والرواية عند السهيلي : تفر . بالقاف ، وقال : تفر أي يجمع بعضها إلى بعض . والعكوم : جمع عكم
وهو الجانب .

(٢) حذوناها : جعلنا لها نعلا من حديد . والصوان : حجارة ملس ، والسبت : النعال التي تصنع
من الجلود المدبوغة . والأزل : الأملس . والأديم : الجلد .

(٣) معان : موضع بالشام . والفترة : السكون والضعف . والججوم : اجتماع القوة .

(٤) سموم ، بضم السين ، جمع سم وهما عرفان في خيشوم الفرس . والسموم بفتح السين : ربيع حارة .
وفي ابن هشام : في مناخرها السموم .

(٥) البريم : كل ما فيه لونان مختلطان ؛ والدمع المختلط بالأحمد .

(٦) اللجب : اختلاط الأصوات من كثرة الجيش . والقوايس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد .

(٧) راضية المعيشة : العيشة اللينة المطمئنة . تنيم : تبقى دون زوج - يريد أنهم قد تجافوا عن الدعة والراحة .

(٨) ١ : كان .

على حقيبة رحله ، فوالله إنه ليسير ليلتمنذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أذنتني وحملت رجلي مسيرة أربع بعد الحساء^(١)

فشانك أنعمم وخلاك دم ولا أرجع إلى أهلي ورأى^(٢)

وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتهى الثواء^(٣)

وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء

هنالك لا أبالي طلع بلي ولا نخل أسافلها رواء^(٤)

قال : فلما سمعتهن منه بكيت ، فحفظني بالدرّة وقال : ما عليك بالكع أن يرزقي

الله الشهادة وترجع بين شعبي الرّحل ؟

ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يازيدُ زيدَ اليعمّلات الذّبلِ تطاولَ الليلُ هُديتَ فانزلِ^(٥)

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، حتى إذا كانوا يتخوم البلقاء لقيتهم جوع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها ، فتعجب لهم المسلمون ، فجهلوا على ميمّتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك .

(١) الحساء : سهل من الأرض يستنقم فيه الماء ، أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر .

(٢) شانك أنعم : يريد أنه يريد أن يريحها ولا يكلفها عناء السفر بعد ذلك . ولا أرجع : مجزوم على الدعاء .

(٣) مشتهى الثواء : لا يريد رجوعا . وقد روى : مسنهي الثواء . قال السهيلي : مستهى الثواء :

مستفعل من النهاية والانتها ، أي حيث انتهى مشواه .

(٤) البعل : ما يشرب بعروقه من الأرض . وأسافلها رواء : كذا في ابن هشام ، وغيره . وفيه :

أساقها ورأى .

(٥) اليعمّلات : النوق السريعة . والذبل : التي أو هنها السير .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : شهدت مؤتة فلما دنا منا للمشركون رأينا مالا قبيل لأحد به من العدة والسلاح والكرَاع والديباج والحزير والذهب ، فبرق بصري ، فقال لي ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة ؟ قلت : نعم . قال : إنك لم تشهد بداراً معنا ، إنا لم نُنصَر بالكثرة .
رواه البيهقي .

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناسُ فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل القومَ حتى قُتل ، وكان جعفر أولَ [رجل من]^(١) المسلمين عقر في الإسلام .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مُرّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لَكأنني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القومَ حتى قُتل وهو يقول :

ياحبذا الجنة واقترابها طيبةً وباردٌ شرابها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها [كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها]^(٢)

* على إن لا قِيَّتْهَا ضرابها *

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي إسحاق ولم يذكر الشعر .

وقد استدل به مَنْ جَوَّز قتل الحيوان خشيةً أن يَنْتفع به العدوُّ ، كما يقول أبو حنيفة في الأغنام إذا لم تَنْتفع في السَّير ويُنخَشى من لحوق العدوِّ وانتفاعهم بها أنها تُذبح وتُحرق ليُحال^(٣) بينهم وبين ذلك . والله أعلم .

قال المسهلي : ولم يَنْكِر على جعفر أحدٌ فدلَّ على جوازِهِ إلا إذا أُمنِ أخذَ العدو له ،

(١) من ١ : فيقال .

(٢) ليست في ١ .

(٣) من ١ .

ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثاً . قال ابن هشام : وحدثني من أتق به من أهل العلم أن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بمضديه حتى قُتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء ، ويقال : إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وكان أحد بني مرة بن عوف ، قال : فلما قُتل جعفر أخذ عبدُ الله بن رِوَاحة الرايةَ ثم تقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يَسْتَنْزِلُ نفسه ويتردد بعضَ التردد ويقول :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَنَّ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّهْ مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ !
قَدْ طَالَ مَا قَد كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنَّةِ

وقال أيضاً :

يَا نَفْسُ إِنْ لَا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ
وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفرأ ، ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم ، فقال : شدّ بهذا صُلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت . فأخذه من يده فانهش منه هَشَةً . ثم سمع الحطمة^(١) في ناحية الناس فقال : وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم ، فقاتل حتى قُتل رضى الله عنه .

قال : ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بني العجلان . فقال : يا معشر المسلمين

(١) الحطمة : الذلال والمضاربة .

اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى^(١) بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - : « أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً » قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون . ثم قال : أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً .

ثم قال : لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لي : مضياً وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى . هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعاً .

وقد قال البخارى : حدثنا أحمد بن واقد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ، وعيناه تذرفان . حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم .

تفرد به البخارى . ورواه في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : « وما يسرهم أنهم عندنا » .

(١) خاشى : حجز بينهم وبين الروم .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن أبى بكر ، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن الخزومى ^(١) ،
 وليس بالخرزامى ، عن عبد الله بن سعيد ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة . قال عبد الله :
 كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا فى
 جسده بضعا وتسعين من ضربة ورمية .
 تفرد به البخارى أيضاً .

وقال البخارى أيضاً : حدثنا أحمد ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو [عن] ابن أبى
 هلال [هو سعيد بن أبى هلال الليثى ^(٢)] قال : وأخبرنى نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف
 على جعفر بن أبى طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها
 شىء فى دُبره .

وهذا أيضاً من أفراد البخارى .

ووجه الجمع بين هذه الرواية والى قبلها أن ابن عمر اطَّلَعَ على هذا العدد ، وغيره
 اطَّلَعَ على أكثر من ذلك ، أو أن هذه فى قبلة أصيبتها قبل أن يقتل ، فلما صُرع إلى
 الأرض ضربوه أيضاً ضرباتٍ فى ظهره ، فعدَّ ابنُ عمر ما كان فى قبسه وهو فى وجوه
 الأعداء قبل أن يقتل رضى الله عنه .

ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهى مُمسكةٌ اللواء ثم شماله ، مارواه
 البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا عمر بن على ، عن إسماعيل بن أبى خالد ،
 عن عامر ، قال : كان ابن عمر إذا حيَّ ابن جعفر قال : السلام عليك يا ابن
 ذى الجناحين .

(١) وليس للخزومى فى البخارى سوى هذا الحديث ، وهو بطريق التابعة عنده . وكان فقيه أهل

(٢) ليست فى ١ .

المدينة بعد مالك . إرشاد السارى ٦/٣٨٣ .

ورواه أيضا في المناقب ، والنسائي من حديث يزيد بن هرون ، عن إسماعيل بن أبي خالد .

وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يومَ مؤتة تسعةُ أسياف ، فما بقي في يدي إلا صفيحةٌ يمانية .

ثم رواه عن محمد بن المنثري ، عن يحيى عن إسماعيل ، حدثني قيس ، سمعت خالد ابن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يومَ مؤتة تسعةُ أسياف وصبرت في يدي صفيحةٌ يمانية .

انفرد به البخاري .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : حدثنا أبو نصر بن قتادة ، حدثنا أبو عمرو ومطر ، حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجحفي ، حدثنا^(١) سليمان بن حرب ، حدثنا الأسود ابن شيبان ، عن خالد بن سمير ، قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري ، وكانت الأنصار تُفقهه ، فغشيه الناسُ فغشيتُهُ فيمن غشيه ، فقال : حدثنا أبو قتادة فارسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جيشَ الأمراء وقال : عليكم زيدُ بن جارثة . فإن^(٢) أصيب زيدُ فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة ، قال : فوثب جعفر وقال : يا رسول الله ما كنت أرغب أن تستعمل زيدا^(٣) علي . قال : امض فإنك لا تدري أَى ذلك خير .

فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله ، فصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبر فأمر فنودي :

(١) : أنبأنا .

(٢) غير ا : وقال إن .

(٣) : أن يستعمل زيد .

الصلوة جامعة . فاجتمع الناسُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أخبركم عن جيشكم هذا ، إنهم انطلقوا فلقوا العدوَّ قُتِلَ زيد شهيداً . فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشدَّ على القوم حتى قُتِلَ شهيداً ، شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رَواحة فأثبت قدميه حتى قُتِلَ شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ^(١) . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه سيفٌ من سيوفك أنت ^(٢) نصره » فمن يومئذ سُمِّيَ خالد سيفَ الله .

ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك ، عن الأسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو أنه عليه السلام لما اجتمع إليه الناس قال : بابُ خيرٍ باب خير . وذكر الحديث .

وقال الواقدي : حدثني عبد الجبار بن عمارة بن غزيرة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرو بن حزم ، قال : لما التقى الناسُ بمؤتة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى مُعترِّهم ، فقال : أخذ الراية زيدُ ابن حارثة فجاءه الشيطان فحبَّب إليه الحياة وكرَّه إليه الموت ، وحبَّب إليه الدنيا ، فقال : الآن حين استحکم الإيمانُ في قلوب المؤمنين تحبَّب إلى الدنيا ! فمضى قُدمًا حتى استشهد فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : استغفروا له ، فقد دخل الجنة وهو شهيد .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما قُتِلَ زيدُ أخذ الراية جعفرُ بن أبي طالب ، فجاءه الشيطان فحبَّب إليه الحياة وكرَّه إليه الموتَ ومَنَّاه الدنيا ، فقال : الآن حين استحکم الإيمانُ في قلوب المؤمنين يَمْنينِي الدنيا ! ثم مضى قُدمًا حتى استشهد ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسلم . وقال : استغفروا الأخيكم فإنه شهيدٌ دخل الجنة ، وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة .

قال : ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ، ثم دخل الجنة مُعْتَرِضاً فَشَقَّ ذلك على الأنصار ، فقيل : يا رسول الله ما اعتراضه ؟ قال : لما أصابته الجراحُ نكل ، فعاتب نفسه فتشجّع واستشهد ودخل الجنة .
فسرّى عن قومه .

قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الآن حمى الوطيسُ .

قال الواقدي : فحدثني العطف بن خالد ، قال : لما قتل ابن رواحة مساءً بات خالد ابن الوليد فلما أصبح غداً وقد جعل مُقَدِّمَتَهُ ساقاً وساقته مقدمةً وميمينته ميسرةً وميسرته ميمينه . قال : فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا : قد جاءهم مدد ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين ، قال : فقتلوا مقتلةً لم يُقتلها قومٌ .

وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله في مغازيه ، فإنه قال ، بعد عمرة الحديبية : ثم صدر^(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكث بها ستة أشهر ، ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب فجعفر بن أبي طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم ، فانطلقوا حتى إذا لقوا ابن أبي سبرة الغساني بمؤتة وبها جوع^(٢) من نصارى العرب والروم ، بها تنوخ وبهراء ، فأغلق ابنُ أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم التقوا^(٣) على

(٢) : ١ : جمع .

(١) : ١ : ثم صد .

(٣) : ١ : ثم خرجوا فالتقوا .

زرع^(١) أحرر فاقْتتلوا قتالا شديدا ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم أخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ، ثم اصطاح المسلمون بعد أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالد بن الوليد الخزومي فهزم الله العدو وأظهر المسلمين .
قال : وبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى - يعنى من سنة ثمان - .

قال موسى بن عقبة : وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مرّ على جعفر في الملائكة يطير كما يطرون وله جناحان .

قال : وزعموا - والله أعلم - أن يعلى بن أمية قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر أهل مؤتة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت فأخبرنى وإن شئت أخبرك . قال : أخبرنى يا رسول الله . قال : فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصفه لهم ، فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله رفع لى الأرض حتى رأيت مُعْتَرِكهم » .

فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق ، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق من أن خالدا إنما حاشى بالقوم حتى تحلّصوا من الروم وعرب النصارى فقط . وموسى بن عقبة والواقدي مصرّحان بأنهم هزموا جموع^(٢) الروم والعرب الذين معهم ، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعا : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه » .

رواه البخارى ، وهذا هو الذى رجحه ومال إليه الحافظ البيهقي بعد حكاية القولين ، لما ذكرناه من الحديث .

[قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقرين ، وهو أن خالدًا لما أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة . فلما أصبح وحول الجيش ميمنةً وميسرةً ومقدمةً وساقةً ، كما ذكره الواقدي توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزمهم بإذن الله والله أعلم^(١) .

وقد قال^(٢) ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة قال : لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه [قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحلومهم وأعطوني ابن جعفر . فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه^(٣)] فجعلوا يحثون عليهم التراب ويقولون : يا فرار فررتم في سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل » .

وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

[وعندى أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان الذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفرّوا بل نصروا ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وهو على المنبر في قوله : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك ، وإنما تلقوهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان التأنيب وحتى التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(٤)] .

[وقد^(٥) قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ،

(١) سقطت من ١ . (٢) ١ : لكن قال . (٣) من ابن هشام .
(٤) سقطت من ١ . (٥) من ١ .

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عمر ، قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناسُ حيصَةً وكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد قررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لودخلنا المدينة قُتلنا ، ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كانت لنا توبةٌ وإلا ذهبنا . فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : مَنْ القومُ ؟ قال : قلنا : نحن الفرارون^(١) . فقال : « لا بل أنتم العكارون^(٢) أنا ففتكم وأنا فئة المسلمين » . قال : فأتيناه حتى قبّلنا يده .

ثم رواه عن غُنْدَرٍ عن شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن أبي ليلى عن ابن عمر ، قال : كنا في سرية فقررنا فأردنا أن نركب البحر . فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله نحن الفرارون . فقال : لا بل أنتم العكارون .

ورواه [أبو داود^(٣)] و [الترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذى : حسن لا يعرفه إلا من حديثه .

وقال أحمد^(٤) : حدثنا إسحاق بن عيسى وأسود بن عامر ، قالا : حدثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ، فلما لقينا العدوَّ انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في نفرٍ ليلًا ، فاختمينا ثم قلنا : لو خرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذرنا إليه . فخرجنا إليه فلما لقيناه^(٥) قلنا : نحن الفرارون يا رسول الله . قال : « بل أنتم العكارون وأنا ففتكم » قال الأسود : « وأنا فئة كلِّ مسلم^(٦) » .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عامر بن

(١) غيرا : فرارون . (٢) غيرا : الكرارون . (٣) من

(٤) اثم قال أحمد .

(٥) الطبوعة : ثم التقيناه . وهو تحريف . (٦) لكل مسلم .

عبد الله بن الزبير ، أن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالي لأرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟

قالت : ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس : يافرّار فررتم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته ما يخرج وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع [الروم ، وكانوا على أكثر من أضعاف الأضعاف فإنهم كانوا ثلاثة آلاف وكان ^(١) العدو على ما ذكره مائتي ألف ، ومثل هذا يسوع الفرار على ما قد تقرر ، فلما فرّ هؤلاء ثبت بأقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أيدي أولئك وقتلوا منهم مئة عظيمة ، كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله .

[مما ^(٢)] يؤيد ذلك أيضا ويزيده قوة ويشهد له ^(٣) بالصحة ما رواه الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ، وواقفتي مددي ^(٤) من اليمن ليس معه غير سيفه ، فنحرت رجل من المسلمين جزوراً فسأله المددي طابقة من جلده فأعطاه إياه فاتخذها كهيئة الدرة ، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يُغرى بالمسلمين ، وقعد له المددي خلف صخرة ، فر به الرومي ففرق فرسه ^(٥) فخرّ وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث

(٢) من ١

(١) سقطت من المطبوعة .

(٣) غير ١ : ويؤيد ذلك ويشاكله بالصحة .

(٤) الأصل : مدوي وهو تحريف . والمددي : يعني رجلا من المدد الذين جاءوا يمدون المسلمين .

(٥) غير ١ : فرقه .

إليه خالد بن الوليد فأخذ من السِّلَب ، قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسِّلَب للقاتل ؟ قال : بلى ولكنى استكثرته . فقلت : لتردنه إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يردَّ عليه .

قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقصصت عليه قصة المددِىِّ وما فعل خالد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا خالد رُدَّ عليه ما أخذت منه » قال عوف : فقلت : دونك يا خالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ فأخبرته ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا خالد لا تردَّ عليه ، هل أنتم تاركوا أمرائي ؟ لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره » .

قال الوليد : سألت ثورًا عن هذا الحديث ، فحدثني عن خالد بن معدان ، عن جبير ابن نفيير ، عن عوف بنحوه .

ورواه مسلم وأبو داود من حديث جُبَيْر بن نَفِير عن عوف بن مالك به نحوه . وهذا يقتضى أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرفهم وقتلوا من أمرائهم . وقد تقدم فيما رواه البخارى أن خالدًا رضى الله عنه قال : اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية .

وهذا يقتضى أنهم أئمنوا فيهم قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم . وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم . وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي ، وحكاه ابن هشام عن الزهري .

قال البيهقي رحمه الله : اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب إلى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين وأن المشركين انهزموا . قال : وحديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثم أخذها خالد ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم . والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن إسحاق أن قطبة بن قنادة العُذرى - وكان رأس ميمنة المسلمين -
حمل على مالك بن زافلة قال ابن هشام^(١) : ويقال رافلة . وهو أمير أعراب النصارى فقتله ،
وقال يفتخر بذلك :

طعنتُ ابنَ زافلةَ بن الأراش برمحٍ مَضَى فيه ثم انحطَمَ
ضربتُ على جِيده ضربةً فمالَ كما مالَ غُصْنُ السَّلمِ
وسُقنا نساءَ بني عمِّه غداةَ رقوقين سَوَقَ النِّعمِ^(٢)

وهذا يؤيد ما نحن فيه ، لأن من عادة أمير الجيش إذا قُتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه
صرَّح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم ، وهذا واضح فيما ذكرناه . والله أعلم .

وأما ابن إسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا الخنْشاة والتخلُّص من أيدي الروم ،
وسمى هذا نصراً وفتحاً ، أى باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم
وتسكاثرتهم وتكاثفتهم عليهم ، وكان مقتضى العادة^(٣) أن يُصْطَلَموا^(٤) بالكلية ، فلما
تخلصوا منهم وانجازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام .
وهذا محتمل ، لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام : « ففتح
الله عليهم » .

والمقصود أن ابن إسحاق يستدل على ما ذهب إليه فقال : وقد قال فيما كان أمر
الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم قيسُ بن الحسمر اليعمري يعتذر
بما صنع يومئذ وصنع الناس يقول :

فوالله لا تنفكُ نفسى تَلومنى على مَوْقِفِي والخليلُ قَابِعةٌ قُبيلُ^(٥)

(١) من .

(٢) رقوقين : موضع .

(٣) غيرا : فكان مقتضى العادات . (٤) المطبوعة : يصلحوا . وهو تحريف .

(٥) قابعة : منقبضة . وقبل جمع أقبل وقبلاء وهو الذى يعيل عينه فى النظر إلى جهة العين الأخرى .

وقفتُ بها لا مُستَجيزاً فنافذاً ولا ما نعامن كان حُماً له القتلُ^(١)
 على أنني آسيتُ نفسي بخالدٍ ألا خالدٌ في القوم ليس له مثلُ
 وجاشتُ إلى النفس من نحوِ جعفرِ بمؤتةٍ إذ لا يَفْعُ النَّابِلُ النَّبِلُ
 وضمَّ إلينا حَجَزَ تَيْهَمِ كَلَيْهِمَا مهاجرةٌ لا مشركون ولا عُزْلُ

قال ابن إسحاق : فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقَّق انجيازَ خالد بمن معه .

قال ابن هشام : وأما الزُّهرى فقال - فيما بلغنا عنه - : أمر المسلمون عليهم خالد ابن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة^(٢) .

فصل

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى الخزاعية ؛ عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس قالت : لما أصيبَ جعفر وأصحابه دخل عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقد دبغتُ أربعين مَنًا^(٣) وعجنت عجيني وغسلت بَنِيَّ ودهنتهم ونظقتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائتني ببني جعفر » فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ! ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم أصيبوا هذا اليوم » قالت : فقامت أضحك ، واجتمع إلى النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال : « لا تَفْلُوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » .

(١) مستجيزاً : متجيزاً إلى طائفة . (٢) ابن هشام : حتى قفل إلى النبي .

(٣) المنا : الرطل الذي يوزن به ، تعني أربعين رطلاً من دباغ .

وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ورواه ابن إسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى ، عن أم عون بنت محمد بن جعفر ، عن أسماء ، فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا جعفر بن خالد ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن جعفر ، قال : لما جاء نعي جعفر حين قُتل قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم ، أو أتاهم ما يشغلهم » .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، عن جعفر ابن خالد بن سارة الخزومي المكي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر . وقال الترمذي : حسن .

ثم قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن .

قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله [إن النساء] عنيننا وفتننا ، قال : « ارجع إليهن فأسكنهن » .

قالت : فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت : وربما ضرَّ التكلف - يعني أهله - قالت : قال : « فاذهب فأسكنهن فإن أبيت فاحثٌ في أفواههن التراب » قالت : [وقلت] في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لا يقدر يحثي في أفواههن التراب . انفرد به ابن إسحاق من هذا الوجه ؛ وليس في شيء من الكتب .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الوهاب ، سمعت يحيى بن سعيد قال : أخبرني عمرة قالت : سمعت عائشة تقول : لما قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله

ابن رَوَاحَةَ جالس رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة : وأنا أَطَّلَعُ من صائر الباب - شق^(١) - فأتاه رجل فقال : أي رسول الله ، إن نساء جعفر ، وذكر بكاءهن ، فأمره أن ينهأهن قالت : فذهب الرجل ثم أتى فقال : والله لقد غلبننا ، فزعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فاحثُ في أفواههن من التراب » .

قالت عائشة رضی الله عنها : فقلت : أرغم الله أنفك ! فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم من العناء .
وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمرة عنها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن قُتل زيد أو استشهد فأمركم جعفر ، فإن قتل أو استشهد فأمركم عبد الله بن رواحة » فلقوا العدو فأخذ الراية زيدٌ فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه . وأتى خبرهم النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه » قال : ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لاتبكوا على أخي بعد اليوم ، ادعوا لي بني أخي » قال : فجيء بنا كأننا أفرخ ، فقال « ادعوا

(١) البخاري : تعني من شق الباب .

لى الخلاق « فجىء بالخلاق فخلق رؤوسنا ، ثم قال : « أما محمد فشبيهه عمنا أبى طالب ، وأما عبد الله فشبيهه خلقي وخلُقي » ثم أخذ بيدي فأشالها^(١) وقال : « اللهم اخلف جعفرًا فى أهله ، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات . قال : فجاءت أمنا فذكرت له يُتمنا وجعلت تُفرح^(٢) له فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة؟ » . ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائي فى السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به .

وهذا يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام أرخصَ لهم فى البكاء ثلاثة أيام ثم نهىهم عنه بعدها . ولعله معنى الحديث الذى رواه الإمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله ابن شداد ، عن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لما أصيب جعفر : « تسلى ثلاثاً ثم اصنعى ما شئت » .
تفرد به أحمد .

فيحتمل أنه أذن لها فى التسلب ، وهو المبالغة فى البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبى أولادها ، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة فى الإحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الإحداد المعتاد . والله أعلم . ويروى : تسلى ثلاثاً - أى أصبرى - وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن طلحة ، حدثنا الحكم بن عيينة ، عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت حميس ، قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الثالث من قتل جعفر فقال : لا تُحدى بعدَ يومك هذا . فإنه من أفراد أحمد أيضاً وإسناده لا بأس به ، ولكنه مشكل إن نُحمل على ظاهره ، لأنه قد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله

(٢) تفرح له : تحزنه .

(١) شالها : رفعها .

واليوم الآخر أن تُحدِّد على ميتها أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً .

فإن كان مارواه الإمام أحد محفوظاً فتكون مخصوصة بذلك ، أو هو أمر بالمبالغة في الإحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم . والله أعلم .

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فَأَلَيْتُ لَاتِنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا
فَلله عَيْنًا مِنْ رَأْيِ مِثْلِهِ فَتَى أَكْرَمَ وَأَحْمَى فِي الْهِيَاجِ وَأَصْبَرًا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها ، فخطبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فتزوجها فأولم وجاء الناس للوليمة ، فكان فيهم علي بن أبي طالب ، فلما ذهب الناس استأذن عليُّ أبا بكر رضي الله عنهما في أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريحٌ طيبها فقال لها عليٌّ : - على وجه البسط - مَنْ الْقَائِلَةُ فِي شَعْرهَا :

فَأَلَيْتُ لَاتِنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا ؟

قالت : دعنا منك يا أبا الحسن فإنك امرؤ فيك دعاة !

فولدت للصديق محمد بن أبي بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ذاهب إلى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل وتُهل وسيأتي في موضعه ، ثم لما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب ، وولدت له أولاداً رضي الله عنهم وعنهم أجمعين .

فصل

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : فلما

دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون .

قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصبيان فاحلوهم وأعطوني ابنَ جعفر » فأتى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يَحْثُونَ على الجيش الترابَ ويقولون : يافُرُّار فررتم في سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليسوا بالفُرَّار ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله » .
وهذا مرسل .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عاصم ، عن مَورِق العِجَلِي ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قَدِمَ من سَفَرٍ تَلَقَى الصبيانَ من أهل بيته ، وإنه قدم من سفر فسُبِقَ بي إليه ، قال : فحملني بين يديه ثم قال : « جئى بأحد بنى فاطمة » إما حسن وإما حسين ، فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة .

وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم الأحول عن مَورِق به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا ابن جُريج ، حدثنا خالد بن سارة ، أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتني وقُتِمًا وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبي صلى الله عليه وسلم على دابة فقال : « ارفعوا هذا إني » فحملني أمامه وقال لقمم : « ارفعوا هذا إلى » فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحب إلي عباس من قثم ، فما استحي من عمه أن حمل قثما وتركه . قال : ثم مسح على رأسه ثلاثا وقال كلما مسح : « اللهم اخلف جعفرًا في ولده » .

قال : قلت لعبد الله : ما فعل قثم ؟ قال : استشهد ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم بالخير . قال : أجل .

ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج به .
[وهذا كان بعد الفتح ، فإن العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح ، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا حبيب بن الشهيد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم فحملنا وتركك .
وبهذا اللفظ أخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الأجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه . والله أعلم ^(١)] .

فصل

في فضل هؤلاء الأسماء الثلاثة : زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم

أما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العززي بن امرئ القيس بن عامر ابن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاة الكلابي القضاعي ، [فهو] مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فأغارت عليهم خيل فأخذوه ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، وقيل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، فوهبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، فوجده أبوه فاختر المقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً .

وكان أول من أسلم من الموالى ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى :
« وما جعل أدياءكم أبناءكم » وقوله تعالى : « ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله »
وقوله تعالى : « ما كان محمدٌ أباً أحدي من رجالكم » وقوله : « وإذ تقول للذي أنعم الله
عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مُبديهِ وتخشى
الناسَ والله أحقُّ أن تخشاه فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها » الآية. أجمعوا أن هذه
الآيات أنزلت فيه ، ومعنى : « أنعم الله عليه » أى بالإسلام « وأنعمت عليه » أى
بالعتق ، وقد تكلمنا عليها فى التفسير .

والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة فى القرآن غيره ، وهداه إلى
الإسلام ، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة
فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له الحَبُّ بن الحب ، ثم زوجه بابتة عمته زينب
بنت جحش ، وأخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه فى الإمرة على ابن عمه
جعفر بن أبى طالب يوم مؤتة كما ذكرناه .

وقد قال الإمام أحمد والإمام الحافظ أبو بكر بن أبى شعبة - وهذا لفظه - : حدثنا
محمد بن عبيد ، عن وائل بن داود : سمعت البهي يحدث أن عائشة كانت تقول :
ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى سرية إلا أمره عليهم ، ولو
بقي بعدُ لاستخلفه .

ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان ، عن محمد بن عبيد الطنأفسى به .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط الصحيح ، وهو غريب جدا . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا إسماعيل ، أخبرنى ابن دينار ، عن ابن عمر
رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ،

فقطع بعضُ الناس في إمرته ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرته أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان خَلِيقًا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده » .

وأخرجاه في الصحيحين ، عن قتيبة عن إسماعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر فذكره . ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر ، عن عبيد الله بن عمر العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ثم استغربه من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن إسماعيل ، عن مجالد ، عن الشَّمبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : لما أصيب زيد بن حارثة وجيء بأسامة بن زيد وأوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخر ، ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال : « ألقى منك اليوم ما لقيت منك أمس » .

وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم .

وقد تقدم في الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » .

قال : وإن عينيه لتذرفان ، وقال : « وما بسرهم أنهم عندنا » . وفي الحديث الآخر أنه

شهد لهم بالشهادة ، فهم ممن يقطع لهم بالجنة .

وقد قال حسان بن ثابت يرثي زيد بن حارثة وابن رواحة :

عينُ جُودى بدمعك المَزورِ واذ كرى في الرِّخاء أهلَ القُبورِ

واذ كرى مُؤتةً وما كان فيها يوم راحوا في وقعة التَّمويرِ

حين راحوا وغادروا ثم زيدا
 حب خبير الأنام طراً جميعاً
 ذاكم أحد الذي لا سواه
 إن زيدا قد كان متاً بأمر
 ثم جودي للخزرجي بدمع
 قد أتانا من قتلهم ما كفانا
 نعم مأوى الضربك والمأسور^(١)
 سيد الناس حبه في الصدور
 ذاك حزني له معاً وسروري
 ليس أمر المكذب المغرور
 سيداً كان ثم غير نزور
 فبحزن نبيت غير سرور

وأما جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكبر من أخيه عليّ بعشر سنين ، وكان عقيل أسنّ من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسنّ من عقيل بعشر سنين .

أسلم جعفر قديماً وهاجر إلى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة^(٢) والله الحمد .

وقد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام : « ما أدري أنا بأيهما أسرّ ، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر » وقام إليه واعتنقه وقبّل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضيّة : « أشبهت خلقي وخالقي » فيقال : إنه حجل عند ذلك فرحاً . كما تقدم في موضعه والله الحمد والمنة .

ولما بعثه إلى مؤتة جعل في الإمرة مُصلّياً - أي نائباً - لزيد بن حارثة ، ولما قتل وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورُمية بسهم ، وهو في

(١) الضربك : والفقر السبيء الحال .

(٢) تقدم ذلك في الجزء الثاني ١٤-٢٦ .

ذلك كله مُقبل غير مدبر ، وكانت قد طُعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك لِوَاء ، فلما فقدما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال : إن رجلاً من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين ، رضى الله عن جعفر ولعن قاتله .

وقد أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شهيد فهو ممن يُقطع له بالجنة . وجاء بالأحاديث تسميته بذى الجناحين .

وروى البخارى عن ابن عمر ، أنه كان إذا سلم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا بن ذى الجناحين .

وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما فى الصحيح عن ابن عمر .

قالوا : لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة وقد تقدم بعض ما روى فى ذلك .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا على بن حجر ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت جعفرأ يطير فى الجنة مع الملائكة » .

وتقدم فى حديث أنه رضى الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة . وقال ابن الأثير فى الغابة : كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين . قال : وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل إنه كان أسنّ من علىّ بعشر سنين ، يقتضى أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة ، لأن علياً أسلم وهو ابن ثمانى سنين على المشهور فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة ، ويوم مؤتة كان فى سنة ثمان من الهجرة والله أعلم .

وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطَّيَّار ، لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدحاً ، وكان الكرمه يقال له : أبا المساكين ، لإحسانه إليهم .

قال الإمام أحمد : وحدثنا عفان بن وهيب ، حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، قال : ما احتدَى النعالَ ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجلٍ بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب .

وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة ، وكأنه إنما يفضِّله في الكرم ، فأما في الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصِّديق والفاروق بل وعثمان بن عفان أفضل منه ، وأما أخوه على رضى الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو على أفضل منه .

وإنما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم ، بدليل ما رواه البخاري : حدثنا أحمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهني ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، أن الناس كانوا يقولون : أكثر أبو هريرة وإني كنت أزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشمع بطني خبزاً لا آكل الخبز ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت ألقى بطني بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها .

تفرد به البخاري .

وقال حسان بن ثابت يرثي جعفرأ :

ولقد بكيتُ وعزَّ مَهْلِكُ جعفرِ
وَلَقَدْ جَزَعْتُ وَقَلْتُ حِينَ نُعِمْتُ لِي
حَبُّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
مَنْ لِلجِلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظَلَمَهَا
ضَرْبًا وَإِنْهَالِ الرِّمَاحِ وَعَلَمَهَا
بِالْبَيْضِ حِينَ تُسَلُّ مِنْ أَعْمَادِهَا

بِعد ابن فاطمة المبارك جعفرٍ خير البرية كلها وأجلها
رُزءاً وأكرمها جميعاً محتدماً وأعزها متظلماً وأذلها
للحق حين ينوب غير تنحُّلٍ كذباً وأنداها يداً وأقلها
فُحشاً وأكثرها إذا ما يُجتدى فضلاً وأنداها يداً وأبلها
بالعرف غير محمدٍ لا مثله حتى من أحياء البرية كلها

وأما ابن رَواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، أبو محمد ويقال: أبو رواحة ، ويقال: أبو عمرو ، الأنصارى الخزرجى ، وهو خال النعمان بن بشير ، أخته عمرة بنت رواحة .

أسلم قديماً وشهد العقبة ، وكان أحد النقباء ليلتئذ لبني الحارث بن الخزرج ، وشهد بدرًا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وكان يبعثه على خَرَصها ، كما قدمنا ، وشهد عمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بغرزاها - يعنى الرُّكاب - وهو يقول :

* خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ *

الآيات كما تقدم .

وكان أحد الأمراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدم ، وقد شجّع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في ذلك ، وشجّع نفسه أيضاً حتى نزل بعد ما قُتل أصحابه ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادة فهو ممن يُقطع له بدخول الجنة .

ويروى أنه لما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم شعره حين ودعه الذي يقول فيه :

فَنَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنت فثبتك الله » قال . هشام بن غروة : فثبته الله حتى قُتل شهيدا ودخل الجنة .

وروى حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أن عبد الله بن رواحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا » . فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » . وقال البخارى فى صحيحه : وقال معاذ : اجلس بنا نُؤمن ساعة^(١) .

وقد ورد الحديث المرفوع فى ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، عن عمارة ، عن زياد النحوى ، عن أنس قال : كان عبد الله ابن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال نُؤمن برَبنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء فقال : يا رسول الله ألا ترى ابنَ رواحة ؟ يرَغِب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله ابنَ رواحة ، إنه يجب المجالس التى تتباهى بها الملائكة » . وهذا حديث غريب جدا .

وقال البيهقى : حدثنا الحاكم ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا أحمد ابن يونس ، حدثنا شيخ من أهل المدينة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى نُؤمن ساعة ، قال : أو نسنا بمؤمنين؟ قال : بلى ولكننا نذُكر الله فنزداد إيمانا .

وقد روى الخافظ أبو القاسم اللسكى^(٢) من حديث أبي اليمان ، عن صفوان بن سليم ، عن شريح بن عبيد ، أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه

(١) صحيح البخارى ٥/١ (٢) نسبة إلى اللك وهى بليدة من أعمال بركة الغرب . وفى الأصل : اللاكائى . وما أثبتته عن الباب ٧٠/٣

فيقول : قم بنا نُؤمِّن ساعةً فنجلس في مجلسٍ ذِكر .

وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول شرح البخارى والله الحمد والمنة .

وفي صحيح البخارى عن أبى الدرداء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في حر شديد ، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن رواحة رضى الله عنه .

وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، وما نقله البخارى من شعره في رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وفينا رسولُ الله نتلو كتابه إذا انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
بيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالمشركين المضاجعُ
أنى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقناتٌ أن ما قال واقعُ

وقال البخارى : حدثنا عمران بن ميسرة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عامر عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبدالله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى ؛ واجبله واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لى : أنت كذلك ؟ حدثنا قتيبة ، حدثنا خيشمة ، عن حصين ، عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبدالله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه .
وقد قدمنا مراثاه به حسان بن ثابت مع غيره .

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضى الله عنهم :
كفى حزناً أنى رجعتُ وجعفرٌ وزيدٌ وعبد الله فى رَمْسِ أَقْبُرِ
قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم وخلفتُ للبلوى مع المتغيرِ
وسياتى إن شاء الله تعالى بقية مراثى به هؤلاء الأمراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضى الله عنهما وأرضاهما .

فصل في ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين

فمن المهاجرين جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي ، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة العدوي ، ووهب بن سعد بن أبي سرح ، فهؤلاء أربعة نفر .

ومن الأنصار عبد الله بن رواحة ، وعبيد بن قيس الخزرجي ، والحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة النجاري ، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء المازني ، أربعة نفر .

فجموع من قُتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية ، على ما ذكره ابن إسحاق ، لكن قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزُّهري : أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيان ، وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى . فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً ، فالجموع على القولين اثنا عشر رجلاً .

وهذا عظيم جدا ، أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين ، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل ، من الروم مائة ألف ، ومن نصارى العرب مائة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلاً ، وقد قتل من المشركين خلق كثير !

هذا خالد وحده يقول : لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية ، فإذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها دَعَّ غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تحكوا في عبدة الصُّلبان عليهم لعائنُ الرحمن ، في ذلك الزمان وفي كل أوان .

وهذا مما يدخل في قوله تعالى : « قد كان لكم آية في فتنين التفتنة فتقاتل في سبيل الله وأخرى كافتة يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لَعبرة لأولى الأبصار » .

حديث فيه فضيلة عظيمة لأمرآة هذه السرية (١)

وهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم .

قال الإمام العالم الحافظ أبو زُرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازي ، نصر الله وجهه ، في كتابه دلائل النبوة - وهو كتاب جليل - : حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن جابر . وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ، حدثنا الوليد وعمرو - يعني ابن عبد الواحد - قال : حدثنا ابن جابر ، سمعت سليم بن عامر الخبائري يقول : أخبرني أبو أمامة الباهلي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذوا بضبعي ، فأتيا بي جبلا وعرأ فقالا : اصعد ، فقلت : لا أطيقه . فقالا : إنا سنسمله لك . قال : فصعدت حتى إذا كنت في سِواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت : ما هؤلاء الأصوات ؟ فقالا : عِواء أهل النار . ثم انطلقا بي فإذا بقوم معلقين بعراقيهم مُشَقَّقة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دما ، فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين يفترون قبل تحلة صومهم . فقال : خابت اليهود والنصارى » قال سليم : سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم من رأيه ؟

« ثم انطلقا بي ، فإذا قوم أشد شىء انتفاخاً وأنتن شىء ريحاً كأن ريحهم المرابيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء قتلى الكفار . ثم انطلقا بي فإذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن

شئ ریحاً كأن ریحهم المراحیض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء الزانون . والزواني . ثم انطلقا بی فإذا بنساء ينهش ثديهن الحيات ، قلت : ما بال هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألباسهن . ثم انطلقا بی فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء ذراری المؤمنین .

ثم أشرفا بی شرفاً فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هذا جعفر بن أبي طالب وزید بن حارثة وعبد الله بن رواحة . ثم أشرفا بی شرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق : وكان مما بُكى به أصحاب مؤتة قولُ حسان :

| | |
|---|---------------------------------|
| تأوَّبني ليلٌ بيثربَ أعسرُ | وهمٌ إذا ما نوتم الناسُ مُسهرُ |
| لذكري حبيب هيجت لي عبرةٌ | سفوحتُ وأسبابُ البكاء التذكرُ |
| بلى إنَّ فقدان الحبيب بليّةٌ | وكم من كريم يُبتلى ثم يصبرُ |
| رأيت خيامَ المسلمين تواردوا | شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخرُ |
| فلا يُبعدن الله قتلى تتابعوا ^(١) | بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفرُ |
| وزيدٌ وعبد الله حين تتابعوا ^(١) | جميعاً وأسبابُ المنية تحظرُ |
| غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم | إلى الموت ميمونُ النقيبة أزهَرُ |
| أغرّت كضوء البدر من آل هاشم | أبيُّ إذا سيم الظلّامة مُجسرُ |
| فطاعن حتى مال غير مؤسد | بمعتركٍ فيه القنا متكسرُ |

(١) الأصل : تتابعوا . وما أنبته من ابن هشام .

فصار مع المستشهدين ثوابه
 وكفا ترى في جعفر من محمد
 وما زال في الإسلام من آل هاشم
 هم جِبَلُ الإسلام والناس حولهم
 بهاليل منهم جعفر وابن أمه
 وحمزة والعباس منهم ومنهم
 بهم تفرج اللاواء في كل مآزق
 هم أولياء الله أنزل حكمه
 وقال كعب بن مالك رضى الله عنه :

نام العيونُ ودمعُ عينك يَهْمَلُ
 في ليلةٍ وردت على همومها
 واعتادنى حزنٌ فبتُّ كأننى
 وكأنما بين الجوانح والحشا
 وجداً على النفر الذين تتابعوا
 صلى الإله عليهم من فتية
 صبروا بنوثة للإله نفوسهم
 فمضوا أمام المسلمين كأنهم
 إذ يهتدون بجعفر ولوائه

سَحًا كما وكف الطَّيِّبُ الخُضْلُ (٤)
 طوراً أَحِنُّ وتارةً أتململُ
 بينات نعشٍ والسَّمَاكُ (٥) موَكَّلُ
 مما تأوَّبني شهابٌ مُدْخَلُ
 يوماً بُمُوتِة أسندوا لم يُنقلوا
 وسقى عظامهم الغمام المسبُلُ
 حذر الردى وخفاة أن ينفكوا
 فنق عليهم الحديد المرقل (٦)
 قدام أولهم فنعَم الأولُ

(١) الرضام : صخور عظام يوضع بعضها فوق بعض . (٢) في ١ : ويقهر . (٣) العماس : الظلم .
 (٤) الطباب : جمع طبابة وهى سير فى أسفل القرية بين الحرزتين فى المزايدة . وفى ١ : الضباب .
 وفى غيرها : الطباء . وهو تحريف . (٥) ١ : الشمال .
 (٦) الفئق : جمع فئيق ، وهو الفحل المكرم الذى لا يركب . والمرقل : السابغ .

حتى تفرّجت الصفوفُ وجعفرُ
فتغيّرَ القمرُ المنيرُ لفقده
قرمٌ علاً بنيانهُ من هاشم
قومٌ بهم عصمَ الإلهُ عباده
وعليتُ أعلامهم من يجملُ
ولا يُطلقون إلى السفاهِ حياهمُ
وتنمّت أعلامهم من يجملُ
ويرى خطيبهمُ بحقِّ يفصلُ^(٢)
تندى إذا اعتذرَ الزمانُ للمجملُ
وبهدّتهم رضى الإلهُ لخلقهم
وحيث التقى وعث الصفوفُ مجدّلُ^(١)
والشمسُ قد كسفت وكادت تأفلُ
فرعاً أشمَّ وسودداً ما يُنقلُ
وعليهم نزل الكتاب المنزلُ
ونعمت أعلامهم من يجملُ
ويرى خطيبهمُ بحقِّ يفصلُ^(٢)
تندى إذا اعتذرَ الزمانُ للمجملُ
وبهدّتهم نصر النبي المرسلُ

(٢) إطلاق الحياء : كناية عن النهضة للنجدة .

(١) الوعث : الاختلاط والالتحام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم
يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى الدخول في دين الإسلام

ذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذى الحجة بعد عمرة الحديبية ،
وذكر البيهقي هذا الفصل في هذا الموضوع بعد غزوة مؤتة . والله أعلم .

ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية ، لقول أبي سفيان
لهرقل حين سأله : هل يغدر ؟ فقال : لا ، ونحن منه في مدة لاندرى ماهو
صانع فيها .

وفي لفظ البخارى : وذلك في المدة التي ماد فيها أبو سفيان رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وقال محمد بن إسحاق : كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته عليه السلام . ونحن نذكر
ذلك هاهنا وإن كان قول الواقدي محتملا . والله أعلم .

وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المَعْنِي ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن أبي
عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب قبل
مؤتة إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل ، وليس
بالنجاشي الذي صَلَّى عليه .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن عباس ، حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال :

كنا قوماً تجاراً ، وكانت الحرب قد حَصَرَتْنا حتى نَهَكْتَ أموالنا ، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم^(١) نَأْمَنُ إن وجدنا أمناً ، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأةً ولا رجلاً إلا وقد حَمَلَنِي بضاعة ، وكان وَجْهٌ مَتَجِرْنَا من الشام غزوة من أرض فلسطين . فخرجنا حتى قَدِمْنَاها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ، ورُدَّ عليه صليبه الأعظم وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بمحصر من الشام فخرج منها يمشى متشكراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه تُبَسِّطُ له البسط وي طرح عليها الرياحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلى بها .

فأصبح ذات غداة وهو مَهْمُومٌ يَقلِّبُ طَرفه إلى السماء ، فقالت [له] ^(٢) بطارقتك : أيها الملك لقد أصبحت مهموماً ؟ فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر ، فقالوا : والله ما نعلم أمة من الأمم تحتين إلا اليهود وهم تحت يدك وفي سلطانك فإن كان قد وقع [ذلك] ^(٣) في نفسك منهم فابعث في مملكتك كلها فلا يَبْقَى يهودى إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم .

فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بُصْرَى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدثك عن حدث كان ببلادهم فاسأله عنه . فلما انتهى إليه قال لترجمانه : سألته ما هذا الخبر الذي كان في بلادهم ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في موطن ، فخرجت من بلادهم وهم على ذلك .

(١) : ١ (٣) : هذا .

(٢) ليست في ١ .

(٣) غير ١ : لا .

فلما أخبره الخبر قال : جرّدوه . فإذا هو مختن فقال : هذا والله الذي قد أريت
لا ماتقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .
ثم إنه دعا صاحب شُرطته فقال له : قلب لي الشام ظهراً لبطن حتى تأتي برجل من
قوم هذا أسأله ^(١) عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم علينا فسالنا : ممن أنتم ؟ فأخبرناه ،
فساقنا إليه جميعاً .

فلما انتهينا إليه قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى
من ذلك الأغلّف - يريد هرقل -

قال : فلما انتهينا إليه قال : أيكم أمسُّ به رجحاً ؟ فقلت : أنا . قال : أدنوه مني . قال :
فأجلسني بين يديه ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي وقال : إن كذب فردّوا عليه ، قال
أبو سفيان : فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردّوا علي ، ولكني كنت امرءاً سيّداً أتكرّم
وأستحي من الكذب ، وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرّووه عني ثم يتحدّثوا
به عني بمكة ، فلم أكذب به .

فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم . فزهدت له شأنه وصعّرت له
أمره [فوالله ما القفت إلى ذلك مني وقال لي : أخبرني عما أسألك عنه من أمره ^(٢)]
فقلت : سلني عما بدا لك .

فقال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت : محضاً من أو سَطْنَا نسباً .
قال : فأخبرني ، هل كان من أهل بيته أحدٌ يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟
فقلت : لا .

(٢) سقط من المطبوعة .

(١) ١ : فأسأله .

قال : فأخبرني هل له مُلكٌ فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوه عليه !
فقلت : لا .

قال : فأخبرني عن أتباعه ، من هم ؟ فقلت : الأحداثُ والضعفاء والمساكين ، فأما أشرفهم
وذوو الأنساب [منهم ^(١)] فلا . قال : فأخبرني عن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقلبه
 ويفارقه ؟ قلت : ما صحبه رجلٌ يفارقه .

قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت : سِجَالٌ يُدَالُ علينا ونُدَالُ عليه .
قال : فأخبرني هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً أغرّه به إلا هي ، قلت : لا ونحن منه في مدة
ولا نأمن غدره فيها . فوالله ما التفت إليها مني .

قال : فأعاد عليّ الحديث ، قال : زعمت أنه من أمّحَضِكُمْ نَسَبًا ، وكذلك يأخذ الله
النبيّ ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه . وسألتك : هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل
قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت : لا . وسألتك : هل كان له من مُلكٍ فاستلبتموه إياه فجاء بهذا
الحديث لتردّوا عليه ملكه ؟ فقلت : لا .

وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الأحداثُ والضعفاء والمساكين . وكذلك أتباع
الأنبياء في كل زمان .

وسألتك عن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه ؟ فزعمت أنه قلٌّ من يصحبه
فيفارقه . وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلبا فتخرج منه .

وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ؟ فزعمت أنها سِجَالٌ يُدَالُ عليكم وتداولون عليه ،
وكذلك يكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة . وسألتك هل يغدر فزعمت
أنه لا يغدر .

(١) ليست في ١ .

فلئن كنت صدقتني ليعلمنَّ على ما تحت قدمي هاتين ، ولوددتُ أنى عنده فأغسل

عن قدميه !

ثم قال : الحق بشأنك . قال : فقممت وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول : يا عباد الله لقد أمرُ ابنِ أبي كُبشة ، وأصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم . قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري قال : حدثني أسقف من النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين ، فإن أبيت فإن إثم الأكارين^(١) عليك .

قال : فلما انتهى إليه كتابه وقرأه أخذه فجعله بين يديه وخاصرته ، ثم كتب إلى رجل من أهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه : إنه النبي الذي يُنتظر لا شك فيه فاتبعه . فأمر بعضاء الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم أمر بها فأُشْرَجَتْ^(٢) عليهم ، واطلع عليهم من عليّة له وهو منهم خائف ، فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب أحمد ، وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر^(٣) ونُجْمَلُ ذكره في كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه^(٤) ، فأسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم . فنخروا نخرة رجل واحد ، وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم .

نفاهم وقال : ردوهم على . فردوهم عليه فقال لهم : يا معشر الروم ، إنى إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ؟ فلقد رأيت منكم ما سرّني . فوقموا له سجدا . ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا .

(٣) ١ : الذى ينتظر .

(٢) أُشْرَجَتْ : أغلقت .

(١) الأكار : الحرات .

(٤) ١ : بعلامات زمانه .

وقد روى البخارى قصة أبى سفيان مع هرقل بزيادات آخر، أحببنا أن نورد لها بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين وما فيهما من الفوائد .

قال البخارى قبل الإيمان من صحيحه : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، أنبأنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبى سفيان أخبره ، أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام ، فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماداً فيها أبى سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء ، فدعاهم فى مجلسه وحوله عطاء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً . قال : أدنوه منى وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سأئل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذّبني فكذّبوه . [قال^(٢)] فوالله لولا [الحياة من]^(٣) أن يأتروا عنى كذباً لكذبت عنه .

ثم كان أول ما سألتى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت^(١) : هو فينا ذونسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آباءه من ملك ؟ قلت : لا .

قال : فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفائهم ؟ قلت : بل ضعفائهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم يمكّننى كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف^(٣) كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال يئال منا ونئال منه . قال : ماذا يأمركم ؟

قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ^(١) ذو نسب ، وكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها .

وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلت : رجلٌ يتأسى بقول قبيل قبله .

وسألتك : هل كان من آباءه من مَلَأَ ؟ فذكرت أن لا ، فلو كان من آباءه من ملك قلت : رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك : هل كنتم تتهمونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن لِيَذَرَ الكذبَ على الناس ويكذبَ على الله !

وسألتك : أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاءهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل .

وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم .

وسألتك : أيرتدُّ أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك : بهم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .

فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضعَ قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ،

لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمتُ لقاءه ، ولو كنت عنده
لغسلتُ عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية إلى عظيم
بُضرى فدفعه إلى هرقل فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبد الله ورسوله
إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد ؛ فإني أدعوك بدعاية
الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين
و « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نُشركَ به
شيئاً ، ولا يتخذَ بعضنا بعضاً آرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا
بأننا مُسلمون » .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب
وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين خرجنا : لقد أمر امرؤ ابن
أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر !
فازلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

قال : وكان ابن الناطور صاحب إلبياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث
أن هرقل حين قدم إلبياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقه : قد استنكرنا
هيتك . قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاءً ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه :
إني رأيت حين نظرت في النجوم ملك الخلتان قد ظهر ، فمن يخبئن من هذه الأمة (١) ؟
قالوا : ليس يخبئن إلا اليهود ولا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا
من فيهم من اليهود .

(١) غير ١ : الأمم .

فبينما هم على أمرهم أتى هرقل رجل أرسل به ملك غسان نخبرهم عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختن هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختن ، وسأله عن العرب فقال : هم يختنون . فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم .

وسار هرقل إلى حمص فلم يرم^(١) حصّ حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي ، فأذن هرقل لعطاء الروم في دسكرة^(٢) له يحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت . ثم أطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح^(٣) والرشد وأن يثبت لكم ملككم ؟ فتبايعوا لهذا^(٤) النبي .

فخاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردّوهم على . وقال : إني إنما قلت مقاتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت .

فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر شأن هرقل .

قال البخارى : ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمّر عن الزهري .

وقد رواه البخارى في مواضع كثيرة في صحيحه بألفاظ يطول استقصاؤها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الزهري .

وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا لصحيح البخارى بما فيه كفاية ، وذكرنا ما فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية والله تعالى الحمد والمنة .

وقال ابن كهيمة عن الأسود ، عن عروة قال : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام

(١) لم يرم : لم يبرح . وفي الأصل بجمص . وما أثبتته عن البخارى .

(٢) الدسكرة : بناء كالمقصر حوله بيوت . (٣) ١ : الصلاح .

(٤) الأصل : فتبايعوا . وما أثبتته عن صحيح البخارى ١/٥

تاجراً في نفر من قريش ، وبلغ هرقل شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه يأمره ^(٢) أن يبعث إليه رجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً منهم أبو سفيان بن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها ، فقال هرقل : أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ما أمره ؟ قالوا : ساحر كذاب وليس بنبي .

قال : فأخبروني من أعلمكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا : هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله .

فلما أخبروه ذلك أمر بهم فأخرجوا عنه ، ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال : أخبرني يا أبا سفيان ؟ فقال : هو ساحر كذاب .

فقال هرقل : إني لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو والله من بيت قريش .

قال : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نعب له رأياً ^(٣) قط .

قال هرقل : هل كان حلاًفاً كذاباً مخادعاً في أمره ؟ قال : لا والله ما كان كذلك .

قال : لعله يطلب منكاً أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان :

لا . ثم قال : من يتبعه منكم . هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال : لا .

قال هرقل : هل يغدر إذا عاهد ؟ قال : لا إلا أن يغدر مدته هذه .

فقال هرقل : وما تخاف من مدته هذه ؟ قال : إن قومي أمثوا حلفاءهم على حلفائه

وهو بالمدينة . قال هرقل : إن كنتم أنتم بدأتم فأنتم أغدر .

(١) : أمر .

(٢) : فأمره .

(٣) : غير أ : لم يغب له رأى .

فغضب أبو سفيان وقال : لم يفلبنا إلا مرةً واحدةً وأنا يومئذ غائب ، وهو يوم بدر ، ثم غزوتُه مرتين في بيوتهم تنبقر البطونَ وتجدع الأذان والفروج .

فقال هرقل : كاذبا تراه أم صادقا ؟ فقال : بل هو كاذب .

فقال : إن كان فيكم نبيٌ فلا تقتلوه . فإن أفعال الناس لذلك اليهود .
ثم رجع أبو سفيان .

ففي هذا السياق غرابة ، وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ولا البخاري .

وقد أورد موسى بن عقبة في مغازيه قريبا مما ذكره عروة بن الزبير . والله أعلم .

وقال ابن جرير في تاريخه : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ،

عن بعض أهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إنى لأعلم أن صاحبك نبيٌ مُرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ، ولكنى أخاف الروم على نفسى ، ولولا ذلك لاتبعتك ، فذهب إلى صفاطر الأسقف فاذا ذكر له أمرَ صاحبكم ، فهو والله في الروم أعظم منى وأجوزُ قولاً عندهم منى ، فانظر ماذا يقول لك ؟

قال : فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وبما يدعو إليه ، فقال صفاطر : صاحبك والله نبيٌ مُرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه .

ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً وليس بيباضاً ثم أخذ عصاه ، ونحرج على الروم في الكنيسة فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله وإلى أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد عبده ورسوله . قال : فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه . قال : فلما رجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك ، إنا نخافهم على أنفسنا ، فصفاطر والله كان أعظم عندهم وأجوز قولاً منى .

[وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبي قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت : استأذنوا الرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتى قيصر فقيل له : إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله . ففرغ لذلك وقال : أدخله ، فأدخله عليه وعنده بطارقتة فأعطيته الكتاب فإذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم . ففخر ابن أخ له أحمر أزرق سَبِط^(١) فقال : لا تقرأ الكتاب اليوم فإنه بدأ بنفسه وكتب : صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم .

قال : فقرأ الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث إلى فدخلت عليه ، فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه - وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله - فلما قرأ الكتاب قال الأسقف : هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر . قال قيصر : فما تأمرني ؟ قال الأسقف : أما أنا فإني مصدِّقه ومُتَّبِعُه ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، إن فعلتُ ذهبَ ملكي وقتلاني الروم^(٢) .

وبه قال محمد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروجَ من أرض الشام إلى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي صلى الله عليه وسلم جمع الروم فقال : يا معشر الروم إني عارضٌ عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها . قالوا : ما هي ؟

قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبىٌّ مُرْسَلٌ ، نجده نمرقه بصفته التي وصف^(٣) لنا ، فهل فلننتبعه فنسلم لنا دنيانا وآخرتنا^(٤) .

(٢) سقط من أ .

(١) السبب : الطويل .

(٣) ١ : وصف . (٤) ١ : وأخرانا .

فقالوا : نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس مُلكاً ، وأكثره رجالاً وأقصاه بلداً !

قال : فهلم أعطيه الجزية كل سنة ، أ كسر عني شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه . قالوا : نحن نعطي العرب الذل والصغار نخرج يأخذونه منا ، ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمه ملكاً ، وأمنعه بلداً ! لا والله لا نفعل هذا أبداً .

قال : فهلم فلأصلحه على أن أعطيه أرضَ سورية وبيداعني وأرضَ الشام . قال : وكانت أرض سورية فلسطين والأردن ودمشق وحمص ، وما دون الدَّرب [من أرض ^(١)] سورية ، وما كان وراء الدَّرب عندهم فهو الشام .

فقالوا : نحن نعطيهِ أرضَ سورية ، وقد عرفت أنها سُرة ^(٢) الشام ، لا نفعل هذا أبداً .

فلما أبوا عليه قال : أما والله أكثرون ^(٣) أنكم قد ظفرتهم إذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال : ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرضَ الشام ثم قال : السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع . ثم ركض حتى دخل إلى القسطنطينية والله أعلم .

ذكر إرساله عليه السلام إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمه إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق ^(٤) .

قال الواقدي : وكتب معه : « سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن به ، وأدعوك ^(٥) »

إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » .

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) الأصل : أنها أرض سورية الشام . وما أثبتته عن الطبري ٦٥١/٣ .

(٣) الأصل : لتودن . والتصويب من الطبري . (٤) ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الأسدي

إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام . (٥) إلى أدعوك .

فقدِم شجاع بن وهب فقراه عليه فقال : ومن ينزع مُلكي ! إني سأسير إليه .

ذكر بعثه إلى كسرى ملك الفرس

روى البخارى من حديث الليث ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه ^(١) مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مرَّقه .

قال : فحسبت أن ابن المسيَّب قال : فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزَّقوا كلَّ ممزَّق .

وقال عبد الله بن وهب : عن يونس عن الزهرى ، حدثني عبد الرحمن بن القارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر خطيباً حمد الله وأنتى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم ، فلا تختلفوا على كذا اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم » .

فقال المهاجرون : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك فى شيء أبداً فررنا وابعثنا .

فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى ، فأمر كسرى بإيوانه أن يزين ثم أذن لعطاء فارس ، ثم أذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال كسرى : ادنه . فدنا فناوله الكتاب .

ثم دعا كاتباً له من أهل الخيرة فقراه فإذا فيه : « من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس » قال : فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصاح وغضب ومزَّق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع بن وهب فأخرج ،

فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ، ثم قال : والله ما أبالي على أى الطريقين أكون إذا أدّيتُ كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم !

قال : ولما ذهب عن كسرى سورة^(١) غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتمس فلم يوجد ، فطلب إلى الخيرة فسبق .

فلما قدّم شجاع على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مزّق كسرى ملكه » .

وروى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أبي سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن حذّافة [بكتابه^(٢)] إلى كسرى . فلما قرأه مزّقه ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مزّق ملكه » .

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد^(٣) ، حدثنا سلمة ، حدثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذّافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سَهْم إلى كسرى بن هُرْمز ملك فارس وكتب معه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين . فإن تسلم تسلم وإن أبيت فإن إمّ الجوس عليك » .

قال : فلما قرأه شقّه^(٤) وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبدى ؟ !

(٢) ليست فى ١ .

(٤) الطبرى : مزقه .

(١) ١ : ثورة .

(٣) غير ١ : حدثنا أحمد ابن حميد .

قال : ثم كتب كسرى إلى بازام وهو نائبه على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جَلْدِينِ فليأتياي به .

فبعث بازام ^(١) قهرمانه - وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخرة ^(٢) ، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال : لأبأذويه ^(٣) : إيت بلادَ هذا الرجل وكلّمه واثنتي بخبره .

ففرجا حتى قدما الطائفَ ، فوجدوا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه ، فقال : هو بالمدينة . واستبشَرَ أهلُ الطائف - يعني وقريش - بهما وفرحوا . وقال بعضهم لبعض : أبشروا فقد نَصَبَ له كسرى ملكَ الملوك ، كُنْهَيْمَ الرجل !

ففرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه أبأذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك بازام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثنى إليك لتنتقلق معي ، فإن فعلتَ كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّ عنك ، وإن أبيتَ فهو من قد عامتَ ، فهو مُهلِكك ومهلك قومك ومخرّب بلادك .

ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلّقا لحاهما وأعفياً شواربهما ، فكره النظرَ إليهما وقال : « ويلسكما من أمر كما بهذا ؟ ! » قالا : أمرنا ربنا - يعينان كسرى - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي » ثم قال : « ارجعا حتى تأتياي غداً » .

قال : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بأن الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله .

(١) ١ : باذانه . وفي الطبري ٢ / ٦٥٥ : باذان . (٢) في الطبري : خرخرسة .

(٣) الطبري : بابويه .

[في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله ^(١)] .
قال : فدعاها فأخبرها فقالا : هل تدري ماتقول ؟ إنا قد تقمنا عليك ماهو أيسرُ
من هذا ، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال : « نعم أخبراه ذاك عنى ، وقولا
له : إن دينى وسلطانى سيبلغ مابلغ كسرى وينتهى إلى الخلف والحافر ، وقولا له : إن
أسلمت أعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء » .

ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها إليه بعض الملوك .
فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فأخبراه الخبر فقال : والله ما هذا بكلام ملك ،
وإنى لأرى الرجل نبيا كما يقول ، وليكونن ماقد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي
مرسل ، وإن لم يكن فسرى فيه رأينا .

فلم ينشب باذام أن قديم عليه كتاب شيرويه : أما بعد ؛ إبنى قد قتلت كسرى ،
ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرم ^(٢) فى ثغورهم ، فإذا
جاءك كتابى هذا فخذلى الطاعة ممن قبلك ، وانطلق إلى الرجل الذى كان كسرى قد
كتب فيه فلا تهجه حتى يأتىك أمرى فيه .

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت
الأبناء من فارس من كان منهم باليمن .

قال : وقد قال باذويه لبازام : ما كلمت أحداً أهيب عندى منه . فقال له باذام :
هل معه شرط ؟ قال : لا .

قال الواقدى رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدى ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء
عشر ليال مضين من جمادى الآخرة ، من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها .

(٢) ١ : وغيرهم . وفى الطبرى ٦٥٦/٢ وتجميرهم . أى حبسهم .

(١) ليست فى ١ .

قلت : وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر حرام وهو قول بعض الشعراء :

قتلوا كسرى بليلاً مُحَرَّمًا فتولَّى لم يمتَّع بكفنٍ
وقال بعض شعراء العرب (١) :

وكِسْرَى إِذْ تَقَاسَمَهُ بَنُوهُ بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتَسَمَ اللَّحْمُ
تَمَخَّضَتِ الْمُنُونُ لَهُ يَوْمَ - أَيْ (٢) وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامٌ

وروى الحافظ البيهقي من حديث حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ، عن أبي بكر ، أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربي قد قتل الليلة ربك » .

قال : وقيل له : - - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - : إنه قد استخلف ابنته . فقال : « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » .

قال البيهقي : وروى في حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رسل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث بتوعد صاحب صنعاء ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني إلى دينه ؟ ! لتكفينه أو لأفعلن بك .

فبعث إليه ، فقال لرسله : « أخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال .

قال : وروى داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبي نحو هذا .

ثم روى البيهقي من طريق أبي بكر بن عيَّاش ، عن داود بن أبي هند ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : أقبل سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن في وجه

(١) ورد هذان البيتان في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٩ منسوبيين إلى خالد بن حق الشيباني .
(٢) سبقت الرواية : ألا . انظر الجزء الأول ص ٤٩ .

سعد خيراً « فقال : « يا رسول الله هلك كسرى » فقال : « لعن الله كسرى ، أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك كسرى لذئبك الرجلين ، يعنى الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه السلام وشاع في البلاد وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع ، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بوفق إخباره عليه السلام . وهكذا بنحو هذا التقرير ذكره البيهقي رحمه الله .

ثم روى البيهقي من غير وجه عن الزهري ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بعث له - أو قيض له - عارضٌ يُعرض عليه الحق فلم يُفجأ كسرى إلا برجل^(١) يمشى وفي يده عصاً فقال : يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكرس هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم لا تكسرها . فوَلَّى الرجل . فلما ذهب أرسل كسرى إلى حجابيه فقال : من أذن لهذا الرجل على ؟ فقالوا : مادخل عليك أحدٌ . فقال : كذبتم ، قال : فنضب عليهم وتهددهم ثم تركهم .

قال : فلما كان رأسُ الحَوْلِ أتى ذلك الرجلُ ومعه العصا ، فقال : يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكرس هذه العصا ؟ قال : نعم لا تكسرها .

فلما انصرف عنه دعا حُجَّابَه فقال لهم كلمة الأولى .

فلما كان العامُ المستقبلُ أتاه ذلك الرجلُ معه العصا فقال له : هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكرس العصا ؟ فقال : لا تكسرها لا تكسرها . فكسرها^(٢) .

(٢) : لا تكسرها . فكسرها .

(١) : بالرجل .

فأهلك الله كسرى عند ذلك .

وقال الإمام الشافعي : أنبأنا ابن عيينة ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي ^(١) نفسى بيده لَتُنْفَقَنَّ كنوزهما في سبيل الله » .
أخرجه مسلم من حديث ابن عيينة وأخرجاه من حديث الزهري به .

قال الشافعي : ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزقّه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يمزق مُلكه » . وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعهُ في مِسْك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَبَتَ مُلْكُهُ » .

قال الشافعي وغيره من العلماء : ولما كانت العربُ تأتي الشامَ والعراقَ للتجارة فأسلمَ من أسلمَ منهم ، شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » .

قال : فبادَ مُلْكُ الأَكاسرة بالكلية ، وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية ، وإن ثَبَتَ لهم مُلْكٌ في الجملة ، ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم حين عَظَّمُوا كتابه . والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن ملك الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام .
وكانت العرب تسمى قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم ، وكسرى لمن ملك الفرس ، والنجاشي لمن ملك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وفرعون

(١) غير ا : فوالذي .

لمن ملك مصر كافرأ ، وبطليموس لمن ملك الهند . ولهم أعلام أجناس غير ذلك ، وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ^(١) والله أعلم .

وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبي عوانة ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَفْتَحْن عَصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَفَوْزَ كَسْرَى فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ » .

وروى أسباط ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سمرة مثل ذلك وزاد : وكنت أنا وأبي فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم .

بَعَثَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَقَوْسِ

صاحب مدينة الإسكندرية ، واسمه جريح بن مينا القبطي

قال يونس بن بُكَيْرٍ عن ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد القاري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقَبِلَ الْكِتَابَ وَأَكْرَمَ حَاطِبًا وَأَحْسَنَ نَزْلَهُ وَسَرَّحَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَهْدَى لَهُ مَعَ حَاطِبِ كَسْوَةً وَبَغْلَةً بِسَرَجِهَا وَجَارِيَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا أُمُّ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَوَهَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُحَمَّدِ بْنِ قَيْسِ الْعَبْدِيِّ .

رواه البيهقي .

ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن أبيه ، عن جده حاطب بن أبي بلتعة قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، قال : فحُتِنْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَنِي فِي مَنْزِلِهِ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ وَقَدْ جَمَعَ بِطَارِقَتِهِ وَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ كَلَامٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَفْهَمَ عَنِّي . قَالَ : قُلْتُ : هَلُمُّ . قَالَ أَخْبَرَنِي عَنْ صَاحِبِكَ أَلَيْسَ هُوَ نَبِيٌّ ؟ قُلْتُ : بَلَى

هو رسول الله . قال : فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال : قُلت : عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال : بلى . قلت : فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ، ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لى : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسل معك ببذرقة^(١) يبذرقونك إلى مأمئك .

قال : فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار منهن أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ابن ثابت الأنصارى ، وأرسل إليه بطرف من طرفهم .

وذكر ابن إسحاق أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوار إحداهن مارية أم إبراهيم ، والأخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان قلت : وكان في جملة الهدية غلام أسود خصى اسمه مأبور ، وخفان ساذجان أسودان وبغلة بيضاء اسمها اللدليل .

وكان مأبور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره^(٢) بادى الأمر ، فصار يدخل على مارية ، كما كان من عادتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصى ، حتى قال بعضهم : إنه الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب بقتله فوجده خصياً فتركه . والحديث فى صحيح مسلم من طريق [حماد بن سلمة] قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو بن عبدود أخا بنى عامر بن لؤى إلى هودبة بن على صاحب اليمامة . وبعث العلاء بن الحضرمى إلى جيفر ابن الجندى وعمار بن الجندى الأزديين صاحبي عمان^(٣) .

(١) البذرقة : الحفارة .

(٢) انظر الإصابة ٦/١٣ .

(٣) ابن هشام : بعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين . وبعث عمرو بن العاص

السهمى إلى جيفر وعبد ابنى الجندى . وبعث سليط بن عمرو . . إلى ثمامة بن أنال وهودبة بن على .

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقي هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بلى وعبد الله ومن يليهم من قضاة .

قال عروة بن الزبير : وبنو بلى أخوال العاص بن وائل ، فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضى الله عنهم أجمعين ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ابن الجراح .

قال موسى بن عقبة : فلما قدموا على عمرو قال : أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستمده بكم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنما أنتم مدد أمددته .

فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجلاً حسن الخلق لين الشيمة - قال : تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا قدمت على صاحبك فتطأوا » وإنك إن عصيتني لأطعنك . فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو ابن العاص .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام^(١)

(١) ابن هشام : إلى الشام . ولعله تحريف .

وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بليّ ، فبعته رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاس - وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاس - قال : فلما كان عليه وخاف بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجّهه : « لا تختلفا » .

فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مدداً لي ، فقال له أبو عبيدة : لا ولسكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه .

وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً ، هيئاً عليه أمر الدنيا . فقال له عمرو : [بل]^(١) أنت مددي . فقال له أبو عبيدة : يا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لي : « لا تختلفا » وإنك إن عصيتني أطعتك فقال له عمرو : فإني أميرٌ عليك وإنما أنت مددي . قال : فدونك . فصلّى عمرو بن العاص بالناس .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن يزيد بن رومان ، أن أبا عبيدة لما آب إلى عمرو بن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بليّ ودوخها ، وكما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك^(٢) تفرقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بليّ وغذرة وبلقين ، ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتلوا ساعة ، وتراموا بالنبيل ساعة ، ورُمى يومئذ عامرُ بن ربيعة وأصيبت ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرقوا ، ودوخ عمرو ما هناك وأقام أياماً لا يسمع لهم يجتمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم .

(٢) ١ : « بذلك » .

(١) من ابن هشام .

وقال أبو داود، حدثنا ابن المنني، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، سمعت يحيى ابن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن ابن جبير، عن عمرو بن العاص، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، قال: فتيمنت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» قال: فأخبرته بالذي منعتني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: «ولا تقموا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً» فضحك نبي الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً.

حدثنا محمد بن سلمة [أخبرنا ابن وهب] (١) حدثنا ابن لهيعة (٢) وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أنس، عن عبد الرحمن بن جبير (٣)، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص - وكان على سبئية (٤) فذكر الحديث بنحوه - قال: فغسل مغسبته وتوضأ (٥) وضوءه للصلاة ثم صلى بهم. فذكر نحوه ولم يذكر التيمم.

قال أبو داود: وروى هذه القصة عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، وقال فيه: فتيمم.

وقال الواقدي: حدثني أفلح بن سعيد، عن أبي عبد الرحمن بن رقيش، عن أبي بكر بن حزم قال: كان عمرو بن العاص حين قفلوا احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد، فقال لأصحابه: ماترون والله، احتلمت فإن اغتسلت مت. فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم، ثم قام فصلى بهم، فكان أول من بعث عوف بن مالك يريداً.

(٢) سنن أبي داود: عن ابن لهيعة.

(١) من سنن أبي داود ٥٦/١.

(٣) قال أبو داود: عبد الرحمن بن جبير مصري مولى خارجة بن حذافة، وليس هو ابن جبير بن نغير.

(٤) أبو داود: أن عمرو بن العاص كان على سبئية. (٥) المغابن: بواطن الأفضاخ.

قال عوف : فقدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السَّحَر وهو يصلي في بيته ، فسلمت عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عوفُ بن مالك ؟ » فقلت : عوف بن مالك يارسول الله . قال : « صاحب الجزور ؟ » قلت : نعم . ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً . ثم قال : « أخبرني » فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان بين أبي عبيدة وعمرو ومطاوعة أبي عبيدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح . »

قال : ثم أخبرته أن عمراً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء ، لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذي بعثك بالحق إني لو اغتسلت لمت ، لم أجد برداً قط مثله ، وقد قال تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً » .

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبلغنا أنه قال شيئاً .

وقال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص ، وهي غزوة ذات السلاسل ، فصحبتُ أبا بكر وعمر ، فررت بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يبعضوها ، وكنت امرءاً جازراً ، فقلت لهم : تعطوني منها عُشراً^(١) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني ، وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أتى لك

(١) العشر : النصيب من لحم الجزور . وفي ١ : عشيرا .

هذا اللحم يا عوف؟ فأخبرتهما فقالا : لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا . ثم قاما يتقيّان ما في بطونهما منه .

فما أن قفل الناس من ذلك السفر كملت أولَ قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنته وهو يصلى في بيته ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال : « أعوف بن مالك ؟ » فقلت : نعم بأبي أنت وأمي . فقال : « صاحب الجزور ؟ » ولم يزد على ذلك شيئاً .

هكذا رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك ، وهو منقطع بل مُعضل .

قال الحافظ البيهقي : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لقيط ، عن مالك بن زهدهم ، أظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه إلا أنه قال : فمرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال : قد تعجّلت أجرك ولم يأكله .

ثم حكى عن أبي عبيدة مثله ، ولم يذكر فيه أبا بكر ، وتماهه كنعو ماتقدم .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا خالد الحذاء ، عن أبي عثمان النهدي ، سمعت عمرو بن العاص يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسي أنه لم يبعثنى على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده ، قال : فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت : يا رسول الله من أحبُّ الناس إليك؟ قال : « عائشة »؟ قلت : إني لست أسألك عن أهلك . قال : « فأبوها » قلت : ثم من؟ قال : « عمر » قلت : ثم من؟ حتى عدّده رهنطاً . قال : قلت في نفسي : لا أعود أسأل عن هذا .

وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين من طريق خالد بن مهران الخدّاء ، عن أبي عثمان النهدي ، واسمه عبد الرحمن بن مُل ، حدثني عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأثبته فقلت : أىّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « ثم عمر بن الخطاب » فعدّ درجالا . وهذا لفظ البخارى . وفي رواية قال عمرو : فسكتُ مخافة أن يجعلنى فى آخرهم .

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

قال الإمام مالك ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة . قال جابر : وأنا فيهم .

فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فنى الزاد فأمر^(١) أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كله ، فكان مزودى تمرأ ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فنى ولم يكن يصيبنا إلا تمرّة تمرّة ، قال : فقلت : وما تغنى تمرّة ؟ فقال : لقد وجدنا فعدّها حين فنىت !

قال : ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوتٌ مثل الظرب^(٢) . قال : فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ، ثم أمر براحلته فرحلت ثم مرّت تحتها فلم يصبهما .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك بنحوه .

وهو في الصحيحين أيضاً من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر

(٢) الظرب : الجبل المنبسط أو الصغير .

(١) غير ا : فأتوا أبا عبيدة .

قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نَرَصِدَ عَيْراً لقريش ، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخَبَطَ ^(١) ، فسمى ذلك الجيش جيشَ الخَبَطِ . قال : ونحمر رجل ثلاثَ جزائر ثم نحمر ثلاثَ جزائر ثم ثلاثاً . فهما أبو عبيدة . قال : وألقى البحرُ دابةً يقال لها العنبر ، فأكلنا منها نصف شهر وأدهنا حتى ثابت إلينا أجسامنا وصَلَحَتْ . ثم ذكر قصة الضلع .

فقوله في الحديث : « نَرَصِدَ عَيْراً لقريش » دليل على أن هذه السَّرية كانت قبل صلح الحديبية . والله أعلم . والرجل الذي نحمر لهم الجزائر هو قيسُ بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، حدثنا إسماعيل بن قتيبة ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو خَيْثَمَةَ ، وهو زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة تلتقى عيراً لقريش ، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرَ تمر . قال فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نمصها كما يمصُّ الصبيُّ ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يوماً إلى الليل . وكنا نضرب بعصينا الخَبَطَ ثم نبأله بالماء فنأكله .

قال : فانطلقنا إلى ساحل البحر فرَفِعَ لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم ، فأتيناه فإذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : مَيِّتة . ثم قال : لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم فاكلوا . قال : فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ، ولقد كنا نفرح من وَقْبِ ^(٢) عينه بالقلال الدهن ،

(٢) الوقب : كل قرة في الجسد كقرة العين والكتف .

(١) الخبط : ورق الشجر .

ونقطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقدم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير منها فمر تحتها ، وتزوّدنا من لحمها وشائق^(١) ، فلما قدّمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال: « هو رزق أخرج الله لكم ، فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منه .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، وأحمد بن يونس وأبو داود عن النخعي ، ثلاثهم عن أبي خيثمة زهير بن معاوية الجعفي الكوفي ، عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الأنصاري به .

قلت : ومقتضى أكثر هذه السيّاقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ، ولكن أوردناها ها هنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمه الله ، فإنه أوردتها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح . والله أعلم .

وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد إلى الحركات من جبهة فقال : حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين بن جندب ، حدثنا أبو ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرة فصبّحنا القوم فهزمنام ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناها قال : لا إله إلا الله . فكف الأنصاري وطعنته برمحى حتى قتلتها ، فلما قدّمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أسامة أقتلتها بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قلت : كان متعوّذاً ، فما زال يكررها حتى تمتيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف .

(٥) الوشائق : جمع وشيقة ، وهى لحم يقدد حتى يبیس .

ثم روى البخارى من حديث يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات ، علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضى الله عنهما .

ثم ذكر الحافظ البيهقي هاهنا موت النجاشى صاحب الحبشة على الإسلام ونعى رسول الله صلى الله عليه وسلم له إلى المسلمين وصلاته عليه .

فروى من طريق مالك ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى إلى الناس النجاشى في اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلّى فصّفّ بهم وكبّر أربع تكبيرات .

أخرجاه من حديث مالك ، وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل ، عن الزهرى ، عن سعيد وأبى سلمة ، عن أبى هريرة بنحوه .

وأخرجاه من حديث ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مات اليوم رجل صالح فصلّوا على أضحمة » .

وقد تقدمت ^(١) هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها والله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشى كان قبل الفتح بكثير ، فإن فى صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشى ، وليس هو بالمسلم . وزعم آخرون كالواقدي أنه هو والله أعلم .

وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي ، عن موسى بن عقبة ،

عن أبيه ، عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال :
« قد أهديت إلى النجاشي أواقٍ من مسك وحلّة وإني لأراه قد مات ، ولا أرى الهدية
إلا ستردّ عليّ ، فإن ردّت عليّ - أظنه قال - قسّمتها بينك ، أو فهي لك » .
قال : فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات النجاشي ورُدّت الهدية ، فلما
ردت عليه أعطى امرأةً من نسائه أوقية ، من ذلك المسك ، وأعطى سائرَه أمّ سلمة ،
وأعطاها الحلّة . والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

غزوة الفتح الأعظم

وكانت في رمضان سنة ثمان .

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى : « لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى ^(١) » الآية . وقال تعالى : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا » .

وكان سببُ الفتح بعد هذنة الحديبية ما ذكره محمد بن إسحاق : حدثني الزُّهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، أنهما حدثاه جميعاً قالا : كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم [دخل ^(٢)] . فتوالت خزاعة وقالوا : نحن ندخل في عقد محمد وعهده وتوالت بنو بكر وقالوا : نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم .

فمكثوا في تلك المدة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ، ثم إن بنى بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بئاء يقال له الوتير ، وهو قريب من مكة ، وقالت قريش : ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد . فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقتلهم معهم للضعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن عمرو بن سالم ركب عند ما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوتير حتى قدم على

(٢) ابن هشام : ومن أحب أن يدخل . . فليدخل .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدتها إياه :

ياربِّ إني ناشدُ محمداً حلفَ أبيه وأبيننا الأتلاً^(١)
قد كنتمْ وُلداً وكنا والداً ثُمّتَ أسلمنا فلم نَنزِعْ يداً
فانصر رسول الله نصراً أبداً وادعُ عبادَ الله يأتوا مدداً
فيهم رسولُ الله قد تجرّداً إن سيمَ خَسفاً وجههُ تربداً
في فيلقٍ كالبحر يجرى مُزبداً إن قريشاً أخلقوك الموعدا
ونَقضوا ميثاقك المؤكّداً وجعلوا لي في كداء رصداً^(٢)
وزعموا أن لستُ أدعو أحداً فهم أذلُّ وأقلُّ عدداً
هم يديتونا بالوتير هُجّداً وقتلونا رُكعاً وسُجّداً

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نصرت يا عمرو بن سالم » فما برح حتى مرّت بنا عانة^(٣) في السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذه السحابة لتستهلّ بنصر بني كعب » .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ بالجهازِ وكتّمهمم خُرجه ، وسأل الله أن يعمّي على قريش خبره حتى يبيغتهم في بلادهم .

قال ابن إسحاق : وكان السبب الذي هاجهم أن رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك ابن عباد ، من حلفاء الأسود بن رزن ، خرج تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بني خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة

(٢) كداء : جبل بأعلى مكة .

(١) الأتلا : القديم .

(٣) العنان : السحاب .

قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رِزْن الدَّيْلِي ، وهم مَفْخَر بنى كِنانة وأشرفهم ؛ سلى
وكلثوم وذؤيب ، فقتلهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من الدليل قال : كان بنو الأسود بن رِزْن يودون
في الجاهلية دِيَّتَيْن ديتين [ونودي ديةً ديةً لفضلهم فينا]^(١) .

قال ابن إسحاق : فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حَجَز بينهم الإسلامُ ، فلما
كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانت الهدنة ، اغتتمها بنو الدَّيْل من بنى بكر وأرادوا أن يصيبوا من
خزاعة ثأراً من أولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدَّيْلِي في قومه وهو يومئذ سيدهم
وقائدهم وليس كلُّ بنى بكر تابعه ، فبيت خزاعة وهم على الوتير - ماء لهم - فأصابوا
رجلاً منهم وتجاوزوا واقتتلوا ، ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من
قريش من قاتل بالليل مُستخفياً حتى حاوزوا^(٢) خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت
بنو بكر : إنا قد دخلنا الحرم إهلك إهلك ! فقال كلمة عظيمة : لا إله اليوم يا بنى بكر
أصيبوا ثأركم فلمعمرى إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم !

ولجأت خزاعة إلى دار بُدَيْل بن ورقاء بمكة وإلى دار مولى لهم يقال له رافع ، وقد
قال الأَخْزَر بن لُعط الدَّيْلِي في ذلك :

أهل أتى قُصوى الأحابيش أننا رددنا بنى كعب بأفوق ناصِل^(٣)
حبسناهم في دارِ العبدِ رافعٍ وعندَ بُدَيْلٍ مُحْبَساً غير طينِ
بدار الدليلِ الآخذِ الضِّيمَ بعد ما شَفِينا النفوسَ منهمُ بالمتأصلِ

(٢) حاوزوا : ساقوا .

(١) من ابن هشام .

(٣) الأفوق : السهم الذى وضع فوقه فى الوتر . والناصل : ماله نصل وهو حد السهم .

حبسناهم حتى إذا طال يومهم
 نذبهم ذبح الثيوس كأننا
 (١) نَفَحْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْبٍ بَوَابِلِ
 (٢) أَسْوَدُ نُبَارِي فِيهِمْ بِالْقَوَاصِلِ
 (٣) وَكَانُوا لَدَى الْأَنْصَابِ أَوْلَ قَاتِلِ
 (٤) كَانَهُمْ بِالْجَزْعِ إِذْ يَطْرُدُونَهُمْ
 (٥) قَفَا تَوْرُ حُفَانُ النِّعَامِ الْجَوَافِلِ (٦)

قال : فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب ، وكان يقال له بديل ابن أم أصرم فقال :

تعاقد قومٌ يفخرون ولم ندع
 أمن خيفة القوم الأولى تزدريهم
 وفي كل يوم نحن نحبو حباءنا
 ونحن صبحنا بالتلاعة دارم
 ونحن منعنا بين بيض وعتود
 ويوم الغميم قد تكفت ساعياً
 (١) إِنْ أُجْمِرَتْ فِي بَيْتِهَا أُمَّ بَعْضِكُمْ
 كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمْ
 (٢) لَهُمْ سَيْدًا يَنْدُوهُمْ غَيْرَ نَافِلِ
 تَجِيزِ الْوَتِيرِ خَانِقًا غَيْرَ آيِلِ
 لعقلٍ ولا يُحْبِي لَنَا فِي الْمَعَاوِلِ
 بِأَسْيَافِنَا يَسْبِقُن لَوْمَ الْعَوَازِلِ (٤)
 (٥) إِلَى خَيْفِ رَضْوَى مِنْ مَجْرِ الْقَبَائِلِ
 (٦) عُيَيْسٌ فُجِعْنَاهُ بِجَلْدِ حُلَاحِلِ (٧)
 (٨) يَجْمَعُوسَهَا تَنْزُونُ إِنْ لَمْ نَقَاتِلِ (٩)
 وَلَكِنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُمْ فِي بَلَابِلِ

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد ويزيد في المدة » .

- (١) الشعب : المطمش بين جبلين . والوابل : المطر الشديد . (٢) القواصل : السيوف القواطع .
 (٣) نور : جبل بمكة ومنعه من الصرف لأنه أراد به البقعة . وقفاه . وراءه . وتروى : بفانور . قال أبو ذر : ظاهره أنه اسم موضع . والحفان : صفار النعام . والجوافل : الهاربة المسرعة .
 (٤) التلاعة : ماء لبني كنانة بالحجاز .
 (٥) بيض : من منازل بني كنانة بالحجاز . وعتود : ماء لـكنانة .
 (٦) تكفت : حاد عن طريقه . والجلد : القوي . والحلاحل : السيد الشجاع .
 (٧) الجمعوس : الرجيع . وأجمرت : رمت به بسرعة . يريد : الفزع والحذر .

قال ابن إسحاق : ثم خرج بُدَيْلُ بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعُسْتَمَانَ قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدُّ العقدَ ويزيد في المدة وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلما لقي أبو سفيان بدِيلاً قال : من أين أقبلتَ يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سرت في خزاعة في هذا الساحل في بطن هذا الوادي . قال : فعمد أبو سفيان إلى مَبْرُك ناقته فأخذ من بعرها ففتته فرأى فيه النوى . فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته ، فقال : يا بنية ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش أو رَغبتِ به عني ؟ فقالت : هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراشه . فقال : يا بنية والله لقد أصابك بعدى شرّاً !

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أنا بقاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فوالله لو لم أجد لكم إلا الذرَّ^(١) لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على عليّ ابن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندها حسن غلام يدبُّ بين يديهما ، فقال : يا عليّ إنك أمسّ القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة ، وقد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ويحك أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمرٍ ما نستطيع أن نكلّمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس

(١) الذر : النمل . وهو كالنمل ، لأن الذر لا يقا تل به .

فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت: والله ما بلغ بني ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال: يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدّت على فانصحنى. قال: والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك. فقال: أو ترى ذلك مُعْنِيّاً عنى شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إنى قد أجزت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق، فلما أن قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلّمته، فوالله ما ردّ علىّ شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً، ثم جئت عمر فوجدته أعدىّ عدوّ، ثم جئت عليّاً فوجدته ألين القوم، وقد أشار علىّ بأمر صنعته فوالله ما أدري هل يغنى عنّا شيئاً أم لا؟ قالوا: بماذا أمرك؟ قال: أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت. قالوا: هل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنّا ما قلت. فقال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

[فائدة ذكرها السهيلي. فتكلم على قول فاطمة في هذا الحديث: «وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم» على ما جاء في الحديث: «ويجير على المسلمين أديانهم» قال: وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجير واحداً أو نفراً يسيراً، وقول فاطمة: فمن يجير عدداً من غزو الإمام إياهم فليس له ذلك. قال: كان سحنون وابن المساجشون يقولان: إن أمان المرأة موقوف على إجازة الإمام لقوله لأم هانئ: «قد أجزنا من أجزت يا أم هانئ» قال: ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد وفي قوله عليه السلام: «ويجير عليهم أديانهم» ما يقتضى دخول العبد والمرأة. والله أعلم] (١).

وقد روى البيهقي من طريق حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن
أبي هريرة قال : قالت بنو كعب :

اللهم إني ناشدُ محمدًا حِلْفَ أَيْنَا وأَيِّهِ الأَنْدَا
فانصر هداك الله نصرًا أعتدنا وادعُ عبادَ الله يأتوا ممددًا^(١)

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة : ثم إن بني نِفْثَانَةَ من بني الدَّيْلِ أغاروا على بني
كعب ، وهم في المدة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وكانت بنو
كعب في صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت بنو نِفْثَانَةَ في صلح قريش ، فأعانت
بنو بكر بني نِفْثَانَةَ ، وأعانتهم قريش بالأسلح والريقت ، واعتزلتهم بنو مُدَلْجٍ ووفوا بالهد
الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي بني الدَّيْلِ رجالان هما
سيداهم ؛ سلمى بن الأسود وكنثوم بن الأسود ، ويذكرون أن ممن أعانهم صفوان بن
أمية وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو .

فأغار بنو الدليل على بني عمرو وعامتهم ، زعموا ، نساء وصبيان وضعفاء الرجال
فأجأوهم وقتلواهم حتى أدخلوهم إلى دار بُدَيْلِ بن ورقاء بمكة .
فخرج ركبٌ من بني كعب حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له الذي
أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ارجعوا فتنفروا في البلدان » .

وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخوف الذي كان ،
فقال : يا محمد اشدد العقد وزدنا في المدة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولذلك
قدمت ؟ هل كان من حدث قبلكم ؟ » فقال معاذ الله ! نحن على عهدنا وصلحنا يوم
الحديبية لا نغيّر ولا نبذل .

(١) الأعتد : الحاضر .

نُخْرِجُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ : جَدُّ الْعَقْدِ وَزَدْنَا فِي الْمَدَةِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : جَوَارِي فِي جَوَارِ سَوْلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ لَوْ وَجَدْتَ الذَّرَّ تَقَاتَلَكُمْ لِأَعْنَتِهَا عَلَيْكُمْ .

ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : مَا كَانَ مِنْ حَلْفِنَا جَدِيدًا فَأَخْلَقَهُ اللَّهُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مَثْبُتًا فَقَطَعَهُ اللَّهُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مَقْطُوعًا فَلَا وَصَلَهُ اللَّهُ ! فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ : جُزَيْتَ مِنْ ذِي رَحْمٍ شَرًّا .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عُمَانَ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ عُمَانُ : جَوَارِي فِي جَوَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اتَّبَعَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ يَكْلِمُهُمْ فَكَلَّمَهُمْ يَقُولُ : عَقَدْنَا فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا بَيَّسَ مَا عِنْدَهُمْ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهَا فَقَالَتْ : إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهَا : فَأَمْرِي أَحَدًا ابْنِيكَ . فَقَالَتْ : إِنَهُمَا صَبِيانَ لَيْسَ مِثْلَهُمَا يَجِيرُ . قَالَ : فَكَلَّمِي عَلِيًّا . فَقَالَتْ : أَنْتَ فَكَلَّمَهُ .

فَكَلَّمَهُ عَلِيًّا فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَفْيَانَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَاتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَارِ ، وَأَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ وَأَكْبَرُهَا وَأَمْنَعُهَا فَأَجِرْ بَيْنَ عَشِيرَتِكَ . قَالَ : صَدَقْتَ وَأَنَا كَذَلِكَ . فَنُخْرِجُ فَصَاحَ : أَلَا إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَنْ يُخْفَرَنِي أَحَدٌ .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَنْ يُخْفَرَنِي أَحَدٌ وَلَا يَرُدُّ جَوَارِي . فَقَالَ : « أَنْتَ تَقُولُ يَا أَبَا حَنْظَلَةَ » فَنُخْرِجُ أَبُو سَفْيَانَ عَلَى ذَلِكَ .

فَرَضُوا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ أُدْبِرَ

أبو سفيان : « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بفتنة ولا يسمعوا بنا إلا فجأة » .

وقدم أبو سفيان مكة فقالت له قريش : ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال : لا والله لقد أبي عليّ ، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أن عليّ بن أبي طالب قد قال لي : التمس جوار الناس عليك ولا تجر أنت عليه وعلى قومك ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها ألا تخف جواره . فقلت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أني قد أجزت بين الناس وقلت : ما أظن أن تخفني . فقال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة . فقالوا مجيبين له : رضيت بغير رضى ، وجئنا بما لا يعنى عنا ولا عنك شيئاً ، وإنما لعب بك على لعمرك الله ! ما جوارك بجائر وإن إخفارك عليهم لهين .

ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت : قبّحك الله من وافد قوم ! فما جئت بخير .

قال : ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سحابة فقال : « إن هذه السحابة لتبض بنصر بنى كعب » .

فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يمكث بعد ما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفي ذلك .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تُدسَف وتُنقى ، فقال لها : يا بنية لم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت . فقال : أيريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفزوا؟ فصمتت ، فقال : يريد بنى الأصفر - وهم الروم - ؟ فصمتت ، قال : فلعله يريد أهل نجد؟ فصمتت . قال : فلعله يريد قريشاً؟ فصمتت .

قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله أتريد أن تخرج
تخرجاً ؟ قال : نعم . قال : فلعلك تريد بنى الأصفر ؟ قال : لا . قال : أتريد أهل نجد ؟ قال :
لا . قال : فلعلك تريد قريشاً ؟ قال : نعم . قال أبو بكر : يا رسول الله أليس بينك
وبينهم مدة ؟ قال : « ألم يبلغك ما صنعوا بيني كعب ؟ » .

قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن
أبي بلتعة إلى قريش ، وأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الكتاب . وذكر
القصة كما سيأتي .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة أن أبا بكر
دخل على عائشة وهي تغربل حنطة فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجهاز ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد
أمرنا بالجهاز .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة
وأمر بالجد والتهيؤ وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبتغها في بلادها »
فتجهز الناس .

فقال حسان يمرض الناس ويذكر مصاب خزاعة :

عَنانِي ولم أشهد ببطحاء مكة رجالُ بني كعب تُحزُّ رقابها
بأيدي رجالٍ لم يسألوا سيوفهم وقتلي كثير لم تجن ثيابها (١)
الآليت شعري هل تفالن نصرتي سهيل بن عمرو حرَّها وعقابها (٢)

(١) لم تجن : لم تستر . يريد أنهم قتلوا ولم يدفنوا .
(٢) ابن هشام : وخزها . وكذلك رواية الديوان .

وصَفْوَانُ عوداً حُزَّ من شفر استه فهذا أوَانُ الحربُ شُدَّ عِصَابُهَا (١)
فلا تَأْمَنْنَا يَا بنِ أمِ مُجَالِدٍ إذا احتَلَبْتَ صِرْفًا وَأَعْصَلَ نَابُهَا (٢)
ولا تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِن سِوْفُنَا لها وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بِأُهَا
قِصَّةُ حَاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعَةَ

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزيّنة ، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جُمُلاً على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يحذّرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » .

فخرجا حتى أدركاها بالحليفة حليفة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها فالتصاه في رَحْلِهَا فلم يجدا فيه شيئاً ، فقال لها على : إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذَبنا ، ولتخرجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك . فلما رأت الجِد منه قالت : أعرض . فأعرض ، فخلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً فقال : « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ »

(١) ابن هشام : وصفوان عود حن .
(٢) الصرف : الخالص . وأعصل : اعوج . يزيد اشتداد الحرب . وابن أم مجالد : عكرمة بن أبي جهل .

فقال : يارسول الله أما والله إنى مؤمن بالله وبرسوله ماغيّرت ولا بدّلت ، ولكنى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم .

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله دعنى فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ومايدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

وأنزل الله فى حاطب : « ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودة » إلى آخر القصة .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسله . وقد ذكر السهلبى أنه كان فى كتاب حاطب : أن رسول الله قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ماوعده .

قال : وفى تفسير ابن سلام أن حاطبا كتب : إن محمداً قد نفرَ فأما إليكم وإما إلى غيركم فعليكم الحذر .

وقد قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرنى الحسن بن محمد ، أنه سمع عبيد الله بن أبى رافع ، سمعت علياً يقول : بعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجى الكتاب . فقالت : مامعى . فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب .

قال : فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه : من

حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله لا تعجل عليّ ، إني كنت امرأاً مُلصقاً في قريش ، يقول : كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لم قرابات يجمعون بها أهلهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يجمعون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنه قد صدقكم » فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ! فقال : « إنه قد شهد بدرأً ، وما يدريك لعل الله قد أطلع علي من شهد بدرأً فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

فأنزل الله سورة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئى وعدوكم أولياء » إلى قوله : « فقد ضلّ سواء السبيل » .

وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجّين ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد غزوم ، فذللّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المرأة التي معها الكتاب ، فأرسل إليها فأخذ كتابها من رأسها وقال : « يا حاطب أفعلت ؟ » قال : نعم . قال : أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفاقاً ، قد علمت أن الله مُظهر رسوله ومنتّم له أمره ، غير أنى كنت غريباً بين ظهرانيهم وكانت والدتي معهم ، فأردت أن أتخذ يداً عندهم . فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال :

« أتقتل رجلاً من أهل بدر ؟ وما يدريك لعل الله قد أطلع إلى أهل بدر فقال :
اعملوا ما شئتم » .

تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد وإسناده على شرط مسلم . والله الحمد .

فصل

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسقره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أظرف ، ثم مضى حتى نزل مرة الظهران في عشرة آلاف من المسلمين .

وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر ألفاً . وكذا قال الزهري وموسى بن عقبة . فسبعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم ، وألفت مزينة وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب^(١) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد .

وروى البخاري ، عن محمود ، عن^(٢) عبد الرزاق ، عن معمر عن الزهري نحوه .

وقد روى البيهقي من حديث عاصم بن علي ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل عن الزهري ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة الفتح في رمضان .

قال : وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك ، لا أدري أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعد ما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني

(٢) ١ : ابن عبد الرزاق وهو تحريف .

(١) ١ : وأرغب .

أن ابن عباس قال : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الكُدَيْدِ - الماء الذي بين قُدَيْدِ وَعُسْفَانَ - أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر .

ورواه البخارى ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، غير أنه لم يذكر التريديد بين شعبان ورمضان .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان ، فصام حتى بلغ عُسْفَانَ ثم دعا بإناء فشرب بها ^(١) ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة .

قال : وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس : عن ابن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفرة الفتح واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفارى ، وخرج لعشر مَضِينَ من رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى أتى الكُدَيْدِ بين عُسْفَانَ وَأَجَجِ فأفطر ، ودخل مكة مفطراً فكان الناس يرون أن آخر الأمر ^(٢) من رسول الله صلى الله عليه وسلم الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله .

قال البيهقى : فقولُه : « خرج لعشر من رمضان » مُدْرَجٌ فى الحديث ، وكذلك ذكره عبيد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق .

ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان ، عن جابر ، عن يحيى ، عن صدقة ، عن ابن إسحاق أنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مَضِينَ من رمضان . سنة ثمان .

(٢) غير ١ : يرون آخر الأمرين .

(١) غير ١ : نهارة .

ثم روى البيهقي من حديث أبي إسحاق الفزاري ، عن محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان . قال البيهقي : وهذا الإدراج وَهْمٌ ، وإنما هو من كلام الزهري .

ثم روى من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح - فتح مكة - فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانين سنين ونصف سنة من مقدمه المدينة ، وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان .

وروى البيهقي من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر .

قال^(١) الزهري : وإنما يؤخذ بالأحَدَثِ فالأحدث^(٢) . قال الزهري : فصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان . ثم عزاه إلى^(٣) الصحيحين من طريق عبد الرزاق . فالله أعلم .

وروى البيهقي من طريق سعيد بن عبد العزيز التَّمُوخِي ، عن عطية بن قيس ، عن أبي سعيد الخدري قال : آذَنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّحِيلِ عَامَ الْفَتْحِ لِلْيَمِينِ خَلْتَنَا مِنْ رَمَضَانَ ، فَخَرَجْنَا صُورًا حَتَّى بَلَغْنَا الْكَدِيدَ ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفِطْرِ فَأَصْبَحَ النَّاسُ مَرْضَى^(٤) مِنْهُمْ الصَّائِمُ وَمِنْهُمْ الْمَفْطَرُ ، حَتَّى إِذَا بَلَغْنَا الْمَنْزِلَ الَّذِي نَلَقَى الْعَدُوَّ أَمَرَنَا بِالْفِطْرِ فَأَفْطَرْنَا أَجْمَعِينَ .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، حدثني عطية بن

(١) المطبوعة : فقال . خطأ .

(٢) البخاري : وإنما يؤخذ من أمر رسول الله الآخر فالآخر .

(٣) المطبوعة : في . خطأ .

(٤) المطبوعة : مرحى . خطأ .

قيس ، عن حدثه ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : أذنتنا رسولُ الله بالرحيل عامَ الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صُوماً حتى بلغنا الكديد ، فأمرنا رسول الله بالفطر ، فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغ أدنى منزلٍ يلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهري ، من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان ، يقتضى أن مسيرهم كان بين (١) مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة .

ولكن روى البيهقي ، عن أبي الحسين بن الفضل ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ومحمد بن علي بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعمر بن شعيب ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم . قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وهيب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر عن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركبانا ، وذلك في شهر رمضان (٢) . فقيل : يا رسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت ؟ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقَدَحٍ فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض ، حتى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بعضهم صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولئك العصاة » .

(٢) ١ : في رمضان .

(١) ١ : من .

وقد رواه مسلم من حديث الثقفى والدراوردي ، عن جعفر بن محمد .
وروى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، حدثني بشير بن يسار ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالسكديد دعا بماء في قَعْب وهو على راحلته ، فشرب والناس ينظرون ؛ يُعلمهم أنه قد أفطر ، فأفطر المسلمون .
تفرّد به أحمد .

فصل

في إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخى أم سامة أم المؤمنين . وهاجرتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة .
قال ابن إسحاق : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

قال ابن هشام : لقيه بألجوفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقياً بمكة على سقايته، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكره ابن شهاب الزهري .

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقياً رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بنديق العقاب^(١) فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سامة فيهما فقالت : يا رسول الله ابن عمك وابن عمك وصهرك . قال : « لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال »^(٢) .

(١) ١ : بنديق العقاب .

(٢) قال له : « والله لا آمنت بك حتى تتخذ سائماً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ؛ ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك » الروض الأنف ٢ / ٢٦٧ .

قال : فلما خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بُنِيَ له فقال : والله ليأذن لي أو لآخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى ^(١) نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رقّ لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذر إليه بما كان مضى منه :

| | |
|---|---|
| لِعَمْرِكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمَلُ رَايَةً | لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ |
| لِكَامِدُ الدَّلَجِ ^(٢) الْخَيْرَانَ أَظْلَمَ لَيْلُهُ | فَهَذَا أُوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأُهْتَدَى |
| هُدَانِي هَادٍ غَيْرِ نَفْسِي وَنَالِي | مَعَ ^(٣) اللَّهِ مِنْ طَرَدَتْ كُلَّ مُطَرِدٍ |
| أَصْدُ وَأَنَايَ جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ | وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ |
| هُمْ مَاهِمٌ مِنْ لَمْ يَقُلْ بِهِمْ هَوَاهِمٌ | وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُيْلَمُ وَيُفْنَدُ |
| أُرِيدُ لِأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَانِطٍ | مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أُهْدَ فِي كُلِّ مَقْعِدٍ |
| فَقُلْ لِتَقْيِفٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا | وَقُلْ لِتَقْيِفٍ تِلْكَ : غَيْرِي أَوْ عَدِي |
| فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا | وَلَا ^(٤) كَانَ عَنْ جَرِّ السَّانِي وَلَا يَدِي |
| قِبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ | تَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ سَهَامٍ وَسُرْدَدٍ ^(٥) |

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ونالني مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في صدره وقال : « أنت طردتني كل مطرد » .

(٢) ١ : إن المدلج .

(١) غير ١ : ثم نموت .

(٣) ١ : من .

(٥) سهام وسردد : موضعان من أرض عك .

(٤) غير ١ : وما كان .

فصل

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مرّ الظهران نزل فيه فأقام ، كما روى البخارى عن يحيى بن بكير ، عن الليث ومسلم ، عن أبى الطاهر ، عن ابن وهب ، كلاهما عن يونس ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة عن جابر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران نجتنى الكبّاث ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالأسود منه فإنه أطيب » قالوا : يا رسول الله أكنت ترعى الغنم ؟ قال : « نعم ، وهل من نبيّ إلا وقد رعاها » .

وقال البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن سنان بن إسماعيل ، عن أبى الوليد سعيد بن مينا ، قال : لما فرغ أهل مكة ورجعوا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى مكة ، فلما انتهى إلى مرّ الظهران نزل بالعقبة فأرسل الجناة يجتنون الكبّاث ، فقلت لسعيد : وما هو ؟ قال : ثمر الأراك .

قال : فانطلق ابن مسعود فيمن يجتنى ، قال : فجعل أحدهم إذا أصاب حبة طيبة قذفها في فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقى ابن مسعود وهو يرتقى فى الشجرة فيضحكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعجبون من دقة ساقيه ؟ فوالذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد ! » .

وكان ابن مسعود ما اجتنى من شيء جاء به وخياره فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فى ذلك :

هذا جنائى وخيارى فيه إذ كلُّ جانٍ يده إلى فيه

وفي الصحيحين عن أنس قال : أُنْفَجْنَا^(١) أَرَبًا وَنَحْنُ بَمَرِ الظَّهْرَانِ ، فَسَعَى القَوْمُ فَلَغَبُوا وَأَدْرَكْتَهَا فَأَخَذْتَهَا فَاتَيْتُ بِهَا أَبَا طَلْحَةَ فَذَبَّحَهَا . وَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَرَكَيْهَا وَنَخَذِيهَا قَبْلَهُ .

وقال ابن إسحاق : وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً الظَّهْرَانِ وَقَدْ عُمِّيَتْ الأَخْبَارُ عَلَى^(٢) قَرِيشٍ ، فَلَا يَأْتِيهِمْ خَبْرٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَدْرُونَ مَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعِلٌ ، وَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَجَسَّسُونَ الأَخْبَارَ وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ .

وَذَكَرَ ابْنُ لَهَيْعَةَ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ [عَمِيونًا]^(٣) خِيَلًا يَفْتَقِشُونَ العَمِيونَ ، وَخِزَاعَةً لَا تَدَعُ أَحَدًا يَمْضِي وَرَاءَهَا فَلَمَّا جَاءَ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ أَخَذْتَهُمْ خِيَلُ المُسْلِمِينَ وَقَامَ إِلَيْهِ عَمْرُ بْنُ يَمْعَانَ فِي عُنُقِهِ ، حَتَّى أَجَارَهُ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المَطْلَبِ وَكَانَ صَاحِبًا لِأَبِي سَفْيَانَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ العَبَّاسُ حِينَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً الظَّهْرَانِ قُلْتُ : وَاصْبَاحَ قَرِيشٍ ! وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَنُودًا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهَلَاكُ قَرِيشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ .

قَالَ : فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البِيضَاءِ فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الأَرَاكَ فَقُلْتُ : لَعَلِّي أَجِدُ بَعْضَ الحَطَّابَةِ أَوْ صَاحِبَ لَبْنٍ أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي

(٢) غير ١ : عن .

(١) أُنْفَجْنَا : أُنْرْنَا .

(٣) لَيْسَتْ فِي ١ .

مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها^(١) عليهم عنوة .

قال : فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعتُ كلامَ أبي سفيان وبُدَيْل بن وَرْقَاءَ وهما يتراجعا ، وأبو سفيان يقول : ما رأيتُ كالليلة نيراناً قطّ ولا عسكرياً . قال : يقول بدبل : هذه والله خزاعة حمّشتها الحربُ . قال : يقول أبو سفيان : خزاعةٌ أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكريها .

قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ؟ فعرف صوتي . فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم . قال : مالك فدّى لك أبي وأمى !

قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس . فقال : واصباح قریش والله ! فما الحيلةُ فداك أبي وأمى ؟ قال : قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عَجْرُ هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك .

قال : فركب خلفي ورجع صاحبا . وقال عروة : بل ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة .

وقال الزهري وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[قال : فجنّت به ، كلما سرت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : غمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى سرت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟

(١) غير ا : يدخل .

وقام إلى . فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد .

وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ في رقبة أبي سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس . وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، عن الزهري ، أن عيون رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذهم بأزمةٍ جالهم فقالوا : من أتم ؟ قالوا : وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلقبهم العباس فدخل بهم على رسول الله فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فشهدوا ، وأن محمداً رسول الله . فشهد حَكِيمَ وبَدِيلَ وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح . ثم سأله أن يؤمّن قريشاً فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلى مكة - ومن دخل دار حَكِيمَ بن حِزام فهو آمن . وكانت بأسفل مكة - ومن أغلق بابه فهو آمن » [قال العباس : ^(١) ثم خرج عمر يشتم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء .

قال : فالتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلا ضرب عنقه ؟ قال : قلت : يا رسول إني قد أجرته . ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت : والله لا يناجيه الليلة دوني رجل .

فلما أكثر عمر في شأنه قال قلت : مهلاً يا عمر ! فوالله أن لو كان من رجال ^(٢) بني عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطّاب لو أسلم ! وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم من إسلام الخطاب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب به ياعباس إلى رَحْلِكَ فإذا أصبحتَ فأنتني به . »

قال : فذهبت به إلى رَحْلِي فبات عندي ، فلما أصبح غَدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله قال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ » فقال : بأبي أنت وأمي ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعدُ !

قال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً ! فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك ؟

قال : فشهد شهادة الحق فأسلم .

قال العباس : فقلت يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً .

قال : « نعم ، من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمنٌ » زاد عروة : « ومن دخل دار حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فهو آمنٌ » وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهري . « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . »

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعباس احبس به بمضيق الوادي عند خَطَمِ^(١) الجبل حتى تمرَّ به جنودُ الله فيراها » :

وذَكَرَ موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا سفيان وبُدَيْلا وحكيم بن حزام

(١) خَطَمُ الجبل : أُنْفُهُ

كانوا وقوفا مع العباس عند خطم الجبل ، وذكروا أن سعدا لما قال لأبي سفيان .

اليومُ يومُ المَلحمة : اليومُ تُسجَلُ الحُرمة

فشكا أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزله عن راية الأنصار وأعطاه الزبير بن العوام فدخل بها من أعلى مكة وغرزها بالحجون ، ودخل خالد من أسفل مكة فلقى بنو بكر وهذيل ، فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا فقتلوا بالحزورة^(١) حتى بلغ قتلهم باب المسجد .

قال العباس : نخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضييق الوادي حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه .

قال : ومررت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول : سليم . فيقول : مالي وسليم . ثم تمر به القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي ولمزينة . حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة إلا سألتني عنها ، فإذا أخبرته قال : مالي ولبنى فلان . حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : مالأحد بهؤلاء من قبيل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما !

قال : قلت : يا أبا سفيان إنها الثبوة . قال : فنعم إذن .

قال : قلت النجاء إلى قومك .

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبيل

(١) الحزورة : كانت سوق مكة .

لكم به ، فن دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن .

فقامت إليه هند بنت عتبة [فأخذت بشاربه ^(١)] فقالت : اقتلوا الحميتَ الدِّمِسم الأحمس ^(٢) قُبِّحَ من طليعة قوم .

فقال أبو سفيان : ويلكم لا تغرِّبناكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قبيل لكم به ، من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن .

قالوا : قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

فتفرَّق الناسُ إلى دورهم وإلى المسجد .

[وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرَّ بأبي سفيان قال له : إني لأرى وجوها كثيرة لا أعرفها ، لقد كثرت هذه الوجوه عليّ ؟ فقال له رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومك ، إن هؤلاء صدقوني إذ كذَّبتموني ، ونصروني إذ أخرجتموني » .

ثم شكَا إليه قولَ سعد بن عبادَةَ حين مرَّ عليه فقال : يا أبا سفيان :

اليوم يوم المَلحمة اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمه

فقال رسول الله : « كذَّب سعد ، بل هذا يومٌ يعظَّم الله فيه الكعبة ويوم تُكسى فيه الكعبة » .

وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ، ورأى الناس ينجحون للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة خاف وقال للعباس : ما بألهم ؟ قال : إهم قد سمعو النداء فهم ينتشرون للصلاة . فلما حضرت الصلاة ورأهم يركعون

(١) ليست في أ .

(٢) الحميت : الزق . أو وعاء السمن . والدسم : السمين . والأحمس : الكثير اللحم .

ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه ؟ قال : نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلوا يتسكفون ، فقال : يا عباس ما رأيت كلاليلة ولا مُلك كسرى وقيصر ! [١]

وقد روى الخافظ البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . فذكر هذه القصة بتامها كما أوردها زياد البكائي عن ابن إسحاق منقطعة . فإله أعلم .

على أنه قد روى البيهقي من طريق أبي بلال الأشعري ، عن زياد البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، قال : جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فذكر القصة . إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان : وما تسعُ داري ؟ فقال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال : وما تسعُ الكعبة ؟ فقال : « ومن دخل المسجد فهو آمن » قال : وما يسعُ المسجد ؟ فقال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان : هذه واسعة .

وقال البخاري : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هدم ، عن أبيه قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قریشاً خرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبُدَيْل بن ورقاء يلتمسون الخبرَ عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأقبلوا يسرون حتى أتوا مرَّة الظَّهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ؟ فقال بُدَيْل بن وَرْقَاء : نيران بنى عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو أقلُّ من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم أبو سفيان .

فلما سار قال للعباس : « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمرُّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمر كتيبةً كتيبةً على أبي سفيان ، فمرت كتيبة فقال : يا عباس من هذه ؟ قال : هذه غِفَار . قال : مالي ولغفار . ثم مرَّت جُهَيْنَة فقال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هُدَيْم فقال مثل ذلك ، ومرت سُليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية . فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان اليومَ يومُ الملحمة . اليوم تُسْتَحَلُّ الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس حبِّدنا يومَ الذمار .

ثم جاءت كتيبة وهي أقلُّ الكتائب ، فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وراية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام ، فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال : ما قال ؟ قال : كذا وكذا . فقال : « كذَّب سعد ، ولكن هذا يوم يعظَّم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُرَكِّز رايته بالحجَّون .

قال عروة : وأخبرني نافع بن جُبَيْر بن مُطْعَم قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : ها هنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُرَكِّز الراية ؟ قال : نعم .

قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من كدَّى ، فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري . وقال أبو داود : حدثنا

عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران ، فقال له العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فلو جعلت له شيئاً ؟ قال : « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صفة دخوله عليه الصلاة والسلام مكة

ثبت في الصحيحين من حديث مالك [عن الزهري^(١)] عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاءه رجل فقال : إن ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة فقال : « اقتلوه » .

قال مالك : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله أعلم مُحْرَماً .
وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء .

ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة . وقال الترمذي : حسن صحيح .
ورواه مسلم عن قتيبة ، ويحيى بن يحيى ، عن معاوية بن عمار الدُّهْنِي ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام .

وروى مسلم من حديث أبي أسامة ، عن مُسَاوِر الوراق ، عن جعفر بن عمرو بن حُرَيْث ، عن أبيه قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ حَرَقَانِيَّةٌ^(٢) سَوْدَاءٌ قَدْ أَرَخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

(٢) سَقَطَتْ مِنْ أ .

(١) الحَرَقَانِيَّةُ : عَلَى لَوْنٍ مَا أَحْرَقَتْهُ النَّارُ .

وروى مسلم في صحيحه ، والترمذى والنسائى من حديث عمار الدهنى ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء .
وروى أهل السنن الأربعة من حديث يحيى بن آدم ، عن شريك القاضي ، عن عمار الدهنى ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض .

وقال ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عائشة : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أبيض ، ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة من مرط مرجل^(١) .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن عبد الله بن قرة ، قال : سمعت عبد الله بن مغفل يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع . وقال : لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت .
وقال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برؤد حبرة حمراء^(٢) ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عثونه^(٣) ليكاد يمس واسطة الرحل .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا دعلج بن أحمد ، حدثنا أحمد ابن علي الأتبار ، حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدسى ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على رحله^(٤) متخشعا .

(١) المرط : كساء من صوف . والمرجل : الذى فيه صور الرجال . وتروى مرجل بالخاء أى فيه صور الرجال .

(٢) ١ : بشقة برد حمراء .

(٣) العثون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين .

(٤) غير ١ : راحلته .

وقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن بالويه ، حدثنا أحمد بن صاعد ، حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن ابن مسعود ، أن رجلا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فأخذته الرعدة ، فقال : « هَوِّنْ عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » .

قال : وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى بن زهير ، عن إسماعيل ابن أبي الحارث موصولا .

ثم رواه عن أبي زكريا المزكي ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن عون ، عن إسماعيل بن قيس مُرسلا . وهو المحفوظ .

وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله صلى الله عليه وسلم مكة في مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم ، بخلاف ما اعتمده سفهاء بني إسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجدوا - أي رُكع - يقولون حِطَّة فدخلوا يزحفون على أستاهم وهم يقولون : حِطَّة في شعرة !

وقال البخاري : حدثنا القاسم بن خازجة ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة . تابعه أبو أسامة ووهب في كداء .

حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح من أعلى مكة من كداء .

وهو أصح إن أراد أن المرسل أصح من النسند المتقدم انتظم الكلام ، وإلا فكداء بالمد هي المذكورة في الروايتين وهي في أعلى مكة ، وكذا مقصور في أسفل مكة . وهذا هو المشهور والأنسب .

وقد تقدم أنه عليه السلام بعث خالد بن الوليد من أعلى مكة ، ودخل هو عليه

السلام من أسفلها من كَدَى وهو في صحيح البخارى. والله أعلم.
وقد قال البيهقي: أنبأنا أبو الحسين بن عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد الصَّفار [حدثنا
عبد الله بن إبراهيم بن المنذر الخزامى، حدثنا معن، حدثنا عبد الله بن عمر بن حفص، عن
نافع، عن ابن عمر^(١)] قال: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى^(٢) النساء
يلطمن وجوه الخليل، فتبسم إلى أبى بكر وقال: «ياأبا بكر كيف قال حسان؟» فأشده
أبو بكر رضى الله عنه:

عَدِمْتُ بُنْيَتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تثير النَّقْعَ مِنْ كَتْفِي كَدَاءَ
يُنَازِعُنِ الْأَعْيُنَ^(٣) مُسْرَجَاتٍ يُلْطَمُنَ بِالْخَمْرِ النِّسَاءَ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادخلوها من حيث قال حسان!»

وقال محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن
جدته أسماء بنت أبى بكر قالت: لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى قال
أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أى بنية أظهرى بي على أبى قُبَيْس. قالت: وقد
كفَّ بصره. قالت: فأشرفتُ به عليه فقال: أى بنية ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً
مجتمعا. قال: تلك الخليل. قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مُقبِلاً
ومدبراً. قال: أى بنية ذلك الوازع - يعنى الذى يأمر الخليل ويتقدم إليها - ثم قالت:
قد والله انتشر السواد. فقال: قد والله إذا دَفَعْتَ الخليل فأسرعى بي إلى بيتي.
فأحطت به وتلقاه الخليل قبل أن يصل إلى بيته. قالت: وفى عنق الجارية طوق من
وَرِقٍ فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها.

(٢) غير ١: وأتى النساء.

(١) سقطت من ١.

(٣) ١: الأسنة. ولعلها تحريف.

قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟! » قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه .

قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال : أسلم . فأسلم . قالت : ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة ^(١) بياضاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غيروا هذا من شعره » .

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ؟ فلم يجبه أحد قال : فقال : أي أختي احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل !
يعنى به الصديق ذلك اليوم على التعمين ^(٢) ، لأن الجيش فيه كثرة ، ولا يكاد أحد . يلوى على أحد ، مع انتشار الناس ، ولعل الذي أخذه تأول أنه من حربى والله أعلم .
وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، أنبأنا بحر بن نصر ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غيروه ولا تقرّوه بسواداً » .

قال ابن وهب : وأخبرني عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هفاً أبا بكر بإسلام أبيه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كداء ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدّى .

(١) الثغامة : واحدة الثغام ، وهو نبت أبيض . (٢) : يعنى الصديق ذلك اليوم على العين .

قال ابن إسحاق : فرغم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجّه داخلًا قال : اليومَ يوم المَلْحَمَةِ . اليومَ تُسْتَجَلُّ الحُرْمَةُ .

فسمعها رجل . قال ابن هشام : يقال : إنه عمر بن الخطاب . فقَالَ : يا رسول الله أنسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟ ما نأمن أن يكون له في قريش صَوْلَةٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ : « أذركه فخذ الرايةَ منه فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكَا إليه أبو سفيان قولَ سعد بن عبادة حين مر به ، وقال : يا أبا سفيان : اليومَ يوم المَلْحَمَةِ اليومَ تُسْتَجَلُّ الحرمة - يعنى الكعبة - .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل هذا يومٌ تعظّم فيه الكعبة » وأمر بالراية - راية الأنصار - أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال : إنها دفعت إلى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة ، عن الزهري : دفعها إلى الزبير بن العوام . فأنه أعلم .

وذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار ، حدثنا عبد الله بن السريّ الأنطاكي ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وحدثني موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادة فجعل يهزها ويقول : اليومَ يوم المَلْحَمَةِ : يوم تُسْتَجَلُّ الحرمة . قال : فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم ، قال : فعارضت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره وأنشأت تقول (١) :

يا نبيّ الهدى إليك لجأحتُ قريشٍ ولات حينَ لجأه

(١) نسب السهيلي هذه الأبيات إلى ضرار بن الخطاب . الروض ٢٧١/٢ .

حين ضاقت عليهم سعة الأرض وعاداهم إلى السماء
[والتقت حلقمتا البطان على التو م ونودوا بالصيلىم الصلعاء] (١)
إن سعداً يريد قاصمة الظم - ر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجى لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر والعواء (٢)
فلم يمهنه فإنه الأسد الأسد ود والليث والنغ في الدماء
فلئن أفجم اللواء ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء
لتكونن بالبطاح قريش بقعة القاع في أكف الإمام (٣)
إنه مضلت يريد لها الرأى صموت كالحية الصماء (٤)

قال : فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم ،
وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودُفعت إلى ابنه قيس بن سعد .

قال : فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب ألا يحجَّيها إذ رَغِبَتْ إليه واستغاثت
به ، وأحب ألا يغضب سعد ، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه (٥) .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر خالد بن الوليد فدخل من اللَّيْط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على الحنْبة
اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة
ابن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لأهل مكة (٦) بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة فضربت له
هنالك قبة .

(١) من الروى الأنف . والبطان : حزام القتب . والصيلىم : الداهية . والصلعاء : المشهورة .
(٢) العواء : الكلب . (٣) القاع : الأرض السهلة المنبسطة . (٤) المصت : الرجل الماضى
(٥) سقط من : . (٦) غير : مكة .

وروى البخارى من حديث الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد ، أنه قال زمن الفتح : يارسول الله أين تنزل غدأ ؟ فقال : « وهل ترك لنا عقيل من رباع ^(١) » ثم قال : « لا يرث الكافر المؤمن ولا للمؤمن الكافر » .
ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزبير ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله الخيف ، حيث تقاسموا على الكفر » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا إبراهيم - يعني ابن سعد - عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منزلنا غدأ إن شاء الله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر » .

ورواه البخارى من حديث إبراهيم بن سعد به نحوه .

وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر ، أن صفوان ابن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخدممة ليقاتلوا ، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر بعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لحمد وأصحابه . فقالت : والله ما أرى يقوم لحمد وأصحابه شيء ! قال : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم . ثم قال :

إن يُقبلوا اليومَ فالى عله هذا سلاحٌ كاملٌ وأله ^(٢)
وذو غرارين سريع السلة ^(٣)

قال : ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل ، فلما تقيمهم المسلمون من أصحاب

(١) الرباع : جمع ربع ، وهى الدار .

(٢) الأله : جميع أداة الحرب .

(٣) الغرار : حذ الرمح والسيف والسهم . يريد : سيفاً .

خالد ناوشوهم شيئاً من قتال ، قَتَلَ كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحُبَيْش^(١) بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ ، وكانا في جيش خالد ، فشدَّاهُ عنه فسلكا غير طريقه فقُتِلَا جميعاً ، وكان قَتَلَ كرز قبل حبيش .

قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني ، وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا فخرج حِمْيَرٌ منهنم حتى دخل بيته ثم قال لامرأته : أغلقتي على بابي . قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدت يومَ الخندمة إذ فرَّ صفوانُ وفرَّ عكرمه
وأبو يزيد قائم كلوتمته واستقبلتهم بالسيوف المسلمة^(٢)
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُجْمِهِ ضَرْباً فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا غَمْمَهُ
لَمْ نَهَيْتُ خَلْفَنَا وَهَمْمَهُ لَمْ تَنْطِقْ فِي اللُّومِ أَذْنِي كَلِمَةً^(٣)

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات للرعاش الهذلي .

قال : وكان شعار المهاجرين يومَ الفتح وحنين والطائف : « يا بني عبد الرحمن »
وشعار الخزرج : « يا بني عبدالله » وشعار الأوس : « يا بني عبيدالله » .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن سعيد الرازي ، حدثنا أبو حسان الزياتي ، حدثنا شعيب بن صفوان ، عن عطاء بن السائب ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حرَّم هذا البلدَ يومَ خلق السموات والأرض ، وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر ، وما حيَّاهُ من السماء حرام ، وإنه لا يَحِلُّ لأحد قبلي ، وإنما حلَّ لي ساعةً من نهار ثم عاد كما كان » .

(١) الأصل : حنيس . وهو تحريف وما أثبتته عن الروض الأتق .

(٢) أبو يزيد : يريد سهيل بن عمرو ، وكان خطيب قريش . والمؤتمة : الأسطوانة ، من قولهم وتم وأتم إذا ثبت . وتروى المؤتمة . بالواو بدل الهمز ، ومعناها : الأيام التي مات عنها زوجها . الروض ٢٧٢/٢

(٣) التهييت : الزئير .

فقيل له : هذا خالد بن الوليد يُقتل ؟ فقال : « قم يا فلان فأت خالد بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل » .

فأتاه الرجل فقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اقتل من قدرت عليه ! فقتل سبعين إنسانا ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذُكر ذلك له ، فأرسل إلى خالد فقال : « ألم أنك عن القتل ؟ » فقال : جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه . فأرسل إليه : « ألم أمرك ؟ » قال : أردت أمراً وأراد الله أمراً فكان أمرُ الله فوق أمرك ، وما استطعت إلا الذي كان . فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم فاردَّ عليه شيئاً .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا^(١) إلا من قاتلهم ، غير أنه أهدر دمَ نفر سَمام وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتدَّ ، فلما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد أهدر دمه فرأى إلى عثمان وكان أخاه من الرضاة ، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً ثم قال : « نعم » . فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله : « أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ يقوم إلى هذا حين رأي قد صمتُ فيقتله » فقالوا : يا رسول الله هلاً أو ماتَ إلينا ؟ فقال : « إن النبي لا يُقتل بالإشارة » .

وفي رواية^(٢) : « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائفة الأعين » .

قال ابن هشام : وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمرُ بعضَ أعماله ثم ولاه عثمان .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاحها في بيته .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خَطَل رجل من بني تيم بن غالب .

قلت : ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ، ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم

سُمِّي عبد الله .

ولما أسلم بعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً^(١) وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبةً فقتله^(٢) ، ثم ارتدَّ مشركا ، وكان له قينتان فرَتَتِي وصاحبتهما ، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، فلهذا أهدر دمَه ودمَ قينتيه ، فُقتل وهو متعلِّق بأستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو بَرَزَة الأسلمى وسعيد بن حُرَيْث الحزومي ، وقتلت إحدى قينتيه واستؤمِن للآخرى .

قال : والحويرث بن نُقيذ بن وهب بن عبد قصى ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولما تحمَّل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يُدخقهما برسول الله صلى الله عليه وسلم أول الهجرة نحس بهما الحويرثُ هذا الجمل الذي هما عليه فسقطتا إلى الأرض ، فلما أهدر دمُه قتله على بن أبي طالب .

قال : ومقيس بن صُبَّابة^(٣) لأنه قاتل أخيه خطأ بعد ما أخذ الدية ، ثم ارتدَّ مشركا ، قتله رجل من قومه يقال له نُمَيْلة بن عبد الله .

قال : وسارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل ، لأنها كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي^(٤) بمكة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحمَّلت الكتابَ من حاطب بن أبي بلتعة ، وكأنها عُفِي عنها أو هربت ثم أهدر دمها . والله أعلم .

فهربت حتى استؤمِن لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتمَّها فعاثت إلى زمن

(٢) ١ : ثم قتله .

(١) مصدقا : جابيا للصدقات

(٤) كذا ولعلها : وهو .

(٣) في القاموس : ابن حباب .

عمر ، فأوطأها رجلٌ [فرساً ^(١)] فماتت . وذكر السهيلي أن فرّتنى أسلمت أيضاً .
قال ابن إسحاق : وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أمّ
حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ،
فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن أبي بكر محمد بن
الحسين القطّان ، أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي ، حدثنا أحمد بن الفضل ، حدثنا أسباط بن
نصر الهمداني . قال : زعم الشدي عن مُصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة
أمّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، وقال : « اقتلوهم وإن
وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة » وهم : عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطّال ،
ومقيس بن صُبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح .

فأما عبد الله بن خطّال فأدرِك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن
حُرَيْث وعمّار بن ياسر ، فسبق سعيدٌ عمّاراً وكان أشبَّ الرجلين فقتله . وأما مقيس
فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف ، فقال أهل
السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آهتكم لا تغني عنكم شيئاً ها هنا . فقال عكرمة :
والله لئن لم يُنَج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجى في البرّ غيره ! اللهم إن لك على
عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتني محمداً حتى أضع يدي في يده فلا أجده عفواً
كريمياً [نجاء ^(٢)] فأسلم .

وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان ، فلما دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم

قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ . فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْتِي ، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : « أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حِينَ رَأَى كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ ؟ » فَقَالُوا : مَا يَدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ ، هَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بَعِينِكَ ؟ فَقَالَ : « إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِنَبِيِّ خَائِنَةٍ أَعْيُنٌ ^(١) » .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن المفضل به نحوه .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، أنبأنا أبو زرعة الدمشقي ، حدثنا الحسن بن بشر الكوفي ، حدثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : أمّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ يوم فتح مكة إلا أربعة : عبد العزى بن خطل ، ومقيس بن صُبابَة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأم سارة .

فأما عبد العزى بن خطل فإنه قُتِلَ وهو متملق بأستار السكعبة . قال : ونذر رجل أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح إذا رآه ، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاة ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له ، فلما أبصر به الأنصاري اشتعل على السيف ، ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يتردد ويكره أن يُقدم عليه ، فبسط النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه ، ثم قال للأنصاري : « قد انتظرُك أن توفي بنذرك ؟ » قال : يا رسول الله هبّتك ، أفلا أومّضت إليّ ؟ قال : « إنه ليس للنبي أن يومض » .

وأما مقيس بن صُبابَة ، فذكر قصته ، في قتله رجلاً مساماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك .

قال : وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش ، فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فشكت

(١) غيرا : لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين .

إليه الحاجة فأعطاها شيئاً ، ثم بعث معها رجلاً بكتاب إلى أهل مكة . فذكر قصة حاطب ابن أبي بلتعة .

وروى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن مقيس ابن صُبابَةَ قَتَلَ أخوه هشامَ يومَ بني المصطلق ، قَتَلَهُ رجلٌ من المسلمين وهو يظنه مشركاً ، فقدم مقيس مُظهِراً للإسلام ليطلب ديةَ أخيه ، فلما أخذها عدَاً على قاتل أخيه فقتله ورجع إلى مكة مشركاً ، فلما أهدر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دمه قُتِلَ وهو بين الصفا والمروة .

وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقي شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله :

شَفَى النَّفْسَ مِنْ قَدَابَاتٍ ^(١) بِالْقَاعِ مُسْنَدًا يَضْرُجُ تَوْبِيهَ دِمَاءِ الْأَخَادِعِ
وكانت هوم النفس من قبل قَتَلَهُ تَلُمُ وتُنْسِنِي وِطَاءَ الْمُضَاجِعِ
قَتَلْتُ بِهِ فِهْرًا ^(٢) وَغَرَمْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ أُرْبَابَ فَارِعِ
حَلَلْتُ بِهِ نَذْرِي ^(٣) وَأَدْرَكْتُ نُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوْلَ رَاجِعِ

قلت : وقيل : إن القَيْنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَهْدَرَ دَمَهُمَا كَانَتَا لِمَقِيسِ بْنِ صُبابَةَ هَذَا ، وَأَنَّ ابْنَ عَمِّهِ قَتَلَهُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَتَلَ ابْنَ خَطَلِ الزَّيْبِرِيِّ بْنِ الْعَوَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إلى رجلان من أحسابي [من بني مخزوم ^(٤)] .

(٢) سبقت الرواية : تأرت به .

(٤) سقطت من أ .

(١) سبقت الرواية ص ٢٩٨ أن قد بات .

(٣) سبقت الرواية : حللت به ونرى .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة .

قال ابن إسحاق : وكانت عند هُبيرة بن أبي وهب الخزومي ، قالت : فدخل عليّ أخي عليّ بن أبي طالب فقال : والله لأقتلنهما . فأغلقتُ عليهما بابَ بيتي ، ثم جئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جَفَنَةِ إِنْ فِيهَا لِأَثَرِ الْعَجِينِ ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىّ فقال : « مرحباً وأهلاً بأُم هانئٍ ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ ، فقال : « قد أجزنا من أجزتِ وأمنا من أمنتِ فلا تقتلها^(١) . »

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن ابن أبي ليلى ، قال : ما أخبرنا أحدٌ أنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى غير أم هانئ ، فإنها ذكرت أنه يومَ فتح مكة اغتسل في بيتها ثم صلى ثمانى ركعات ، قالت : ولم أره صلى صلاةً أخفّ منها غير أنه يتم الركوع والسجود .

وفى صحيح^(٢) مسلم من حديث الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سعد بن أبي هند ، أن أبا مُرّة مولى عَقِيل حَدَّثَهُ أَنَّ أُم هانئَ بنتَ أبي طالب حَدَّثَتْهُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عَامَ الْفَتْحِ فَرَّ إِلَيْهَا رَجُلَانِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَأَجَارْتَهُمَا ، قالت : فدخل عليّ عليّ فقال : أقتلها ، فلما سمعته أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فلما رأيتُ رَحِبَ وقال : « ما جاء بك ؟ » قلت : يا نبي الله كنت أمنتُ رجلين من أحماني فأراد عليّ قتلها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أجزنا من أجزتِ يَا أُم هانئُ » ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غسله فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوباً فالتحف به ، ثم صلى ثمانى ركعات سُبْحَةَ^(٣) الضحى .

(٣) السبحة : النافلة .

(٢) وفى حديث مسلم .

(١) غير أ : يقتلها .

وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال : « من هذه ؟ » قالت : أم هاني . قال : « مرحباً بأم هاني » قالت : يا رسول الله زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجزتهما ! فقال : « قد أجزنا من أجزت يأم هاني » قالت : ثم صلى ثمانى ركعات .

وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون : بل كانت هذه صلاة الفتح ، وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين . وهو يردُّ على الشهبلى وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانيا بتسليمة واحدة ، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين . والله الحمد .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمان الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ، [فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها ، فوجد فيها حمامةً من عيـدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف^(١) له الناس في المسجد]^(٢) .

وقال موسى بن عـقبة : ثم سجد سجدتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلّع فيها ، ودعا بماء فشرب منها وتوضأ ، والناس يبتدون وضوءه ، والمشركون يتمجبون من ذلك ويقولون : مارأينا مـلكاً قط ولا سمعنا به - يعني مثل هذا - وأخر المقام إلى مكانه اليوم وكان مُلصقاً بالبيت .

(١) استكف : اجتمع . (٢) هذه الجملة مؤخره في : ا بعد قوله : وكان ملصقاً بالبيت .

قال محمد بن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا فيه الدية مغلظة مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها ، يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتمظُّمها بالأباء ، الناس^(١) من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى » الآية كلها . ثم قال : « يامعشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « اذهبوا فانتم الطلقاء » .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يارسول الله اجمع لنا الحِجَابَةَ مع السقاية صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برٍّ ووفاء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن جُدعان ، عن القاسم بن ربيعة ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا إن فتيل العمد الخطأ بالسوط أو العصا فيه مائة من الإبل » .

وقال مرة [أخرى^(٢)] : « مغلظة فيها أربعون خِليفة في بطونها أولادها ، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى » وقال مرة : « ومال تحت قدمي هاتين ، إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فإنهما أمضيتهما لأهلها على ما كانت » .

(٢) ليست في ١ .

(١) : الناس ابن آدم .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي بن [زيد بن^(١)] جدعان
عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني ، عن ابن عمر به .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم مصوراً في يده
الأزلام يستقسم بها ، فقال : « قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام [ماشان إبراهيم
والأزلام^(١)] : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان
من المشركين » ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، أنبأنا عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ،
عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان في الكعبة صور ، فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم [عمر بن الخطاب^(١)] أن يمحوها قبل عمر ثوبا ومحاهها به . فدخلها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما فيها منها شيء .

وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها
بعود في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل . جاء الحق وما يبئد الباطل
وما يعيد » .

وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة .

وروى البيهقي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن علي بن عبد الله
ابن عباس ، عن أبيه ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة وعلى

(١) سقطت من المطبوعة .

الكعبة ثلثمائة صنم ، فأخذ قضيبه ، فجعل يهوى به إلى الصنم وهو يهوى حتى مرَّ عليها كلها .

ثم روى من طريق سويد بن [سعيد] عن القاسم بن عبد الله ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنماً ، فأشار إلى كل صنم بمصا وقال : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فكان لا يشير إلى صنم إلا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه .

ثم قال : وهذا وإن كان ضعيفاً فالذى قبله يؤكده .

وقال حنبل بن إسحاق : أنبأنا أبو الربيع ، عن يعقوب القمي ، حدثنا جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبي زبى قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاءت مجوزٌ شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك نائلة أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبداً » .

وقال ابن هشام : حدثني من أتق به من أهل الرواية في إسناد له عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس (٢)] أنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحته فطاف عليها وحول الكعبة أصناماً مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعي :

وفي الأصنام معتبرٌ وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاباً

وفي صحيح مسلم عن شيبان بن فروخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن

عبد الله بن رَبَاح ، عن أبي هريرة ، في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبلَ على الحِجْر فاستلمه وطاف بالبيت ، وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قَوْس وهو آخذ بِسَيْتِهَا (١) فلما أتى على الصنم فجعل يَطْعَن في عينه ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطل كان زَهُوقاً » فلما فرغ من طوافه أتى الصنمَ فعلاً عليه حتى نظر إلى البيت ، فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأوزلام (٢) ، فقال : « قاتلهم الله ! لقد علموا ما استقسموا بها قط » .

ثم دخل البيت فكبّر في نواحي البيت وخرج ولم يصل .
تفرد به البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا همام ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبةَ وفيها ستُّ سَوَاوِر ، فقام إلى كل سارية فدعا ولم يصل فيه .

ورواه مسلم عن شَيْبَان بن فَرُوح ، عن همام بن يحيى العوذى ، عن عطاء به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو ابن الحارث ، أن بُكَيْراً حدثه عن كُرَيْب ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم ، فقال : « أمّا

(٢) : ١ من الأوزلام .

(١) السية : ما عطف من طرفي القوس .

هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هذا إبراهيم مصوراً ، فما
باله يستقسم ؟ ! » .

وقد رواه البخارى والنسائى من حديث ابن وهب به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، أخبرني عثمان الخزرجى ، أنه
سمع مقسماً يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فدعا
في نواحيه ، ثم خرج فصلى ركعتين .
تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أنبأنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في البيت ركعتين .

قال البخارى : وقال الليث ، حدثنا يونس ، أخبرني نافع ، عن عبد الله بن عمر ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مُرَدِّقاً أسامة
ابن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحِجَبَةِ ، حتى أناخ في المسجد ، فأمر أن يؤتى بفتح
الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهراً طويلاً ،
ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب
قائماً ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار له إلى المسكان الذى صلى فيه .
قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة .

ورواه الإمام أحمد عن هُشَيْم ، حدثنا غير واحد وابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر
قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الفضل بن عباس وأسامه بن زيد وعثمان
ابن طلحة وبلال فأمر بلالاً فأجاف^(١) عليهم الباب فمكث فيه ما شاء الله ثم خرج .

(١) أجاف : أغلق .

قال ابن عمر : فكان أول من لقيت منهم بلالاً فقلت : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هاهنا بين الأسطواتين .

قلت : وقد ثبت في صحيح البخارى وغيره أنه عليه السلام صلى فى الكعبة تلقاء وجهة بابها من وراء ظهره ، فجعل عمودين عن يمينه ، وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربى مقدار ثلاثة أذرع .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذّن ، وأبو سفيان بن حرب وعتّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتّاب : لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فسمع منه ما يعيظه ! فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محقٌّ لا أتبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى .

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قد علمتُ الذى قلتُم » ثم ذكر ذلك لهم . فقال الحارث وعتّاب : نشهد أنك رسول الله ! ما اطّاع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرك .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدثنى والدى ، حدثنى بعض آل جُبَيْر ابن مُطعم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة أمر بلالاً فعلاً على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بنى سعيّد بن العاص : لقد أكرم الله سعيدياً إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة !

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، قال ابن أبى مُليكة : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث

ابن هشام: ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد؟ فقال: دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره .
وقال يونس بن بُكَيْر وغيره ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلالا عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به ^(١) المشركين .

وقال محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن حرب ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن أبي إسحاق ، أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه : لو جمعتُ
لمحمد جمعاً؟ فإنه كيحدتُ نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتفيه
وقال : « إذا يخرّيك الله ! » قال : فرفع رأسه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على
رأسه فقال : ما أيقنتُ أنك نبيٌّ حتى الساعة .

قال البيهقي : وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أنبأنا أبو حامد أحمد بن
الحسن المقرئ ، أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي ، حدثنا محمد بن يوسف الفريجابي ، حدثنا يونس
ابن أبي إسحاق عن أبي السّقر ، عن ابن عباس ، قال : رأى أبو سفيان رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم يمشي والناس يطأون عَقْبِيه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودتُ هذا الرجل القتالَ ؟
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بيده في صدره فقال : « إذا
يخرّيك الله » .

فقال : أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوّت به .

ثم روى البيهقي من طريق ابن خزيمة وغيره ، عن أبي حامد بن الشَّرْقِي ، عن أبي محمد
ابن يحيى الذّهلي ، حدثنا موسى بن أعين الجزري ، حدثنا أبي ، عن إسحاق بن راشد ،
عن سعيد بن المسيّب قال : لما كان ليلة دخل الناسُ مكةَ ليلة الفتح ، لم يزالوا في تكبير
وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهناد : أتري هذا من الله ؟

قالت : نعم هذا من الله . قال : ثم أصبح أبو سفيان ففدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلت لهند : أترى هذا من الله ؟ قالت : نعم هذا من الله » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذي يُخلف به ما سمع قولي هذا أحدٌ من الناس غير هند .

وقال البخاري : حدثنا إسحاق ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، أخبرني حسن ابن مسلم ، عن مجاهد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ، ولم تحل لي إلا ساعةً من الدهر ، لا يُفقر صيدها ولا يُعضد شوكتها ولا يُحتل خلاؤها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد » فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الإذخر يا رسول الله ، فإنه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال : « إلا الإذخر فإنه حلال » .

وعن ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزري - عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا ورواه أبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .
تفرد به البخاري من هذا الوجه الأول ، وهو مُرسل ، ومن هذا الوجه الثاني أيضاً .

وبهذا وأمثاله استدللّ من ذهب إلى أن مكة فُتحت عنوة ، وللوقة التي كانت في الخندمة كما تقدم . وقد قُتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين ، وهي ظاهرة في ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء .

والمشهور عن الشافعي أنها فُتحت صلحاً ؛ لأنها لم تُقسم ، ولقوله صلى الله عليه وسلم

ليلة الفتح : « من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمنٌ ، ومن دخل الحرمَ فهو آمنٌ ، ومن أغلق بابه فهو آمنٌ » .

وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن شُرْحَبِيل ، حدثنا الليث ، عن المقبري ، عن أبي شُرَيْح الخزازي ، أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح ، سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناى حين تكلم به ؛ أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرّمها الله ولم يحرّمها الناس ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرا ، فإن أحدٌ ترخّص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لسكم ، وإنا أذن لي فيها ساعةً من نهار ، وقد عادت حرّمتها اليوم كحرّمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهدُ الغائب » .

فقيل لأبي شريح : ماذا قال لك عمرو؟ قال : قال : أنا أعلمُ بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يُعيذُ عاصياً ولا فارّاً بدم ، ولا فارّاً بجزية .

وروى البخارى أيضاً ، ومسلم عن قتبية ، عن الليث بن سعد به نحوه .

وذكر ابن إسحاق أن رجلاً يقال له ابن الأثويع قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له احمرُّ بأَساً^(١) ، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعةُ ابن الأثويع^(١) وهو بمكة ، قتله خِرَاش بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، لقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم رجلاً لأديبته » .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي ، عن سعيد بن المسيّب قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خراش بن أمية قال : « إن خراشاً

(١) احمرُّ بأَساً : اسم مركب ، كتأبط شراً .

لقتال». وقال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الخزاعي (١) قال: لما قدم عمرو بن الزبير (٢) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له: يا هذا إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً فقال: «يا أيها الناس إن الله قد حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ولا يعضد فيها شجراً، لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها، ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم، يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين، إن شاءوا قدم قاتله وإن شاءوا فمعه». ثم ودّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتله خزاعة.

فقال عمرو لأبي شريح: انصرف أيها الشيخ فحزن أعلم بحرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالع طاعة، ولا مانع جزية.

فقال أبو شريح: إني كنت شاهداً وكنت غائباً، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غائبنا وقد أبلغتكم فانت وشأنك.

قال ابن هشام: وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

(١) : الدوى .

(٢) قال السهيلي : هذا وهم وصوابه عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية وهو الأشدق . الروض ٢٧٧/٢

الفتح جُنَيْدُ بن الأَسْوَع ، قتلته بنو كعب فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمائة^(١) ناقة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده قال : لما فُتحت مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كُفُوا السِّلَاحَ إِلَّا خِزَاعَةَ مَنْ بَنَى بَكْرَ » فَأَذِنَ لَهُمْ حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ ثُمَّ قَالَ : « كَفُوا السِّلَاحَ » فَلَقِيَ رَجُلٌ مِنْ خِزَاعَةِ رَجُلَا مِنْ بَنَى بَكْرَ مِنْ غَدٍ بِالْمَزْدَلِفَةِ فَقَتَلَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ خَطِيْبًا . فَقَالَ ، فَرَأَيْتَهُ وَهُوَ مُسْنَدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالَ : « إِنْ أَعْدَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتَلٍ فِي الْحَرَمِ ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ أَوْ قَتَلَ بِدُحُولِ^(٢) الْجَاهِلِيَّةِ » وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ .

وهذا غريب جدا .

وقد روى أهلُ السنن بعضَ هذا الحديث .

فأما ما فيه من أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بنى بكر إلى العصر من يوم الفتح فلم أراه إلا في هذا الحديث ، وكأنه ، إن صح ، من باب الاختصاص لهم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير . والله أعلم .

وروى الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد ، وسفيان بن عيينة ويزيد بن عبيد ، كلهم عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي ، عن الحارث بن مالك بن البرصاء الخزاعي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم فتح مكة : « لَا تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

ورواه الترمذى عن بُدَّار ، عن يحيى بن سعيد القطان به . وقال : حسن صحيح .

(١) : فوداه مائة ناقة . (٢) : الدحول : جمع دحل ، وهو النار .

قلت : فإن كان نهياً فلا إشكال ، وإن كان نفيًا فقال البيهقي : معناه على كفر أهلها .

وفي صحيح مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله ابن مطيع ، عن أبيه مطيع بن الأسود العدوي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا يُقتل قرشيٌّ صَبْرًا بعدَ اليوم إلى يوم القيامة » والكلام عليه كالأول سواء .

قال ابن هشام : وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أخذت به الأنصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « معاذ الله ! الحنينا حنينا كم والمات م ماتكم » .

وهذا الذي علّقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في مسنده فقال : حدثنا بهز وهاشم قالوا : حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت ، وقال هاشم : حدثني ثابت البناني ، حدثنا عبد الله بن رباح قال : وفدت وفودًا إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال : وكان أبو هريرة يُكثر ما يدعوننا ، قال هاشم : يكثر أن يدعوننا إلى رحله . قال : فقلت : ألا اصنع طعامًا فأدعوهم إلى رحلي ؟ قال : فأمرتُ بطعام يُصنع ، فلقيت أبا هريرة من العشاء قال : قلت : يا أبا هريرة الدعوة (٢) عندي الليلة . قال : استبقتني (١) ؟ قال هاشم : قلت : نعم فدعوتهم فهم عندي .

(٢) الأصل : الدعوى .

(١) الأصل : استبقتني .

فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يامعشر الأنصار؟ فذكَرَ فتح مكة، قال: أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدخل مكة، قال: فبعث الزبيرَ على أحدِ المَجَنَّبَتَيْنِ وبعث خالدًا على المَجَنَّبَةِ الأخرى وبعث أبا عبيدة على الجسر، وأخذوا بطنَ الوادي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته وقد وبشت^(١) قريشَ أوْباشها، قال: قالوا: نقدّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطيناها الذي سألنا. قال أبو هريرة: فنظر فرآني فقال: «ياأبا هريرة» فقلت: لبيك رسول الله، فقال: «اهتف لي بالأنصار ولا يأتيني إلا أنصاري» فهتفتُ بهم فجاءوا فأطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون إلى أوْباش قريش وأتباعهم؟» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى: «احصدوهم حصداً حتى تُوافوني بالصفّا».

قال: فقال أبو هريرة: فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ماشاء، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئاً.

قال: فقال أبو سفيان: يارسول الله أبيضت خضراء قريش، لا قريشَ

بعد اليوم!

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أغلقَ بابَه فهو آمن، ومن دخل دار

أبي سفيان فهو آمن» قال: ففلقَ الناس أبوإبراهيم.

قال: وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت

قال: وفي يده قوس آخذ بسية القوس، قال: فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت

يميدونه. قال: فجعل يَطْعَنُ بها في عينه ويقول: «جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إنَّ

الباطل كان زهوقاً».

قال : ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه .

قال : والأنصار تحمت . قال : يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قرينته ورافة بمشيرته .

قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى .

قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ، ثم قال : « يامعشر الأنصار ، ألقم : أما الرجل فأدركته رغبة في قرينته ورافة بمشيرته ؟ قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : « فما أسمى إذا ؟ ! كلا إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالحقيا محياكم والمات مماتكم » .

قال : فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله ورسوله . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم » وقد رواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة . زاد النسائي : وسلام ابن مسكين .

ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثتهم عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح الأنصارى نزيل البصرة ، عن أبي هريرة به نحوه .

وقال ابن هشام : وحدثني - يعنى بعض أهل العلم - أن فضالة بن عمير بن الملوّح - يعنى الليثى - أراد قتل النبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضالة ؟ » قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال : « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله . قال : فضحك

النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه

فكان فضالة يقول : والله مارفع يده عن صدرى حتى مامن خالق الله شىء أحب إلى منه .

قال فضالة : فرجعتُ إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها قالت : هلم إلى الحديث ؟ فقال : لا وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يَا أَبَى عَلِيكَ اللهُ وَالْإِسْلَامُ
لو مارأيتِ محمدًا وقبيلَه بالفتح يوم تُكسر الأصنامُ
لأريتِ دينَ الله أضْحَى يَنِينًا والشركَ يَفشى وجهه الإِظلامُ

قال ابن إسحق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة [عن عائشة ^(١)] قالت : خرج صفوان بن أمية يريد جدّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يانبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمنته يارسول الله صلى الله عليك . فقال : « هو آمن » .

فقال : يارسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عامته التي دخل فيها مكة .

فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان فذاك أبى وأمى الله الله فى نفسك أن تهلكها ، هذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئتك به . قال : ويلك اعزب عنى فلا تكلمنى . قال : أى صفوان فذاك أبى وأمى أفضل الناس وأبرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ، ابن عمك عزّه عزك وشرفه

شرفك ومُلْكك مُلكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أخلم من ذلك وأكرم .

فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد آمننتي ؟ قال : « صدق » قال : فاجعلني بالخيار فيه شهرين . قال : « أنت بالخيار أربعة أشهر » .

ثم حكى ابن إسحاق عن الزهري أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل وقد ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته فأسلم ، فلما أسلما أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتهما بالنكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسانُ ابن الزُّبَيْرِ وهو بنجران بيت واحد مازاد عليه :

لَا تَعْدَنَّ رَجُلًا أَحَلَّكَ بَعْضُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشِ أَحَدٍ لَيْمٍ (١)

فلما بلغ ذلك ابن الزُّبَيْرِ خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال حين أسلم :

يارسول الملّيك إن لساني راتقٌ ما فتقتُ إذ أنا بُورُ
إذ أباري الشيطانَ في سننِ النّعيِّ ومن مالٍ مَيْلَه مفرورُ (٢)
أمنَ اللحمِ والعظامِ لربيِّ ثم قلبي الشهيْدُ أنت النذيرُ
إنني عنك زاجرٌ ثمّ حيًّا من لؤيِّ وكلهم مفرورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ أيضًا حين أسلم :

منعَ الرقادَ بلابلٌ وهمومٌ واللّيلُ مُعتلجُ الرّواقِ بهيمُ
مما أتاني أن أحمدَ لآمني فيه فبتُّ كأنني محمومُ

(١) الأخذ : القليل المنقطع . (٢) غير ١ : مشهور .

ياخير من حملت على أوصالها
إني لَمعتذرٌ إليك من الذي
أيامَ تأمرني بأغوى خِطَّة
وأمدُّ أسبابَ الردى ويَقودني
فاليوم آمنَ بالنبيِّ محمدٍ
مضت العداوةُ وانقضت أسبابها
فاغفر فدي لك والدي كلالها
وعليك من علم المليك علامةُ
أعطاك بعدَ محبةٍ برهانهُ
ولقد شهدتُ بأن دينك صادق
والله يشهد أن أحمدَ مصطفي
قرمٌ علا بنيانه من هاشم

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزبيرى السهمى من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين
استعملوا قواهم في هجاء المسلمين ، ثم من الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام
والقيام بنصره والذَّب عنه .

فصل

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ، من
بنى سُلَيم سبعمائة . ويقول بعضهم : ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة]

ومن مُزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

وقال عروة والزهرى وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفاً . فإله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءِ إِلَى عَذْرَاءٍ مَنَزَلَهَا خَلَاءُ (١)
دِيَارًا مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفَرْتُ تَعْفِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ (٢)
وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ خِلَالَ مَرْوَجِهَا نَعْمٌ وَشَاهِ
فَدَعَ هَذَا وَلَكِنْ مِنْ لَطِيفِ يُوْرَقِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لَشَعْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمْتَهُ فَلَيسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَانَ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجِهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ (٣)
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِنَّ لَطِيبُ الرِّاحِ الْفِدَاءُ
نَوَلِيهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَنَّا إِذَا مَا كَانَ مَعْتُ أَوْ لِحَاءُ (٤)
وَنَشْرِبَهَا فَفَتَرَكْنَا مَلوكًا وَأَسْدًا مَا يُنْهِنُهَا الْقَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدَهَا كَدَاءُ
يِنَازِعُنِ الْأَعِنَّةَ مُضْغِيَاتٍ عَلَى أَكْتِافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ (٥)
تَظَلُّ جِيَادَنَا مَتَمَطَّرَاتٍ يَلْطَمُنَنَّ بِالْحَجَرِ النِّسَاءُ

(١) الجواء والعذراء : مواضع بالشام .

(٢) الروامس : الرياح . والسماء : المطر .

(٣) الخبيثة : الحجر المصونة . وبيت رأس : موضع بالأردن .

(٤) أَلْمَنَّا : فعلنا ما نستحق عليه اللوم . والمعْت : الضرب باليد . واللحاء : الملاحة باللسان .

(٥) مضغيات : مواثيل منحرفات . والأسل : الرماح .

فإِذَا تَعَرَّضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءَ
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحُلَاكِ يَوْمٍ يَعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاةُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقَوْمُوا صِدْقَهُ فَقَلِّمِ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتِهَا اللَّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدِّ سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكَمُ بِالْقَوَائِي مَنْ هَجَانَا وَتَضْرِبُ حِينَ تَمْتَلِطُ الدَّمَاءُ
أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي مُعَاذَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
بَأَنَّ سَيُوفَنَا تَرَكْتِكَ عَبْدًا وَعُبْدُ الدَّارِ سَادَتِهَا الْإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفَاءٍ فَشَرُّكَ كَالْخَيْرِ كَمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مَبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينُ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدُحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لِسَانِي صَارَمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَتَجْرِي لَا تَكْدُرُهُ الدَّلَاءُ

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجه لما في أثناء هذه القصيدة ، مما يدل على ذلك ، وأبو سفيان

المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وبلغني عن الزهري أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

النساء يلطمن الخيل بالخمير تبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زعيم الدبلي يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي - يعني لما جاء يستنصر عليهم - كما تقدم :

أنت الذي تهدي معدي بأمره
وما حملت من ناقة فوق رحلها
أحت على خير وأسمع نائلا
وأكسى ليزد الخلال قبل ابتداله
تعلم رسول الله أنك مدركي
تعلم رسول الله أنك قادر
تعلم بأن الركب ركب عويمر
ونبوا رسول الله أني هجوته
سوى أني قد قلت ويل ام فتية
أصابهم من لم يكن لدمائهم
وإنك قد أخبرت أنك ساعيا
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا
وسلمى وسلمى ليس حتى كئله
فإني لا ذنبا (٥) فتقت ولا دما

بل الله يهديهم وقال لك أشهد
أبر وأوفى ذمة من محمد
إذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأعطى لرأس السابق المتجرد (١)
وأن وعيدا منك كالأخذ باليد
على كل صرم متهمين ومُنجد (٢)
هم الكاذبون الخلفو كل موعدا
فلا حملت سوطي إلى إذن يدي
أصيدوا بنحس لا بطلق وأسعد (٣)
كفلاء فغزت عبرتي وتبلدي
بعبد بن عبد الله وابنة مهود (٤)
جميعا فإن لا تدمع العين أكمدا
وإخوته وهل ملوك كأعبد
هرقت تبين عالم الحق واقصد

قال ابن إسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح :

نقى أهل الحبلى (١) كل فجاج
مزينة غدوة وبنو خفاف
ضربناهم بمكة يوم فتح النبي الخير بالبيض الخفاف
صبحناهم بسبع من سلمى وألف من بني عثمان واف
نظا أكتافهم ضربا وطعنا ورشقا بالريشة اللطاف

(١) الحال : برد من برد اليمن ، وهو من رفيع الثياب . (٢) الصرم : الطائفة من البيوت .
(٣) الطلق : الأيام الطيبة . (٤) ابن هشام : فإنك قد أخفرت إن كنت ساعيا . (٥) ابن هشام : فإني لا ديننا .
(٦) الحبلى : أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحبلى : الغنم الصغار ولعله أراد أصحاب الغنم .

ترى بين الصفوف لها حَفيفًا كما انصاع الفواق من الرصافِ
فرحنا والجيادُ تجول فيهم بأرماحٍ مقومةٍ الثفافِ
فأبنا غانمين بما اشتهيننا وآبوا نادمين على الخلافِ
وأعطينا رسولَ الله منا موثقنا على حسن التصافِ
وقد سمعوا مقاتلتنا فهِمُوا غداةَ الرَّوعِ منا بانصرافِ

وقال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة :

منا بمكة يومَ فتح محمد ألف تسيل به البطاحُ مسومٌ
نصروا الرسولَ وشاهدوا آياته^(١) وشعارهم يومَ اللقاءِ مقدمٌ
في منزلٍ ثبتتْ به أقدامهم ضَنكُ كأنَّ الهامَ فيه الخنم^(٢)
جرتْ سناكبها بنجد قَبيلها حتى استقام لها الحجازُ الأدمُ
الله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجدَّ مِرْحَمُ
عَوْدُ الرياسةِ شامخٌ عِرْنينه متطلعٌ تُغرُّ المكارمُ خِضْم^(٣)

وذكر ابن هشام في سبب إسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنما من حجارة يقال له ضمار ، فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتا من جوفه وهو يقول :

قُلْ للقبائل من سَلِمِ كلها أودى ضمار وعاش أهلُ المسجدِ
إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مرِّيم من قريش مهتدي
أودى ضمارٍ وكان يُعبَدُ مَدَّةً قبل الكتابِ إلى النبي محمدِ

قال : فخرق عباس ضمار ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وقد تقدمت

هذه القصة بكاملها في باب هواتف الجنان^(٤) ، مع أمثالها وأشكالها والله الحمد والمنة .

(١) ابن هشام : وشاهدوا أيامه .

(٢) الخنم : الخنظل .

(٣) العود : يريد الرجل المسن والعرينين : الأنف . والخنصرم : الجواد العطاء .

(٤) تقدم ذلك في الجزء الأول س ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد

بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً . ومعه قبائل من العرب وسُكَّيم بن منصور ومُذَلِّج ابن مرة ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلسكم يا بني جذيمة إنه خالد! والله ما بعدَ وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأَعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً .

قال : فأخذه رجال من قومه فقالوا : يا جَحْدَم أتريد أن تسفك دماءنا ؟ ! إن الناس قد أسلموا ووضعت الحربُ وآمن الناس .

فلم يزلوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فقال حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكثفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال .
« اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل أنكروا عليه أحدٌ ؟ » فقال : نعم قد أنكروا عليه رجل أبيض ربعة فتممه^(١) خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مُضطرب فاشتدَّت مراجعتُهما . فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : محدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال : « يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ، واجعل أمرَ الجاهلية تحت قدميك » .

فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليدى مِيلغة^(٢) الكلب ! حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علي حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يُودَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني أعطيك هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون .

ففعل ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : « أصبتَ وأحسنْتَ » . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبَيْه يقول : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقتلهم لا متيناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المديني : لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا : صَبَّأْنَا صَبَّأْنَا .

(١) نهمه : زجره .

(٢) الميلغة : ما يحفر من الحشب ليلغ فيه الكلب ، ويكون عند أصحاب الغنم .

وهذه مرسلات ومنقطعات .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني - أحسبه قال - جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحسنوا أن يقولوا : أسلمنا . فجمعوا يقولون : صبأنا صبأنا ، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلاً .

قال : ودفع إلى كل رجل منا أسيراً ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجلٍ منا أسيرَه . قال ابن عمر : فقلت : والله لأقتل أسيري ولا يقتل أحد من أصحابي أسيرَه . قال : فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا صنيع خالد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ورفع يديه : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين . ورواه البخاري والنسائي من حديث عبد الرزاق به نحوه .

قال ابن إسحاق : وقد قال لهم جِدِّمْ لِمَا رَأَى مَا يَصْنَعُ خَالِدٌ : يَا بَنِي جَذِيمَةَ ضَاعَ الضَّرْبُ ، عَدَّ كَفْتُ حَذَرْتُمْ مِمَّا وَقَعْتُمْ فِيهِ .

قال ابن إسحاق : وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام؟ فقال : إنما نأرتُ بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلتُ قاتل أبي ، ولكنك نأرتَ لعمرك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شر .

فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مهلاً يا خالد دع عنك أصحابي ، هو الله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ما أدركتَ غَدْوَةَ رَجُلٍ من أصحابي ولا رَوْحَتَهُ » .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد ، في خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان ، في تجارة إلى اليمن ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن ، فحملوه إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بأرض بني جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا إلى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قُتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما .

وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفرَّ منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهتَمَ قريش بغزو بني جذيمة ، فبعث بنو جذيمة يمتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملامتهم وودّوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهم .

يعنى فلماذا قال خالد لعبد الرحمن : إنما نأرتُ بأبيك ، يعنى حين قتلته بنو جذيمة . فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ، وردَّ عليه بأنه إنما نأر بعمة الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله .

والظنون بكلِّ منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك ، وإنما يقال هذا في وقت الحِصمة ، وإنما أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أمر واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم : صبيّاً ناصباً لنا . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا ، فقتل طائفة كثيرة منهم وأسرى بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يفرزه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل استمر به أميراً ، وإن كان قد تبرأ منه في صنيعه ذلك وودى ما كان جناه خطأ في دم أو مال .

ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله . والله أعلم .

ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة ، وتأول عليه ماتأول

حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أمّ تميم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله فإن في سيفه رهقاً . فقال الصديق : لا أغمد سيفاً سلّه الله على المشركين .

وقال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حذرّد الأسلمي قال : كنت يوماً في خيل خالد بن الوليد فقال فتى من بني جذيمة ، وهو في سنيّ وقد مُجعت يدها إلى عنقه برُمة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى . قلت : ما نشاء ؟ قال : هل أنت آخذٌ بهذه الرُمة فقاundy إلى هؤلاء النسوة حتى أفضى إليهن حاجة ثم تردّتي بعدُ فتصنعوا ما بدا لكم .

قال : قلت : والله ليسيرٌ ما طلبت . فأخذت برُمة فقدّته بها حتى وقفته عليهن فقال اسلمي حبيش على نقد^(١) العيش :

أرَيْتُكَ إِذْ طَلَبْتُكُمْ فوجدتُكُمْ بِحِلْيَةٍ أَوْ الْفَيْتُكُمْ بِالْحَوَانِقِ^(٢)
ألم يَكْ أهُلاً أَنْ يَنْوُلَ عاشقٌ تَكَلَّفَ إِدْلاجَ السَّرِيِّ وَالوَدَائِقِ^(٣)
فلا ذنبَ لي قد قلتُ إِذْ أَهَلْنَا معاً أَثْبِي بَوْدِي قَبْلَ إِحدَى الصَّفائِقِ^(٤)
أثْبِي بَوْدِي قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوِي وَيَنْأَى الأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ المَفارِقِ^(٥)
فإني لا ضيَعْتُ سِرّاً أمانةٍ ولا راقٍ عيني عنك بعدك رائق^(٦)
سوى أن ما نالَ العشيّةَ شاغلٌ عن الودِّ إلا أن يكونَ التوامقِ^(٧)

قالت : وأنت فخييت عَشراً وتسعاً وترأ وثمانية تثرى .

قال : ثم انصرفت^(٨) به فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : لحدثني أبو فراس بن أبي سنبلَةَ الأسلمي ، عن أشياخ منهم ،

(١) النقد : الاقضاء .
(٢) حلية والحوانق : موضعان بهتامة .
(٣) السرى : سير عامة الليل . والودائق : جمع وديقة وهي شدة الحر في نصف النهار .
(٤) الصفايق : الدواهي .
(٥) تشحط : تبعث .
(٦) وتروى : فإني لاسر لدى أضعته . ذم الهوى لابن الجوزي : ٤٩٦ .
(٧) التوامق : التجاب .
(٨) ت : ثم قالت : انصرفت به . فضربت عنقه .

عن كان حضرها منهم قالوا: فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكبّت عليه فما زالت تقبّله حتى ماتت عنده!

وروى الحافظ البيهقي من طريق الحميدي ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك بن نوفل بن مسحاق ، أنه سمع رجلا من مزينة يقال له ابن عصام عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية قال : « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً » . قال : فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وأمرنا بذلك ، فخرجنا قبل تهامة ، فأدركنا رجلا يسوق بظعان فقلنا له : أسلم . فقال : وما الإسلام ؟ فأخبرناه به ، فإذا هو لا يعرفه ، قال : أفرايتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال : قلنا نقتلك . فقال : فهل أنتم منظرى حتى أدرك الظعان ؟ قال : قلنا نعم ونحن مذكرك .

قال : فأدرك الظعان فقال : اسلمى حبيش قبل نفاذ العيش . فقالت الأخرى : اسلمت عشراً وتسعاً وتراً وثمانياً تترى . ثم ذكر الشعر المتقدم إلى قوله : ويئأى الأمير بالحبيب المفارق . ثم رجع إلينا فقال : شأنكم . قال : فقد مناه فصر بنا عنقه . قال : فأنحدرت الأخرى من هودجها فحشّت عليه حتى ماتت .

ثم روى البيهقي من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ، حدثنا محمد بن علي بن حرب المرؤزي ، حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم : إني لست منهم ، إني عشقت امرأة فلحقتها فدعوني أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم . فإذا امرأة أدماء طويلة فقال لها : اسلمى حبيش قبل نفاذ العيش . ثم ذكر البيتين بمعناها .

قال : فقالت : نعم فديتك ! قال : فقدّموه فصر بوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقمت عليه فشتمت شهقة أو شهقتين ثم ماتت .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال: «أما كان فيكم رجلٌ رحيمٌ!» .

بعث خالد بن الوليد لهدم العزى

قال ابن جرير: وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ .

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى، وكانت بيتا بنخله يعظمه قريش وكنانة ومُضَر، وكان سدّتها وحجّابها من بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم، فلما سمع حاجبها^(١) السامى بمسير خالد بن الوليد إليها علّق سيفه عليها ثم اشتد^(٢) في الجبل الذى هى فيه وهو يقول:

أيا عَزَى شُدَى شِدَّةَ لا شَوَى لها على خالد أبقِ القِنَاعَ وشمّرى^(٣)

أيا عَزَى إن لم تقتلى المرءَ خالداً فبؤنى يائماً عاجلٍ أو تنصّرى

قال: فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الواقدى وغيره أنه لما قدّمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مارأيتَ؟» قال: لم أَر شيئاً . فأمره بالرجوع، فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوادء ناشرة شعرها تؤنّول فعلاها بالسيف وجعل يقول:

يا عَزَى كُفْرانِكِ لا سبْحانِكِ إني رأيتُ الله قد أهانِكِ

ثم خرّب ذلك البيت الذى كانت فيه، وأخذ ما كان فيه من الأموال رضى الله عنه وأرضاه، ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «تلك العزى ولا تُعبَدُ أبداً» .

(٢) ابن هشام: أسند .

(١) ابن هشام: صاحبها .

(٣) الشوى: أن يصبغ غير المقائل يريد أنها لا تبقى على شىء .

وقال البيهقي : أنبأنا محمد بن أبي بكر الفقيه ، أنبأنا محمد بن أبي جعفر ، أنبأنا أحمد ابن علي ، حدثنا أبو كريب ، عن ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطُّفَيْل قال : لما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ بعث خالدَ بن الوليدَ إلى نخلة وكانت بها العزْبي ، فأناها ، وكانت على ثلاث سَمَرَات ، فقطع السمراتِ وهدم البيت الذي كان عليها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : « ارجع فإنك لم تصنع شيئاً » .

فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها أمعنوا هرباً في الجبل وهم يقولون : يا عَزْبِي خَبْلِيه ، يا عَزْبِي عَوْرِيه ، وإلا فتوتى برغم !
قال : فأناها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تَمْخُو السراب على رأسها ، ووجهها ، فمسمها بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : « تلك العزْبي » .

فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكة

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويُفطر . وهذا دليلٌ من قال من العلماء إن المسافر إذا لم يُجْمَع الإِقامةُ فله أن يقصر ويُفطر إلى ثمانى عشر يوماً في أحد القولين ، وفي القول الآخر كما هو مقررٌ في موضعه .
قال البخارى : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ح . وحدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن يحيى بن أبي إسحاق ، عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عَشْرًا يقصر الصلاة .

وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة ، عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي البصري ، عن أنس به نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا عبدان ، حدثنا عبد الله ، أنبأنا عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة عشر يوماً يصلى ركعتين .
ورواه البخارى أيضاً من وجه آخر ، زاد البخارى وأبو حصين كلاهما . وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، من حديث عاصم بن سليمان الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

في لفظ لأبي داود : سبعة عشر يوماً .

وحدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أحمد بن شهاب ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أقامنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر تسع عشرة نقصر الصلاة .

قال ابن عباس : فنحن نقصر ما بيننا وبين^(١) تسع عشرة ، فإذا زدنا^(٢) أتممنا .

وقال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن عليه ، أنبأنا علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن عمران بن حصين ما قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح ، فأقام ثمانى عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين يقول : « يا أهل البلد صلوا أربعاً فإننا سفر » .

وهكذا رواه الترمذى من حديث علي بن زيد بن جدعان ، وقال : هذا حديث حسن .

ثم روى أبو داود من حديث محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . ثم قال : رواه غير واحد ، عن ابن إسحاق لم يذكره ابن عباس .

(١) غير أ : نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة . (٢) ت : فإذا أردنا .

وقال ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ومحمد بن علي بن الحسين ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة .

فصل ومما حكم عليه السلام بمكة من الأحكام

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme^(١) ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الليث : حدثني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن عائشة قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمة ، وقال عتبة : إنه ابني : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمة فأقبل به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه عبد بن زمة ، فقال سعد بن أبي وقاص : هذا ابن أخي عهد إلى أنه ابني . قال عبد بن زمة : يارسل الله : هذا أخي ، هذا ابن زمة ، ولد على فراشه ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن وليدة زمة فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هولك ، هو أخوك يا عبد بن زمة من أجل أنه ولد على فراشه » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احتجبي منه يا سودة » لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص .

قال ابن شهاب : قالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . قال ابن شهاب : وكان أبو هريرة يصرح^(٢) بذلك .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذي جميعاً عن قتيبة عن الليث به . وابن ماجه من حديثه . وانفرد البخاري بروايته له من حديث مالك عن الزهري .

(١) الأصل : ابن مسلم . وما أثبتته عن صحيح البخاري . (٢) البخاري : يصيح .

ثم قال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا يونس ، عن ابن هباب ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن امرأة سُرقت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه .

قال عروة : فلما كَلَّمَهُ أسامة فيها تلَوَّن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : « أتكلمنى فى حدِّ من حدود الله ؟ » فقال أسامة : استغفر لى يا رسول الله .

فلما كان العشى قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فأنثى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ ، والذي نفسُ محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ! » .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها ، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت .

قالت عائشة : كانت تأتى بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد رواه البخارى فى موضع آخر ، ومسلم من حديث ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة به .

وفى صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهني قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ، ثم لم يخرج حتى نهى عنها .

وفى رواية فقال : « ألا إنها حرامٌ حرامٌ من يومكم هذا إلى يوم القيامة » .

وفى رواية فى مسند أحمد والسنن ، أن ذلك كان فى حجة الوداع . فالله أعلم .

وفى صحيح مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شيبه ، عن يونس بن محمد ، عن عبد الواحد ابن زياد ، عن أبى العميس عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه أنه قال : رخص

لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في متعة النساء ثلاثاً ثم نهانا عنه .

قال البيهقي : وعام أوطاس هو عام الفتح . فهو وحديث سبرة سواء .

قلت : من أثبت النهى عنها في غزوة خيبر قال : إنها أبيضت مرتين ، وحرمت

مرتين . وقد نص على ذلك الشافعي وغيره .

وقد قيل : إنها أبيضت وحرمت أكثر من مرتين . فالله أعلم . وقيل : إنها إنما

حرمت مرة واحدة ، وهي هذه المرة في غزوة الفتح .

وقيل : إنها إنما أبيضت للضرورة ، فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيضت . وهذا

رواية عن الإمام أحمد .

وقيل : بل لم تحرم مطلقاً ، وهي على الإباحة . هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه

وطائفة من الصحابة . وموضع تحرير ذلك في الأحكام .

فصل

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جريج ، أنبأنا عبد الله بن عثمان

ابن حُثَيْم ، أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسول الله صلى الله

عليه وسلم يبايع الناس يوم الفتح ، قال : جلس عند قرنٍ مستقبلاً ، فبايع الناس على

الإسلام والشهادة . قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه

بايعهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

تفرد به أحمد .

وعند البيهقي : فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على

الإسلام والشهادة .

وقال ابن جرير : ثم اجتمع الناس بمكة لببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على

الإسلام ، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .

قال : فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، وفيهن هند بنت عتبة مُتَنَقِّبَةً مُتَنَكِّرَةً بِجَدِيثِهَا^(١) لما كان من صنعها بحمزة .

[فهى تخاف أن يأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بِجَدِيثِهَا ذَلِكَ ، فلما دَنَيْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُبَايِعُنَا قَالَ : « بَايَعَنِي عَلَى أَلَّا تُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا » فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه من الرجال .

« ولا تسرقن » فقالت : والله إني كنت أصبتُ من مال أبي سفيان الهنّة بعد الهنّة ، وما كنت أدري أكان ذلك علينا حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول - : أمّا ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه في حلّ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإنك لهند بنت عتبة ؟ » قالت : نعم فاعفُ عما سلف ، عفا الله عنك .

ثم قال : « ولا يزّنين » فقالت : يا رسول الله وهل تزني الحرة !

ثم قال : « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قد ربّيناهم صفاراً أفقتلهم كباراً ؟ فأنت ومم أعلم ! فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق .

ثم قال : « ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت : والله إنّ إتيان البهتان لقبیح ، ولبعضُ التجاوز أمثل .

ثم قال : « ولا بعصينتي » فقالت : في معروف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « بايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » .

(١) ت : لحدتها .

فبايعهن عمر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوافق النساء ولا يمسُّ إلا امرأةً أحلها الله له أو ذات محرم منه .

وثبت في الصحيحين ، عن عائشة رضی الله عنها ، أنها قالت : لا والله ما مسَّت يدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَ امرأة قط . وفي رواية : ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول : « إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة » .

وفي الصحيحين عن عائشة ، أن هنداً بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بَنِيَّ ، فهل عليَّ من حرج إذا أخذتُ من ماله بغير علمه ؟ قال : خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك [١] .

[وروى البيهقي من طريق يحيى بن بُكَيْر ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو خبياء - الشكُّ من أبي بكر - أحبُّ إليَّ من أن يذلّوا من أهل أخبائك - أو خبيائك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خبياء أحبُّ إليَّ من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبيائك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأيضاً والذي نفس محمد بيده » قالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ شحيح ، فهل عليَّ حرجٌ أن أُطعم من الذي له ؟ قال : « لا ، بالمعروف » .

ورواه البخاري ، عن يحيى بن بكير بنحوه . وتقدم ما يتعلق بإسلام أبي سفيان [٢] .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن

مجاهد ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهادٌ ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » .

ورواه البخارى ، عن عثمان بن أبى شيبه ، ومسلم ، عن يحيى بن يحيى عن جرير .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهب ، حدثنا ابن طاووس ، عن أبيه ، عن صفوان بن أمية ، أنه قيل له : إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر . فقلت له : لا أدخل منزلى حتى أسأل رسول الله ما سأله . فأتيته فذكرت له فقال : « لا هجرة بعد فتح مكة ، ولكن جهادٌ ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » .

تفرد به أحمد .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا الفضيل بن سليمان ، حدثنا عاصم ، عن أبى عثمان النهدي ، عن مجاشع بن مسعود ، قال : انطلقتُ بأبى معبد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الهجرة فقال : « مضت الهجرة لأهلها ، أبايعه على الإسلام والجهاد » .

فلقيت أبا معبد فسألته فقال : صدق مجاشع .

وقال خالد ، عن أبى عثمان ، عن مجاشع ، أنه جاء بأخيه مجالد .

وقال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا عاصم ، عن أبى عثمان ، قال : حدثنى مجاشع قال : أتيت رسول الله بأخى بعد يوم الفتح فقلت : يا رسول الله جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة ، قال : « ذهب أهلُ الهجرة بما فيها » فقلت : على أى شيء تبايعه ؟ قال : « أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد » .

فلقيت أبا معبد بعدُ وكان أكبرهما سنًا فسألته فقال : صدق مجاشع .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ،

عن مجاهد ، قال : قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر إلى الشام ؟ فقال : لا هجرة ولكن انطلق فاعرض نفسك ، فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت .

وقال أبو النضر : أنبأنا شعبة ، أنبأنا أبو بشر ، سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر فقال : لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - مثله .

حدثنا إسحاق بن يزيد ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثني أبو عمرو الأوزاعي ، عن عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد بن جبير ، أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق بن يزيد ، أنبأنا يحيى بن حمزة ، أنبأنا الأوزاعي ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفرُّ أحدُم بدينه إلى الله عز وجل وإلى رسوله مخافة أن يُقتل عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث يشاء ، ولكن جهادٌ ونية .

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة ، إما الكاملة أو مطلقاً ، قد انقطعت بعد فتح مكة ، لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وظهر الإسلام وثبتت أركانها ودعائمه ، فلم تبق هجرة .

اللهم إلا أن يعرض حال يقتضى الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم ، فتجب الهجرة إلى دار الإسلام . وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء .

ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلاً من الجهاد والإنفاق في

سبيل الله مشروع وورع فيه إلى يوم القيامة ، وليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل الفتح فتح مكة .

قال الله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى (١) » الآية .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري الطائي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها وقال : « الناس خير وأنا وأصحابي خير » وقال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » .

فقال له مروان : كذبت . وغنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ! فرجع مروان عليه الدرّة ليضربه ، فلما رأى ذلك قال : صدق .

تفرد به أحمد .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدُخَلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجدّ في نفسه ، فقال : لم تُدخِل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون في قول الله عز وجل : « إذا جاء نصر الله والفتح » ؟ فقال بعضهم : أمرنا

أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً . فقال لى :
أ كذاك تقول يا بن عباس ؟ قلت : لا . فقال : ما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : « إذا جاء نصر الله والفتح » فذلك علامة أجلك
« فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً » قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها
إلا ما يقول .

تفرد به البخارى .

وهكذا روى من غير وجه عن ابن عباس ، أنه فسّر ذلك بقضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى أجله ، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد ، كما قال ابن
عباس وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء ، عن
سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : « إذا جاء نصر الله والفتح » قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُعيت إلى نفسى » بأنه مقبوض فى تلك السنة .

تفرد به الإمام أحمد وفى إسناده عطاء بن أبى مسلم الخراسانى ، وفيه ضعف تكلم
فيه غير واحد من الأئمة ، وفى لفظه نكارة شديدة وهو قوله : بأنه مقبوض فى تلك
السنة . وهذا باطل ، فإن الفتح كان فى سنة ثمان فى رمضان منها كما تقدم بيانه ، وهذا
مالا خلاف فيه .

وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول من سنة إحدى عشرة بلا
خلاف أيضاً .

وهكذا الحديث الذى رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى رحمه الله ، حدثنا إبراهيم
ابن أحمد بن عمر الوكيعى ، حدثنا أبى ، حدثنا جعفر بن عون ، عن أبى العُميس ، عن

أبي بكر بن أبي الجهم ، عن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً : « إذا جاء نصر الله والفتح » .

فيه سكرة أيضاً ، وفي إسناده نظر أيضاً ، ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم .

وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب عن أبي قلابة ، عن عمرو بن سلمة - قال لي أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله ؟ فلقمته فسألته - قال : كنا بماء تمر الناس ، وكان يمر بنا الركبان فسألهم : ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا ، فكنت أحفظ ذاك الكلام ، فكأنا يُغرى^(١) في صدرى ، وكانت العرب تلوم^(٢) بإسلامهم الفتح فيقولون : أتركوه وقومهم ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق .

فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبي حقا . قال : صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا فنظروا فلم يكن أحداً أكثر قرآنا متى لما كنت أتلقى من الركبان .

فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة إذا سجدت تقلصت عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تظنون عنا است قارئك ؟ فاشتروا فقطعوا الى قميصاً ، فما فرحت بشى فرحى بذلك القميص .

تفرد به البخارى دون مسلم .

(٢) تلوم : تنتظر .

(١) يغرى : يلقى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة هوازن يوم حنين

قال الله تعالى : « لقد نصرَكم الله في مواطن كثيرة ، ويومَ حنينٍ إذ أعجبكم كثرتم فلم تُغْنِ عنكم شيئاً ، وضائق عليكم الأرضُ بما رحبت ثم وليتمّ مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعدب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوبُ الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم . »

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه : أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة .

وهكذا روى عن ابن مسعود . وبه قال عروة بن الزبير واختاره أحمد وابن جرير في تاريخه .

وقال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن لست خلون من شوال ، فانتهى إلى حنين في عاشره . وقال أبو بكر الصديق : لن نُغلب اليوم من قلة ! فانهزموا فكان أول من انهزم بنو سليم ، ثم أهل مكة ثم بقية الناس .

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازنُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النضري ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم

يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء . وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكرلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً ، وفي ثقيف سيدان لهم ؛ وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث وأخوه أحر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النضري .

فلما أجمع المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحضر^(١) مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجار^(٢) له يقاد به ، فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم بحال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهن^(٣) ، مالي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويغار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قالوا : هذا مالك . ودعى له .

قال : يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويغار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أبناءهم وأموالهم . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم .

قال : فانقض^(٤) به ، ثم قال : راعي ضأن والله ! هل يرد المنهزم شيء ؟ ! إنها إن كانت لك لم ينفعك^(٥) إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت علينا فضضحت في أهلك ومالك .

(١) ت : حط مع الناس .

(٢) الشجار : مركب شبه الهودج .

(٣) الحزن : ما غلظ من الأرض ، والضرس : الحشن . والدهنس : اللبن (٤) انقض به : زجره .

(٥) ت : لا ينفعك .

ثم قال : ما فعلت كعبٌ وِكِلابٌ ؟ قال : لم يشهدا منهم أحد . قال : غاب الحدُّ والجدُّ لو كان يومَ علاءٍ ورفعةٍ لم تَنبَ عنه كعبٌ وِكِلابٌ ، ولودِدْتُ أنكم فعلتم ما فعلت كعب وِكِلاب ، فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر . قال : ذاك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البَيضة بيضة هوازن إلى نحر الخليل شيئاً .

ثم قال دُرَيْدٌ لمالك بن عوف : ارفعهم إلى مُتَمَنِّعٍ^(١) بلادهم وعلِياء قومهم ثم اتى الصُّبَاءَ على متون الخليل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك .

قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ! ثم قال مالك : والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لآتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدُرَيْدٍ فيها ذكرٌ أو رأى . فقالوا : أطمعناك .

فقال دريد : هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتني :

يا ليتني فيها جَذَعٌ أخبٌ فيها وأضع^(٢)

أقود وطفاء الزمَعِ كأنها شاةٌ صدع^(٣)

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جُفُونَ سيوفكم ثم شدوا شدة رجلٍ واحدٍ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أمية بن عبد الله بن عثمان ، أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيمونا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال : ويلكم ماشأنكم ؟ قالوا :

(١) : مُتَمَنِّعٌ . (٢) الجذع : الشاب . وأخب : أسرع .

(٣) الوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : جمع زمعة وهي هنة زائدة وراء الظلف . والشاة : حمار الوحش . والصدع : الفتي القوى .

رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلُق ، فو الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى . فو الله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله ابن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم عليهم ثم يأتيه بخبرهم .

فانطلق ابن أبي حذرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر .

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدراعاً له وسلاحاً فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : « يا أبا أمية أعزنا سلاحك هذا نلتقي فيه عدونا غدا » .

فقال صفوان : أغضباً يا محمد ؟ قال : « بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك » قال : ليس بهذا بأس .

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم تحملها ففعل .

هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسناد .

وقد روى يونس بن بُكير عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهرى وعبد الله (١) ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الأدرع كما تقدم ، وفيه أن ابن أبي حذرد لما رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) : عن ابن أبي بكر .

خيرَ هوازن كذَّبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبي حدرد : لئن (١) كذَّبتني
يا عمر فر بما كذَّبتَ بالحق . فقال عمر : ألا تسمع ما يقول يارسول الله ؟ فقال : « قد كنت
ضالاً فهداك الله » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن عبد العزيز بن
رفيع ، عن أمية بن صفوان بن أمية ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار
من أمية يومَ حنينٍ أدراعاً فقال : أغصباً يا محمد ؟ فقال : « بل عاريةٌ مضمونة » قال :
فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فقال : أنا اليوم
يارسول الله في الإسلام أرغبُ .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث يزيد بن هارون به .

وأخرجه النسائي من رواية إسرائيل ، عن عبد العزيز بن ربيع ، عن ابن أبي مُليكة
عن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان
دروعاً . فذكره .

ورواه من حديث هُشيم ، عن حجاج ، عن عطاء ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً . وساق الحديث .

وقال أبو داود : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن
رفيع ، عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« يا صفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال : عارية أم غصباً ؟ قال : « بل عارية » فأعاره
ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً فلما هُزم
المشركون جُمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لصفوان : « قد فقدنا من أدرأك أدرأعا فهل نفرم لك ؟ » قال : لا يارسول الله إن في قلبي اليوم مالم يكن يومئذ .
وهذا مرسل أيضاً .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهرى وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين^(١) اللذين سار بهم إلى هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدّم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم ، وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء .

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال . قال : واستخلف على أهل مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموى .
قلت : وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة .

قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لقاء هوازن .

ثم ذكر قصيدة العباس بن مردّاس السلمى [في ذلك منها قوله :^(٢)]

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها | منى رسالة نُصح فيه تبيان |
| إني أظن رسول الله صاحبكم | جيشاً له في فضاء الأرض أركان |
| فيهم سليم أخوكم غير تارككم | والمسلمون عباد الله غسان |
| وفي عَضادته النبي بنو أسد | والأجربان بنو عيس وذبيان |
| تكاد ترّجف منه الأرض رهفته | وفي مقدّمه أوس وعثمان |

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان قَبِيلَا مُزَيْنَةَ .

قال : وحدثني الزهري ، عن سنان بن أبي سنان الدبلي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية .

قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليا ، ويذبحون عندها ويمسكون عليها يوماً .

قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرَةً خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ! قلتُم والذي نفسي ^(١) بيده كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . إنها الشَّيْن ! لتركبن سنن من كان قبلكم » .

وقد روى هذا الحديث الترمذي ، عن شعيب بن عبد الرحمن الخزومي عن سفيان ، والنسائي عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن معمر كلاهما عن الزهري ، كما رواه ابن إسحاق عنه ، وقال الترمذي : حسن صحيح . ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه عن جده ، مرفوعاً .

وقال أبو داود : حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أبا سلام عن السُّلُوي ، أنه حدثه سهل بن الحنظلية ، أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فأطَّنبوا السيرَ حتى كان العشيَّة ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله

(١) : والذي نفس محمد

صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فارس فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرّة أبيهم بظفّهم وبنمهم وشائمهم اجتمعوا إلى حنين .

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « تلك غنيمةُ المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال : « من يخرسنا الليلة ؟ » قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول الله . قال : فاركب . فركب فرساً له وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا تُغرّن من قبلك الليلة » .

فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه فركع ركعتين ثم قال : « هل أحسنتم فارسكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ما أحسنناه . فتوّب^(١) بالصلاة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته قال : « أفسروا فقد جاءكم فارسكم » فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشعب ، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبحت طلعتُ الشعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل نزلت الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مصلياً أو قاضياً حاجة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أوجبت ، فلا عليك ألا تعمل بعدها ! » .

وهكذا رواه النسائي ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن كثير الحرّاني ، عن أبي توبة الربيع بن نافع به .

(١) توب : دعا إلى الصلاة .

فصل في كيفية الوقعة ، وما كان في أول الأمر من الفرار

ثم كانت العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : نخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ، فأعدوا وتهيئوا في مضايق الوادي وأحناؤه . وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عمابة الصبح ، فلما انحط الناس ثارت في وجوه الخيل فشدت عليهم ، وانكفأ الناس منهزمين لا يُقبل أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول : « أين أيها الناس ؟ هلموا إليّ أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » .

قال : فلا شيء ، وركبت الإبل بعضها بعضاً ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته : علي بن أبي طالب ، وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس . وقيل الفضل بن أبي سفيان ، وأمين بن أم أيمن ، وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم قَوْمَ بن العباس ، ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر ، والعباس أخذ بحكمة^(١) بقلته البيضاء وهو عليها قد شجرها^(٢) ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن^(٣) برمحه وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

(١) الحكمة : ما أحاط بمنكى الفرس .

(٣) ١ : طفر برمحه .

(٢) شجر الدابة : ضرب لجامها فيكفها حتى فتحت فاما .

قال : فيينا هو كذلك إذ هوَى له على بن أبى طالب ورجل من الأنصار يريدانه ،
قال : فيأتى على من خلفه فضرب عرقوبى الجبل فوقه على عجزه ، ووثب الأنصارى على
الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فأنجمفَ عن رحله .

قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى
مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الأمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهرى ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق .

* * *

قال ابن إسحاق : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ
بشفر^(١) بغلة^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من هذا ؟ » قال ابن أمك
يارسول الله .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم الناس تسكلم رجال من جفاعة الأعراب بما فى أنفسهم
من الضغن فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعنى وكان إسلامه بعد مدخولاً وكانت
الأرلام بعد مع يومئذ - قال : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ! وصرخ^(٣) كلدة جبلة بن
الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعنى لأمه - وهو مشرك ، فى المدة التى جعل له
رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السحر اليوم ؛ فقال له صفوان : اسكت فض
الله فاك ، فوالله لأن يربنى^(٤) رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل
من هوازن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا إسحاق بن

(٢) ١ : بغلته فقال .

(١) التفر : السير فى مؤخر السرج .

(٣) ت : وخرج جبلة بن الحنبل كما فى ابن هشام

(٤) يربنى : يملكنى .

عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، أن هوازن جاءت يومَ حنين بالنساء والصبيان والإبل والنعم ، فجعلوها صفوفًا ، يكثرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما التقوا ولَّى المسلمون مُدبرين ، كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عبادَ الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال : « يامعشر الأنصار ، أنا عبد الله ورسوله » .

قال : فهزم الله المشركين ولم يُضرب بسيف ولم يُطعن برمح .

قال : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : « من قتل كافرًا فله سَلْبُهُ » .

قال : فَقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم .

وقال أبو قتادة : يارسول الله إني ضربت رجلا على حبل العاتق وعليه درع له فأجهضت

عنه فانظر من أخذها . قال : فقام رجل فقال : أنا أخذتها فأرضه منها وأعطينها ، قال :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه أو سكت . فسكت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : والله لا يُقيمها الله على أسدٍ من أسدِ الله ^(١) ويعطيكمها ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدقَ عمر » .

قال ولقي أبو طلحة أمَّ سُلَيْمٍ ومعها خنجر ، فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ فقالت : إن دنا

مني بعضُ المشركين أن أبعج في بطنه ، فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أم سليم ؟

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله أقتل من بعدنا ^(٢) من

الطلاق انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كفَى وأحسنَ أيامِ سليم » .

وقد روى مسلم منه قصةَ خنجر أم سليم ، وأبو داود قوله : « من قتل قتيلًا فله سَلْبُهُ »

كلاهما من حديث حماد بن سلمة به .

وقول عمر في هذا مستغرب ، والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا أبي حدثنا نافع

(٢) ت : من بعدها .

(١) : أسده .

أبو غالب ، شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوي : يا أبا حمزة بسنّ أيّ الرجال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بُعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : بسنّ أيّ الرجال هو يومئذ ؟ قال : كأشبّ الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه . قال : يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكراً فحسبوا علينا ، حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فهزمهم الله فولوا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى الفتح فجعل يُجاء بهم أسارى رجلاً رجلاً فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إن عليّ نذراً لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربنّ عنقه ، قال : فسكت نبي الله صلى الله عليه وسلم وحىء بالرجل ، فلما رأى نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : يا نبي الله تبتُ إلى الله . قال : وأمست نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يبايعه ليوفي الآخر نذره ، قال : وجعل ينظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليأمره بقتله ويهبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يصنع شيئاً بآيعه ، فقال : يا نبي الله نذرى ؟ قال : « لم أمستُ عنه منذ اليوم إلا لتوفى نذرك » فقال : يا رسول الله ألا أو ماتَ إليّ ؟ قال : « إنه ليس لنبيّ أن يؤمى » .

تفرد به أحمد .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين : اللهم إنك إن تشألا تعبد في الأرض بعد اليوم .

إسناده ثلاثي على شرط الشيخين ، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

وقال البخارى: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غُنْدَرٌ، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازب - وسأله رجل من قيس: أفرزتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ - فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبتنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام. ولقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على بقلته البيضاء وإن أبا سفيان أخذ بزمامها وهو يقول: أنا النبي لا كذب.

ورواه البخارى عن أبي الوليد عن شعبة به وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال البخارى: وقال إسرائيل وزهير يعنى عن أبي إسحاق، عن البراء، ثم نزل عن بقلته.

ورواه مسلم والنسائى عن بندار. زاد مسلم: وأبى موسى. كلاهما عن غُنْدَرٍ به. وروى مسلم من حديث زكريا بن أبى زائدة، عن أبى إسحاق، عن البراء قال: ثم نزل فاستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

« اللهم نزل نصرتك »

قال البراء: ولقد كنا إذا حمى البأس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الشجاع الذى يُجاذى به.

وروى البيهقى من طرق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: « أنا ابن العواتك ».

[وقال الطبرانى: حدثنا عباس بن الفضل الأسفاطى، حدثنا عمرو بن عوف الواسطى،

حدثنا هشيم، أنبأنا يحيى بن سعيد، عن عمرو بن سعيد بن العاص، عن شَبَّابة، عن

ابن عاصم السلمي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين : « أنا ابنُ العواتك » [(١)]

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن كثير بن أفلاج ، عن أبي محمد مولى أبي قتادة ، عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعتُ الدرعَ وأقبل على فضمنى ضمة وجدت منها ریح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلنى ، فلحقت عمر ، فقلت : ما بالُ الناس ؟ فقال : أمرُ الله .

ورجعوا وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَهُوَ سَلْبُهُ » فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت : من يشهد لى ثم جلست : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت فقال : « مالك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته فقال رجل : صدق ، سلبه عندى فأرضه منى . فقال أبو بكر : لاها الله إذا نَعَمَد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صدق فأعطه » . فأعطانيه فابتعتُ به خِرْفًا (٢) فى بنى سلمة فإنه لأولُ مال تأثلمته فى الإسلام .

ورواه بقية الجماعة إلا النسائى ، من حديث يحيى بن سعيد به .

قال البخارى : وقال الليث بن سعد : حدثنى يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن كثير ابن أفلاج ، عن أبي محمد مولى أبي قتادة ، أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنين نظرتُ

(١) من ت .

(٢) المخرف : السكة بين صفيين من النخل .

إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يَحْتَلِه من ورائه ليقته ، فأسرعتُ إلى الذي يَحْتَلِه فرفع يده ليضربني فأضربُ يده فقطعتها ، ثم أخذني فضمّني ضمًّا شديدا حتى تخوفتُ ، ثم نزل^(١) فتحلّل فدفعتُه ، ثم قتلتُه ، وانهمز المسلمون فانهزمتُ معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له : ما شأنُ الناس ؟ قال : أمرُ الله !

ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله : « من أقام بينة على قتيل فله سلبه » فقامت لأتمس بينة على قتيلي فلم أر أحدا يشهد لي فجلست ، ثم بدا لي فذكرتُ أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من جلسائه : سلاحُ هذا القتيل الذي يذكرك عندي فأرضه مني . فقال أبو بكر : كلاً لا يعطه أُضَيِّع^(٢) من قريش وبدع أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله . قال : فقام رسول الله فأداه إلى فاشترت به مخرفاً ، فكان أول مالٍ تأثّلته .

وقد رواه البخاري في مواضع آخر ومسلم ، كلاهما عن قتبية ، عن الليث ابن سعد به .

وقد تقدم من رواية نافع أبي غالب ، عن أنس ، أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعة لأبي بكر الصديق ومساعدةً وموافقة له ، أو قد اشتبهه على الراوى . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصمّ ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومَ حنين حين رأى

(١) ت : ترك . (٢) الأضيغ : تصغير أضيغ ، وهو القصير الضيع ، ويكنى به عن الضعيف . وتروى : أضيغ . وهو نوع من الطيور . القسطلاني ٦/٤٠٧ .

من الناس مارأى : « يا عباس نادِ : يا معشر الأنصار يا أصحاب الشجرة » فأجابوه :
لبيك لبيك . فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن
عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يؤمُّ الصوتَ ، حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقبتلوا ، وكانت الدعوة أول ما كانت للأَنْصار ،
ثم جعلت آخراً للخزرج ، وكانو صُبراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ركائبه فنظر إلى مُجْتَلِدِ القوم فقال : « الآن حمى الوطيسُ » .

قال : فوالله ما راجعه الناسُ إلا والأسارى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكْتَفُونَ ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهمز منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله صلى
الله عليه وسلم أموالهم وأبناؤهم .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة . وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن
الزهري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح الله عليه مكة وأقرَّ بها عيته ، خرج
إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركبانياً ومشاة ، حتى خرج النساء
يمشين على غير دينٍ نَظَّاراً ينظرون ويرجون الفنائم ، ولا يكرهون مع ذلك أن تكون
الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

قالوا : وكان ^(١) معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ، وكانت امرأته مسلمةً
وهو مشرك لم يفرق بينهما .

قالوا : وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النَّصْرِي ومعه دُرَيْدُ بن الصَّمَّة
يُرْعَشُ من السِّكِّير ، ومعه النساء والذراري والنعم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن أبي حذرد عيناً ، فبسات فيهم فسمع مالك بن عوف يقول لأصحابه : إذا

(١) ت : وقالوا : كان .

أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد ، واكسروا أغمادَ سيوفكم ، واجعلوا مواشيكم صفاً ونساءكم صفاً .

فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة ، وُصف الناس بعضهم لبعض ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم بفسلة له شهباء ، فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشّرهم بالفتح - إن صبروا - .

فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد ، فجال المسلمون جولة ثم ولّوا مُدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرتُ من بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدبر الناسُ فقلت : مائة رجل .

قالوا : ومرّ رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله لا يجتبرونها أبداً . فقال له صفوان : تبشّرني بظهور الأعراب ؟ فوالله لربّ من قريش أحب إليّ من ربّ من الأعراب . وغضب صفوان لذلك .

قال عروة : وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال : سمعتم يقولون : يا بني عبد الرحمن يا بني عبدالله ، يا بني عميدالله . فقال : ظهر محمد . وكان ذلك شعارهم في الحرب .

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غشيه القتالُ قام في الرّكابين وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله بدعوه ويقول : « اللهم إني أشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا » ونادى أصحابه وزمرهم^(١) : « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكفرة على نبيكم » ويقال حرّضهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بني الخزرج يا أصحاب سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادي بذلك .

(١) زمرهم : أغرامهم بأعدائهم .

وقالوا : وقبض قبضةً من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال : « شأهت الوجوه » .

وأقبل أصحابه إليه سراعاً يبتدرون ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الآن حى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنمهم الله نساءً هم وذرائعهم ، وفرّ مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشرف قومه .

وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم وإعزازه دينه .
رواه البيهقي .

وقال ابن وهب : أخبرني يونس ، عن الزهري ، أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب ، قال : قال العباس : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء أهداها له فزوة بن نفثة الجذامى ، فلما التقى الناس ولّى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قيل الكفار ، قال العباس : وأنا آخذٌ بلجامها أركفها إرادة ألا تسرع ، وأبو سفيان آخذٌ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أئى عباس ، ناد أصحاب السمرة » قال : فوالله لكأنا عطفتم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها ! فقالوا : يا لبيكاه يا لبيكاه .

قال : فاقتتلوا هم والكفار ، والدعوة فى الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار . ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا بنى الحارث بن الخزرج .

فَنظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمَتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ : « هَذَا حِينَ حَجَّى الْوَطَيْسُ » ثُمَّ أَخَذَ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ فِي وَجْهِهِ الْكُفَّارِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَنْهَزْمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ » قَالَ : فَذَهَبَتْ أَنْظَرَ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّيْهِمْ كَلِيلاً ، وَأَمْرَهُمْ مُذْبِراً .

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي الطَّاهِرِ ، عَنْ ابْنِ وَهَبٍ بِهِ نَحْوَهُ . وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ نَحْوَهُ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عِكْرَمَةَ بْنِ عِمَارٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُنَيْنًا ، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ فَأَعْلَوْتُ نَيْفَةً فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرَمِيهِ بِسَهْمٍ ، وَتَوَارَى عَنِّي فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ ، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ نَيْفَةٍ أُخْرَى ، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَلَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَرْجَعُ مِنْهُمْ مَأْمُورًا وَعَلَى بَرْدَتَانِ مُتَزَّرًا بِأَحْدَاهُمَا مُرْتَدِّ بِالْأُخْرَى ، قَالَ : فَاسْتَطَلَقَ إِزَارِي لَجْمَعَتَهُمَا جَمِيعًا ، وَصَرَّتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مِنْهُمْ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ ، فَقَالَ : « لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَرَعًا » .

فَلَمَّا غَشَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبِضَ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَقْبَلَ بِهِ وَجْوهَهُمْ وَقَالَ : « شَاهَتِ الْوُجُوهَ » فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنِيهِ تَرَابًا مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ ، فَوَلَّوْا مُذْبِرِينَ ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مَسْنَدِهِ : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ يَمَلِيِّ بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَسَّارٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَهْرِيِّ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي

حينئذ فسرنا في يوم قَانِظٍ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال السَّمَرِ ، فلما زالت الشمس لبست
لأمتي وركبت فرسي ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فُسْطَاطِهِ فقلت : السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرِّوَا ح يا رسول الله ؟ قال : « أجل » ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بلال » فنارَ من تحت سَمْرَةٍ كأن ظلَّهُ ظل طائر ،
فقال : لبيك وسعديك وأنا فداؤك ! فقال : « أسرج لي فرسي » فأناه بدفتين من ليف
ليس فيهما أشر ولا بطر .

قال : فركب فرسه فسيرنا يومنا فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم فوَلَّى المسلمون
مُدْبِرِينَ كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا عباد الله أنا عبد
الله ورسوله » واقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرسه ، وحدثني من كان أقرب
إليه مني أنه أخذ حفنةً من التراب فحُفَّأَ بها وجوهَ العدو وقال : « شأهت الوجوه » .

قال يعلى بن عطاء : حدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقي أحدٌ إلا امتلأت عيناه
وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلةً من السماء كمرِّ الحديد على الطَّسْتِ الحديد ، فهزتهم الله
عز وجل .

ورواه أبو داود السجستاني في سننه عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة
به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحارث بن
حصين ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : قال عبد الله
ابن مسعود : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فوَلَّى عنه الناس وثبت معه
ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولِّهم
الدُّبْرَ ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بقلته
يمضى قدماً ، فحدث به بقلته فمال عن السرج فقلت له : ارتفع رفعك الله . فقال : « ناولني

كفاً من تراب « فضرب به وجوههم فامتلات أعينهم تراباً . قال : « أين المهاجرون والأنصار ؟ » قلت : هم أولاء . قال : « اهتف بهم » فهتفت بهم فجاءوا سيوفهم بأيديهم كأنها الشهب ، وولّى المشركون أديبارهم .
تفرد به أحمد .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القنطري ، حدثنا أبو قلابة ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاري ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى هوازن في اثني عشر ألفاً ، فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قُتل يوم بدر ، قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاً من حصي فرمى بها في وجوهنا فانهز منا .

ورواه البخاري في تاريخه ولم ينسب عياضاً .

وقال مسدد : حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عوف بن عبد الرحمن مولى أم بُرثن ، عن من شهد حنيناً كافراً قال : لما التقينا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجئنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا غشيناها فإذا يبننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا : شامت الوجوه فارجموا . فهز مننا من ذلك الكلام .

رواه البيهقي .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سفيان ، حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني محمد بن عبد الله الشعبي ، عن الحارث بن بدل النصرى ، عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمرو بن سفيان التقى قالا : انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباس وأبو سفيان بن الحارث .

قال : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضةً من الحصباء فرمى بها في وجوههم . قال :
فانهزمتنا فما خيّل إلينا إلا أن كل حجرٍ أو شجرٍ فارسٌ يطالبنا ، قال الثقفى : فأعجرت^(١)
على فرسى حتى دخلت الطائف .

وروى يونس بن بكير في مغازيه ، عن يوسف بن صهيب بن عبد الله ، أنه لم يبق
مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه زيد .

وروى البيهقي من طريق الكندي ، حدثنا موسى بن مسعود ، حدثنا سعيد بن
السائب بن يسار الطائفي ، عن السائب بن يسار ، عن يزيد بن عامر السوائي أنه قال
عند انكشافه انكشافها المسلمون يوم حنين : فتبهم الكفار وأخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبضة من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا
شاهت الوجوه » فما أحدٌ يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذى في عينيه .

ثم روى من طريقين آخرين عن أبي حذيفة ، حدثنا سعيد بن السائب بن يسار
الطائفي ، حدثني أبي السائب بن يسار ، سمعت يزيد بن عامر السوائي - وكان شهيد
حينئذ مع المشركين ثم أسلم بعد - قال : فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب
المشركين يوم حنين : كيف كان ؟ قال : فكان يأخذنا بحصاة فيرمي بها في الطست
فيطن ، قال : كنا نجد في أجوافنا مثل هذا .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : حدثنا
أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمي ، حدثنا أبو أيوب
ابن جابر ، عن صدقة بن سعيد ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه قال : خرجت مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكن
أبيت أن تظهر هوازن على قريش ! فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إني أرى خيلا
بُلغًا ، فقال : « يا شيبه إنه لا يراها إلا كافر » فضرب يده في صدرى ثم قال : « اللهم
اهد شيبه » ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم اهد شيبه » ثم ضربها الثالثة ثم قال :
« اللهم اهد شيبه » . قال : فوالله مارفع يده عن صدرى في الثالثة حتى ما كان أحد من
خلق الله أحب إلى منه .

ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، حتى هزم الله المشركين .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني ،
حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني عبد الله
ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شيبه بن عثمان
قال : لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قد عرى ، ذكرت أبي وعمي
وقتل على وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء
كأنها فضة ينكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه ولن يخذله . قال : ثم جئته عن يساره
فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابن عمه ولن يخذله . قال :
ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورةً بالسيف إذ رُفع شواظ من نار بيني وبينه
كأنه برق ، نجفت أن يمحشنى ^(١) ، فوضعت يدي على بصرى ومشيت القهقرى ،
فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا شيب ادن مني ، اللهم اذهب عنه

(١) يمحشنى : يحرقنى .

الشيطان» قال : فرفعت إليه بصرى ولهو أحب إليّ من سمعى وبصرى . فقال :
« يا شيب قاتل الكفار » .

وقال ابن إسحاق : وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار قلت :
اليوم أدرك ثأرى - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمد . قال : فأدرت
برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقبله فأقبل شىء حتى نفسى فوادى فلم أطق ذاك وعلمتُ
أنه ممنوع منى .

وقال محمد بن إسحاق : وحدثني والدى إسحاق بن يسار ، عن حدثه ، عن جبير
ابن مطعم قال : إننا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والناس يفتقون
إذ نظرتُ إلى مثل البجاد^(١) الأسود يهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم ،
فإذا نملٌ منور قد ملأ الوادى ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فاكنا نشكُّ
أنها الملائكة .

ورواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن
بكير ، عن ابن إسحاق به .

وزاد فقال : خديج بن العرجاء^(٢) المصرى - يعنى فى ذلك - :

| | |
|-----------------------------|---|
| ولما دَبُونَا من حنينٍ ومأه | رأينا سواداً منكراً اللون أخصفاً ^(٣) |
| بملومةٍ شهباء لو قد فوا بها | شامخ من عروى إذا عاد صنففاً ^(٤) |
| ولو أن قومى طواعثنى سراتهم | إذا ما لقينا المراض المتكشفاً |
| إذا ما لقينا جند آل محمد | ثمانين ألفاً واستمدوا بخندقاً |

(٢) ت : العوجاء .

(١) البجاد : كساء من صوف .

(٣) الأخصف : الذى فيه بياض (٤) الملومة : الكشيبة . والبيضاء : الكشيبة السلاح . والشامخ :
الأعلى . وفى ابن هشام : شامخ من عزوى .

وقد ذكر ابن إسحاق من شعر مالك بن عوف النصرى رئيس هوازن يوم القتال وهو فى حومة الوغا يرتجز ويقول :

أقدم محاجُ إنه يومٌ نُكِرُ مثلى على مثلك ينجى ويكرُ
 إذا أضيع الصّفُ يوماً والدُّبُرُ ثم احزألت زمر بعد زمر^(١)
 كتائبُ بكلُّ فيهنّ البصرُ قد أظعن الطعنة تقذى بالشبر^(٢)
 حين يذم المستكن المنججرُ وأظعن النجلاء تعوى وتهر^(٣)
 لها من الجوف رشاش منهمر تفهق تاراتٍ وحيناً تنفجرُ
 وتعلبُ العاملِ فيها منكسر يازيدُ يابن هههم أين تفر^(٤)
 قد نفذ الصّرسُ وقد طال العمرُ قد علم البيض الطويلات الخمرُ
 أنى فى أمثالها غيرُ غمرُ إذ تُخرج الحاصن من تحت الستر

وذكر البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولّى أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هى لغيره :

اذكر مسيرهم والناس كلهم ومالكٌ فوقه الراياتُ تحتفقُ
 ومالك مالك ما فوقه أحدُ يوم حنين عليه التاج يأتاقُ
 حتى لقوا الناس حين البأس يقدمهم عليهم البيض والأبدان والدرقُ
 فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً حول النبيّ وحتى جنّه الفسقُ
 حتى تنزل جبريلُ بنصرهم فالقومُ منهزمٌ منا ومعتلقُ

(١) احزألت : ارتفعت . والرمر : الجماعات . (٢) تقذى : تقذف : والسبر : جمع سباروم

القتيل يسبر به الجرح .

(٣) المنججر : المستتر . والنجلاء : الطعنة المنسعة . تعوى وتهر : يذرف منها الدم بصوت .

(٤) التعلب : ما دخل من عصا الرمح فى جبة السنان . والعامل : أعلى الرمح .

مفًا ولو غير جبريل يقاتلنا لمنعتنا إذا أسيافنا الفلق
وقد وفي عمر الفاروق إذ هزموا بطمنة كان منها سرجه العلق
قال ابن إسحاق : ولما هُزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت امرأة
من المسلمين :

قد غلبت خيلُ الله خيلَ اللاتِ واللهُ أحقُّ بالثباتِ

قال ابن هشام : وقد أشدنيه بعض أهل الرواية للشعر :

قد غلبت خيلُ الله خيلَ اللاتِ وخيلهُ أحقُّ بالثباتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استعرج القتلُ من تقيف في بني مالك ،
فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، وكانت مع ذى الخمار ، فلما قُتل أخذها عثمان
ابن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قُتل ، فأخبرني عامر بن
وهب بن الأسود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه قتله قال : «أبعده الله فإنه كان
يُبغض قريشا» .

وذكر ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة ، أنه قتل مع عثمان هذا غلام له نصراني ،
فجاء رجل من الأنصار ليُسلبه فإذا هو أغرل ، فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب إن
تقيفًا غرل !

قال النخعي بن شعبة الثقفي : فأخذتُ بيده وخشيت أن تذهب عفا في العرب ، فقلت :
لا تقل كذلك فذاك أبي وأمي ، إنما هو غلام لنا نصراني . ثم جعلت أكشف له القتل فأقول
له : ألا ترام مُختندين كما ترى ؟

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند
رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل
من بني غيرة يقال له وهب ، ورجل من كبة يقال له الجلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم حين بلغه قتل الجلاح : « قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنيذة »
يعنى الحارث بن أوبس .

قال ابن إسحاق : فقال العباس بن مرداس يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى
أبيه وذا الخمار وحبسه نفسه وقومه للموت :

| | |
|---------------------------|---------------------------------------|
| ألا من مبلغ غيلان عني | وسوف إخال يأتيه الخبير |
| وعروة إنما أهدى جواباً | وقولاً غير قول كما يسير |
| بأن محمداً عبد رسول | لرب لا يضل ولا يجور |
| وجدناه نبياً مثل موسى | فكل فتى يجايره مخير ^(١) |
| وبئس الأمر أمر بني قسي | بوج إذا تقسمت الأمور |
| أضاعوا أمرهم ولكل قوم | أمير والدوائر قد تدور |
| فجئنا أسد غابت إليهم | جنود الله ضاحية تسير |
| نؤم الجمع جمع بني قسي | على حنق نكادله نظير |
| وأقسم لو هم مكثوا لسرنا | إليهم بالجنود ولم يغوروا |
| فكنا أسد لية ثم حتى | أبجناها وأسلمت النصور ^(٢) |
| ويوم كان قبل لدى حنين | فأقلع والدماء به تمور |
| من الأيام لم تسمع كيوم | ولم يسمع به قوم ذكور |
| قتلنا في الغبار بني حطييط | على راياتها والخيل زور ^(٣) |
| ولم يك ذو الخمار رئيس قوم | لهم عقل يعاقب أو تكبير |
| أقام بهم على سنن المنايا | وقد بانت لمبصرها الأمور |

(١) يجايره : يزعم أنه خير منه . ومخير : مغلوب في مجايرته .

(٢) لية : موضع قريب من الطائف . والنصور : رهط مالك بن عوف النصرى .

(٣) زور : جمع أزور وهو اللائل .

فأفلت من نجامهم حريصاً وقتل منهم بشرٌ كثيرٌ (١)
ولا يفتى الأمور أخواتوانى ولا الفلق الصريرة الحصورُ (٢)
أحانهم وحان وملكوه أمورهم وأفلت الصقورُ
بنو عوف تميح بهم جياذُ أهين لها الفصافصُ والشميرُ (٣)
فلولا قاربٌ وبنو أبيه تقسّمت المزارعُ والقصورُ
ولسكن الرياسة عمموها على يمين أشار به للشيرُ
أطاعوا قارباً ولهم جدودُ وأحلام إلى عزّ تصيرُ
فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا أنوف الناس ماسمّر السميرُ
فإن لم يسلموا فهم أذنانُ بحرب الله ليس لهم نصيرُ
كما حكّت بنى سعد وجرّت برهط بنى غزيرة عنقغيرُ (٤)
كان بنى معاوية بن بكر إلى الإسلام ضائنة تخورُ
فقلنا أسلموا إنا أخوكم وقد برئت من الإحن الصدورُ
كان القوم إذ جاءوا إلينا من البغضاء بعد السلم عورُ

فصل

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصرى على ثنية مع طائفة من أصحابه فقال: قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أخراكم .

قال ابن إسحاق: فبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم (٥). فقال:

(١) الحريص: المشرف على الهلاك .

(٢) الفلق: القليل الحيلة .

(٣) الفصافص: جمع فصفاة وهي البقلة التي تأكلها الدواب .

(٤) العنقغير: الداهية .

(٥) البواد: جمع باد وهو بطن الفخذ .

هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيل^١ أخرى تنبهما ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً عارضين رماحهم أغفلاً على خيلهم . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى فارساً طويل الباد واضعاً رمحاً على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء . قال : هذا الزبير ابن العوام ، وأقسم بالللات ليخالطنكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصعد لهم فلم يزل يُطاعهم حتى أراحهم عنها .

فصل

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفنائم فجمعت من الإبل والغنم والرقيق ، وأمر أن تساق إلى الجمرانة فتحبس هناك .
قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفنائم مسعود بن عمرو الغفاري .

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ يوماً بامرأة قتلتها خالد بن الوليد والناس متقصِّفون^(١) عليها ، فقال لبعض أصحابه « أدرك خالداً فقل له : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينهك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيماً » .

هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً .

(١) متقصِّفون : مجتمعون .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد ، حدثني المرقع بن صيفي ، عن جده رباح بن ربيع أخي بني حنظلة الكاتب ، أنه أخبره أنه رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فمرَّ رباح وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها ، حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته ، فانفجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما كانت هذه لتقاتل ! » فقال لأحدهم : « الحق خالد أقتل له : » لا يقتلن ذرية ولا عسيفاً .

وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المرقع بن صيفي به نحوه .

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقةٌ منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصرى فلجأوا إلى الطائف فتحصنوا بها ، وسارت فرقة فمسكروا بمكان يقال له أوطاس ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة فحاصر أهل الطائف . كما سيأتي .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك الثنايا .

قال : فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهان السلمي ويعرف بابن الدغنة - وهي أمه - دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمه وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه في شجار لهم ، فإذا برجل ، فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن ربيع السلمي . ثم ضربه بسيفه فلم يُغن شيئاً ، قال : بئس ماسلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في الشجار ، ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت أضرب الرجال ! ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم منعت فيه نساءك ! فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوق تسكف فإذا عجانه^(١) وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراء .

(١) العجان : ما بين الحصى والدر .

فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

ثم ذكر ابن إسحاق مارثت به عمرة بنت دُرَيْدِ أباهما فمن ذلك قولها :

قالواقتلنا دُرَيْداً قلت قد صدقوا فظلّ دمي على السربال ينحدر^(١)

لولا الذي قهر الأقوام كلهم رأت سليم وكعب كيف ياتمر

إذن لصبحهم غيباً وظاهرة حيث استقرت نواهم جحفل ذفر^(٢)

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم فنادوا وشوه القتال فرمى أبو عامر فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دُرَيْدهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عني فإني سلمة ابن سَمَادِيرَ لمن تواسمه^(٣)

أضربُ بالسيف رهوسَ المسلمة

قال ابن إسحاق : وحدثني من أتق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر .

ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسمة وبقي العاشر ،

(١) السربال : القميص .

(٢) غيباً : يوماً بعد يوم . والظاهرة : أن يصبحهم كل يوم . والجحفل : الجيش الكثيف . والذفر : المتغير الرائحة من صدأ الحديد .

(٣) السمادير : ضعف البصر أو شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره .

فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه . فقال الرجل : اللهم لا تشهد علي . فكف عنه أبو عامر فأقلت فأسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : « هذا شريدٌ أبي عامر » .

قال : ورعى أبا عامر أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث من بني جُشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولى الناس أبو موسى فحمل عليهما فقتلها ، فقال رجل من بني جُشم [بن معاوية] ^(١) يرثيها :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ قَتَلُ الْعَلَاءِ ، وَأَوْفَى جَمِيعًا وَلَمْ يُسْنَدَا
 هَا الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرٍ وَقَدْ كَانَ دَاهِيَةً أَرْبَدَا ^(٢)
 هَا تَرَكَاهُ لَدَى مَعْرِكٍ كَأَنَّ عَلَى عِطْفِهِ مَجْسَدًا ^(٣)
 فَلَمْ يَرَ فِي النَّاسِ مِثْلِيهِمَا أَقْلَ عِثَارًا وَأَرْمَى يَدَا

وقال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، وحدثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بُردة ، عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دُرَيْدَ بن الصَّمَّةِ فقتل دريد وهزم الله أصحابه .

قال أبو موسى : وبعثنى مع أبي عامر ، فرمى أبو عامر فى ركبته ، رماه جُشمى بسهم فأنبته فى ركبته . قال : فأنهيت إليه فقلت : يا عم من رماك ؟ فأشار إلى أبى موسى فقال : ذلك قاتلى الذى رمانى . فقصدت له فلحقته ، فلما رآنى ولى فاتبعته وجعلت أقول له : ألا تستحى ألا تدبى ؟ فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لأبى عامر : قتل الله صاحبك ، قال : فانتزع هذا السهم . فنزعتُه فنزأ منه الماء . قال : يا بن أخى أقرئ

(١) من ابن هشام .

(٣) المجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران .

(٢) الأريد : الأسد أو الحية الحبيثة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم السلامَ وقل له : استغفر لى .

واستخلفنى أبو عامر على الناس ، فمكث يسيراً ثم مات . فرجعتُ فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته على سرير مُزَمَّلٍ وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه ، فأخبرته بخبْرنا وخبْر أبي عامر وقوله : قل له : استغفر لى . قال : فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال : « اللهم اغفر لعبيد أبي عامر » ورأيت بياضَ إبطيه ثم قال : « اللهم اجعنه يوم القيامة فوق كثيرٍ من خلقك - أو من الناس » فقلت : ولى فاستغفر . فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » .

قال أبو بردة : إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى رضى الله عنهما .
ورواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء ، وعبد الله بن أبي براد ، عن أبي أسامة به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان - هو الثورى - عن عثمان البتي ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : أصبنا نساء من سبي أوطاس ولهن أزواج ، فكرهنا أن تقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية : « والحصنات من النساء إيمانكم » قال : فاستحللنا بها فروجهن .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان البتي به . وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث شعبة ، عن قتادة عن أبي الخليل ، عن أبي سعيد الخدرى . وقد رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث سعيد بن أبي عروبة ، زاد مسلم وشعبة والترمذى من حديث همام عن يحيى ، ثلاثهم عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي علقمة الهاشمى عن أبي سعيد ، أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سبايا يوم أوطاس لهن

أزواج من أهل الشرك ، فكان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا
وتأنموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك : « والحصنات من النساء إلا ما مَلَكَت
أيماكنكم » .

وهذا لفظ أحمد بن حنبل . فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الهاشمي ، وهو ثقة وكان
هذا هو المحفوظ والله أعلم .

وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بَيْع الأُمَّة طلاقُها . روى
ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب
والحسن البصري .

وخالفهم الجمهور مستدلّين بحديث بُريرة حيث بِيَعَتْ ثم خَيْرَتْ في فسخ نكاحها أو
إبقائه ، فلو كان بَيْعها طلاقا لها لما خَيْرَتْ .

وقد تَقَصَّينا الكلام على ذلك في التفسير بما فيه كفاية . وسنذكره إن شاء الله في
الأحكام الكبير .

وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأُمَّة المشتركة بهذا الحديث في سبأيا أو طاس .
وخالفهم الجمهور وقالوا : هذه قضية عَيْن ، فلما لم نأسمن أو كن كتابيات . وموضع تقرير
ذلك في الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

فصل فيمن استشهد يوم حنين وبسرية أو طاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أيمن بن عبيد ، وزيد بن
زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمح به فرسه الذي يقال له الجناح فمات ، وسراقة
ابن مالك بن الحارث بن عدى الأنصاري من بني المعجلان ، وأبو عامر الأشعري أمير
سرية أو طاس ، فهؤلاء أربعة رضى الله عنهم .

فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بَجْرِ بن زهير بن أبي سلمى :

لولا الإله وعنده ولئيم حين استخفَّ الرعبُ كلَّ جبانٍ
بالجزع يومَ حياننا أقراننا وسوايحُ يَكْبون للأذقانِ
من بين سحَّ ثوبه في كفه ومقطرُ بسنابكِ ولَبانٍ^(١)
والله أكرمنا وأظهرَ ديننا وأعزَّنَا بعبادة الرحمنِ
والله أهلكهم وفرَّق جمعهم وأذلمَّ بعبادة الشيطانِ

قال ابن هشام : وبروي فيها بعض الرواة :

إذ قام عمُّ نبيكم ووليُّه يدعون يا أنكتيبة الإيمانِ
أين الذين همُّ أجابوا رهم يومَ العريضِ وبيعةِ الرضوانِ
وقال عباس بن مرداس السلمي :

فإني والسوايحُ يومَ جمعٍ وقد أحببتُ ما لقيتُ ثقيفٍ
مُ رأسُ العدوِّ من أهل نجدٍ فقَتلهمُ الذُّ من الشرابِ
هزَمنا الجمعَ جمعَ بنى قسيِّ وحكَّتْ برَّ كها بيني ثابِ^(٢)
وصيرمًا من هلالِ غادرتهُم بأوطاس تُعقرُ بالترابِ
ولم لاقين جمعَ بنى كلابِ لقام نساؤهم والنقعُ كابي^(٣)
رَكضنا الخيلَ فيهم بين بسِّ إلى الأورالِ تنحطُّ بالنهابِ^(٤)

(١) المقطر : الملقى على أحد قطريه ، أى أحد جانبيه . والسنايك : أطراف الحوافر . واللبان : الصدر .

(٢) البرك : الصدر . وحكَّتْ برَّ كها : كناية عن شدة الحرب .

(٣) النقع : الفبار . والسكابي : الرنقع .

(٤) بس : جبل قرب ذات عرق . والأورال : أجبل ثلاثة سود في جوف الرمل وتنحط : تخرج صوتا

من الثقل والإعياء والنهاب : الغنم

بذى لجب رسول الله فيهم

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النبأ إنك مُرسَلٌ
إن الإله بنى عليك محبة
ثم الذين وقوا بما عاهدتهم
رجلاً به ذربُ السلاح كأنه
يفشى ذوى النسب القريب وإنما
أنبتك أنى قد رأيت مكره
طوراً يعانق باليدين وتارة
[يفشى به هام الكماة ولو ترى
وبنو سليم مُعْتَقُونَ أمامه
يمشون تحت لوائه وكأنهم
ما يرتجون من القريب قرابة
هذى مشاهدنا التي كانت لنا
وقال عباس بن مرداس أيضاً^(٤) :

عفا مجدلٌ من أهله فتألم
ديار لنا يا مجل إذ جل عيشنا
حبيبة ألوت بها غربة النوى
فطلّى أريكٍ قد خلا فالمصانع^(٥)
رخي وصرّف الدهر للحى جامع
لبين فهل ماضٍ من العيش راجع

(١) الذرب : الحدة والمضاء . وتكفنه : أحاط به .

(٢) من ابن هشام . (٣) معقون : مسرعون . والدراك : الطعن المتتابع .

(٤) من هنا إلى آخر هذا الفصل سقط من ت .

(٥) مجدل ومताल : موضعان . والمطلّى ، يقصر ويمد : مسيل ضيق من الأرض . أو الأرض السهلة

وأريك : واد .

فإن تبغى الكفار غير مألومة
دعانا إليه خيرٌ وفدي علمتهم
فجئنا بألفٍ من سليم عليهم
نبايعه بالأخشبين وإنما
مُجسنا مع المهدي مكة عنوةً
علانيةً والخليل يغشى متونها
ويوم حنين حين سارت هوازنٌ
صبرنا مع الضحاك لا يستفرُّنا
أمام رسول الله ينفق فوقنا
عشية ضحاك بن سفيان مُعتصٍ
نذود أخانا عن أخينا ولو نرى
ولكن دين الله دين محمد
أقام به بعد الضلالة أمرنا
وقال عباس أيضاً :

تقطع باقي وصل أم مؤمل
وقد حلفت بالله لا تقطع القوى
خفايةً بطن العقيق مصيفها
فإن تتبع الكفار أم مؤمل

- (١) الخذروف : برق لامع في السحاب .
(٢) معتص : ضارب . والسكانج : القريب .
(٣) يريد أنه من بني سليم ، وسليم من قيس كما أن هوازن من قيس . والصال : مفعل من الصولة .
(٤) نية : من النوى وهو البعد .
(٥) الخفاية : نسبة إلى خفاف : حى من سليم والبادون : المقيمون في البادية .

وسوف يُنبئها الخبيرُ بأننا
وأنا مع الهادي النبي محمد
بفتيان صدق من سليم أعزة
خفاف وذكوان وعوف تخالمهم
كان نسيج الشهب والبيض مُلبس
بنا عزّ دينُ الله غير تنحل
بمكة إذ جئنا كأنّ لواءنا
على شُخصّ الأبصار تحسب بينها
غداة وطئنا المشركين ولم نجد
بمعتك لا يسمع القوم وسطه
ببيضٍ نظير الهام عن مُستقرّها
فكائن تر كفا من قتيل مُلحّب
رضا الله ننوي لا رضا الناس نبغى
وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

ما بال عينك فيها عائرٌ سهرٌ
عينٌ تآوَبها من شجّوها أرقٌ
كأنه نظمٌ درّ عند ناظمه
يابعد منزلٍ من ترجو مودته

مثل الحماطة أغصى فوقها الشفر^(٤)
فالماء يغمرها طوراً وينحدرُ
تقطع السلكُ منه فهو مُنتثرُ
ومن أتى دونه الصمان فالحفر^(٥)

(١) القصف : المسترخية أجفانها على أعينها غضبا وكبرا .

(٢) الزجة : النيسة بكامة . والنقف : كسر الهامة عن الدماغ أو ضربها أشد الضرب .

(٣) الملحّب : المقطع

(٤) العائر : كل ما أعل العين : والحماطة : عشب خشن المس أو تبن الذرة . والشفر : أصل منبت

(٥) الصمان والحفر موضعان .

الشعر في الجفن

دَعُ ما تَقَدَّمَ من عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدِ
 وَاذْكَرْ بِلَاءِ سُلَيْمٍ فِي مِوَاتِنِهَا
 قَوْمٌ هُمُ نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا
 لَا يَفْرَسُونَ فَسَيْلَ النَّخْلِ وَسَطَمَهُمُ
 إِلَّا سَوَابِحَ كَالْمَقْبَانِ مُقَرَّبَةً
 تُدْعَى خُفَّافَ عَوْفٍ فِي جِوَانِبِهَا
 الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشَّرِكِ ضَاحِيَةً
 حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتْلَاهُمْ كَأَنَّهُمْ
 وَنَحْنُ يَوْمَ حَنِينٍ كَأَنَّ مَشْهَدُنَا
 إِذْ نَرَكِبُ الْمَوْتَ مُخْضَرًّا بِطَانَتُهُ
 تَحْتَ اللَّوَاءِ مَعَ الضَّحَّاكِ يَقْدُمْنَا
 فِي مَأْزِقٍ مِنْ مَجْرٍ الْحَرْبِ كَلِّهَا
 وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسِ أَسِنَّتِنَا
 حَتَّى تَأْوَبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ
 فَمَا تَرَى مَعْشَرًا قَلُّوا وَلَا كَثُرُوا
 وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
 يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوَى بِهِ
 وَجَنَاهُ مُجْمَرَةٌ الْمَنَاسِمِ عِزْمَسٌ^(٤)

(١) الزعر : قلة الشعر .
 (٢) الفسيل : صغار النخل . والتجاور : ارتفاع أصوات البقر من الحوار .
 (٣) المقربة : التي تدنى وتقرب وتسكرم ولا تترك . والدارة : العرصة ، وكل أرض واسعة بين جبال
 والمكر والأخطار : الإبل الكثيرة .
 (٤) الوجناء : البارزة الوجنات ، والمناسم : أطراف خف البعير والحجرة : المستوية . والعزمس :
 الناقة الشابة .

إِمَّا أُتِيَتْ عَلَى النَّبِيِّ فَقَالَ لَهُ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَىَّ وَمَنْ مَشَى
إِنَّا وَفِينَا بِالذِّى عَاهَدْتَنَا
إِذْ سَالَ مِنْ أَفْنَاءِ بَهْمَةَ كُلِّهَا
حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَسْكَةٍ فَيَلْقَا
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سُلَيْمٍ فَوْقَهُ
يُرْوَى الْقَفَاةَ إِذَا تَجَاسَرَ فِي الْوَعَى
يَغْشَى الْكُتَيْبَةَ مُعَلِّمًا وَبِكُفِّهِ
وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا
كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً
تَمْضَى وَيَحْرَسُنَا الْإِلَهَ بِحِفْظِهِ
وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمُنَاقِبِ مَحْبَسًا
وَعِدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شِدَّةً
تَدْعُو هَوَازِنَ بِالْأَخْوَةِ بَيْنِنَا
حَتَّى تَرَكَنَا جَمْعَهُمْ وَكَانَهُ
وَقَالَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَنْ مُبْلَغِ الْأَفْوَامِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا

(١) تقذع: تسكيح . وتضرس: تجرح .

(٢) بهمة: حتى من سليم . والمخارم: الطرق في الجبال . وترجس: تهتز .

(٣) الأشوس: المتكبر .

(٤) الدخال: نسج الدرع .

(٥) المدعس: السريع الطعن .

(٦) الدريئة: الكتبية المدافعة .

دعا ربه واستنصر الله وحده
سربنا وواعدنا قديداً محمداً
تमारوا بنا في الفجر حتى تبينوا
على الخليل مشدوداً علينا دروعنا
فإن سراً الحى إن كنت سائلاً
وجندٌ من الأنصار لا يخذلونه
فإن تك قد أمّرت في القوم خالداً
بجندٍ هداه الله أنت أميره
حلفتُ يميناً برةً لحمـدٍ
وقال نبيُّ المؤمنين تقدّموا
وبتينا بنهى المستدير ولم يكن
أطعنك حتى أسلم الناسُ كلهم
يضلُّ الحصانُ الأبقى الورْدُ وسطه
سمونا لهم ورد القطا زفه ضحى
لكن غدوة حتى تركنا عشيةً
إذا شئت من كل رأيت طمرةً
وقد أحرزت منا هوازنُ سربها

فأصبح قد وفى إليه وأنما
يومٌ بنا أمراً من الله مُحكماً
مع الفجر فتياناً وغاباً مقوماً
ورجالاً كدفاع الآتى عرمرماً (١)
سليم وفيهم منهم من تساماً
أطاعوا فما يعصونه ما تكلماً
وقدمته فإنه قد تقدماً
تصيب به في الحق من كان أظلاماً
فأكلتها ألفاً من الخليل مُنجماً
وحبٌ إلينا أن نكون المقدماً
بنا الخوف إلا رغبةً وتحزماً (٢)
وحتى صبحنا الجمع أهل يائماً
ولا يطمئن الشيخ حتى يسوماً
وكلُّ تراه عن أخيه قد أحجماً
حنيناً وقد سالت دوامه دماً
وفارسها يهوى وربحاً محطماً (٣)
وحبٌ إليها أن نخيب ونحزماً

هكذا أورد الإمام محمد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس
السلمى رضى الله عنه ، وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف
الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضاً ، وقد حصل ما فيه كفاية من ذلك . والله أعلم .

(١) الرجل : المشاة . والآتى : السيل الغريب والدفاع : ما يدفعه السيل .

(٢) النهى : الغدير . (٣) الطمرة : الفرس السريعة الجرى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان .

وقال محمد بن إسحاق : ولما قدم قلُ تقيفِ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حُنيناً ولا حصارَ الطائفِ عروةُ بن مسعود ولا غيَيلان بن سلمة ، كانا بجرَش يتعلمان صنعةَ الدبابات والمجانيق والضُّبُور^(١) .

قال : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فقال كعب بن مالك في ذلك :

| | |
|--|---|
| قَضِينَا مِنْ تِهَامَةَ كُلِّ رَبِيبٍ | وخيبرَ ثم أجمَعْنَا السيوفاً |
| نَحْيِرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لِقَالَتْ | قواطعهن : دَوْسًا أَوْ تَقِيْفًا |
| فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا | بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنْهَا أَلُوفًا |
| وَنَتَزِعُ الْعُرُوشَ بِيْطَانِ وَجِّ | وَتَصْبِحُ دُورِكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفًا |
| وَيَأْتِيكُمْ لَنَا مَرَعَانُ خَيْلٍ | يُفَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيْفًا |
| إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمْعَمٍ | لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيْفًا |
| بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٍ | يُزْرَنُ الْمُصْطَلِينَ بِهَا الْحَتُوفًا |

(١) الضبور : الدبابات التي تقرب للحصون لتتقب من تحتها

كأمثال العقائق أَخْلَصْتُمَا
تخال حِدِيَّةَ الأبطال فيها
أجِدْهُمْ أليس لهم نَصِيحُ
يخبرهم بأنا قد جَمَعْنَا
وأنا قد أتيناهم بزحف
رئيسهم النبي وكان صَلْبَا
رشيد الأمر ذا حُكْمٍ وعلم
نُطِيعُ نَبِيَّيْنَا ونطيع ربنا
فإن تَلَقُوا إِلَيْنَا السَّلْمَ نَقْبَلُ
وإن تَأْتُوا نجاهدكم ونَضْرِبُ
نجالدُ ما بقينَا أو تُنْبِئُوا
نجاهدُ لا نبالي ما لقينا
وكم من مَعْشِرٍ ألبوا علينا
أتونا لا يرون لهم كَفَاءَ
بكل مهتدٍ لئن صَقِيلِ
لأمر الله والإسلام حتى
وتُنْسَى اللاتُ والعزى وودَّ
فأمسوا قد أقرُّوا واطمأنوا

قيون الهند لم تُضْرَبْ كَتِيفًا (١)
غداة الزحف جادِيًا مَدُوفًا (٢)
من الأقوام كان بنا عريفا
عِتاقَ الخليل والنَّجَبِ الطُّرُوفَا (٣)
يحيط بسورِ حِصْنِهِمْ صَفُوفًا
نَقَى القلبَ مُضْطَبْرًا عَزُوفًا
وحلم لم يكن نَزِقًا خَفِيفًا
هو الرحمن كان بنا رُوفَا
ونجعلكم لنا عَضُدًا وريفا
ولا يكُ أمرنا رَعِشًا ضَعِيفًا
إلى الإسلام إذعانا مُضِيفًا
أَهْلَكْنَا التَّلَادَ أم الطَّرِيفَا (٤)
صَمِيمَ الجِذْمِ مِنْهُمْ والحليفا (٥)
فجَدَعْنَا المِسامِعَ والأَنُوفَا
نسوقهم بها سَوَاقًا عَفِيفًا
يقوم الدين معتدلاً حَنِيفًا
ونسلبها القلائدَ والشُّنُوفَا
ومن لا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُسُوفًا

(١) الكتيف : الضبة . قال السهيلي : وهي صفحة صغيرة .
(٢) الجدية : الدم السائل . والجادى : الزعفران . والمدوف : المبلول .
(٣) الطروف : الكرام من الخيل .
(٤) التلاد : القديم . والطريف : الجديد .
(٥) الجذم : الأصل .

وقال ابن إسحاق : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي :
قلت : قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في وفد ثقيف فأسلم معهم .
قاله موسى بن عقبة وأبو إسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد ، وزعم
المدائني أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد الروم فتنصّر ومات بها :

من كان يَبغِينا يريد قتالنا فإننا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَرِيْمُهَا (١)
وجَدنا بها الآباء من قبل ماترى وكانت لنا أطواؤها وكرومُهَا (٢)
وقد جرَّبْتنا قبلُ عمرو بن عامر فأخبرها ذو رأيها وحليمُهَا
وقد علمت - إن قالت الحق - أننا إذا ما أتت صُعر الخلدود نُقيْمُهَا
نقومُهَا حتى يلين شَرِيسُهَا ويُعرف للحق المبين ظَلومُهَا
علينا دِلّاصٌ من تُراث محرقٍ كلون السماء زِيدْتها نجومُهَا (٣)
نُرقِعُها عفا بييضِ صوارمٍ إذا جُرِّدت في عَمرة لانشيمُهَا (٤)

قال ابن إسحاق : وقال شدّاد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى الطائف :

لا تنصروا اللاتِ إن الله مُهلكها وكيف يُنصر من هو ليس ينتصرُ
إن التي حُرِّقت بالسُد فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هَدْرُ
إن الرسول متى ينزل بلادكم يظعن وليس بها من أهلها بشرُ

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني من حنين إلى
الطائف - على نخلة اليمانية ، ثم على قرْن ثم على المليح ثم على بحرة الرغاء من ليّة ، فابتنى
بها مسجدا فصلى فيه .

(١) العلم : المشهورة .

(٢) أطواؤها : آبارها ، جمع طوى .

(٣) الدلاس : الدروع اللساء اللينة . ومحرق : يريد عمرو بن عامر وهو أول من حرق العرب بالنار .

(٤) لا نشيمها : لا نغمدها

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، أنه عليه السلام أقاد يومئذ بيحرة الرغاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أُفيد به في الإسلام ، رجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بليّة بحصن مالك بن عوف فهدم .

قال ابن إسحاق : ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة ، فلما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل : الضيقة . فقال : بل هي اليسرى . ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سِدْرَةِ يَقْلَبِهَا يقال لها الصادرة قريبا من مال رجل ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك . فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه .

وقال ابن إسحاق : عن إسماعيل بن أمية ، عن مجير بن أبي بجير ، سمعت عبد الله بن عمرو ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم تبتسم عنه أصبتموه » .

قال : فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن .

ورواه أبو داود ، عن يحيى بن معين ، عن وهب ابن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زريع ، عن روح بن القاسم ، عن إسماعيل بن أمية به .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف فحارب به عسكره ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فتأخروا إلى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذي بنته ثقيف بعد إسلامها ، بناه عمرو بن أمية بن وهب ، وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم إلا سمع لها نقيض فيما يذكرون .

قال : فحاصروهم بضعاً وعشرين ليلة . قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة . وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وترك السبي بالجرمارة ومثلت عرش^(١) مكة منهم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ، ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبي بكر بن مسروح أخى زياد لأمه ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنابهم ليفيظوهم بها ، فقالت لهم ثقيف : لا تفسدوا الأموال فإنها لنا أو لکم .

وقال عروة : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حُبلات^(٢) ، وبعث منادياً ينادى : من خرج إلينا فهو حر . فاقتحم إليه نفر منهم فيهم أبو بكر بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لأمه ، فأعتقهم ودفع كلَّ رجل منهم إلى رجل من المسلمين يعوله ويحمه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجلين .

وقال أحمد : حدثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس ، حدثنا الحجاج ، عن الحكم ،

(١) العرش : الخيام والبيوت التي يستظل بها . (٢) الحبلية : السكرمة .

عن مِقْسَم عن ابن عباس، قال: حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف، فخرج إليه عبْدان فأعتقتهما، أحدهما أبو بَكْرَة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتق العبيد إذا خرجوا إليه.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا نصر بن رِثَاب، عن حجاج، عن الحكم، عن مِقْسَم، عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف: «من خرج إلينا من العبيد فهو حر».

فخرج عبيدٌ من العبيد فيهم أبو بَكْرَة، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا الحديث تفرد به أحمد، ومداره على الحجاج بن أرطاة، وهو ضعيف.

لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا، فمنده أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً.

وقال آخرون: إنما كان هذا شرطاً لأحكاماً عاماً.

ولو صحَّ الحديث لكان التشريع العام أظهر، كما في قوله عليه السلام: «من قتل قتيلًا فله سببه».

وقد قال يونس [بن بكير] ^(١)، عن محمد بن إسحاق، حدثني عبد الله بن المكرم الثقفي، قال: لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف خرج إليه رقيق من رقيقهم، أبو بكرة عبدٌ للحارث بن كَلْدَة، والمنبِعث، وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبِعث، ويَحْمَس، ووردان، في رهط من رقيقهم فأسلموا، فلما قدم وفدُ أهل الطائف فأسلموا قالوا: يا رسول الله رُدِّ علينا رقيقنا الذين أتوك. قال: «لا، أولئك عتقاء الله» وردَّ على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله إليه.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن بَشَّار، حدثنا عُندَر، حدثنا شعبة، عن عاصم، سمعت أبا عثمان قال: سمعت سعدا - وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بَكْرَة، وكان

(١) سقطت من أ.

تسوّّر حصن الطائف في أناس فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قالوا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ادّعى إلى غير أبيه وهو يَملهُ فالجنةُ عليه حرام » .

ورواه مسلم من حديث عاصم به .

قال البخارى : وقال هشام : أنبأنا معمر ، عن عاصم ، عن أبي العالِية ، أو أبى عثمان النهدى ، قال : سمعت سعدا وأبا بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال عاصم : قلت : لقد شهد عندك رجلان حَسَبك بهما . قال : أجل : أما أحدهما فأولُ من رمى بسهم في سبيل الله ، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثالثَ ثلاثةٍ وعشرين من الطائف .

قال محمد بن إسحاق : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة فضرب لها قبتين ، فسكان يصلى بينهما ، فحاصرهم وقتلهم قتالا شديداً وتراموا بالنبل . قال ابن هشام : ورامهم بالمنجنيق .
فحدثني من أئق به أن النبي صلى الله عليه وسلم أولُ من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى به أهل الطائف .

وذكر ابن إسحاق أن نفرا من الصحابة دخلوا تحت دبابه ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهل الطائف ، فأرسلت عليهم سيكك الحديد مُحَمَّاة ، فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا ، فحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعصاب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون .

قال : وتقدم أبو سفیان بن حرب والمغيرة بن شعبة فناديا ثقيفا بالأمان حتى يكلموهم فأمنوهم فدعوا نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهم ، وهما يخافان عليهن السبأ إذا

فُتِحَ الحصن ، فأبين ، فقال لها أبو الأسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال أبي الأسود حيث قد علمتما . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلاً بواد يقال له العقيق ، وهو بين مال بنى الأسود وبين الطائف ، وليس بالطائف مال أبعد رِشاء^(١) ولا أشد مؤنة ولا أبعد عمارة منه ، وإن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً ، فسكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعنه لله والرحم .

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

وقد روى الواقدي عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده . وقيل قدم به وبدبابتين فالله أعلم .

وقد أورد البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة ، أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال : لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار في كلام طويل .

فلما رجع قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قلت لهم » ؟ قال : دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذكّرتهم بالجنة . فقال : « كذبت بل قلت لهم كذا وكذا » فقال : صدقت يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإليك من ذلك .

وقد روى البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن بونس ابن بكيير ، عن هشام الدستوائي ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان ابن أبي طاححة ، عن ابن أبي نجيح السلمي ، وهو عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر الطائف فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلغ بسهم فله درجة في الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً .

وسمّته يقول : « من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدلٌ مُحَرَّرٌ ، ومن شاب شبيبةً في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، وأيما رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله جاعلٌ كلَّ عظم من عظامه وقاءً كلَّ عظمٍ بعظم ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعلٌ كلَّ عظم من عظامها وقاءً كلَّ عظم من عظامها من النار » .
ورواه أبو داود والترمذي وصححه النسائي من حديث قتادة به .

وقال البخاري : حدثنا الحميدي ، سمع سفيان ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى مخنثٌ فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرايتَ إن فتح الله عليكم الطائفَ غدًا فعمليك بابنة غيلان فإنها تُقبِلُ بأربعٍ وتُدبرُ بثمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخن هؤلاء عليكن » .

قال ابن عيينة : وقال ابن جريج : الخنث هَيْتٌ .
وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به . وفي لفظ : « وكانوا يرونه من غير أولى الإربة من الرجال » وفي لفظ : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم : « ألا أرى هذا يعلم ما هنا ؟ لا يدخن عليكن هؤلاء » .
يعنى إذا كان ممن يفهم ذلك ، فهو داخل في قوله تعالى : « أو الطّفل الذين لم يَظْهروا على عورات النساء^(١) » .

والمراد بالخنث في عُرف السلف الذى لا همة له إلى النساء ، وليس المراد به الذى يؤتى ، إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً ، كإدله عليه الحديث ، وكما قتله أبو بكر الصديق رضی الله عنه .

ومعنى قوله : « تقبل بأربع وتُدبر بثمان » يعنى بذلك عكَن بطنها ، فإنها تكون أربعا إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أدبرت ، وهذه للمرأة هى بادية بنت غيلان ابن سلمة من سادات ثقيف .

وهذا الخفث قد ذكر البخارى عن ابن جريج أن اسمه هيت ، وهذا هو المشهور لسكن قال يونس عن ابن إسحاق قال : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته بنت عمرو بن عابد نخث يقال له مائع ، يدخل على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ولا يرى أنه يفطن لشيء من أمور النساء مما يفطن إليه الرجال ، ولا يرى أن له فى ذلك أربا ، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد إن افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائفَ فلا تنفلتن منكم بادية بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتُدبر بثمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع هذا منه : « ألا أرى هذا يفطن لهذا » الحديث . ثم قال لنسائه : « لا يدخن عليكن » فحجِب عن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبي العباس الشاعر الأعمى ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائفَ فلم ينل منهم شيئا قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فتقل عليهم وقالوا : نذهب ولا نفتح ؟ فقال : « اغدوا على القتال » فعدوا فأصابهم جراحٌ فقال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فأعجبهم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم . وقال سفيان مرة : فتبسم .

ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف فى نسخ البخارى ، فى نسخة كذلك وفى نسخة عن عبد الله بن عمرو بن العاص فأنه أعلم .

وقال الواقدي : حدثني كثير بن زيد بن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة قال :

لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي فقال : « يانوفل ماترى فى المقام عليهم ؟ » قال : يارسول ثعلب فى حجر إن أقت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك .

قال ابن إسحاق : وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر وهو محاصرٌ ثقيفاً : « ياأبا بكر ، إنى رأيت أنى أهديت لى قعبةٌ مملوءة زبدأ فنقرها ديك فهراق ما فيها » فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما أظن أن تدرى منهم يومك هذا ماتريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا لا أرى ذلك » .

قال : ثم إن خولة بنت حكيم السأمية ، وهى امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله أعطنى إن فتح الله عليك حلىً بادية بنت غيلان بن سامة أو حلى الفارعة بنت عقيل - وكانت من أحلى نساء ثقيف - فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « وإن كان لم يؤذن فى ثقيف ياخويلة ؟ » .

فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ما حديثٌ حدثتنيه خولة ، زعمت أنك قلتها ؟ قال : « قد قلتها » قال : أو ما أذن فيهم ؟ قال : لا . قال : أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال : بلى .

فأذن عمر بالرحيل ، فلما استقبل الناس نادى سعيد بن مبيد بن أسيد بن أبى عمرو ابن علاج : ألا إن الحى مقيم . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله مجدة كراماً . فقال له رجل من المساهين : قاتلك الله يا عيينة ! أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصره ؟ فقال : إنى والله ماجئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطوها لعلها تلد لى رجلاً ، فإن ثقيفاً مناً كبير (١) .

وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة قصة خولة بنت حكيم ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال : وتأذين عمر بالرحيل . قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ألا يُسرحوا ظهراً ، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودعا حين ركب قافلاً فقال : « اللهم اهدموا كنفنا مؤمنهم » .
وروى الترمذى من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قالوا : يا رسول الله أحرقتنا نبالٌ تكيف فادعُ الله عليهم . فقال : « اللهم اهدِ ثقيفًا » .

ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

وروى يونس عن ابن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المسكرم ، عن أدركوا من أهل العلم : قالوا : حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف ثلاثين ليلةً أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم ، ففقد المدينة فجاءه فدمهم في رمضان فأساموا .

وسياتى ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع إن شاء الله .

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق :
فمن قریش ؛ سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعُرْفطة بن جناب حليف لبني أمية بن الأسد بن العوث ، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رمى بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة الخزومي من رمية رُميها يومئذ ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة حليف لبني عدى ، والسائب بن الحارث بن قيس ابن عدى السهمي ، وأخوه عبد الله ، وجُليخة بن عبد الله من بني سعد بن ليث . ومن الأنصار ثم من الخزرج ثابت بن الجذع الأسلمي ، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة المازني ،

والمفذر بن عبد الله من بنى ساعدة . ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية فقط .

فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث رضی الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً عن الطائف قال

يُحْيِرُ بِنَ زَهْرٍ بِنِ أَبِي سَلَمَى يَذْكَرُ حَنِيفًا وَالطَّائِفَ :

كَانَتْ عُلَّالَةٌ يَوْمَ بَطْنِ حَنِينٍ وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ وَيَوْمَ الْأَبْرِقِ

جَمَعَتْ بِإِغْوَاءِ هَوَازُنُ جَمْعَهَا فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِفِ الْمُتَمَرِّقِ

لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَامًا وَاحِدًا إِلَّا جِدَارَهُمْ وَبَطْنَ الْخُنْدُقِ

وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لِسَكِيمًا يَخْرُجُوا فَاسْتَحْفَنُوا مِنَّا بِيَابَ مُغْلِقِ

تَرْتَدُّ حَسْرَانَا إِلَى رَجْرَاجَةٍ شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بِالْمَنَايَا قَيْلِقِ (١)

مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لَوْ قَدَّفُوا بِهَا حَصْنًا لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ

مَشَى الضَّرَاءُ عَلَى الْهَرَّاسِ كَأَنَّنَا قَدَرٌ تَفَرَّقَ فِي الْقِيَادِ وَيَلْتَقِ (٢)

فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْصَفْتَ كَالْمَهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَقِّقِ

جُدُلٍ تَمَسُّ فُضُولَهُنَّ نَعَالَنَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ وَآلِ مَحْرَقِ

وقال أبو داود : حدثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ، حدثنا الفرّابي ، حدثنا أبان ،

حدثنا عمرو - هو ابن عبد الله بن أبي حازم - حدثنا عثمان بن أبي حازم ، عن أبيه ،

عن جده صخر - هو أبو العيلة الأحمسي - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تقيفًا ،

(١) الرجراجة : الكثيرة .

(٢) الضراء : الكلاب . والهراس : شجر شائك كالنبق .

فلما أن سمع ذلك صخر ركب في خيل يُمدّ النبي صلى الله عليه وسلم فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخر حينئذ عهداً وذمةً لأفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب إليه صخر : أما بعد فإن ثقيفا قد نزلت على حكمك يا رسول الله وأنا أُقبل بهم وهم في خيلي .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة جامعة فدعا لأحس عشر دعوات : « اللهم بارك لأحس في خيلها ورجالها » .

وأنى القوم فتكلم المغيرة بن شعبه فقال : يا رسول الله إن صخرأ أخذ عتي ودخلتُ فيما دخل فيه المسلمون فدعاه فقال : « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم ، فادفع إلى المغيرة عتمته » فدفعها إليه .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء لبني سايح قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء ، فقال : يا رسول الله أنزلني أنا وقومي . قال : « نعم » فأنزله وأسلم - يعني الأساهيين ، فأتوا صخرأ فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وأتينا صخرأ ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا . فقال : « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع إليهم ماءهم » قال : نعم يا نبي الله .

فرايت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير عند ذلك حمرة ، حياءً من أخذه الجارية وأخذه الماء !

تفرد به أبو داود وفي إسناده اختلاف .

قلت : وكانت الحكمة الإلهية تقتضي أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يُستأصلوا قتلاً ، لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤووه حتى

يبلغ رسالة ربه عز وجل، وذلك بعد موت عمه أبي طالب فردّوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهموماً فلم يستفق إلا عند قرن الثعالب، فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل، فناداه ملائكة الجبال فقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام، وقد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بل أستاذني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئاً».

فناسب قوله: «بل أستاذني بهم» ألا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل. كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فصل في مرجعه عليه السلام من الطائف ، وقسمة غنائم هوازن التي أصابها
يوم حنين قبل دخوله مكة معتمرا من الجعرانة

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف
على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المساهين ومعه من هوازن سبئ كثير ، وقد
قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يا رسول الله ادع عليهم . فقال : « اللهم
اهد ثقيفاً وائت بهم » .

قال : ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سبئ هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء مالا يُدرى عدته .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، وفي رواية يونس بن بكير عنه قال
عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحنين ،
فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد
أساءوا ، فقالوا : يا رسول الله إنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك
فامنن علينا من الله عليك .

وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر من السبأيا
خالأتك وحواضتك التي كنت يكفانك ، ولو أنا ملحننا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر
ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت رسول الله خير
المسكفولين . ثم أنشأ يقول :

امنن علينا رسول الله في كريم فإنك المرء نرجوه وننتظر

امئن على بيضةٍ قد عاقها قدرٌ مُمَرَّقٌ شَمَلها في دهرها غيرُ
 أَبَقَتْ لنا الدهر هَتافاً على حزنٍ على قلوبهم الغمَاء والغمرُ
 إن لم تداركها نعماء تنشرها يا أرجح الناس حِماً حين يُحْتَبِرُ
 امئن على نسوةٍ قد كنت ترضعها إذ فوك تملؤه من محضها الدررُ
 امئن على نسوةٍ قد كنت ترضعها وإذ يَزِينك ما تأتي وما تذرُ
 لا تجعلنَّنا كمن شالت نعماتُه وأسبَقِ منّا فإننا معشر زهرُ
 إنا لكشكر آلاءٍ وإن كُفرتُ وعندنا بعد هذا اليوم مُدْخِرُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نساؤكم وأبناؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ » فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّا ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صلّيت بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين ؛ وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا . فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أمّا ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة : أمّا أنا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداس السلمي : أمّا أنا وبنو سُأيم فلا . فقالت بنو سؤيم : بل ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال يقول عباس بن مرداس لبنى سليم : وهتتموني ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فيء نصيبه. فردّوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم .

ثم كب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله اقسم علينا فيئنا . حتى اضطروه إلى شجرة فانزعت رداه فقال : « أيها الناس ردّوا عليّ رداي ، فوالذي نفسى فى يده لو كان لكم عندى عدد شجرتهمامة نعماً تقسمته عليكم ، ثم ما ألقيتمونى بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً . »

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال : « أيها الناس والله ماى من فيئكم ولا هذه البرة إلا الخمس والخمس مردودٌ عليكم ، فأدّوا الخيائط والخيط ، فإن الغلُول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة . »

فجاء رجل من الأنصار بكبّة^(١) من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذتُ هذه لأخيط بها برذعة بعير لى دَبر^(٢) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما حقّي منها فلك » فقال الرجل : أما إذ بلغ الأمر فيها فلا حاجة لى بها . فرمى بها من يده .

وهذا السياق يقتضى أنه عليه السلام رد إليهم سَبِيهم قبل القسمة ، كما ذهب إليه محمد ابن إسحاق بن يسار ، خلافاً لموسى بن عقبة وغيره .

وفى صحيح البخارى من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفدٌ هو وزن مسلمين فسألوا أن تردّ إليهم أموالهم ونساءهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله

(١) الكبّة : الخيوط المجمعة .

(٢) الدبر : المقروح

عليه وسلم : « معى من ترون ، وأحبُّ الحديث إلى أصدقه فاختروا إحدى الطائفتين إما السبى وإما المال ، وقد كنت استأنيتُ بكم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير رادِّ إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : إنا نختار سبينا .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المساهين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءوا تائبين ، وإنى قد رأيت أن أرد إليهم سببهم ، فمن أحب أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال بنىء الله علينا فليفعل » .

فقال الناس : قد طيبتنا ذلك يا رسول الله . فقال لهم : « إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » فرجع الناس فكلامهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بأنهم قد طيَّبوا وأذِنوا .
فهذا ما بلغنا عن سبى هوازن .

ولم يتعرض البخارى لمنع الأقرع وعيينة وقومهما ، بل سكت عن ذلك ، والمنبئت مقدّم على النافى فكيف الساكت .

وروى البخارى من حديث الزهرى : أخبرنى عمر بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مَقْفَلَه من حنين علق الأعراب برسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ، حتى اضطره إلى شجرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أعطوني ردائى فلو كان عدد هذه العضاء نعماً لقسمة بينكم ، ثم لا تجدونى بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » .

وقال ابن إسحاق : وحدثني أبو وَجْرة يزيد بن عبيد السعدي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عليّ بن أبي طالب جارية يقال لها رَيْطَة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زَيْنب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهبها من ابنه عبد الله .

وقال ابن إسحاق : فحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالي من بني جمح ليصالحوا لي منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيتهم وأنا أريد أن أصيها إذا رجعت إليها ، قال : فحُت من المسجد حين فرغت فإذا الناس يشتدون فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا ردّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا . قلت : تأسكم صاحبكم في بني جمح فاذهبوا فخذوها . فذهبوا إليها فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن فأخذ مجوزاً من مجازز هوازن وقال حين أخذها : أرى مجوزاً إني لأحسب لها في الحى نسباً وعسى أن يعظم فداؤها . فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض أبي أن يردها ، فقال له زهير بن صُرْد : خذها عنك فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درّها بما كِد^(١) ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريبة ولا نصفاً وثيرة . فردّها بست فرائض .

قال الواقدي : ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم بالجمرة أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة .

وقال سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من شهد حنيناً قال :

(١) !! الكد : الغزير .

والله إني لأسير إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقه لي وفي رجلي نعل غليظة
إذ زحمت ناقتي ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأوجعه ، فقرع قدمي بالسوط وقال : « أوجعتني فتأخر عني »
فانصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمسني قال : قلت : هذا والله
لما كنت أصبت من رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمس . قال : فحنته وأنا
أتوقع ، فقال : « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط فدعوتك
لأعوضك منها » فأعطاني ثمانين نعمة بالضربة التي ضربني .

والمقصود من هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد إلى هوازن سبيهم بعد
القسمه كما دل عليه السياق وغيره .

وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمد بن إسحاق عن أبيه عن
جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد إلى هوازن سبيهم قبل القسمه ، ولهذا لما رد
السبي وركب عقلت الأعراب برسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون له : اقسم علينا
فيئنا حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فقال : « ردوا على ردائي أيها الناس ،
فو الذي نفسى بيده لو كان لكم عدد هذه العضاء نعماً لقسمته فيكم ثم لا تجدوني بخيلاً
ولا جباناً ولا كذاباً » .

كما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بنحوه .

وكانهم خشوا أن يرد إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم ، فسألوه نسمة
ذلك فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجرانة كما أمره الله عز وجل ، وآثر أناساً في القسمه
وتألف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم ، فعقب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم
وبيّن لهم وجه الحكمة فيما فعله تطيباً لقلوبهم .

وتنقّد بعضُ من لا يعلم من الجهلة والخوارج كذى الخويرة وأشباهه قبحه الله ،
كما سيأتى تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي يقول حدثنا
السميط السدوسي ، عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ثم إننا غزونا حينئذ فجاء
المشركون بأحسن صفوف رأيت ، فصوّت الخليل ، ثم صفت المقاتلة ، ثم صفت النساء من
وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم . قال : ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى
مُجنّبة خيلنا خالد بن الوليد ، قال : فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا ، قال : فلم نلبث أن
انكشف خيلنا وفرّت الأعراب ومن نعلم من الناس ، قال فنأدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم : يا المهاجرين يا المهاجرين يا للأَنْصار ؟

قال أنس : هذا حديث عمته^(١) قال : قلنا لبيك يا رسول الله . قال : وتقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وأيم الله ما أتيناكم حتى هزمهم الله .
قال : فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا
إلى مكة . قال : فترزنا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل المائة ويعطى
الرجل المائتين .

قال : فتحدّث الأنصارُ بينها : أما من قاتله فيعطيه ، وأما من لم يقاتله
فلا يعطيه ؟ !

فرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار
أن يدخلوا عليه ثم قال : « لا يدْخلنَّ عليّ إلا أنصاري ، أو الأنصار » قال : فدخلنا القبة

حتى ملأناها ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الأنصار » أو كما قال :
« ما حديث أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال : « ما حديث أتاني » قالوا :
ما أتاك يا رسول الله ؟

قال : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تَدْخُلوه
بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله ، قال : فرضوا أو كما قال .

وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان .

وفيه من الغريب قوله : أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما كانوا اثني عشر
ألفاً ، وقوله : « إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة » وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون
العشرين ليلة . فالله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام ، حدثنا معمر ، عن الزهري ،
حدثني أنس بن مالك ، قال : قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء
من أموال هوازن ، فطلق النبي صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً المائة من الإبل ،
فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر
من دماهم !

قال أنس بن مالك : فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقاتلتهم ، فأرسل إلى
الأنصار فجمعهم في قبة آدم ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي صلى الله عليه وسلم
فقال : « ما حديث بلغني عنكم ؟ » قال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم
يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثه أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتالفهم ، أما ترضون أن يذهب

الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ؟ فوالله لَمَا تَنقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا
يَنقَلِبُونَ بِهِ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« فَسْتَجِدُونَ أَثْرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ » قَالَ
أَنْسٌ : فَلَمْ يَصْبِرُوا .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

ثم رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عوف ، عن هشام بن زيد ، عن جده
أنس بن مالك ، قال : لَمَا كَانَ يَوْمَ حَنْزِ بْنِ التَّقِيِّ هَوَازِنَ وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَشْرَةَ آلَافٍ وَالطَّلَقَاءَ فَأَدْبَرُوا ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ » قَالُوا : لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَسَعْدِيكَ لَبِيكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَنَا
عَبْدُ اللَّهِ وَسُوْلُهُ » فَهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ فَأَعْطَى الطَّلَقَاءَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا ،
فَقَالُوا ، فَدَعَاهُمْ فَأَدْخَلَهُمْ فِي قَبْتِهِ فَقَالَ : « أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ
وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ؟ » صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَاذِيَاءَ وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتِ
شِعْبَ الْأَنْصَارِ » .

وفى رواية للبخارى من هذا الوجه قال : لَمَا كَانَ يَوْمَ حَنْزِ بْنِ أَقْبَلَةَ هَوَازِنَ
وَعُظْفَانَ وَغَيْرِهِمْ بِنِعْمَتِهِمْ وَذُرَارِيهِمْ ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ آلَافٍ
وَالطَّلَقَاءَ ، فَأَدْبَرُوا عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ ، فَنَادَى يَوْمَئِذٍ نَدَاءً لَمْ يَخْلُطْ بَيْنَهُمَا ، التَّفْتُ
عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ » قَالُوا : لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَشِّرْ نَحْنُ مَعَكَ .
ثُمَّ التَّفْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ » فَقَالُوا : لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَشِّرْ
نَحْنُ مَعَكَ ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ بِيضَاءَ ، فَنَزَلَ فَقَالَ : « أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

فانهزم المشركون وأصاب يومئذ مقام كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار : إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا !

فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال : « يا معشر الأنصار ما حديثٌ بلغني ؟ » فسكتوا فقال : « يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . فقال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » . قال هشام : قلت : يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال : وأين أغيبُ عنه ؟

ثم رواه البخاري ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال : « إن قریشاً حديثو عهدٍ بجاهلية ومصيبة ، وإني أردت أن أجبرهم وأتالفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادى الأنصار أو شعب الأنصار » .

وأخرجه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التَّيَّاح يزيد بن حميد ، عن أنس بن جوه وفيه فقالوا : والله إن هذا لهو العجب ! إن سيوفنا تقطر من دماءهم والغنائم تقسم فيهم ، نخطبهم وذكر نحو ما تقدم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله سيوفنا تقطر من دماءهم وهم يذهبون بالغنم ؟ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فجمعهم في قبة له حتى فاضت فقال : « فيكم أحدٌ من

غيركم؟» قالوا: لا إلا ابن أختنا، قال: «ابن أخت القوم منهم» ثم قال: «أقاتم كذا وكذا؟» قالوا: نعم. قال: «أنتم الشعار والناس الدثَّار، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول صلي الله عليه وسلم إلى دياركم؟» قالوا: بلى. قال: الأنصارُ كَرِشَى وَعَيْبَتِي، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار.»

وقال: قال حماد: أعطى مائة من الإبل فسمى كل واحد من هؤلاء.

تفرد به أحد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: «يامعشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي، ألم آتكم أعداءً فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «أفلا تقولون: جئنا خائفاً فأمنناك، وطريداً فأوينناك، ومخذولاً فنصرناك؟» قالوا: بل لله المنُّ علينا ورسوله.

وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين.

فهذا الحديث كالماتر عن أنس بن مالك.

وقد روى عن غيره من الصحابة.

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا عمرو بن يحيى، عن عباد بن تميم، عن عبد الله بن زيد بن عاصم، قال: لما أفاء الله على رسوله صلي الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمَّنُّ.

قال : « لو شئتم قلم : جئتنا كذا وكذا . أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبها ، الأنصار شعارٌ والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .
ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازني به .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري قال : لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين وقسم للمقاتلين من قريش وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله قومه ! فشى سعد بن عبادَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . فقال : « فيم ؟ » قال : فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤ من قومي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاجمع لى قومك في هذه الحظيرة فإذا اجتمعوا فأعلمنى » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا ، وجاء آخرون فردم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أناه فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأداءً فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الأتحييون يامعشر الأنصار ؟ » قالوا : وما نقول يارسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟
المنُّ لله ولرسوله . قال : « والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم : جئنا طريداً فأويناك ،
وعائلاً فأسيناك ، وخائفاً فأمنناك ، ونخذولاً فنصرناك » فقالوا : المنُّ لله ولرسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوجدتم في نفوسكم يامعشر الأنصار في
لعاة من الدنيا تألفتُ بها قوماً أسلموا ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ،
أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالم بالشاء والبعير وتذهبون
برسول الله إلى رحالمكم ، فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت
الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ،
اللهم ارحم الأنصارَ وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحامهم وقالوا : رضينا بالله رباً ورسوله قسماً .
ثم انصرفوا وتفرقوا .

وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحد من أصحاب
الكتب من هذا الوجه ، وهو صحيح .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن بكير ، عن الفضل بن مرزوق ، عن عطية بن
سعد العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال رجل من الأنصار لأصحابه : أما والله لقد
كنت أحدثكم أنه لو استقامت الأمور قد آثر عليكم ، قال : فردوا عليه ردّاً عنيفاً
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها ، قالوا : بلى
يارسول الله ، قال : « وكنتم لا تركبون الخيل » وكلما قال لهم شيئاً قالوا : بلى يارسول
الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم .

تفرد به أحمد أيضاً .

وهكذا رواه الإمام أحمد منفرداً به من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي

سعيد بنحوه . ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر مختصراً .

وقال سفيان بن عيينة ، عن عمر بن سعيد بن مسروق ، عن أبيه ، عن عباية بن رافع بن خديج ، عن جده رافع بن خديج ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى المؤلفات قلوبهم من سبئ حنين مائة من الإبل ، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة ، وأعطى صفوان بن أمية مائة ، وأعطى عيينة بن حصن مائة ، وأعطى الأفرع بن حابس مائة ، وأعطى علقمة بن علاثة مائة ، وأعطى مالك بن عوف مائة ، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة ، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول :

أَجْمَلَ نَهَى وَنَهَبَ الْعُبَيْدَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَفْرَعِ^(١)
فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْجَمْعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَخَفَضَ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَاتُ تَدْرَأٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أَمْنَعِ^(٢)

قال : فأنتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة .

رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البيهقي .

وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق فقال :

كَانَتْ نِهَابًا تَلَفَيْتُهُمَا بِكَرِّيٍّ عَلَى الْمُنْهَرِ فِي الْأَجْرَعِ^(٣)
وَإِقْطَاطَى الْحَيِّ أَنْ يَرَقُدُوا إِذَا جَمَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجِعِ
فَأَصْبَحَ نَهَى وَنَهَبُ الْعُبَيْدِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَفْرَعِ

(١) النهب : العطاء من الغنيمة . (٢) ذات تدرأ : ذا دفع .

(٣) النهاب : جمع نهب . والأجرع : الأرض ذات الحزونة .

وقد كنت في الحرب ذاتُ دُرٍّ | فلم أعطَ شيئاً ولم أَمْنَعِ
إلا أفاثلَ أعطيتها | عديداً قوائمها الأزعج^(١)
وما كان حصنٌ ولا حابسٌ | يفوقان مرداسَ في الجمعِ
وما كنت دون امرئٍ منهما | ومن تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ
قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « أنت القاتل أصبحَ نَهْيٌ ونهب العبيد بين الأقرع وعُيَيْنة ؟ »
فقال أبو بكر : ما هكذا قال يا رسول الله ، ولكن والله ما كنتَ بشاعرٍ وما ينبغي لك . فقال : « كيف قال ؟ » فأنشدته أبو بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما سِوَاء ما يضرُّك بأيهما بدأت »
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقطعوا عني لسانه » فخشى بعض الناس أن يكون أراد المثلثة به وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم العطية . قال :
وعبيد فرسه .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بُردة ، عن أبي موسى قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة^(٢) ومعاه بلال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابيٌّ فقال :
ألا تُنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له « أبشر » فقال : قد أكرتَ عليّ من أبشر !
فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال : « ردَّ البشري فأقبلا أنما » ثم دعا

(١) الأفاثل : الضعاف من الإبل .

(٢) قال القسطلاني : قال الداودي : وهو وهم والصواب بين مكة والظائف ، وبه جزم الذوي وغيره .
إرشاد الساري ٤١٠/٦ .

بقدح فيه ماء ففسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه ، ثم قال « اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا » فأخذنا القدح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر : أفضلا لأمكا . فأفضلا لها منه طائفة .

هكذا رواه .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا مالك ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برؤد نجرانى غليظ الحاشية . فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبه ، قال : مُرئى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعتاء .

وقد ذكر ابن إسحاق الذين أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مائة من الإبل ، وهم : أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلفة أخو بنى عبد الدار ، وعلقمة بن علاثة ، والعلاء بن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة ، والحارث بن هشام ، وجبیر بن مطعم ، ومالك بن عوف النصرى ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة بن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع ابن حابس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وتركت جعيل بن سُرّاقة الضمّرى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والذى نفس محمد بيده لجعيل خيرٌ من طِلاع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألفتمهما ليُسَلِّما ،

وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بْنَ سَرَّاقَةَ إِلَى إِسْلَامِهِ .

ثم ذكر ابن إسحاق من أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دون المائة ممن يطول ذكره .

وفي الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : مازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني من غنائم حنين وهو أبيض الخلق إلى حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلى منه .

ذكر قدوم مالك بن عوف النَّصْرِي على

رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن وسألهم عن مالك ابن عوف : ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال : « أخبروه إنه إن أتاني مُسَلِّماً رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ » .

فلما بلغ ذلك مالسكاً انسلَّ من ثقيف حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه ، فردَّ عليه أهله وماله . ولما أعطاه مائة قال مالك بن عوف رضي الله عنه :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي ومتى تشأ يُخبرك عما في غدِ
وإذا السكتيمة عرَّدت أنيابها بالسهمريّ وضرب كل مهندي (١)
فكانه ليثٌ على أشباله وسطاً الهباءة خادِرٌ في مرصدٍ (٢)

قال : واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتلك القبائل مُمَلَّةً وسَلِمَةً (٣) وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى

(١) عرَدت : اشتدت وضربت . (٢) الهباءة : غبار الحرب . والحادر : المقيم في عرينه .
(٣) هكنا ضبطه السهيلي وقال : والمعروف في قبائل قيس سلامة بالفتح ، إلا أن يكونوا من الأزرد .

ضيق عليهم .

وقال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، حدثني عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال : « إني أعطى قوماً أخاف هلمهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب » .

قال عمرو : فما أحبُّ أن لى بكامة رسول الله صلى الله عليه وسلم حُرَّ النِّعم .

زاد أبو عاصم ، عن جرير ، سمعت الحسن حدثنا عمرو بن تغلب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال - أو سبي - فقسمه بهذا .

وفى رواية للبخارى قال : أتى رسول الله بمال - أو بشيء - فأعطى رجلاً وترك رجلاً ، فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فذكر مثله سواء .

تفرد به البخارى ^(١) .

وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخرهم عن الغنيمة :

| | |
|--|---|
| زاد الهمومَ فهاه العين منحدُر | سحاً إذا حَفَلتُه عِبْرَةٌ دَرِرٌ ^(٢) |
| وَجِدْأً بِشْمَاءَ إِذْ شَمَّاهُ هَهْ-كِنَّةٌ | هَيْفَاءَ لَا ذَنْبَ فِيهَا وَلَا خَوْرٌ ^(٣) |
| دَعَّ عَنْكَ شَمَاءُ إِذْ كَانَتْ مُودَّتْهَا | نَزْرًا وَشَرٌّ وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّزْرُ |
| وَأَتَتْ الرَّسُولَ وَقَلَّ يَأْخِرَ مُؤْتَمِّنٌ | لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَّدَ الْبَشْرُ |
| عِلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَازِحَةٌ | قُدَامَ قَوْمٍ هُمُ آوُوا وَهُمْ نَصْرُوا |

(١) هذا الحديث مؤخر فى ت بعد القصيدة .

(٢) ابن هشام : زادت هموم . .

(٣) المكنته : الشابة الغضة . والذنب : القدر . والحور : الضعف . وفى ا : شفاء

سَمَّاهُمْ اللهُ أَنْصَارًا بَنَصْرَهُمْ
وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْتَرَضُوا
وَالنَّاسُ أَلْبَسُوا عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا
نُجَادُ النَّاسِ لَا نُنْبِقِي عَلَى أَحَدٍ
وَلَا تَهْرَجُنَا جُنَاةُ الْحَرْبِ نَادَيْنَا
كَمَا رَدَدْنَا بَيْدِرٍ دُونَ مَا طَلَبُوا
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أَحَدٍ
فَمَا وَنَيْنَا وَمَا خَمْنَا وَمَا خَبَرُوا
دِينِ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعْرُ
لِلْفَائِبَاتِ وَمَا خَانُوا وَمَا ضَجِرُوا
إِلَّا السُّيُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا وَزُرُ
وَلَا نَضِيعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّورُ
وَنَحْنُ حِينَ تَلْظِي نَارُهَا سَعْرُ (١)
أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ
إِذْ حَزَبَتْ بِطَرَأٍ أَحْزَابَهَا مُضْرُ (٢)
مِنَا عَثَارًا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا

(١) تهرج : تكبره . وجناة الحرب : أبطالها . والسعر ، من يوقدون الحرب .
(٢) النعف : أسفل الجبل .

ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق

على رسول الله صلى الله عليه وسلم في القسمة العادلة بالانفاق

قال البخارى : حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : لما قَسَمَ النبي صلى الله عليه وسلم قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أريد بها وجه الله . قال : فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فتغَيَّرَ وجهه ثم قال : « رحمة الله على موسى ، قد أودى بأكثر من هذا فصبر » .

ورواه مسلم من حديث الأعمش به .

ثم قال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم ناساً : أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناساً فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت : لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » .

وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به .

وفي رواية للبخارى فقال رجل : والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله . فقلت : والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتيته فأخبرته فقال : « من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » .

وقال محمد بن إسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب اللبني حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقاً نعله بيده ، فقلنا له : هل

حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين؟ قال: نعم جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال له: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجل فكيف رأيت؟» قال: لم أرك عدلت. قال: فضبط النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون!»

فقال عمر بن الخطاب: ألا نقتله؟ فقال: «دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، يُنظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القِدح فلا يوجد شيء ثم في الفُوق فلا يوجد شيء سبق الفِرتَ والدم.»

وقال الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: أتى رجل بالجعرانة النبي صلى الله عليه وسلم مُنصرَفة من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض منها ويعطى الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال «ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خِبت وخسرت إذا لم أكن أعدل» فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق؟ فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يَمِرُقون منه كما يَمِرُق السهم من الرمية.»

ورواه مسلم عن محمد بن رُمح، عن الليث.

وقال أحمد: حدثنا أبو عاصم، حدثنا قرّة، عن عمرو بن دينار، عن جابر، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم معانم حنين إذ قام إليه رجل فقال: اعدل. فقال: «لقد شقيت إذا لم أعدل.»

ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم سن قرّة بن خالد السدوسي به.

وفي الصحيحين من حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت، إذا لم أعدل فمن يعدل؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله إيذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، يُنظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم إلى رصافه^(١) فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نصيبه^(٢) - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه^(٣) فلا يوجد فيه شيء، قد سبق القرث والدم^(٤)، آيتهم رجل أسود إحدى عَضُدَيْهِ مثل ندى المرأة أو مثل البضعة تَدْرَدَرُ^(٥) ويخرجون على حين فرقة من الناس.»

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس، فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعت.

ورواه مسلم أيضاً من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة، عن أبي سعيد به نحوه.

ذكر مجيء أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة

وهو بالجعرانة واسمها الشِّماء

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الرصاف: جمع رصفة، وهي عقبة تلوى على مدخل النصل في السهم.

(٢) النضي: القذح قبل أن يبحث.

(٣) القذذ: ريش السهم.

(٤) المعنى: أنه مرق عاجلاً فلم يعلق به دم.

(٥) تدردر: تتحرك وتذهب وتجيء.

قال يوم هوازن : « إن قدرتم على نجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يُفلقنكم »
وكان قد أحدث حدثنا .

فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشَّيْء بنت الحارث بن عبد العزى
أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة .

قال : فعنفوا عليها في السُّوق فقالت للمسلمين : تعلمون والله إنى لأخت صاحبكم من
الرضاعة . فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي - هو أبو وجزة - قال : فلما انتهى
بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله إنى أختك من الرضاعة . قال
« وما علامة ذلك ؟ » قالت : عضه عضضتنيها في ظهري وأنا متورِّكتك . قال : فعرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال : إن
أحببت فعندي محببة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعى إلى قومك فعات .
قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي . فمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورددها إلى قومها ،
فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل
فيهم من نسلهما بقية .

وروى البيهقي من حديث الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة قال : لما كان يوم فتح
هوازن جاءت جارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله أنا أختك ،
أنا شَيْء بنت الحارث . فقال لها : « إن تكوني صادقة فإن بك منى أثراً لا يبلى » قال :
فكشفت عن عضدها فقالت : نعم يا رسول الله وأنت صغير فعصصتني هذه العضة . قال :
فبسط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ثم قال : « سَلِي نُعْطَى وأشْفَعِي تُشْفَعِي » .
وقال البيهقي : أنبأنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا عمرو بن إسماعيل بن عبد السلمي ،
حدثنا مسلم ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان ، أخبرني عمي عمارة بن

ثوبان ، أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضو البعير ، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم نِعماً بالجعرانة .

قال : فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته .

هذا حديث غريب ولعله يريد أخته ، وقد كانت تحضنه مع أمها حليلة السعدية وإن كان محفوظاً فقد عُمرت حليلة دهرأ ، فإن من وقت أن أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك .

وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه . والله أعلم بصحته .

قال أبو داود في المراسيل : حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث ، أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فعمد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شِقْ ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم جاء أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه .

وقد تقدم أن هوازن بكماها متواليمة برضاعته من بنى سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صرد : يا رسول الله إنما في الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضتك فامن علينا من الله عليك . وقال فيما قال :

امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يماؤه من تحضها درر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذا يزرنك ماتاتي وما تدر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بركة أبيهم ، فعادت فواضله عليه السلام عليهم

قدماً وحديثاً خصوصاً وعموماً .

وقد ذكر الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شُرْحُبَيْل ، عن أبيه قال : كان النَّضِير ابن الحارث بن كَلْدَةَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ فَكَانَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ نَمُتْ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ الْآبَاءُ وَقُتِلَ عَلَيْهِ الْإِخْوَةُ وَبَنُو الْعَمِّ .

ثم ذكر عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه خرج مع قومه من قریش إلى حنين وهم على دينهم بعد ، قال : ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد أن نغير عليه ، فلم يَمَكِّنَا ذَلِكَ ، فَلَمَّا صَارَ بِالْجِعْرَانَةِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعَلِّي مَا أَنَا عَلَيْهِ إِنْ شَعَرْتُ إِلَّا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَنْضِيرُ ؟ » قُلْتُ : لَبِيكُ ، قَالَ : « هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا أَرَدْتَ يَوْمَ حَنِينٍ مِمَّا جَالَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؟ » قَالَ : فَأَقْبَبْتُ إِلَيْهِ سَرِيعًا فَقَالَ : « قَدْ آَنَّ لَكَ أَنْ تُبْصِرَ مَا كُنْتَ فِيهِ تُوضِعُ » قُلْتُ : قَدْ أَدْرَى أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى شَيْئًا ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ زِدْهُ ثِبَاتًا » قَالَ النَّضِيرُ : فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَسَاكُنَ قَابِي حَجْرًا ثِبَاتًا فِي الدِّينِ ؛ وَتَبْصُرَةً بِالْحَقِّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا » .

عمرة الجُعْرانة في ذى القعدة

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعبد الصمد المَعْنَى قالا : حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قتادة ، قال : سألت أنس بن مالك قات : كم حجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حجة واحدة ، واعتمر أربع مرات . عمرته زمن الحديبية وعمرته في ذى القعدة من المدينة ، وعمرته من الجُعْرانة في ذى القعدة ، حيث قسم غنيمة حنين ، وعمرته مع حجته . ورواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى من طرق عن همام بن يحيى به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا داود - يعنى العطار - عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عمَر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجُعْرانة ، والرابعة التي مع حجته . ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث داود بن عبد الرحمن العطار المسكى ، عن عمرو بن دينار به وحسنه والترمذى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، حدثنا حجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عمَر ، كلُّ ذلك في ذى القعدة يلبى حتى يستلم الحجر .

غريب من هذا الوجه .

وهذه الثلاثُ عمَر اللاتي وقعتن في ذى القعدة ماعدا عمرته مع حجته ، فإنها وقعت في ذى الحجة مع الحجة ، وإن أراد ابتداء الإحرام بهن في ذى القعدة فاعلم لم يُرد عمرة الحديبية لأنه صُدَّ عنها ولم يفعلها . والله أعلم .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر من الجعرانة بالكلبية وذلك فيما قال البخارى : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله إنه كان على اعتكاف يوم في الجاهلية . فأمره أن يفي به .

قال : وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة ، قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبي حنين فجعلوا يسعون في السكك ، فقال عمر : يا عبد الله انظر ما هذا ؟ قال : من رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبي . قال : اذهب فأرسل الجاريتين .

قال نافع : ولم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ، ولو اعتمر لم يخف على عبد الله .

وقد رواه مسلم من حديث أيوب السختماني ، عن نافع عن ابن عمر به .

ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبدة الضبي ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع قال : ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة فقال : لم يعتمر منها .

وهذا غريب جدا عن ابن عمر وعن مولاه نافع ، في إنكارها عمرة الجعرانة ، وقد أطبق النقلة ممن عداها على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسنن كلهم .

وهذا أيضاً كما ثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح ، عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر في رجب . وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ! ما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو شاهد وما اعتمر في رجب قط .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن عمير ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : سأل عروة ابن الزبير ابن عمر : في أى شهر اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : في رجب . فسمعنا عائشة ، فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدها وما اعتمر عمرة قط إلا في ذى القعدة .

وأخرجه البخارى ومسلم من حديث جرير ، عن منصور ، عن مجاهد به نحوه .

ورواه أبو داود والنسائى أيضاً من حديث زهير ، عن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثاً سوى التى قرأها بحجة الوداع .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا مفضل ، عن منصور ، عن مجاهد قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأناس يصلون الضحى . فقال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟ قال : بدعة . فقال له عروة : أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ؟ فقال : أربعاً إحداهن فى رجب . قال : وسمعنا استئنان عائشة فى الحجرة ، فقال لها عروة : إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً إحداهن فى رجب ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهو معه ، وما اعتمر فى رجب قط .

وهكذا رواه الترمذى عن أحمد بن منيع ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن

منصور وقال : حسن صحيح غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا ابن جُرَيْج ، أخبرنى مُزَاهِم بن أبى مزاحم ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن نُخْرَش الكعبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلاً حين أمسى معتمراً فدخل مكة ليلاً يقضى عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة فى بطن سرف ،

حتى جاء مع الطريق - طريق المديفة - بسرف قال مخرش : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس .

ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج كذلك وهو من أفرادهِ .

والمقصود أن عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ، ومن نفاها لا حجة معه في مقابلة من أثبتها . والله أعلم .

ثم هم كالمجمعين على أنها كانت في ذى القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين .

وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير قائلا : حدثنا الحسن بن إسحاق النسائي ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن الحسن الأسدي ، حدثنا إبراهيم ابن طهمان ، عن أبي الزبير ، عن عمير مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها ، وذلك لليلتين بقيتا من شوال .

فإنه غريب جداً وفي إسناده نظر . والله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني عطاء ، أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتني أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه . قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وعليه ثوب قد أظلم به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه أعرابي عليه جبة متضمخ بطيب . قال : فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده : أن تعال . فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا النبي صلى الله عليه وسلم محمراً الوجه يعطى كذلك ساعة ثم سرى عنه فقَالَ : « أين الذي يسألني عن العمرة آنفا ؟ » فالتمس الرجل فأتى به ، قال : « أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات ،

وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجبك » .

ورواه مسلم من حديث ابن جريج . وأخرجه من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أسامة ، أنبأنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح من كداء من أعلى مكة ، ودخل في العمرة من كدّى .

وقال أبو داود : حدثنا موسى أبو سامة ، حدثنا حماد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمرُوا من الجعرانة فرمّوا بالبئيت ثلاثاً ومشوا أربعاً وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى .

تفرد به أبو داود . ورواه أيضاً ابن ماجه من حديث ابن خثيم ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس مختصراً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، حدثني الحسن بن مسلم ، عن طاوس ، أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال : كَصَّرْتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَشَقَّصٍ . أو قال : رأيتُه يَقْصُرُ عنه بِمَشَقَّصٍ عند المروّة .

وقد أخرجه في الصحيحين من حديث ابن جريج به . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفیان بن عيينة ، عن هشام بن حجير ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن معاوية به .

ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث عبدالرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس عن أبيه به .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ،

حدثنا سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن معاوية قال : قصرت
عن رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة .

والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرانة .
وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صدَّ عنها كما تقدم بيانه ، وأما
عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل خرجوا منها ، وتغيَّبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة
الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق ، فتعيَّن أن هذا التقصير الذي
تعاطاه معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا . والله تعالى أعلم .

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة
معتماً وأمر ببقاء النىء فحبس بمجنة بناحية مر الظهران .

قلت : الظاهر أنه عليه السلام إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من ياتقاه من الأعراب
فيما بين مكة والمدينة .

قال ابن إسحاق : فإما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعاً
إلى المدينة واستخلف عتَّاب بن أسيد على مكة ، وخأف معه معاذ بن جبل يفقه الناس
في الدين ويعلمهم القرآن .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خأف معاذاً مع عتَّاب
بمكة قبل خروجه إلى هوازن ، ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة .

وقال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عتَّاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهماً ، فقام نخطب الناس فقال : أيها

الناس ، أجاج الله كبدًا من جاج على درهم ! فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً كل يوم ، فليست لي حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، وقدم المدينة في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة . قال ابن هشام : قدِمها لستَ بقين من ذي القعدة فيما قال أبو عمرو المدِني .

قال ابن إسحاق : وحينئذ الناسُ ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتَّابُ بن أسيد وهي سنة ثمان .

قال : وأقام أهلُ الطائف على شِرْكهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى

وأبوه هو صاحب إحدى المعلقات السبع ، الشاعر ابن الشاعر ، وذِكْرُ قصيدته التي سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بآنت سعاد

قال ابن إسحاق : ولما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مُضَرَ فَرَفَهُ عن الطائف كتب مُجِير بن زُهَيْر بن أبي سُلَيْمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَتَلَ رجلاً بِمَكَّةَ ممن كان يهجوهُ ويؤذيه ، وأنَّ من بقى من شعراء قريش : ابنُ الزُّبَيْرِ وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب هربوا ^(١) في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض . وكان كعب قد قال :

أَلَا بَلَّغْنَا عَنِي مُجِيرًا رِسَالَةَ فَوَيْحَكَ ^(٢) فِيمَا قَلْتَ وَيْحَكَ هَلْ لَكَ
فَبَيِّنْ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَيْ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَ
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أَفْهِمًا أَبَا لَهُ عَلَيْهِ وَمَا تُدْفِنِي عَلَيْهِ أَبَا لَكَ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ وَلَا قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعَالِكَ ^(٣)
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً فَأَهْلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ ^(٤)

قال ابن هشام : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِي مُجِيرًا رِسَالَةَ فَهَلْ لَكَ فِيمَا قَلْتَ بِأَخْيَفِ هَلْ لَكَ
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأَسَا رَوِيَّةً فَأَهْلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

(١) ابن هشام : قد هربوا .

(٢) كلمة تقال للعائر ، دعاء له بالإفالة من عثرته .

(٣) أهلك : سقاك أولاً . وعلك سقاك ثانياً . والمأمون : يريد به النبي صلى الله عليه وسلم .

وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أى شىء وبغيرك^(١) ذلكا
على خلق لم تُلَفِ أماً ولا أباً عليه ولم تُدرِك عليه أخاً لسكا
فإن أنت لم تفعل فاستُ بآسف ولا قائل إماً عثرت لعملاً لسكا

قال ابن إسحاق : وبعث بها إلى بُحَيْر ، فلما أتت بُحَيْرا كره أن يكتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع : « سقاك بها المأمون » : « صدق وإنه لَكَذُوب ، أنا المأمون » ولما سمع : « على خُلق لم تُأنفِ أماً ولا أباً عاميه » قال : « أجل لم يُأنفِ عاميه أباه ولا أمه » .

قال : ثم كتب بحير إلى كعب يقول له :

مَنْ مُبَايَعٌ كَعْباً فَمَهْلُكَ فِي الَّتِي تلوم عليها باطلاً وهى أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْعَزْمَى وَلَا اللَّاتِ وَحَدَهُ فتنبجو إذا كان النَّجَاءُ وَتَسَلَّمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَا يَسْمُكُتِ من الناس إلا طاهرُ القابِ مُسَلَّمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لِشَيْءٍ دَيْنُهُ وَدَيْنُ أَبِي سُلَيْمَى عَلَى مُحَرَّمُ

قال : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأزجف به من كان في حاضره من عدوه ، وقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شىء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذَكَرَ فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قديم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جبهة كما ذكر لي ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه .

فذكر لي أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إليه ووضع يده في يده ،

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » فقال : إذا أنا ^(١) يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله دعني وعدوا الله أضرب عنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعه عنك ، فإنه جاء تائباً نازعاً » .

قال : فغضب كعب بن زهير على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير . فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانت سعادُ فقلبي اليومَ مقبولُ مَتَّيْمٌ عندها لم يُفدَ مكبولُ ^(٢)
وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا إلا أغنَّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مكحولُ ^(٣)
[هيفاه مُقبلةٌ عجزاه مُدبرةٌ] لا يشتكى قَصْرُ منها ولا طولُ ^(٤)
تجلو عوارضَ ذى ظلمٍ إذا ابتسمت كأنه مُهَلَّ بالراحِ معلولُ ^(٥)
شجَّتْ بذي شَمٍّ من ماءٍ مخنِيةٍ صافٍ بأبطحِ أضْحَى وهو مشمولُ ^(٥)
تنفَى الرياحُ القَدَى عنه وأفرطه من صوبِ غاديةٍ بيضٍ يعاليلُ ^(٦)
فيالها خلةٌ لو أنها صدقتُ بوَعْدِها أو لو أن النصحَ مقبولُ

(١) ابن هشام : فقال أنا .

(٢) بانت : بعدت . والمقبول : السقيم من الحب . والمكبول : القيد .

(٣) الأغن : الطي . (٤) عن ابن هشام . (٤) تجلو : تكشف ، والظلم : بريق الأسنان وبياضها .

(٥) شجَّت : مزجت . والشم الشديد البرد . والمخنية : منعطف الوادى . والمشمول : الذى ضربته

رياح شمال حتى برد .

(٦) أفرطه : سبق لايه . والصوب : المطر . والغادية : السحابة تغمر غدوة . والعاليل : السحب البيض

لكنها خلةٌ قد سيطَ مِنْ دَمِهَا
 فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا
 وَمَا تَمَسَّكَ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ
 فَلَا يُفَرِّنُكَ مَا مَنَّمْتَ وَمَا وَعَدْتَ
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَلًا
 أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا
 أَمْسَتْ سَعَادُ بَارِضٍ لَا تَبْلُغُهَا
 وَلَنْ يُبْلِغُهَا إِلَّا عُذَافِرَةٌ
 مِنْ كُلِّ نَضَاحَةِ الذِّقْرِى إِذَا عَرِقَتْ
 تَرْمِي الْغُيُوبَ بَعِيْنِي مُفْرَدٍ لَهِيْقٍ
 ضَخْمٌ مُقْلِدُهَا فَعَمَّ مُقَيِّمٌ سَعَادُهَا
 حَرَفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ
 يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهِمْ يُزَلِّقُهُ

فَجَعُ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ^(١)
 كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ
 إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءُ الْغُرَابِيلُ
 إِنْ الْأَمَانِيُّ وَالْأَحْلَامُ تَضْلِيلُ
 وَمَا مَالَهُنَّ إِخَالُ الدَّهْرِ تَعَجِيلُ^(٢)
 إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيْبَاتُ الْمَرَايِلُ^(٣)
 فِيهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْقِيلُ^(٤)
 عُرْضَتُهَا طَامَسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ^(٥)
 إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَانُ وَالْمَيْلُ^(٦)
 فِي خَلْقِهَا عَنِ بِنَاتِ الْفَجَلِ تَفْضِيلُ^(٧)
 وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شَمْلِيلُ^(٨)
 مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ^(٩)

(١) الخلة: الصجبة . وسيط: خلط .

(٢) ابن هشام: وما لإخال لدينا منك تنويل .

(٣) العذافرة: العظيم الشديد من الإبل . والأين: التعب . والإرقال: الإسراع . والتبقييل: ضرب من

سير الإبل .

(٤) النضاحة: الفزيرة . والذقري: العظم الشاخص خلف الأذن . وعرضتها: وجهها . وطامس

الأعلام: المتغير الذى لا يمتدى فيه .

(٥) الالهق: الثور الأبيض والحزان: جم حزيز وهو المسكان الغليظ المنقاد . والميل: ما اتسع من الأرض

(٦) المقلد: موضع القلادة من العنق . والقعم: المتلى .

(٧) الحرف: الناقة الضامرة أو العظيمة . والقوداء: الشديدة العنق . والشمليل: السرعة .

(٨) القراد: دويبة . واللبان: الصدر . والأقرباب: جم قرب وهو المحاصرة . والزهاليل:

جم زهلول وهو الأملس

عَيْرَانَةٌ قُدِّفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرْضٍ مِرْفَقَهَا عَنْ بِنَاتِ الزُّورِ مَقْتُولٌ (١)
 قَنَوَاهُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا عَمِيقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخُلْدَيْنِ تَسْهِيلٌ (٢)
 كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحُهَا مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرٌ طِيلٌ (٣)
 تَمَرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تَحْوَنَهُ الْأَحَالِيلُ (٤)
 تَهْوَى عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ ذَوَابِلٌ مَسْهِنٌ الْأَرْضَ تَحْلِيلٌ (٥)
 يَوْمًا يَظُلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ تَحْلُولٌ (٦)
 وَقَالَ لِلِقَوْمِ حَادِيَهُمْ وَقَدْ جَعَلْتَ وَرَقَ الْجِنَادِبِ يَرُ كِضْنَ الْحِصَا قِيلُوا (٧)
 أَوْبٌ يَدَى فَاقِدِ شَمَطَاءٍ مُعْوَلَةٍ قَامَتْ لِحَاوِبِهَا نُكْدٌ مِثْلَ كَيْلٍ (٨)
 نَوَاحَةٌ رَخْوَةٌ الضَّبْعِينَ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكُرْهَا النَّاعُونَ مَقْتُولٌ (٩)
 تَفْرَى اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِذْرَعُهَا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلٌ (١٠)
 تَسْمَى الْغَوَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمْ إِنَّكَ يَا بَنِي أُمِّ لَيْلَى لَمَقْتُولٌ (١١)
 وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كَفَّتْ أَمَلُهُ لَا الْهَيْمَنُكَ إِنِّي عَنْكَ مَشغُولٌ

(١) العيرانة من الإبل ، الناجية في نشاط . والنحض : اللحم المكثف . والعرض : الجانب .

(٢) القنواء : المرتفعة الأنف ، وهو عيب في الفرس .

(٣) البرطيل : حجر أو حديد طويل صلب خالقة ، ينقر به الرحي . وهو المعول أيضا

(٤) عسب النخل : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . والغارز : الضرع . وتحونه : تنقصه . والأحاليل : جمع لمحلل وهو مخرج اللبن .

(٥) ابن هشام : تحدى . اليسرات : الحفاف السهلة . والتجليل : الجرى . حل : عدا .

(٦) الحرباء : دويبة تستقبل الشمس برأسها . والمصطخد : المحترق من حرارة الشمس . والضاحي : ما يبرز منه للشمس . والحلول : المذاب .

(٧) الجنادب : الجراد . والورق : التي يضرب لونها إلى السواد .

(٨) الأوب : رجع القوأم في السير . والشمطاء : التي خالطها الشيب . والمعولة : الصائحة بالبيضاء . والنكد : جمع نكداء وهي التي لا يبق لها ولد . والمثاكيل : جمع مثكلة وهي التي لزمها الثكل .

(٩) الرخوة : المسترخية والضبع : العضد .

(١٠) اللبان : الصدر . والمدرع : القميص . والرعايل : المعزق ..

(١١) جنابها : حولها

فقلت خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ
 كلُّ ابنِ أنثى وإن طالت سلامته
 نَبِئْتُ أن رسولَ الله أوعَدَني
 مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةِ الـ
 لَا تَأْخُذَنِي بِأَقْوَالِ الوَشَاةِ ولم
 لقد أقومُ مقاماً لو يقوم به
 لظُلٌّ يُرْعَدُ إلا أن يكون له
 حتى وضعتُ يميني ما أنازعها
 فأنهو أخوف عندي إذ أكله
 من ضيفمٍ بضراء الأرض مُحَدَّرَه
 يندو فيأجيم ضيرغامين عيشهما
 إذا يساور قرنا لا يحلُّ له
 منه تظلُّ حَمِيرِ الوحشِ نافرةً
 ولا يزال بواديه أخو ثقةٍ
 إن الرسولَ لتورُّ يُستضاء به
 في عُصْبَةِ من قريش قال قائلهم
 زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشفٌ

فكل ماقدَّر الرحمنُ مفعولُ
 يوماً على آلهِ حدياءِ سَجْمولُ
 والنفوُّ عندَ رسولِ الله مأمولُ
 قرآنٍ فيهِ مواعيطٌ وتفصيلُ
 أذنب ولو كثرت في الأفوايلُ
 أرى وأسمع ما لو يسمعُ الفيلُ
 من الرسولِ بإذنِ الله تنوِيلُ^(١)
 في كفِّ ذى نَقَمَاتٍ قوله القِيلُ
 وقيل إنك منسوبٌ ومَسْئولُ
 في بطنِ عَثْرٍ غَيْلٍ دونه غَيْلُ^(٢)
 لحمٌ من الناسِ مَعْفورٌ خَرَادِيلُ^(٣)
 أن يترك القِرْنَ إلا وهو مَغْلُولُ
 ولا تمشى بواديه الأراجيلُ^(٤)
 مُضْرَجُ البزِّ والدُرْسَانُ ما كُولُ^(٥)
 مُهَيِّدٌ من سيوفِ الله مَسْئُولُ
 يبطن مكة لما أسلموا زولوا
 عند اللقاء ولا ميلٌ معازيلُ^(٦)

(١) الأصل : اظلل يرعد من وجد موارده من الرسول ، وما أنبته عن ابن هشام

(٢) الضراء : الأرض المستوية .

(٣) المَعْفور : الملقى في التراب . والحَرَادِيل : القطع الصغار .

(٤) الأراجيل : جماعات الرجال .

(٥) البز : السلاح . والدُرْسَان : الثياب الخلقية .

(٦) الأَنْكاس : جم نكس وهو الجبان . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم .

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرُ يَفْصَمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ (١)
سُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْمَيْجَا سَرَائِيلُ
بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا خَلْقٌ كَانَتْهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ (٢)
لَيْسُوا مَفَارِيحٌ إِنْ نَالَتْ رِمَاخُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوِ رِمْهِمْ وَلَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ
قال ابن هشام : هكذا أورد محمد بن إسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً .

وقد رواها الحافظ البيهقي في دلائل النبوة بإسناد متصل ، فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسدي بهمدان ، حدثنا إبراهيم بن الحسين ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحرّامي ، حدثنا الحجاج بن ذى الرقيبة بن عبد الرحمن ابن كعب بن زهير بن أبي سلمى ، عن أبيه ، عن جده قال : خرج كعب وبُجَيْر ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزّاف ، فقال بُجَيْر لكعب : اثبت في هذا المكان حتى آتى هذا الرجل - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأسمع ما يقول : فثبت كعب ، وخرج بجير فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم . فبلغ ذلك كعباً فقال :

أَلَا أبلغاً عني بُجَيْراً رسالةً على أي شيء وَوَيْبَ غيرِكَ دَلَّكَ
على خَلْقٍ لَمْ تَلَفْ أُمًّا وَلَا أَبًا عليه ولم تُدْرِكْ عليه أَخَا لَكَ
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسِ رُوبِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَمَّكَ

فلما بلغت الأبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دمه وقال : « من لقي كعباً فليقتله » .

فكتب بذلك بُجَيْر إلى أخيه ، وذكر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه ويقول له : النَّجَاءَ وما أراك تنفلت . ثم كتب إليه بعد ذلك : اعلم أن رسول الله صلى الله

(١) عرد : هرب . والتنايل : القصار .

(٢) القفعاء : ضرب من الحسك تشبه به حلق الدر

عليه وسلم لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل .

قار : فأسلم كعب وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم متحلقون معه حلقة خاف حلقة ، يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم .

قال كعب : فأنخت راحلتي بباب المسجد فعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة حتى جلست إليه فأسلمتُ وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله الأمان يارسول الله . قال : « ومن أنت ؟ » قال : كعب بن زهير . قال : « الذي يقول » ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كيف قال يا أبا بكر ؟ » فأنشده أبو بكر :

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَةً وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُورُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

قال : يارسول الله ما قلت هكذا قال : « فكيف قلت ؟ » قال قلت :

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَةً وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مأمون والله . ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى

على آخرها وهي هذه القصيدة :

بانت سعادٌ فقلبي اليوم مَتَّبُولُ مُتَيِّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُفَدَّ مَكْبُولُ

وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقي رحمهما الله

عز وجل وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ

نَبَّئْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ

قال : فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في مغازيه . والله الحمد والمنة .

قلت : ورد في بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه بُردته حين أنشده القصيدة ، وقد نظم ذلك الصَّرمي في بعض مدائحه ، وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة ، قال : وهي البردة التي عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه . فالله أعلم .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ، لما قال بانت سعاد : ومن سعاد ؟ قال : زَوْجَتِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قال : لم تَبِينُ .

ولكن لم يصح ذلك . وكأنه على ذلك توهم أن بإسلامه تبين امرأته ، والظاهر أنه إنما أراد البينونة الحسية لا الحكمية . والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب - يعني في قصيدته - « إذا عرَّد السودُ التَّنَائِيلَ » وإنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صفع به ، وخص المهاجرين من قريش بمدحته ، غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعهم من اليمن :

من سرَّه كرمُ الحياة فلا يزلُ في مقتبٍ من صالحى الأنصار^(١)
ورثوا المسكارمَ كابرأعن كابرٍ إنَّ الخيَّارَ همُ بنو الأخيَّارِ
المكرهين السَّمْهَرَىَّ بأذرع كسوالفِ الهنديِّ غيرِ قصَّارِ

(١) المقب : الجماعة من الخيل .

والناظرين بأعينٍ مُحمَّرةٍ كالجزر غير كليلة الإبصارِ
والبائسين نفوسهم لنبيهم للموت يومَ تمانتي وكرارِ
يتطهَّرون يروونه نُسكا لهم بدماء من عَلِقوا من الكفارِ
دَرَبوا كما دَرَبت بطونُ خَفِيَةٍ غَلَب الرقاب من الأسود ضَواري
وإذا حَلَّتْ لِيمنعوك إليهمُ أصبحتَ عندَ معاقلِ الأعفارِ (١)
ضَرَبوا علياً يوم بدرٍ ضربةً دانت لوقعتها جميعُ نزارِ
لو يَعلمُ الأقبامُ على كَلِّهِ فيهم لصدقتي الذين أماري
قومٌ إذا حَوَّت النجومُ فيهم للطارقين النازلين مةً — اري

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده بانت سعاد :
« لولا ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل ؟ » فقال كعب هذه الأبيات وهي في
قصيدة له .

قال : وبلغني عن علي بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله صلى
عليه وسلم في المسجد : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول .

وقد رواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثني معن بن
عيسى ، حدثني محمد بن عبد الرحمن الأفطس ، عن ابن جدعان . فذكره وهو مرسل .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب « الاستيعاب في معرفة
الأصحاب » بعد ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كلن كعب بن
زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه بجير ، وكعب أشعرهما ،
وأبوهما زهير فوقهما ، ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنت أعجبُ من شيءٍ لأعجبني سَعَى النقي وهو تحبُّوبٌ له القدرُ

يسعى الفتى لأموارٍ ليس يُذركها فالنفسُ واحدةٌ والهَمُّ مُنتشرٌ
والمرءُ ماعاشٌ ممدودٌ له أملٌ لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الأثرُ
ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها، ولم يؤرخ وفاته، وكذا لم
يؤرخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب الغاية في معرفة الصحابة، ولكن حكى أن أباه
توفي قبل المبعث بسنة. فالله أعلم.

وقال السهيلي: ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم:

تَجْرَى بِهِ النّاقَةُ الأذْمَاءَ معْتَجِراً
ففي عِطَافِيهِ أو أُنْثَاءَ بُرْدَتِهِ
بالبرد كالبردِ جَلَى لَيْلَةَ الظُّلْمِ-
مَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْ دِينٍ وَمَنْ كَرَمِ-

فصل

فيما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوال غزوة هوازن بجنين ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجعرانة في ذي القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة .

قال الواقدي : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لليال بقين من ذي الحجة في سَفَرته هذه .

قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمرو ابني الجُلَنْدَى من الأَزْدِ ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب .

قال : وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت الضحاک بن سفيان الكلبي في ذي القعدة ، فاستعازت منه عليه السلام ففارقها ، وقيل بل خيَّرها فاختارت الدنيا ففارقها .

قال : وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية ، فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً ، وكانت قابليتها فيه ساءى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشَّر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه مملوكاً ، ودفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم بَرَّة بنت المنذر بن أسيد بن خِدَّاش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مَبْدُول .

وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع .
وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تُعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف ، وذلك لحس بقين من رمضان منها .

قال الواقدي : وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبد هذيل برهاط ، هدمه عمرو بن العاص رضي الله عنه ولم يجد في خزائنه شيئاً ، وفيها هدم مناة بالمشلل ، وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظّمونه ، هدمه سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه .

وقد ذكرنا من هذا فصلاً مفيداً مبسوطاً في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى :
« أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » .

قلت : وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة قصة تخريب خنعم البيت الذي كانت تعبده ويسمونه الكعبة اليمانية مضاهيةً للكعبة التي بمكة ، ويسمون التي بمكة الكعبة الشامية وتلك الكعبة اليمانية ، فقال البخاري : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن جرير قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تريحي من ذي الخلصة ؟ » فقلت : بلى .

فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس ، وكانوا أصحاب خيل ، وكنت لأثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب يده في صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال : « اللهم ثبتته واجعله هادياً مهدياً » قال : فما وقعت عن فرس بعد .

قال : وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخنعم وبجيلة فيه نُصِبَ تعبد يقال له الكعبة اليمانية . قال : فأتاها فخرقها في النار وكسرها .

قال : فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام فقبل له : إن رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم هاهنا فإن قدر عليك ضرب عنقك ، قال : فبينما هو يضرب بها إذ

وقف عليه جرير فقال : لتكسرنها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك .
فكسرها وشهد .

ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أُرْطَاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبشره
بذلك . قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله والذي بعثك
بالحق ما جئتُ حتى تركتها كأنها جمل أجرب . قال : فبارك رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خيل أحمس ورجالها خمس مرات .

ورواه مسلم من طرق متعددة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ،
عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه .

« وإلى هنا ينتهى الجزء الثالث من السيرة النبوية لابن كثير

ويتلوه الجزء الرابع وأوله ذكر غزوة تبوك »

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|------------------------------------|--------|------------------------------------|
| ٥٩ | الذي رمى في وَجْنَتِي النبي (ص) | ٣ | سنة ثلاث من الهجرة |
| ٦٠ | « وما محمد إلا رسول .. » | (٣) | غزوة ذي أمر |
| ٦١ | جهاد أنس بن النضر | ٥ | خبر يهود بني قينقاع |
| ٦٣ | الرسول يقتل أبي بن خلف | ٨ | سرية زيد بن حارثة إلى غير قريش |
| ٦٥ | كيف كُفِّنَ مُصْعَبُ بن عمير ! | ٩ | مقتل كعب بن الأشرف اليهودي |
| ٦٦ | خبر عَيْثِي قَتَادَةَ بن النعمان | ١٨ | غزوة أحد |
| ٦٧ | نسبية بنت كعب تقاتل في أحد | ١٩ | حديث ابن إسحاق عن أحد |
| | أول من عرف رسول الله بسد | ٣٤ | مقتل حمزة رضی الله عنه |
| ٦٨ | الهزيمة .. | ٣٩ | النفر الذين قاتلوا دون رسول الله |
| ٦٩ | شعر لحسان بن ثابت في أبي بن خلف .. | ٤١ | حنظلة غسيل الملائكة |
| ٧١ | خبر قُرْمان | ٤١ | شعر لأبي سفيان يوم أحد |
| ٧٢ | خبر مُخْبِرِيق اليهودي | ٤٢ | بقية حديث ابن إسحاق |
| ٧٣ | خبر الأَصِيرِم .. وعمرو بن الجوح | ٤٦ | مانصر الله في موطن كما نصر يوم أحد |
| ٧٤ | شأن هند بنت عتبة في أحد | ٤٩ | روايات للإمام أحمد |
| ٧٥ | نداء أبي سفيان حين انصرافه من أحد | ٥٢ | روايات للبخاري |
| ٧٧ | دعاء النبي (ص) بعد الوقعة يوم أحد | ٥٥ | وقع في أحد أشياء مما وقع في بدر |
| ٧٨ | الرسول يسأل عن سعد بن الربيع | | فصل فيما لقي النبي (ص) يومئذ من |
| ٧٩ | حزن الرسول على حمزة | ٥٧ | المشركين |
| ٨٠ | ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أحد | ٥٨ | ذاك يوم كله لطلحة ! |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|-------------------------------------|--------|---|
| ١١٧ | عبد الله بن رواحة يبكي شهداء أحد | ٨٤ | كان رسول الله يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد |
| ١١٨ | صفية بنت عبد المطلب تبكي حمزة | ٨٥ | أدفنوم حيث صرعو |
| ١١٩ | أبيات لحسان بن ثابت | ٨٦ | خبر جابر عن دفن أبيه |
| ١٢٠ | حوادث سنة ثلاث | ٨٨ | الرسول يبشر جابرا .. |
| ١٢١ | سنة أربع من الهجرة | ٨٩ | كان الرسول يزور شهداء أحد |
| ١٢٣ | غزوة الرجيع | ٩١ | عدد شهداء أحد |
| ١٢٥ | رواية ابن إسحق في ذلك | ٩٣ | رجوع الرسول إلى المدينة .. |
| ١٣٢ | ما قيل من الشعر في غزوة الرجيع | ٩٥ | « لكن حمزة لا بواكي له .. » |
| ١٣٥ | سرية عمرو بن أمية الضمري | ٩٧ | خروج النبي بأصحابه إلى حراء الأسد |
| ١٣٩ | سرية بئر معونة | ١٠٢ | مقتل أبي عزة الجمحي ومعاوية بن المغيرة |
| ١٤٥ | غزوة بني النضير | ١٠٣ | افتضاح عبد الله بن أبي بن سلول |
| ١٥٠ | ما قيل فيها من الشعر | ١٠٣ | فصل فيما تقاوم به المؤمنون والكفار |
| ١٥٣ | ما أفاء الله على رسوله | ١٠٥ | ما قيل في وقعة أحد من الأشعار |
| ١٥٥ | قصة عمرو بن سعدى | ١٠٥ | قصيدة لهبيرة بن أبي وهب |
| ١٥٦ | غزوة بني لحيان | ١٠٦ | إجابة حسان بن ثابت له |
| ١٦٠ | غزوة ذات الرقاع | ١٠٧ | قصيدة لكعب بن مالك |
| ١٦١ | قصة غورث بن الحارث | ١١٠ | قصيدة لعبد الله بن الزبيرى |
| ١٦٤ | قصة الذى أصيبت امرأته في هذه الغزوة | ١١١ | إجابة حسان بن ثابت له |
| ١٦٦ | قصة جمل جابر في هذه الغزوة | ١١٢ | كعب يبكي حمزة |
| ١٦٩ | غزوة بدر الآخرة | ١١٣ | وحسان يبكي حمزة وشهداء أحد |
| ١٧٢ | فصل في جملة من الحوادث سنة أربع | ١١٦ | قصيدة أخرى لكعب بن مالك |
| ١٧٧ | سنة خمس من الهجرة | | |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|---|--------|---|
| ٢١٧ | الرسول يبعث حذيفة لينظر ما فعل العدو | ١٧٦ | غزوة دومة الجندل |
| ٢٢١ | معنى: « وكفى الله المؤمنين القتال » | ١٧٨ | غزوة الخندق |
| ٢٢٢ | من استشهد في غزوة الخندق | ١٨٠ | الخلاف في السنة التي وقعت فيها |
| ٢٢٣ | فصل في غزوة بني قريظة | ١٨١ | سياق ابن إسحق في غزوة الخندق |
| | لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة | ١٨٦ | من معجزات الرسول في غزوة الخندق |
| ٢٢٦ | الخلاف في المصيب من الصحابة في تلك الصلاة | ١٩٧ | قدوم قريش وخروج المسلمين إليهم |
| ٢٢٧ | الرسول يقدم على بن أبي طالب ومعه رايته .. | ١٩٨ | بنو قريظة تنقض العهد |
| ٢٢٩ | شأن أبي لُبابة مع بني قريظة | ٢٠١ | اشتداد البلاء على المسلمين |
| ٢٣٠ | كعب بن أسد يشاور بني قريظة | ٢٠٢ | محاولة الفوارس اقتحام الخندق |
| ٢٣٢ | من أسلم من اليهود في تلك الغزوة | ٢٠٧ | إصابة سعد بن معاذ |
| ٢٣٢ | بنو قريظة ينزلون على حكم رسول الله | ٢٠٨ | من الذي أصاب سعد بن معاذ؟ |
| ٢٣٣ | حكم سعد بن معاذ فيهم | ٢٠٨ | صفية بنت عبد المطلب أشجع من حسان بن ثابت! |
| ٢٣٤ | روايات في شأن سعد بن معاذ | ٢٠٩ | « شغلونا عن صلاة العصر .. » |
| ٢٣٦ | رواية مطولة للإمام أحمد | ٢١٠ | الرسول يبشّر أصحابه |
| ٢٣٨ | كيف قُتل بنو قريظة | ٢١١ | الصلاة الوسطى هي صلاة العصر |
| ٢٣٩ | كيف قُتل حيي بن أخطب | ٢١١ | هل يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال؟ |
| ٢٤٠ | قصة الزبير بن باطا | ٢١٣ | فصل في دعائه عليه السلام يوم الأحزاب |
| ٢٤١ | حكم صبيان أهل الذمة | ٢١٤ | حيلة نعيم بن مسعود |
| | | ٢١٦ | رواية موسى بن عقبة في ذلك |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|---|--------|--|
| ٢٨٥ | سنة ست من الهجرة : | ٢٤٢ | لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة |
| ٢٨٦ | غزوة ذي قرد | ٢٤٢ | قسمة أموال بني قريظة |
| ٢٩٣ | المرأة التي نجت على ناقة النبي (ص) | ٢٤٣ | من استشهد في تلك الغزوة |
| ٢٩٤ | ما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرد | ٢٤٣ | وفاة سعد بن معاذ |
| ٢٩٧ | غزوة بني المصطلق | ٢٤٥ | ضغطة سعد بن معاذ في قبره ! |
| ٢٩٩ | شأن عبد الله بن أبي بن سلول في تلك الغزوة | ٢٤٧ | اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ |
| ٣٠٢ | حكم العزل عن النساء | ٢٤٩ | شعر لأم سعد بن معاذ |
| ٣٠٢ | قصة جوهرية بنت الحارث | ٢٥٠ | كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد ! |
| ٣٠٤ | قصة الإفك | ٢٥٠ | رثاء جسان بن ثابت لسعد |
| ٣١٠ | حسان يهجو صفوان بن المعطل | ٢٥١ | فصل فيما قيل من الأشعار في الخندق وبنى قريظة |
| ٣١١ | شعر لحسان بن ثابت يعتذر لعائشة | ٢٦١ | مقتل أبي رافع اليهودي |
| ٣١٢ | غزوة الحديدية : | ٢٦٧ | مقتل خالد بن سفيان الهذلي |
| ٣١٢ | سياق ابن إسحاق عن تلك الغزوة | ٢٧٠ | قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد الخندق وإسلامه مع خالد ابن الوليد |
| ٣١٩ | بيعة الرضوان | ٢٧٣ | زواج النبي (ص) بأم حبيبة |
| ٣٢٠ | كتابة العهد بين الرسول وقريش | ٢٧٧ | زواجه (ص) بزینب بنت جحش |
| ٣٢١ | شأن أبي جندل | ٢٧٨ | تفسير الآيات التي نزلت في قصة زينب |
| ٣٢٤ | كانت بيعة الرضوان فتحاً ! | ٢٨٠ | نزول الحجاب صبيحة عرس زينب |
| ٣٢٥ | عدد المسلمين في تلك الغزوة | ٢٨٣ | فضل زينب بنت جحش |
| ٣٢٧ | الشجرة التي بايعوا تحتها | | |
| ٣٢٨ | على أي شيء كانت البيعة ؟ | | |
| ٣٢٩ | ذكر سياق البخاري لعمره الحديدية | | |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|---|--------|---|
| ٣٧٥ | فتح حصون خيبر وقسمة أرضها | ٣٣٨ | ذكر السرايا والبعوث التي كانت في سنة ست |
| ٣٧٨ | الرسول يقرّ يهود خيبر في أرضها | ٣٤٢ | ما وقع من الحوادث في هذه السنة |
| ٣٨٠ | قسمة غنائم خيبر | ٣٤٤ | سنة سبع من الهجرة ✓ |
| ٣٨١ | حكم الأراضي المغنومة | ٣٤٤ | غزوة خيبر في أولها |
| ٣٨٤ | مهم النبي في خيبر | ٣٤٦ | قصة عامر بن الأكواع |
| ٣٨٦ | الرضخ للعبيد والنساء في خيبر | ٣٤٨ | الله أكبر خربت خيبر ✓ |
| ٣٨٩ | قدوم جعفر بن أبي طالب ومن كان بقي بالحبشة من المسلمين | ٣٤٩ | النهي عن لحوم الجمر الأهلية |
| ٣٩٢ | أبو هريرة يسأل رسول الله أن يقسم له من خيبر | ٣٥١ | لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله |
| ٣٩٤ | قصة الشاة المسومة | ٣٥٥ | مقتل مرّحب اليهودي |
| ٤٠١ | رجوع الرسول إلى المدينة | ٣٥٩ | مقتل ياسر أخى مرّحب |
| ٤٠٥ | شعر لابن لقيم العبسي في فتح خيبر | ٣٦٠ | الرجل الذي قتل نفسه |
| ٤٠٦ | ذكر من استشهد بخيبر من الصحابة | ٣٦١ | العبد الأسود الذي قتل شهيدا |
| ٤٠٧ | خبر الحجاج بن علاط البهزي | ٣٦٣ | فتح حصون خيبر |
| ٤١٢ | فصل في مروره عليه السلام بوادي القرى .. | ٣٦٣ | تحريم لحوم الجمر الأهلية |
| ٤١٤ | معاملة الرسول ليهود خيبر .. وكيف أخرجهم عمر منها .. | ٣٦٤ | ما نهى عنه الرسول في خيبر |
| ٤١٧ | سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة | ٣٦٥ | النهي عن نكاح المتعة |
| ٤١٨ | سرية عمر بن الخطاب إلى تربة من أرض هوازن | ٣٦٦ | الخلاف في تحريم نكاح المتعة |
| | | ٣٦٩ | حلّ أكل شحوم اليهود |
| | | ٣٧١ | قصة صفية بنت حيي |
| | | ٣٧٥ | تسليم يهود خيبر |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|---|--------|-------------------------------------|
| ٤٥٨ | نزول المسلمين بمعان من أرض الشام | ٤١٨ | سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير |
| ٤٦١ | استشهاد جعفر بن أبي طالب | | ابن رزام |
| ٤٦٢ | استشهاد عبد الله بن رواحة | ٤١٩ | سرية أخرى مع بشير بن سعد |
| ٤٦٣ | الرسول يخبر المسلمين بخبر مؤتة | ٤٢٢ | سرية أبي حذرد إلى الغابة |
| ٤٦٩ | لقاء الرسول والمسلمين لجيش مؤتة | ٤٢٣ | السرية التي قتل فيها محمّل بن جثامة |
| | وتأنيب الصبيان لهم | | عاصم بن الأضبط |
| ٤٦٩ | استدراك لابن كثير على ابن إسحاق | ٤٢٦ | سرية عبد الله بن حذافة السهمي |
| | في شأن الفارين من مؤتة | ٤٢٨ | عُمره القضاء |
| ٤٧١ | كان يسوغ الفرار من مؤتة | ٤٣٩ | قصة تزويجه عليه السلام بميمونة |
| | لكثرة العدو | ٤٤٢ | خروجه (ص) من مكة بعد قضاء |
| ٤٧١ | ثبت باقي المسلمين فنصرهم الله في مؤتة . . ودليل على ذلك . | | عمرته |
| ٤٧٣ | رأى ابن إسحاق في ذلك | ٤٤٢ | قصة ابنة حمزة |
| ٤٧٤ | الرسول يعزّي آل جعفر بن أبي طالب | ٤٤٤ | سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم |
| ٤٧٧ | إحداد أسماء على زوجها جعفر | ٤٤٦ | سنة ثمان من الهجرة : |
| ٤٧٨ | تلقّى الرسول والمسلمين للجيش | ٤٤٦ | فصل في إسلام عمرو بن العاص وخالد |
| ٤٨٠ | فصل في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة : | | ابن الوليد وعمان بن أبي طلحة |
| ٤٨٠ | فضل زيد بن حارثة | ٤٥٠ | طريق إسلام خالد بن الوليد |
| ٤٨٣ | فضل جعفر بن أبي طالب | ٤٥٣ | سرية شجاع بن وهب إلى نفر من |
| ٤٨٦ | فضل عبد الله بن رواحة | | هوازن |
| ٤٨٩ | ذكر من استشهد يوم مؤتة | ٤٥٤ | سرية كعب بن عمير إلى بني قضاة |
| | | ٤٥٥ | غزوة مؤتة : |
| | | ٤٥٦ | توديع الناس لأمرأ مؤتة |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|--|--------|---|
| ٥٤٣ | إسلام العباس بن عبد المطلب | ٤٩٠ | فضيلة عظيمة لأمرأه هذه السرية |
| ٥٤٥ | نزول المسلمين بمرّ الظهران | ٤٩١ | ما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة |
| ٥٤٦ | خروج أبي سفيان بن حرب وصاحبيه يتجسسون الأخبار | ٤٩٤ | كتاب بعث رسول الله (ص) إلى ملوك الآفاق |
| ٥٤٧ | العباس يصحب أبا سفيان إلى الرسول | ٤٩٥ | حديث أبي سفيان عن كتاب رسول الله إلى قيصر |
| ٥٤٩ | إسلام أبي سفيان بن حرب | ٥٠٢ | رواية أخرى في ذلك |
| ٥٥٥ | صفة دخول الرسول (ص) مكة | ٥٠٦ | إرساله (ص) إلى ملك العرب من النصارى بالشام |
| ٥٥٧ | إسلام أبي قحافة | ٥٠٧ | ذكر بعثه إلى كسرى ملك الفرس |
| ٥٦٠ | دخول خالد بن الوليد مكة | ٥١٠ | مقتل كسرى ، وآية للرسول في ذلك « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده » |
| ٥٦٣ | النفر الذين أهدر الرسول (ص) دماءهم في فتح مكة | ٥١٠ | ملك الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام! |
| ٥٦٩ | طواف الرسول بالبيت حين دخل | ٥١٤ | بعثه (ص) إلى المفوس |
| ٥٧٠ | خطبة الرسول على باب الكعبة | ٥١٦ | غزوة ذات السلاسل |
| ٥٧١ | تكسير الأصنام حول الكعبة | ٥٢١ | سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر |
| ٥٧٥ | أذان بلال وما أثاره في نفوس الكافرين | ٥٢٤ | موت النجاشي وصلاة الرسول عليه |
| ٥٧٦ | محاولة أبي سفيان المقاومة | ٥٢٦ | غزوة الفتح الأعظم : |
| ٥٧٧ | « إن الله حرم مكة . . » | ٥٢٦ | سبب فتح مكة |
| ٥٧٧ | هل فتحت مكة عنوة أم صلحاً ؟ | ٥٣٦ | قصة حاطب بن أبي بلتعة |
| ٥٧٩ | أول قتيل وداه رسول الله يوم الفتح | ٥٣٩ | خروج الرسول مع المسلمين إلى مكة |
| ٥٨١ | تخوف الأنصار من إقامة الرسول بمكة | | |
| | ورد الرسول عليهم | | |
| | فضالة بن عمير يحاول اغتيال الرسول | | |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|-------------------------------------|--------|-------------------------------------|
| | هزيمة المسلمين في أول الوقعة ونداء | ٥٨٢ | إسلام صفوان بن أمية |
| ٦١٨ | الرسول لهم | ٥٨٥ | إسلام ابن الزبيرى ، وشعر له |
| ٦١٩ | مقاله بعض الطلقاء حين الهزيمة | ٥٨٦ | عدد المسلمين في فتح مكة |
| ٦٢٠ | خنجر أم سليم ! | ٥٨٧ | ما قيل من الشعر في يوم الفتح |
| ٦٢٢ | « لـكن رسول الله لم يفر .. » | | بعثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى |
| ٦٢٣ | « من قتل قتيلا فله سلبه » | ٥٩١ | بنى جذيمة |
| ٦٢٥ | « يا عباس ناد : يامعشر الأنصار .. » | | قصة الفتى من بنى جذيمة الذى قتله |
| ٦٢٦ | فضل الأنصار في هوازن | ٥٩٥ | جند خالد |
| ٦٢٧ | « الآن حى الوطيس .. » | ٥٩٧ | بعث خالد بن الوليد لهدم العزيمى |
| ٦٣١ | قصة شيبه بن عثمان مع الرسول | ٥٩٨ | مدة إقامة الرسول بمكة |
| ٦٣٣ | الملائكة تقاتل في حنين | ٦٠٠ | ما حكم به (ص) بمكة من الأحكام |
| ٦٣٣ | شعر لخديج بن العرجاء النصرى | | بيعة الرسول للناس يوم الفتح على |
| ٦٣٤ | شعر لمالك بن عوف النصرى | ٦٠٢ | الإسلام |
| ٦٣٥ | « قد غلبت خيلُ الله خيلَ اللات » | ٦٠٣ | بيعة النساء يوم الفتح |
| | شعر للعباس بن مرداس في فرار | ٦٠٥ | « لا هجرة بعد فتح مكة .. » |
| ٦٣٦ | قارب بن الأسود | ٦٠٦ | حكم الهجرة بعد الفتح .. |
| ٦٣٧ | وقوف هوازن بعد الهزيمة .. | ٦٠٧ | « إذا جاء نصر الله والفتح .. » |
| ٦٣٨ | الرسول يأمر بجمع الغنائم | ٦١٠ | غزوة هوازن يوم حنين |
| ٦٣٨ | الرسول نهى عن قتل النساء | ٦١٠ | متى كانت غزوة هوازن ؟ |
| ٦٤٠ | غزوة أوطاس | ٦١١ | دريد بن الصمة يخرج مع قومه |
| ٦٤٤ | من استشهد يوم حنين وأوطاس | ٦١٥ | عدد المسلمين في هوازن |
| ٦٤٥ | ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن | ٦١٨ | فصل في كيفية الوقعة |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|--|--------|--|
| ٦٧٢ | ردّ السبي كان بعد قسمة الغنائم | ٦٥٢ | غزوة الطائف |
| ٦٧٣ | بعض الأنصار يتكلم في قسمة الغنائم | ٦٥٢ | قصيدة لسكعب بن مالك في غزوة الطائف |
| ٦٧٤ | استرضاء الرسول للأنصار | ٦٥٥ | أول دم أقيد به في الإسلام |
| ٦٨٠ | العباس بن مرداس يطلب زيادة العطاء | ٦٥٥ | مرور المسلمين بقبر أبي رغال |
| ٦٨٢ | الذين أعطاهم الرسول مائة من الإبل | ٦٥٦ | حصار المسلمين للطائف |
| ٦٨٣ | قدوم مالك بن عوف النصرى على الرسول | ٦٥٧ | « من خرج إلينا من العبيد فهو حر » |
| ٦٨٤ | شعر لحسان في تأخر الأنصار عن الغنيمة | ٦٥٨ | الرسول أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق |
| ٦٨٦ | اعتراض بعض الجهلة على قسمة الرسول | ٦٥٩ | « من بلغ بسهم فله درجة في الجنة » |
| ٦٨٨ | مجيء أخت رسول الله من الرضاعة | ٦٦٠ | قصة الخنث الذي سمعه الرسول يذكر النساء |
| ٦٩٢ | عمرة الجعرانة في ذى القعدة | ٦٦١ | رجوع المسلمين عن الطائف |
| ٦٩٥ | عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح | ٦٦٣ | الرسول يدعو بهداية ثقيف |
| ٦٩٩ | إسلام كعب بن زهير | ٦٦٣ | من استشهد من المسلمين بالطائف |
| ٧٠١ | قصيدة كعب بن زهير : بانت سعاد | ٦٦٥ | نزول ثقيف على حكم الرسول وإسلامهم . |
| ٧٠٥ | رواية للبيهقي في إسلام كعب | ٦٦٧ | مرجه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن |
| ٧٠٧ | الرسول يجتمع على كعب برده | ٦٦٧ | وفد هوازن يستعطف الرسول |
| ٧٠٧ | كعب بن زهير يمدح الأنصار | ٦٦٨ | الرسول يعطيهم النساء والأبناء |
| ٧٠٨ | شيء عن كعب بن زهير | ٦٧١ | ما أصاب كل مسلم من الغنائم |
| ٧١٠ | ما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان | | |

فهرس القوافى

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|-----------------|--------------------|--------------|
| | (المهززة) | |
| ٥٨٧ | حسان بن ثابت | خَلاهُ |
| ٥٥٩ | امرأة من قریش | لَجَاءِ |
| ٤٦٠ | عبدالله بن رواحة | الحِساءِ |
| ٥٥٧ | حسان بن ثابت | كَدَاءِ |
| | (الباء) | |
| ٣٥٨ | مرحب اليهودى | يعطِبُ |
| ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ | مرحب اليهودى | مَجْرِبُ |
| ٣٥٧ | كعب بن مالك | صَلْبُ |
| ١٣٤ | حسان بن ثابت | وَأَثِيمُوا |
| ٤٦١ | عبدالله بن رواحة | شَرَابُهَا |
| ٥٣٥ | حسان بن ثابت | رَقَابُهَا |
| ٦٤٥ | عباس بن مرداس | الكَتَابِ |
| ٢٠٥ | على بن أبى طالب | أَصْحَابِي |
| ٢٥٣ | عبدالله بن الزبيرى | الْأَحْقَابِ |
| ٢٥٥ | كعب بن مالك | الْوَهَابِ |
| ٤٣ | حسان بن ثابت | صَوَابِ |
| ٢٠٥ ، ٢٠٣ | على بن أبى طالب | بِصَوَابِ |
| ٤٣ | حسان بن ثابت | الْحَوَاجِبِ |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|-----------|----------------------|----------|
| ١٦ | محيصة بن مسعود | قارب |
| ١١٩ | هند بنت عتبة | مطلبي |
| ٤١ | أبو سفيان بن حرب | شعوب |
| ٤١ | ابن شعوب | مجيبي |
| ٤٢ | حسان بن ثابت | عصيب |
| | (الناء) | |
| ٦٣٥ | امراة من المسلمين | بالثبات |
| ٤٦٢ | عبدالله بن رواحة | صليت |
| | (الجيم) | |
| ٤١١ | الفريرة بنت همام | حجاج |
| ١١٢ | كعب بن مالك | تلجج |
| | (الحاء) | |
| ١١٣ | حسان بن ثابت | النوايح |
| ٣٠٩ | — | ومسطح |
| | (الذال) | |
| ٢٠٨ | أبو أسامة الجشمي | خالد |
| ١١٦ | كعب بن مالك | الأغيد |
| ١٨٤ | — | أبدًا |
| ٤٥٦ | عبدالله بن رواحة | الزبدًا |
| ٢٤٩ | أم سعد بن معاذ | وحدًا |
| ٢٩٥ | حسان بن ثابت | سعدًا |
| ٥٣٢ ، ٥٢٧ | عمرو بن سالم الخزاعي | الأتلدًا |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|----------|------------------------|----------|
| ٦٤٢ | رجل من بني جشم | يُسفدَا |
| ٢٩٤ | حسان بن ثابت | التقوادِ |
| ٥٩٠ | عباس بن مرداس | المسجدِ |
| ١٤٣ | حسان بن ثابت | نجدِ |
| ٦٧ | ابن قتادة بن النعمان | الردِّ |
| ٢٥٠ | حسان بن ثابت | سعدِ |
| ٢٦٨ | عبدالله بن أنيس | مقددِ |
| ١٢٧ | عاصم بن ثابت | الموقدِ |
| ٣١٠ | حسان بن ثابت | البلدِ |
| ٥٤٤ | أبو سفيان بن حرب | محمدِ |
| ٦٨٣ | مالك بن عوف النصرى | محمدِ |
| ٥٨٩ | أنس بن زنيم الدبلي | أشهدِ |
| ٤١١ | كعب بن مالك (الراء) | مذودِ |
| ٦٣٤ | مالك بن عوف النصرى | ويكرُّ |
| ٦٤١ | عمرة بنت دريد بن الصمة | ينحدرُ |
| ٧٠٨ | كعب بن زهير | القدرُ |
| ٦٨٤ | حسان بن ثابت | دررُ |
| ٦٩٠ | زهير بن سرد | دررُ |
| ١٤٤ | حسان بن ثابت | نزرُ |
| ٦٥٤ | شداد بن العارض الجشمى | ينتظرُ |
| ٤٨٦، ٤٥٦ | عبدالله بن رواحة | نصروا |
| ٦٦٧ | زهير بن سرد | ينتظرُ |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|---------|--------------------|---------|
| ٦٤٨ | العباس بن مرداس | الشفرة |
| ٣٥٦ | عامر بن الأكوخ | مغامر |
| ٤٩١ | حسان بن ثابت | سهر |
| ٥٨٥ | عبدالله بن الزبيري | بور |
| ١٥٠ | كعب بن مالك | يدور |
| ٦٣٧ | العباس بن مرداس | الخبير |
| ١٥ | كعب بن مالك | البصير |
| ٢٥٩ | حسان بن ثابت | نصير |
| ١٥٠ | حسان بن ثابت | مستطير |
| ٢٥٩، ١٥ | أبو سفيان بن حرب | السعير |
| ٤٧٨ | أسماء بنت عميس | أغبراً |
| ٢٩٥ | حسان بن ثابت | قصوراً |
| ٣٥٧ | علي بن أبي طالب | المنظرة |
| ٣٥٥ | علي بن أبي طالب | القصوره |
| ٣١ | هند بنت عتبة | الأدبار |
| ٧٠٧ | كعب بن زهير | الأنصار |
| ٤٠٥ | ابن لقيم العبسي | وقفار |
| ٢٤٩ | رجل من الأنصار | عمرو |
| ٧٤ | هند بنت عتبة | سعر |
| ٧٤ | حسان بن ثابت | الكفر |
| ٥٩٧ | حاجب العزري | شمري |
| ٤٨٢ | حسان بن ثابت | القبور |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|----------|---------------------|----------|
| ١١٨ | صفية بنت عبد المطلب | وخبير |
| ٢٥٩ | حسان بن ثابت | نصير |
| ٧٠ | حسان بن ثابت | السعير |
| | (السين) | |
| ٦٤٩ | العباس بن مرداس | عرمس |
| ١١٩ | امراة شماس بن عثمان | لباس |
| ١١٩ | الحكم بن سعيد | الناس |
| ٢٩٦ | كعب بن مالك | الفوارس |
| ٤١ | ابن شعوب | الشمس |
| | (العين) | |
| ٦١٢ | دريد بن الصمة | وأضع |
| ٢٩٠، ٢٨٦ | سلمة بن الأكواع | الرضع |
| ٢٦٠ | حسان بن ثابت | راجع |
| ٢٥٨ | كعب بن مالك | نوادع |
| ٤٨٨ | عبد الله بن رواحة | ساطع |
| ١١ | كعب بن الأشرف | وتدمع |
| ٦٤٦ | العباس بن مرداس | فالمصانع |
| ١٠٧ | كعب بن مالك | متنعم |
| ٥٦٧، ٢٩٨ | مقيس بن صباة | الأخادع |
| ٦٨٠ | العباس بن مرداس | والأقرع |
| ١٣٢ | خبيب | مجمع |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|---------|------------------------|----------|
| | (الفاء) | |
| ٦٣٣ | خديج بن العرجاء النصرى | أخصفاً |
| ٦٤٧ | العباس بن مرداس | خلفاً |
| ٥٨٩ | بجير بن زهير | خفافِ |
| ١٥٢ | على بن أبي طالب | أصدفِ |
| ٢٦٣، ١٥ | حسان بن ثابت | الأشرفِ |
| | (القاف) | |
| ٣١ | هند بنت عتبة | التمارقُ |
| ٦٣٤ | مالك بن عوف | تخفقُ |
| ٣٤ | عثمان بن أبي طلحة | تمدقاً |
| ٢٥٧ | كعب بن مالك | المحرقِ |
| ٦٦٤ | بجير بن زهير | الأبرقِ |
| ١٣٣ | حسان بن ثابت | القلقِ |
| ٥٩٥ | فتى من جذيمة | الخوانقِ |
| | (الكاف) | |
| ٦٤٦ | العباس بن مرداس | هواكا |
| ٦٩٩ | كعب بن زهير | هل لكا |
| ٧٠٥ | كعب بن زهير | دلكا |
| ٣١٥ | جارية من الأنصار | يجمدونكا |
| ١٧٠، ٨ | حسان بن ثابت | الأوراكِ |
| ٥٩٧ | خالد بن الوليدِ | أهانكِ |

(اللام)

| | | |
|-----|---------------------|---------|
| ١١١ | حسان بن ثابت | عدن |
| ١١٩ | » » » | والفشل |
| ١١٠ | عبد الله بن الزبيري | فعل |
| ٩٣ | امرؤ القيس | جلل |
| ٥٦١ | حماس بن قيس | وأنة |
| ١٢٦ | عاصم بن ثابت | عنابل |
| ٤٧٣ | قيس بن المحسّر | قبل |
| ٤٩٢ | كعب بن مالك | المخضل |
| ٧٠١ | كعب بن زهير | مكبول |
| ٦٩ | حسان بن ثابت | الرسول |
| ٧٠٦ | كعب بن زهير | مسلول |
| ١١٧ | عبد الله بن رواحة | العويل |
| ٤٣٢ | عبد الله بن رواحة | رسوله |
| ٦٧ | | أبو الـ |
| ٢٧٢ | عبد الله بن الزبيري | المقبل |
| ٣٨٠ | أبو طالب | آجل |
| ٢٣٩ | جبل بن جوال | يُخذل |
| ٤٦٠ | عبد الله بن رواحة | فانزل |
| ٥٢٨ | الأخزر بن أمّط | ناصل |
| ٣١١ | حسان بن ثابت | الفوافل |
| ٥٢٩ | بدليل بن عبدمناة | نافل |
| ٢٠٣ | حسان بن ثابت | تفعل |

| | | |
|-----|----------------------|----------|
| ٩٩ | معبد الخزاعي | الأبايل |
| ٣٢ | أبو دجانة | البنخيل |
| ٤١٠ | حسان بن ثابت | ونخيل |
| ٤٨٥ | حسان بن ثابت | كلها |
| ٤٣١ | عبد الله بن راحة | رسوله |
| ٤٣٢ | عبد الله بن رواحة | تنزيله |
| | « الميم » | |
| ٢٠ | أبو عزة الجمحي | حام |
| ٤٠٩ | العباس بن عبد المطلب | الأشم |
| ٤٧٣ | قطبة بن قتادة | انحطم |
| ٥٨٤ | فضالة بن عمير | والإسلام |
| ٧٠٠ | بجير بن زهير | أحزم |
| ٥٩٠ | العباس بن مرداس | مسوم |
| ٥٨٥ | عبد الله بن الزبيري | بهم |
| ٦٥٤ | كفانة بن عبد ياليل | نريمهما |
| ١٢٧ | عاصم بن ثابت | كراما |
| ٦٥٠ | العباس بن مرداس | يمما |
| ٥٥١ | سعد بن عبادة | الحرمه |
| ٥٦٢ | حماس بن خالد | عكرمه |
| ٦٤١ | سلمة بن دريد | توسمه |
| ٥١١ | خالد بن حق | اللحام |
| ١٣٣ | حسان بن ثابت | وعاصم |
| ٧٠٩ | كعب بن زهير | الظلم |

| | | |
|-----------------|-------------------|----------|
| ٢٠ | نافع بن عبد مناف | التقدم |
| ٤٥٩ | عبد الله بن رواحة | العكوم |
| ٥٨٥ | حسان بن ثابت | لثيم |
| | « النون » | |
| ٣٧ | عدي بن سهل | المفتين |
| ٥١١ | — | بكفن |
| ٦١٥ | العباس بن مرداس | بنيان |
| ١٨٦ | | شقيفا |
| ٣٥٦ ، ٣٤٧ ، ١٨٥ | | صليفا |
| ١٣٨ | — | المسليفا |
| ٢٥١ | ضرار بن الخطاب | طحونا |
| ٤٦٢ | عبد الله بن رواحة | لتكرهته |
| ٦٤٥ | بجير بن زهير | جبان |
| ١٣٣ | حسان بن ثابت | لحيان |
| ٣٠ | الشمخ | باليمين |
| | « الياء » | |
| ٣١٥ | ناجية بن جندب | ناجيه |
| ٤٠ | الحارث بن النضر | باديه |
| ١٧٠ | عبد الله بن رواحة | وافيا |
| ١٠٥ | هبيرة بن أبي وهب | عواديه |
| ١٠٧ | حسان بن ثابت | مخزيبها |
| ٥٤٥ | عبد الله بن مسعود | فيه |

تصويبات

| الصفحة | السطر | الصواب |
|--------|---------------------|--|
| ٣٣٧ | ٦ | نزرت |
| ٣٤٧ | ٤ | عن أبي عبيد [ويروى نشأ بها مثله . قال السهيلي ويروى : قلَّ عربي مشابهاً ^(١)] مثله ، ويكون منصوباً الخ . |
| ٣٤٩ | ١٢ | بعد : تفردَّ به البخاري دون مسلم : وردت في ا هذه الزيادة : « فائدة : قال السهيلي : فيه إباحة التفاؤل ، لأنه لما رأى بأيديهم المساحي والمعاول وهي من آلات الهدم والحفر قال ذلك . قال : والعرب تسمى الجيش الكثيف خميساً ، لأن له ساقاً ومقدِّمة وجناحين وقلبا . قال : وليس من تخميس الغنيمة لأن هذا حكم شرعي » اهـ . |
| ٣٥٠ | ١٦ | زقاق |
| ٣٩٤ | ١٧ | شِرْ آكان |
| ٣٨١ | هامش ^(١) | قال أبو عبيد : « لا أحسبه عربياً » وقال الأزهري : هو لغة يمانية لم نفسُ في كلام معدّ . وقال في القاموس : « وهم ببَّان واحد وعلى ببان ، ويخفف ، أي طريقة واحدة » وقال في النهاية : أي أتركهم شيئاً واحداً . ولو كان ربيثة لتحرك . |

تصويبات

| الصفحة | السطر | الصواب |
|--------|---------------------|---|
| ٣٣٧ | ٦ | نزرت |
| ٣٤٧ | ٤ | عن أبي عبيد [ويروي نشأ بها مثله . قال السهيلي ويروي : قلَّ عربيٌّ مشابهاً ^(١)] مثله ، ويكون منصوباً الخ . |
| ٣٤٩ | ١٢ | بعد : تفرَّد به البخاري دون مسلم : وردت في ا هذه الزيادة : « فائدة : قال السهيلي : فيه إباحة التفاؤل ، لأنه لما رأى بأيديهم المساحي والمعاول وهي من آلات الهدم والحفر قال ذلك . قال : والعرب تسمى الجيش الكثيف خميساً ، لأن له ساقاً ومقدِّمةً وجناحين وقلبا . قال : وليس من تخميس الغنيمة لأن هذا حكم شرعي » اهـ . |
| ٣٥٠ | ١٦ | زفاق |
| ٣٩٤ | ١٧ | شِرَاكان |
| ٣٨١ | هامش ^(١) | قال أبو عبيد : « لأحسبه عربياً » وقال الأزهري : هو لغة يمانية لم تفش في كلام معدّ . وقال في القاموس : « وهم بيّان واحد وعلى بيان ، ويخفف ، أي طريقة واحدة » وقال في النهاية : أي أتركهم شيئاً واحداً . لو كان ريثةً لتحرك . |